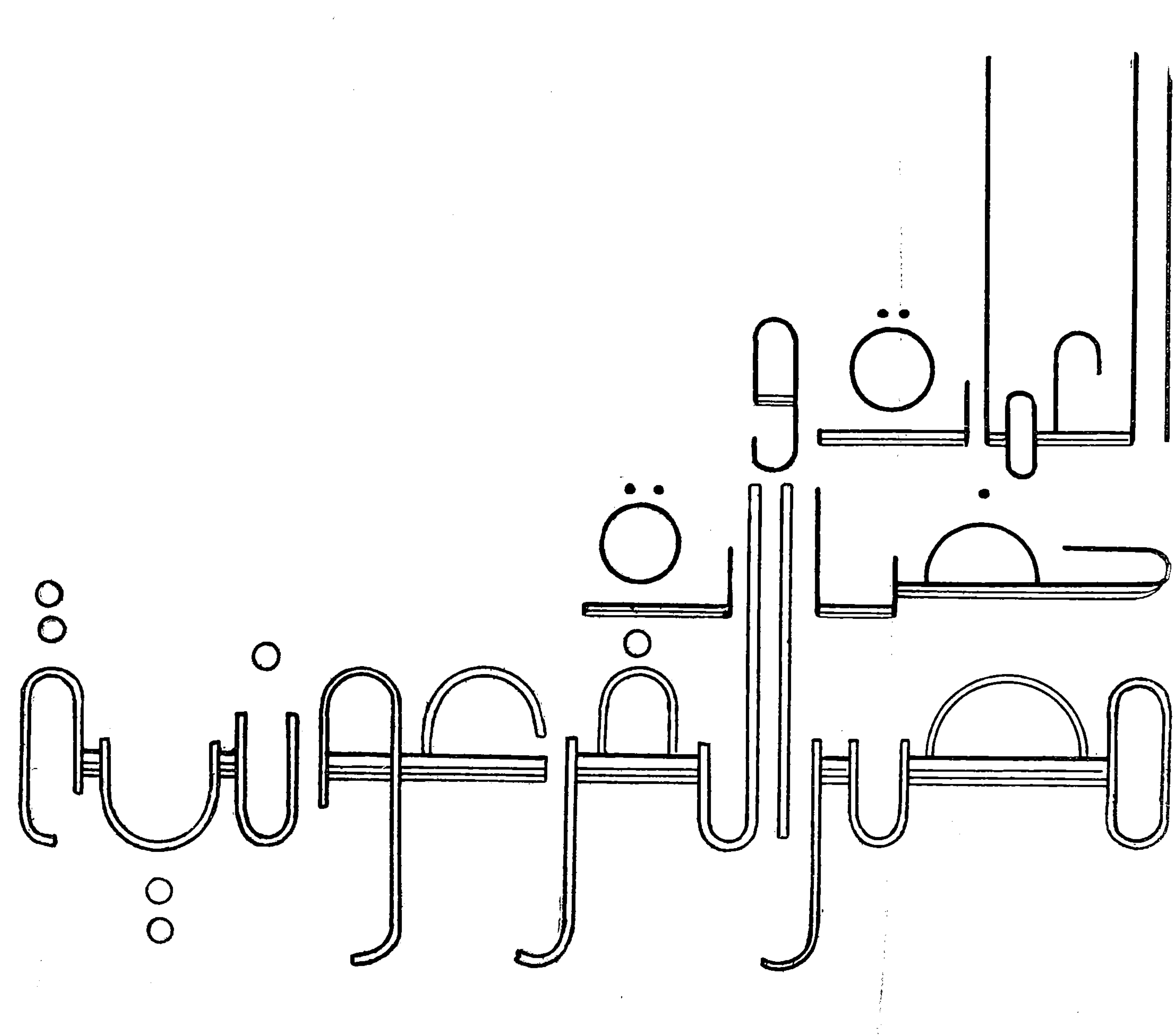
دكتور مهندس
توفيق أحمد عبد الجواد



العمارة وحضارة مصر الفرعونية

١٩٨٤

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــــــداء :

عصفورتان مؤتلفتان تتناجيـــان بأعـــــذب
الألحـــــان ٠٠٠٠

حفيدتاى التوأم ٠٠ هبة وســاره محمد عبدالجواد
أهدى كتاب حضارة مصر الفرعونية ٠٠٠ حضارة
الوجود ـ عمــارة التوحيــد ـ فن الخلود ٠ مع
تمنياتى القلبية بحياة سعيدة ومســــتقبل مشرق
ودوام التوفيق ٠٠٠٠٠

أغسطس ١٩٨٤

دكتور مهندس :

توفيق محمد عبدالجواد

مقـــــدمة :

العمارة وحضارة مصر الفرعونية

- تاريخ العمارة بين العلم والفن ...
- قدماء المصريين وأول الحضارات ٤٠٠٠ ق٠م
- هندسة الانشاء والعمارة ....
- الهرم الأكبر ... وهندسة الانفاق ٠

حضارة الوجود
عمارة التوحيـد
فن الخـــــلود

- هندسة العمارة والمســلات ٠
- هندسة التعدين ...
- الذين كتبوا تاريخ مصر الفوعرنية ٠
- مراجع التاريخ الزمنى ...
- التاريخ الزمنى والبحث العلمى ...

تاريخ العمـــارة ...

بين عمارة الحياة الدنيوية وعمارة الخلود الأبدية ...

هناك فرق شاسع بين كتابة التاريخ كفن ، وكتابة التاريخ كعلم...كتبه المؤرخون القدامى عبر التاريخ على أنه فن ٠ فن كتابة التاريخ ٠ أما اليوم فى عصر العلوم والتكنولوجية ٠ العصر الذى يشترك فيه العقل الالكترونى مع العقل البشرى فى البحث والتنقيب والتحليل فقد وضع التاريخ تحت مجهر العقل الالكترونى ٠

نظر العالم الى التاريخ كنظرية علمية ٠ الامانة فى تسجيلها معناها جمعها وتحليلها وتفسيرها وربط حلقاتها ببعضها البعض ، حتى الاساطير أمكن تحليلها وتحويلها الى حقائق علمية ثابتة ٠ وما عجز المؤرخون عن تفسيره كفن ، وصفوه بالسحر ـ قام العقل الالكترونى بتحليله كعلم ٠٠ وفسره كواقع علمى ٠ وهكذا اصطدم التاريخ فى كثير من بحوثه بما أطلق عليه اسم « الغاز الحضارة » تلك الالغاز التى شوه الاجتهاد فى تفسيرها جوهر الحضارة وانجازاتها الحضارية الفعلية ٠

وتاريخ العمارة الفرعونية ، كغيره من عناصر تاريخ الحضارة ، فالطريقة التى كتب بها ورغم تمجيد المؤرخين له ووصفهم العمارة المصرية بأنها أم الفنون المعمارية ـ فقد جانبهم الصواب عندما نظروا اليها من زاوية ضيقة ومحدودة اغفلت الكثير من قيمها الفعلية وما حققته من انجازات كانت وليدة البحث العلمى الذى تميزت به الحضارة المصرية عن بقية الحضارات الاخرى ٠

حضارة قدماء المصريين وأول الحضارات : ٤٠٠٠ ق٠م

هاجرت بعض شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض الشعوب الأفريقية والآسيوية الى وادى النيل ، وظلت تنتظر كل عام قدوم المياه المحملة بالطمى الواردة من الأقاليم الاستوائية ٠ وفى مدى أربعة أجيال ، تمكنت جماعات سمراء اللون صغيرة البنية من أن تستحدث فنا ضخما يمتاز بجمال حى مزدهر ٠ ونشأ هذا التطور فى الحساسية الفنية من مواصلة الجهود التى تمكنت من استكمال فن رفيع فى الفن والنحت والعمارة ظل فى أعلى القمة أكثر من خمسة آلاف عام ٠

وكان احترام قدماء المصريين للتقاليد ، وفلسفتهم الدينية العميقة ، والأدب الواقعى الخالى من عناصر الافتعال والاصطناع ومشاعرهم واحاسيسهم التى انعكست على حبهم فى المساواة الاجتماعية والعدالة الانسانية ٠٠٠ كل هذه المعجزات هى التى رفعت الفن المصرى ومكنته من الوصول الى أسرار نعجز حتى الآن عن ادراكها ، وان أجيالا عديدة قضوها فى التفكير والعمل والتصميم أوحت اليهم بالاستغناء عن كل ما هو ليس حيوى ، والاكتفاء بالتعبير عن كل ما هو جوهرى ، فكان الفنان المصرى يدرس وجه نموذجه دراسة عميقة ويدقق النظر فى ملامح وجهه للاحتفاظ بأهم مميزاته ، لأنه كان يعلم أن تحفته هذه لم تكن لتصور انسانا عاديا بل سلطانا قويا يليق بعظمة وجبروت أسلافه ٠

فالفن المصرى القديم نشأ فنا مستقلا بذاته عن باقى الفنون الأخرى التى تلته بعد ذلك ٠ فقد نشأ فى أمة عريقة متمدينة بطبعها شقت طريقها بحكمـــة وعزيمة قوية وأخذت تخلد عقائدها بالفن ، وتقرب الى الأذهان طريقها فى فهم الحياة والبعث ، وفى عودة الروح والحساب والعقاب ، والخير والشر ، وما يصلح للنفوس ويهدى القلوب بطريقة الرسم ٠ فنقشوا على حوائط معابدهم صـــور حياتهم الاجتماعية وأدواتهم التى كانوا يستعملونها فى حياتهم الدنيوية القصيرة من حلى ومتاع ٠ ومن هنا نشأ استقلال الفن المصرى عن بقية الفنون الأخرى ٠

وبدأ العصر الأول وهو عصر الدولة القديمة بالأسرة الثالثة التى ارتفع فيها الفن والعمارة الى مرتبة رفيعة يرجع الفضل فيها الى المهندس الملهم « أمحتب » الذى شجعه مليكه « زوسر » وأطلق له حرية العمل والفكر والابتكار ، وبلغت هذه النهضة ذروتها فى عهد الأسرة الرابعة ، ٢٧٠٠ ق٠م (عصر بناة الأهرام) ولكنها اتجهت بكل قوتها الى العمارة والهندسة أكثر مما اتجهت الى الفن الزخرفى ٠ فهرم الجيزة الأكبر وأبو الهول يمثلان حجمها وما بلغاه من الاتقان الفنى الاتساع الشامل للسلطة فى المرحلة الأولى من مراحل التجمع الحضرى ٠

وفى عصر الدولة الوسطى ، وخاصة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وجهوا كل

اهتمامهم بالفن ــ معابد وآثار بنى حسن وغيرها ــ وفى عهد الدولة الحديثة من تاريخ مصر القديم عادت للبلاد عزتها بعد ضعف ملوكها · وكان لملوك الأسرة الـ ١٨ ولع خاص بالفن والعمارة والهندسة ، واهمهم تحتمس الثالث ، وامنحتب الثالث والرابع واخناتون وتوت عنخ آمون وحتشبسوت · ثم جاء عهد الأسرة الـ ١٩ حيث قام رمسيس الأول بأكبر عمل خلده التاريخ وهو بهو الأعمدة بالكرنك ، وانشأ سيتى الأول معبد أبيدوس وزينه بالنقوش الجميلة ، ثم رمسيس الثانى ورمسيس الثالث الذى بلغت مصر فى عهدهما مداها فى جميع النواحى السياسية والفنية ·

وقد استعان المصريون القدماء بالأعمدة الضخمة تحمل أعتابا سميكة لتظهر معابدهم بمظهر يوحى بفكرة الخلود وتبعث فينا روح الاستقرار والأمان · وبغض المصريون الموت أشد البغض ، وتحايلوا على نكراته بشتى الوسائل : فبنوا المعابد وكأنها مساكن ، زودوها بكل ما يجلب على نفوسهم البهجة حتى أن حجرات موتاهم كانت تضارع حجرات الاستقبال · وقد بنى المعبد المصرى بطريقة تتلاءم مع الطبقة المحيطة به ، فهو ليس بدخيل عليها ، بل هو جزء منها · فاذا ما دخلناه أحاط بنا جو من الغموض والرهبة ، وكلما سرنا بداخله ارتفعت أرضية البناء وقل ارتفاع السقف ، وحل الظلام بكل مكان ، ولا نسير الا بهدى بصيص من الأنوار تبدو كأنها الهالة التى تشع من آلهة مقدسة ترمز الى خلودهم ·

لقد احتفظت المقابر المصرية بصفة عامة بمدخلها الضيق الملتوى المؤدى الى الداخل · وكان فى نظر قدماء المصريين أن الجبل المرتفع فوق منسوب الفيضان يعبر عن قوة آلهية خلاقة ، وكذلك رمزا للخلود · وقد صور المصريون القدماء هذا الشكل المقدس على هيئة هرم شيدته يد الانسان لاثبات مقدرة فرعون · فالهرم والمعبـــد المدرج والبرج والقبة والمسلة كلها مفعمة بالمعانى الدينية ، كونت النواة المقدســـة للمدينة طوال الشطر الأكبر من عصور التاريخ · كما أن القبر والهيكل ومركز الطقوس والاحتفالات سبقت السوق والحانوت والقلعة · ولما كان هدفها جميعا دعم معنى الحياة وقيمتها ، فانها وفرت أسباب المشاركة الجماعية طواعية واستمرار التقوى ·

كان كل ملك يتخذ لنفسه مكانا قرب الموقع الذى اختاره لقبره ، وفى خـــلال الجانب الأكبر من حياته كان العمل يستمر فى تشييد هرمه أو معبده · وبعد وفاته كان المكان يترك للكهنة والموظفين لاقامة شعائر عبادته ويديرون أملاكه الجنائزية ، اللهم الا اذا قرر الملك الجديد استمرار الاقامة فى ذلك المكان ، لأن الصحراء المجاورة كانت توفر مكانا مناسبا لقبره · وقد نعمت مراكز العبادة هذه بحياة مستمرة مثل منف وأبيدوس ، ومراكز المدافن الملكية مثل طيبة التى تكثر فيها المقابر ·

وقد شيد معبد الملكة حتشبسوت فى طيبة بالحجر الجيرى الأبيض ، ١٥٥٠ ــ ١٤٨٠ ق٠م بعد أن أصبح بناء الأهرامات منذ مدة أمرا غير مألوف ، وهو يبدو وكأنه أكروبول مقلوب أسفل الجبل ٠ وقد أضفى المهندس المعمارى الملكى « سنموت » على هذا المعبد وتخطيطه طابعا من الجد والصفاء يكاد يكون اغريقيا ٠ والمعبد مشيد على عدد من الدرجات التى تعلو كل منها الأخرى ٠ وتؤلف المبانى أفنية مفتوحة تعتبر خروجا على الأفنية المكتظة بالمنشآت والمحاطة بالمبانى ، وهو النظام المألوف فى المعابد التقليدية ، ولكن يبدو أن هذه الفكرة الجديدة لم تقلد فيما بعد « يرجى أن تنظر صور ورسومات المعبد فى باب العمارة المصرية القديمة » ٠

أما الهيكل الجنائزى فى معبد الكرنك فقد خصص هذا الحرم المقدس للعمـــل الرئيسى فى الحياة وكان الاعداد للموت وضمان الخلود بكل وسيلة من وسائل التقليد والسحر ويلاحظ المسلة التى يزيد ارتفاعها على ٣٠ مترا كانت احدى مسلتين كل منهما قطعة واحدة من الجرانيت استغرق صنعهما سبعة أشهر ، ونقلتا بالنيل وأقيمتا بعد اتمام المبانى ٠

ــــ والواقع أن التاريخ المصرى القديم يعتبر أول وأكبر مرجع للعمارة وتطورها فى مختلف نواحى تكوينها وتأثرها بجميع العوامل السياسية ، وأثر تلك العوامل فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من ناحية احساس ساكنها بالحياة والمجتمع الذى يعتبر عضوا فيه ٠ فمثلا وضعت مدينة « خنت كاوس » بالجيـــزة والتى يرجع تاريخ انشائها الى ٢٩٠٠ ق٠م النظريات الأولى فى تصميم المسكن ، فجمعت بين التماثل والتجميع المتراص والتعمق فى دراسة المسكن وأجزائه وتوجيه حجراته وتوزيع مجموعاته ٠ ومدينة اللاهون ويرجع تاريخ انشائها الى ٢٧٠٠ ق٠م والتى تحتوى على مجموعات متماثلة من المساكن الصغيرة تشـــترك فى مجموعة مشتركة من مخازن التموين والسوق العمومية ٠ أما مدينة العمارنة التى انشئت فى عهد « اخناتون » فقد اتجهت تصميماتها ناحية التوحيد المعمارى للطابع والوحدات الانشائية والزخرفية المكونة له لرفع مستوى الفن المعمارى للمسكن ، حيث يتميز المسقط الأفقى للمسكن بحرية الاسقاط والتماثل من ناحية التكوين والانشاء ٠ وقد اتجه « اخناتون » نحو التوحيد فى العبادة ، وآمن بآله أحد لا شريك له ، تمثله فى قرص الشمس « أتون » الذى يرسل أشعته الذهبية على كل ما فى الكون ، حاملة الحياة والنور والضياء وهو أول من نطق بالشهادة ٠

وأول من آمن بوحدانية الله تبارك وتعالى ، وكان يردد وهو يتعبد « أحد أحد لا شريك له » ٠ قضى اخناتون معظم أيام حكمه فى محاربة « آمون » اله الدولة القديم ،

وفى القضاء على نفوذه وعلى سلطة الكهنة ، وفى التبشير للدعوة للدين الجديد ٠ لقد كان هذا الدين الجديد مظهرا لاتساع أفق الفكر عند المصريين ، كما كان أول دعوة للتوحيد عرفها التاريخ ٠

ويقول الكاتب « برستيد » فى كتابه ـ انتصار الحضارة ـ « وكان لاختراع الكتابة واختراع استعمال ورق البردى أثر عظيم فى رفع مستوى الجنس الانسانى أكثر من أى شىء آخر ، لأنه أهم من جميع الحروب التى خاض الناس غمارها وأهم من جميع النظم أو الدساتير التى وضعت منذ خلق الله هذا الكون » ٠

وكانت مصر هى الدولة الوحيدة فى العالم القديم الملمة بتفاصيل زراعة نبات البردى وبالتالى صناعة الورق منه وظلت مصر محتكرة لتجارته فكانت تقوم بتصدير لفائف البردى الى جميع أنحاء العالم الذى كان يعتمد اعتمادا تاما على الانتاج المصرى لدرجة أن المؤرخ الرومانى بلينى ذكر أن أى كارثة كانت تصيب انتاج البردى فى مصر كان لا بد أن يمتد صداها الى الحياة الثقافية والتجارية فى العالم أجمع ٠ وظلت مصر لفترة تزيد عن الثلاثة آلاف سنة هى الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة للورق فى العالم لا ينافسها فى ذلك منافس الى أن تنحى البردى عن عرش الكتابة فى أوائل القرن العاشر الميلادى تاركا مركزه لصناعة الورق بطريقة هرس ألياف النباتات والتى تعتبر أساس صناعة الورق المستخدم حاليا وهى الطريقة التى اكتشفها الصينى « تساى لون » فى عام ١٠٥ بعد الميلاد ٠ ويلاحظ أن هذه الطريقة وان كانت لا تتميز على طريقة صناعة البردى بجودة ورقها أو متانته الا أنها امتازت عنه برخص تكاليف التصنيع ٠

هندسة الانشاء والعمارة :

كان الفن أعظم عناصر الحضارة المصرية القديمة ومن المستحيل أن نجد فى مكان غير مصر وخلال عهد هو بداية التاريخ فنا قويا ناضجا كذلك الذى أنشأه قدماء المصريين ٠

وعرف المصريون الأدوات النحاسية والبرونزية فاستعملوها وكان لذلك أكبر الأثر فى نحت وبناء مقابرهم وانشاء المعابد وغيرها من المنشآت المبنية بالحجر ٠ ولقد تمكن المصرى القديم فى وقت قصير من السيطرة التامة على البناء بالحجر ٠ وكانت مقابر الملوك الأوائل تبنى من الطوب اللبن تحت مستوى سطح الأرض ٠ وجاءت الخطوة التالية فبنوها فوق الأرض وفى القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد أقام المهندس المعمارى « أمحتب » للملك زوسر أول بناء بالحجر فبنى له الهرم المدرج بسقارة على

هيئة مصاطب يعلو بعضها البعض وارتفاعه نحو ٢٠٠ قدم • ويعتبر هذا الهرم أقدم بناء حجرى فى العالم مازال قائما حتى الآن • ولقد أدت فكرة امحوتب فى تشييد الهرم المدرج الى تشييد المقابر الملكية على شكل هرمى • ولم يمض أقل من قرن واحد حتى رأينا المعماريين المصريين يقيمون الهرم الأكبر فى الجيزة • ورغم أنه بنى عدد كبير من الأهرامات بعد ذلك العهد بلغ عددها أكثر من سبعين هرما فان هرم الجيزة الأكبر كان أقدمها وأعظمها واعتبره القدماء أحد عجائب الدنيا السبع القديمة ولازال حتى يومنا هذا يعتبر الاعجوبة الوحيدة الباقية من هذه العجائب بل هو أقدمها وأعظمها على الاطلاق •

ان عملية تشييد أهرامات منطقة الجيزة لا يقتصر اعجازها على ضخامة حجم العمل الانشائى بالنسبة للاعمال التى تمت قديما ولا يزال يعتبر حتى عهدنا الحالى الذى تقدمت فيه العلوم والتكنولوجيا بمعدلات تزيد أضعاف ما كان عليه الحال فى العهد القديم من أضخم الانشاءات القائمة حتى بالقياس الى الأعمال الضخمة الحديثة •

الهرم الأكبر :

فمثلا تبلغ مساحة قاعدة الهرم الأكبر ثلاثة عشر فدانا وهى مساحة كافية لأن تستوعب دفعة واحدة كلا من كاتدرائيات فلورانس وميلانو والقديس بطرس فى روما وويسمنستروسان بول فى لندن وكلها من أضخم واشهر المبانى التى أقيمت فى العصور الحديثة •

ويزداد تقديرنا لبناء هذا الهرم اذا علمنا أنه كله مبنى بكتل من الحجر الجيرى يبلغ عددها ٣٠٠ر٢٠٠٠ر٢ حجرا على وجه التقريب ، متوسط وزن كل حجر منها طنان ونصف طن وحسب رواية هيرودوت وهى جديرة بالتصديق ـ فان مائة ألف عامل ظلوا يعملون فى بناء هذا الهرم عشرين عاما ولا شك أن مثل هذا العمل يحتاج الى تصميم هندسى محكم وتخطيط فنى دقيق والى اشراف فى التنفيذ على أعلى مستويات الخبرة والكفاءة من جانب جميع المشرفين على تنفيذه •

هندسة الانفاق :

ولما كان الجزء الأكبر من الكتل الحجرية التى استخدمت فى بناء أهرامات الجيزة قد تم اقتلاعها من محاجر جبل المقطم الذى يقع على البر الشرقى للنيل فى مواجهة منطقة الجيزة فقد أدت أعمال التنقيب واقتلاع هذه الكتل الحجرية الضخمة

الى قيام المهندسين المصريين القدماء بارساء أسس فن اقتلاع الاحجار من الجبال وبالتالى حفر الانفاق على أضخم مقياس لم يعرف له مثيل فى التاريخ من قبل بل وظل هذا العمل فريدا فى نوعه فى العالم لعدة آلاف من السنين تلت ذلك ·

ان من يشاهد هذه الكهوف والتى يقدر طولها بعشرات الآلاف من الأمتار داخل جبل المقطم فى منطقة وادى حوف ليدهش من دقة حفرها وضخامة حجمها · ومما يثير الأعجاب ان هذه الكهوف كانت تتبع دائما المناطق التى توجد فيها أجود أنواع الحجر الجيرى · ورغم روعة العمل العظيم الذى استوعبه حفر هذه الكهوف ونقل كتل الأحجار الضخمة منها عبر النيل الى الضفة الغربية لمنطقةالأهرام فان ما ذكره المؤرخون عن هذه الكهوف وباعتبارها من الأعمال الهندسية العظيمة التى تم انجازها فى العصور المصرية الأولى قليل جدا · ولقد استخدمت الكهوف والأنفاق التى تخلفت عن عملية اقتلاع كتل بناء الأهرام فى عدة أغراض حتى فى عصرنا الحديث عندما لجأت اليها القوات البريطانية خلال الحرب العالمية الأخيرة لحفظ ذخيرتها وأسلحتها فى أماكن آمنة من الغارات الجوية بل أن وجود هذه الكهوف بالقرب من القاهرة كان من الأسباب القوية التى رجحت كفة استخدام مصر كقاعدة رئيسية تدار منها العمليات الحربية فى الشرق الأوسط ·

المنشآت المعمارية الضخمة :

واذا تركنا جانبا هندسة انشاء الأهرامات ونظرنا بعين الفاحص الى الأعمال المعمارية الأخرى التى قام بها المهندسون المصريون القدماء لا تضح لنا أنهم قد تمكنوا من فن العمارة الى الحد الذى يصح لنا أن نقول معه انهم كانوا بلا جدل أعظم البنائين فى التاريخ كله ، وتمكنوا من فن النحت حتى يحق لنا أن نقول أن هذا الفن لم يكن فى بلد من البلاد أكثر حيوية مما كان فى مصر القديمة ·

ومع أن الذى بقى لنا من أثر العمارة المصرية هو خرائبها فان الانسان لتستولى عليه الدهشة ويقف مبهورا عندما يشاهد باقة الأعمدة فى بهو الكرنك وهى الشىء القليل الذى تبقى من المصرح العظيم الذى شاده المصريون على امتداد يصل ما بين حكم الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثانية والعشرين ثم معبد الدير البحرى العظيم ـ الرامسيوم ـ هيكل ايزيس فى فيلة ـ أبو سنبل لأخذنا بجلال هذه المنشأت ولامتلأت نفوسنا بالأعجاب والتقدير لمن أقاموها ، ويكفى أن نذكر فى هذه المناسبة الكلمة التى قالها شامبليون أمام علم المصريات وأول من فك طلاسم اللغة المصرية القديمة بعـــد اندثارها ما يقرب من ١٥٠٠ عام عندما قال كلمته المأثورة « ما من شعب بين الغابرين

والمعاصرين قد بلغ فى فن العمارة ما بلغ قدماء المصريين من روعة تدانى وجلال لا يضارع ويكاد يكون ما عملوا لا يصدر الا عن عمالقة ارتفعت هاماتهم الى مائة من الأقدام » · والحق يقال فليس بين شعوب العالم من أكثر البناء وتحكم فى كميات هائلة وضخمة من الأحجار ومن بلغ السعة والضخامة فى البناء كالمصريين ·

هندسة المســـلات :

ولا يقتصر الامر على الضخامة والكم فحسب وانما تدل العمارة المصرية أيضا على شعور دقيق بالأشكال المعمارية ·

يعتبر فن استخلاص المسلات والتى يزيد طول بعضها عن ٤٠ مترا ووزنها عن الألف طن وكلها مصنوعة من كتلة واحدة من الجرانيت الوردى المستخرج من محاجر أسوان ثم نقل هذه المسلات واعادة تركيبها فى أماكنها الجديدة فى الأقصر أو فى منف أو فى هليوبوليس وفى وقت لم يكن معروفا للانسان من آلات الرفع ســـوى العتلة البسيطة ـ يعتبر هذا الفن اعجازا من الناحية الهندسية ·

ولا نذكر أن شعوبا اخرى تمكنت فى الماضى من نحت مثـــل هذه المســـلات واستخلاصها من محاجرها كتلة واحدة بمثل الدقة والاتقان الذى قام به المهندسون المصريون · وان اعجابنا بهم ليتضاعف عندما نستعرض الأعمال الهندسية الضخمة التى اقيمت فى العصور الحديثة لنقل بعض هذه المسلات الى باريس أو لنـــدن أو نيويورك والكميات الضخمة من الآلات الرافعة الحديثة وغيرها من المعدات الهندسية والتى لم تكن معروفة فى مصر عندما أقيمت هذه المسلات · ان كل هذه الأعمال لدليل ساطع لا يقبل أى نقاش يشهد أمام العالم الحديث بما كان عليه المهندسون المصريون من كفاءة · هذا اذا أقتصرنا القول على نقل هذه المسلات من محاجرها الى أماكن أقامتها أما اذا امتد بنا الحديث لطريقة استخراج هذه الكتل الضخمة المستطيلة من محاجرها وطريقة صقلها وتهذيبها لتصبح مسلات كاملة فأننا لا نذكر أن هناك أى وسائل حديثة يمكن أن تؤدى هذا العمل بمثل الكفـــاءة التى كانت متوفرة للصناع المصريين ·

المنشآت المائية وهندسة السدود (*) :

أهتم سكان وادى النيل بأمر النهر منذ دبت الحياة على شاطئيه ولقد كانت للنهر حرمته ورهبته فى عهد الفراعنة حتى أنزلوه منزلة العبادة والتقديس ·

(*) بحث للمهندس حسن رجب ـ مجلة المهندسين ـ اكتوبر ١٩٨٢ ·

أخذ المصريون القدماء يفكرون طويلا فى أمر المياه المتدفقة فى النهر الخالد والتى كانت تفيض حتى تصيب البلاد بالغرق أحيانا ثم تشح موارده أحيانا أخرى حتى تتعرض البلاد للجدب والقحط والخراب ، وكان لزاما عليهم أن يفكروا فى الافادة من هذه المياه والسيطرة عليها والاحتفاظ بها فى سنوات الجدب ٠

ومن هنا نشأت فكرة انشاء الخزانات والسدود لحفظ المياه ٠

الملك مينا يحول مجرى النيل لانشاء مدينة منف :

قام الملك مينا أول من حكم مصر بتحويل مجرى النيل فى المكان الذى اختاره ليقيم عاصمته فى مدينة منف وفى ذلك يحدثنا هيرودوت فيقول : ـ « حدثنى الكهنة بأن » « مينا » كان أول من حكم مصر وبأنه أوجد جسرا لحماية ممفيس (منف) ٠ اذ كان النهر كله يجرى بحذاء الهضبة الرملية من الجانب الليبى ٠ على حين أن « مينا » ـ قد أنشأ بواسطة السدود الثنية التى تقع جنوبى « ممفيس » بنحو مائة ستاد » وبذلك جفف المجرى القديم ، وحول النهر لينساب فيما بين هضبتين ٠

ســـد اللاهون :

انشأ المصريون سد اللاهون لمنع مياه النيل من الضياع بمنخفض الفيوم الذى كانت تضيع فيه مياه الفيضان ٠

وقد عمل لهذا السد عتب يسمح بتصريف المياه فى الفيوم فى الفيضانات العالية التى كان يخشى منها على الوجه البحرى ٠ وقد بقى هذا السد الى نهاية الدولة الأيوبية حيث كان يسمى « الجدار اليوسفى » وكان من عجائب الدنيا فى عصره ٠ وربمـــا كانت الأراضى المستخدمة فى تخزين مياه هذا السد هى منطقة وادى الريان حاليا ٠

خزان بحيرة موريس :

ومما انشىء أيضا للتحكم فى ماء النيل خزان بحيرة موريس الذى شـــاهده هيرودوت وكتب عنه ٠ وقد ثبت وجود هذا الخزان بما لايدع مجالا للشك فى القرن العشرين ٠ وقد احيطت البحيرة بجسر يبلغ طوله ٧٠ ميلا ووصلوا بين البحيرة والنهر بترعتين أقيمت على كل منهما قنطرة لخزن المياه فى البحيرة وأخرى للصرف منهـــا حين يقل ايراد النهر عن حاجة البلاد ٠

واذا كان الفراعنة قد اهتموا بانشاء الخزانات فان الرومان قد اهتموا بالمحافظة

عليها والعناية بها · ولم يكن العرب أقل من هؤلاء جميعا عناية بشأن النيل ، وأهم ما لاحظه العرب على النيل أنه يفيض فى وقت معين من كل عام · ولم يكن اهتمامهم بأمر تخزين مياهه للانتفاع بها بأقل من اهتمام أولئك الذين سبقوهم من سكان وادى النيل ، وقد استعملوا الخزانات القديمة وحافظوا عليها ، ولم يأل خلفاؤهم جهدا فى استدعاء من تصل أخباره الى مسامعهم من المهندسين ممن فكروا فى أمر النيل وآية ذلك ما فعله الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) عندما نما الى سمعه ما قاله المهندس البصرى (نسبة الى البصرة) أبو الحسن بن الهيثم : « لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يعود بالنفع فى كل حالة من حالاته ، من زيادة أو نقص فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو طرف الاقليم المصرى » واسرع الحاكم فى استدعائه وبعث اليه سرا مبلغا من المال رغبة فى الحضور ، فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا عند الخندق بالقرب من باب القاهرة وأنزله منزلا حسنا واكرم مثواه ، وتركه حتى استراح ، ثم طالبه بتنفيذ ما وعد به من أمر النيل فسار ومعه جماعة من الصناع يستعين بهم فى تنفيذ المشروع الذى تراءى له ·

وعاين ابن الهيثم ما كان بمصر من آثار الأقدمين وما هى عليه من ضخامة بناء ودقة هندسية وروعة فن ، واستنتج أن ما جال بخاطره لم يغرب عن بال مهندسى مصر الأقدمين ·

ولما وصل الى الجنادل (الشلالات) قبلى مدينة أسوان وعاين ضخامة الموقع أيقن أنه لابد عاجز عن تنفيذ ما اعتزم تنفيذه وأنه لو كان فى استطاعة المهندسين القدماء تنفيذه لفعلوا · وعاد خجلا الى القاهرة واعتذر للخليفة ·

الهندسة الملاحية :

ولم يفت المصريين القدماء أن يفكروا فى الكثير من المشاريع الهامة وفى مقدمتها ايجاد اتصال ملاحى بين البحرين الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ولقد شرعوا فى عصور مختلفة فى تنفيذ هذا المشروع بل أنهم نفذوه فعلا · ولقد اسفرت الدراسات الجيولوجية التى تمت فى منطقة الدلتا أن البحيرات المرة كانت متصلة اتصالا مباشرا بخليج السويس وان أى من الملكين سيزوستريس (٢٠٠٠ ق·م) أو نخاو (٦٠٠ق·م) أو كلاهما قد قام بحفر قناة توصل أقرب نقطة على فرع النيل البيلوزى (وكان ملاحيا فى ذلك الحين) والطرف الشمالى للبحيرات المرة وفى ذلك يحدثنا هيرودوت أبو المؤرخين فيقول :

« وانجب ابسماتيك ولدا هو نيخوس (نخاو) حكم مصر · وهو أول من شرع

فى حفر القناة التى تؤدى الى بحر ارتروى (البحر الأحمر) والتى أتم حفرها من بعده الملك دارا الفارسى • وطول القناة يساوى مدى ابحار أربعة أيام ، وقد حفرت عريضة بحيث تسمح بمرور سفينتين من ذوات ثلاثة صفوف من المجاديف جنبا الى جنب ويؤتى اليها بالماء منصرفـا من مكان يبعد قليلا فوق مدينة بوباسطس (الزقازيق حاليا) بالقرب من المدينة العربية باتوموس وتنتهى الى بحر ارتروى (البحر الأحمر)، حفر منها الجزء الذى فى السهل المصرى من جانب بلاد العرب ، ويتصل بهذا الجانب الى الشمال من السهل ، سلسلة الجبال التى تواجه ممفيس والتى توجد بها المحاجر • وعلى ذلك فالقناة تجرى بحذاء أسفل الجبل ممتدة من الغرب الى الشرق ثم تسير فى منحدرات متجهة من الجبل نحو الجنوب ، ونحو مهب الريح الجنوبية حتى تبلغ الخليج العربى وهناك ، حيث يوجد أصغر طريق وأقصره للذهاب من البحر الشمالى (البحر الأبيض المتوسط) الى البحر الجنوبى – وهذا نفسه يسمى بحر ارتروى (البحـــر الأحمر) من جبل كاسيوس الحد الفاصل بين مصر وسورية تبلغ المسافة من هذا المكان حتى الخليج العربى ألف ستاد • هذا هو أقصر طريق ، أما القناة فهى أطول من ذلك بكثير بقدر ما هى أكثر تعرجا • وقد هلك من المصريين أثناء عملهم فيها فى عهد نيخوس (نخاو) مائة وعشرون ألف عامل • « وتوقف نيخوس (نخاو) فى منتصف عملية الحفر لأن نبؤة عاقته تقول أنه يعمل لصالح البربر والمصريون يسمون كل من لا يتكلم لغتهم بربرا » •

ثم يطالعنا المؤرخ ديودورس الصقلى بما يؤيد هذه الواقعة ويضيف الى ذلك استرابون بأن الملك بطليموس فيلادلفوس (الثانى) قد اتم هذه القناة وفتحها للملاحة•

هندســـة التعدين :

كان الذهب فى جميع العصور هو المعدن الذى له فى تقدير الانسان مكانة خاصة اذ أن الذهب يمتاز عن سائر المعادن جميعا بعدم تأثره بالعوامل الجوية فهو لا يصدأ ولا يتأثر بالرطوبة ولا الاحماض •

ويرجع تاريخ الذهب فى مصر الى أقدم عصورها التاريخية والى ما قبل التاريخ فمن اثار ما قبل التاريخ وجدت قطع من الحلى الذهبية بلغت من دقة صنعها مبلغا من التقدم يضطرنا أن نقرر أن المصرى القديم قد حذق الصياغة قبل عصوره التاريخية المعروفة بوقت طويل •

ومن بقايا العصور القديمة ــ عصور الاهرامات ــ ظهرت أوانى مقدسة تمتاز ببساطتها مع جمال الصناعة والدقة كذلك فى جميع الاسر القديمة •

أما فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فقد بلغ استعمال الذهب فى مصوغاتهم وفى تجميل أثاثاتهم الجنائزية مبلغا عظيما وكان يمتاز بدقة التفاصيل بدليل ما يشاهد حاليا فى آثار توت عنخ آمون والتى آثارت دهشة أعجاب العالم بأسره ٠

ولقد بلغ انتاج الذهب فى مصر أقصاه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى أصبحت مطمح أنظار ملوك البلاد المجاورة ٠ يدلنا على ذلك ماورد فى رسالة أرسلها أحـد الأمراء الى اخناتون فرعون مصر يطلب ويلح فى طلب الذهب ذاكرا فى رسالته « أن الذهب فى مصر كالتراب » ٠ولو أننا أحصينا ما وجد من الذهب فى الآثار المصرية وهو موزع الآن فى مختلف متاحف العالم لهالنا مقداره ولتساءلنا أنى كان للفراعنة هذا الذهب الكثير ولم يهمل قدماء المصريين ذكر الموارد التى منها استمدوا الذهب ٠ وقد وضعوا على جدران بعض المعابد أخبار الداوريات المسلحة التى كانوا يبعثون بها الى الصحارى المصرية لغزوها ولاستغلال المناجم بها ٠

وربما كان من أهم الوثائق التى فى متناول المؤرخين عن عمليات التعدين فى عهد قدماء المصريين تلك الخريطة المدونة على ورق البردى والمحفوظة حاليا بمتحف تورينو بايطاليا والتى يرجع عهدها الى حكم الملك ســـيتى الأول من ملوك الأسرة التاسعة عشرة وتعتبر هذه أقدم خرائط المناجم المعروفة فى العالم ٠

ومما يجدر ذكره هنا بعبارات الثناء والاعجاب بهؤلاء القدماء أنهم لم يتركوا عرقا واحدا من العروق الصخرية الحاملة للذهب الا فحصوه وعملوا على استغلاله ٠ كما أنهم قلبوا جميع الوديان المحيطة بهذه المناطق رأسا على عقب للحصول على ما تبطنه رمالها من التبر ٠ ولم يحدث حتى الآن أن استكشف عرق واحد حامل للذهب لم يكن قد استغله القدماء من قبل ٠

● لغز الحضـــارة

وهل هناك خطأ زمنى فى عمر الحضارة الفرعونية !

هيرودوت ـ أبو التاريخ ـ كان أول من حاول كتـــابة تاريخ مصر الزمنى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولكنه وكأجنبى ، لم يتمكن من الاطلاع على التاريخ الحقيقى لمصر الذى كان من الأسرار المقدسة التى يحتفظ بها كهنة المعابد ، لذا فقد اعتمد فيما دونه عن تاريخ مصر على الحوار والاساطير الشعبية ، فجانبه الصواب فى كثير مما سجله على أنه تاريخ مصر الحضارى والزمنى ٠

(*) بحث للمهندس الدكتور سيد كريم ـ مجلة الهلال ـ مارس ١٩٨٠ ٠

ثم جاء بعد هيرودوت عدد من مؤرخى اليونان والرومان فى الفترة التى تلت عصر هيرودوت حتى أواخر القرن الأول الميلادى ، وقد اعتمد معظمهم فى كتابة التاريخ على الوثائق التى كانت تحتفظ بها جامعة الاسكندرية وما جمعه البطالمة عن تاريخ مصر الفرعونية عندما كلفوا الكاهن المصرى مانيتون بوضع قوائم الملوك منـــذ بدء التاريخ حتى نهاية الأسرات الفرعونية والتحديد الزمنى لحكم كل منهم ٠٠

ثم عاد الاهتمام بكتابة تاريخ مصر الزمنى فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين بعد أكتشاف حجر رشـــــيد وفك رموز اللغة المصرية القـــــديمة وكتابتها « الهيروغليفية » وما صاحب تلك المرحلة من أعمال البحث والتنقيب وترجمة البرديات، مما ألقى ضوءا جديدا على الحضارة وتاريخها الزمنى ٠٠ كان من أهم المعضلات التى تواجه المؤرخين توقيت تتابع الملوك والأسرات والتحديد الزمنى لعصر كل ملك وقد انتهى اتفاق معظم المؤرخين وكتاب العصر على أن تاريخمصر يبدأ عام٣٢٠٠ق٠م٠

ثم جاء عصر التكنولوجيا ليقول بدوره كلمته على ضوء البحث العلمى بالكربون المشع والكمبيوتر ويحول أسرار الاثار ورموزها والغازها الى أرقام ، حددت التاريخ الزمنى لحضارة مصر ٠

● الذين كتبوا التاريخ المصرى القديم :

ظل تاريخ مصر الحضارى والزمنى سرا من الأسرار المقدسة التى يحتفظ بها الكهنة فى أحرازهم وضمن متونهم حتى تقاوم الزمن فى مواجهة العناصر الهدامة من ثورات وانقلابات كانت تعمل كل موجة من موجاتها التى تجتاح البلاد على محو تراث الحضارة ونهب وثائقها وتشويه معالم تاريخها ٠٠٠

بدأ اهتمام العالم الجديد ـ الذى كان يتمثل فى حضارات الاغريق والرومان ودول حوض البحر الابيض الناشئة والتى كان علماؤها ومفكروها وبناة حضاراتها ينظرون الى مصر كمحراب للحكمة ومنبع للمعرفة ـ بدأ اهتمامهم بمصر فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد حيث توالت بعثاتهم الى أرض النيل موطن الاله هرمس حامل شعلة المعرفة لتلقى العلم فى جامعاتها ومعاهدها ومعابدها التى تملأ الوادى ، فكانت تلك الشعلة هى مهد الحضارات جميعها التى نقلت عن مصر بذور العلوم والفنون والآداب والعقائد والفلسفات جميعها التى بنتكيان المجتمع الانسانى على مر العصور٠

هكذا بدأ اهتمامهم بدراسة تاريخ مصر ٠٠٠ حاولوا كتابة تاريخ مصر الحضارى والزمنى الذى مازال يتناقله المؤرخون والاثريون حتى اليوم ٠٠

فمن هم الذين كتبوا تاريخ مصر الزمنى ؟

١ ـ ســــولون : Solon ٦٤٠ ـ ٥٥٨ ق٠م٠

الحكيم والسياسى والشاعر الاغريقى ـ أكبر حكماء أثينا السبعة وأول من كون لها مجلسها التشريعى وانتخب له أعضاءه الاربعمائة ٠ كان أول من كتب عن مصر وتاريخها بعد زيارته لها لدراسة التشريع فى معبد زايس ، وقد ساعده الملك أمازيس بعد أن أقنعه باعتناق الديانة المصرية على دخول معاهد المعبد التى كانت محرمة على الاجــــانب ٠

وقضى فى مصر سنتين تركز اهتمامه فيهما على تاريخ الحكم ونظمه فى مصر وعلاقة التشاريع بالعقائد الدينية ٠ فكتب تاريخ مصر على شكل مجموعة من الوثائق والمذكرات كانت الحافز والدافع لعـــلماء اليونان وحكمائها وكتابها لزيارة مصر والاهتمام بالبحث فى تاريخ حضارتها الثقافية وتطورها ٠

٢ ـ هيكاتيوس : Hecataeus of Melitus ٥٨٠ ـ ٥١٩ ق٠م٠

المؤرخ الجغرافى والرحالة ، زار مصر بعد سولون وعاش فيها ٣ سنوات متنقلا بين معاهدها ومعالمها الجغرافية والعمرانية ٠٠٠ وكان أول من رسم خريطة جغرافية للعالم بين فيها أرض مصر التى تمتد حدودها الجنوبية الى المحيط الجنوبى ودون تاريخ مصر فى الكتاب الثانى من موسوعته المشهورة « رحلة حول العالم » التى قدم لها بقوله : « ان عظمة مصر تتمثل فى ماضيها الذى يعيش فى حاضرها بعمقه وعراقته وجذور الحكمة والمعرفة التى تمتد الى عهد الخليقة » ٠

٣ ـ هيرودوت : Herodotus ٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق ٠ م ٠

« أبو التاريخ » الكاتب والرحالة الاغريقى الذى وجه اهتمامه لكتابة التاريخ عندما قام بتسجيل حروب الاغريق والفرس ، فقام بزيارة بلاد آسيا الصغرى وآشور ، ثم اكمل رحلاته الى فلسطين وغزه ، وانتهى به المطاف فى مصر حيث قضى بها سبع سنوات دون فيها تحقيقاته ومذكراته عن مصر وتاريخها ٠

كتب هيرودوت ٩ كتب خصص الكتاب الثانى منها وجزءا من الكتاب الثالث عن مصر ، ورغم غزارة مادته ودقة تفاصيله فى سرد الاحداث والوقائع الا أن الصواب

قد جانبه فى الكثير من التحقيقات الخاصة بتتابع الملوك والاحداث أو التاريخ الزمنى لمراحل الحكم ، وينسب ذلك بعض المؤرخين الى جهل هيرودوت باللغة المصرية القديمة وكتاباتها الهيروغليفية رغم طول اقامته فى مصر ، وانه اعتمد على جمع ملعوماته عن طريق التراجمة وصغار الكهنة والاساطير الشعبية المتداولة ٠

٤ ـ مانيتـــون : Manethon ٣٢٥ ـ ٢٦٨ ق٠م٠

المؤرخ المصرى كاهن معبد سمنود (سب نتر) ٠ وصل فى أواخر أيامه الى مركز الكاهن الاكبر لمعبد هيليوبوليس ـ كان أول من كتب تاريخ مصر الزمنى وقوائم الملوك ابتداء من فجر التاريخ أو ما أطلق عليه بداية الخليقة حتى نهاية الأسرة الثلاثين التى أعتبرها نهاية الأسرات الفرعونية فكان أول من قسم تاريخ مصر الى عهـــود وعصور وأسرات وحدد بدقة التاريخ الزمنى لحكم كل أسرة من الأسرات ومدة حكم كل ملك من الملوك ، وقد ساعده على ذلك ما وضع تحت يده من الوثائق والمستندات التى كانت تحتفظ بها المعابد المصرية القديمة وكتاباتها المختلفة كما كان يتقن اللغات الاغريقية والمقدونية والشرقية ٠

كتب تاريخ مصر فى ثمانية مجلدات خص منها « الاجيتياكا » باجزائها الثلاثة بقوائم الملوك واسمائهم والاحداث التاريخية الهامة التى أرتبطت بحكم كل منهم وهى التى جمعها واحتفظ بها كل من افريكانوس ويوسيفوس من مؤرخى اليونان ٠ والراهب سينكليوس من مؤرخى العصور الوسطى ٠ بينما فقدت بقية المجلدات وطرأ عليهـا الكثير من التحريف والتغيير من كثرة نقلها بواسطة مؤرخى العهد القديم بعد ان فقدت أصولها فى طريق مكتبة الاسكندرية ٠

ويعتبر مانيتون فى نظر علماء التاريخ المصرى القديم المرجع الأول بعد الاثار نفســـــها ٠

٥ ـ ديودورس : Diodorus Siculus ٩٥ ـ ٢١ ق٠م

المؤرخ الصقلى عاش فى روما فى عهد يوليوس قيصر واغسطس ، وكتب تاريخ العالم فى ٤٠ مجلدا خص منها تاريخ مصر الفرعونية والحضارة الاشورية بالخمسة اجزاء الأولى وعاش فى مصر من عام ٦٠ ـ ٥٧ ق٠م حيث جمع معلوماته التى دونها عن تاريخ مصر من حواره مع كهنة معبد زايس وكهنة منف والوثائق التى تحتفظ بها جامعة الاسكندرية ، وقد اهتم بتسجيل الاسرات التى توالت على الحكم بعد الاسرة

الثلاثين التى أنهى بها مانيتون قوائمه حتى موت كليوباترا ونهاية حكم البطالسة الذى يعتبره نهاية حكم الفراعنة ٠

٦ ـ سترابون : Strabo ٦٣ ـ ٧ ق٠م٠

المؤرخ المقدونى الأصل الذى اشتهر من صغره بمغامراته ورحلاته الى مختلف بلاد مقدونيا والبحر الابيض ، وقضى فترة طويلة فى الاسكندرية حيث كان يتردد عليها كثيرا ويجتمع بعلماء جامعتها الشهيرة ، وقام برحلته المشهورة فى النيل حتى وصل الى حدود مصر الجنوبية لدراسة معالمها التاريخية والجغرافية ، وموسوعته ، التاريخ الجغرافى » تتكون من ٤٧ مجلدا خص منها مصر بالمجلدين السابع والثامن عشر وهى من المجلدات القليلة الباقية ٠

٧ ـ بلينى : Gaius Plinius ٢٣ ـ ٧٩ م ٠

المؤرخ الرومانى ـ اشتهر برحلاته ودراساته الخاصة بالجغرافية السياسية فى عهد الامبراطور فاسياسيان الذى قربه اليه وعينه مشرفا على الاسطول مما ساعده على القيام برحلاته فى البحر الأبيض التى قام فيها بزيارة شمال افريقيا وبلاد اليونان وسوريا ومصر التى أمضى ثلاث سنوات متنقلا بين الاسكندرية ومختلف مراكزها العلمية الشهيرة ، درس خلالها علاقة التطورات السياسية ونظم الحكم بالتراث الحضارى والثقافى فى تاريخ مصر القديم وكتب تاريخ العالم فى ٣٧ مجلدا ٠

٨ ـ بلوتارك : Plutarch ٤٦ ـ ١١٩ م

المؤرخ والفيلسوف الاغريقى ٠ كان أستاذا للفلسفة والرياضيات فى أثينا عندما زارها الامبراطور نيرون ودعاه لزيارة روما حيث انضم الى مجلس علمائها الامبراطورى وتجنس بالجنسية الرومانية ، ثم عينه هادريان حاكما على اليونان حتى يتفرغ لكتابة دراساته عن تاريخ الاغريق وعلاقته بروما ، وقام بعدة رحلات لشمال افريقيا ومصر لجمع المعلومات عن تاريخ الاسكندر والبطالسة وعلاقة روما بمصر ٠ ثم اندمج فى سلك الرهبنة عام ٩٥ م ٠ وانقطع لكتابة مذكراته وتسجيل وثائقه التى تعتبر من المراجع التاريخية الهامة التى خص مصر وتاريخ الفراعنة جزءا كبيرا منها ويبلغ عدد المؤلفات والكتب والوثائق التى تركها ٢٢٧ مصنفا لم يفقد منها الا القليل٠

٩ ـ افريكانوس Africanos Julius ١٧٠ ـ ٢٣٥ م

المؤرخ والرحالة المسيحى من مواليد القدس ، كتب تاريخ العالم ، من ٥٤٩٩ ق٠م٠ الى ميلاد المسيح ، واعتبر أن ذلك التاريخ هو بداية تاريخ الانسانية أو تاريخ الحضارة المصرية كما ذكر مانيتون ٠٠ وكان افريكانوس أول من حاول كتابة التاريخ الزمنى للحضارة المصرية من مؤرخى الغرب ، فكان له الفضـــل فى جمع مخطوطات ووثائق مانيتون القديمة التى كانت مبعثرة بين الاسكندرية وأثينا وروما ٠

وكتب افريكانوس تاريخ العالم فى خمسة أجزاء خص الجزءين الأول والثانى بتاريخ مصر ٠

١٠ ـ يوسيفوس : Josephos - Plavius ٣٧ ـ ٩٣ م ٠

كاهن أورشليم ومؤرخ اليهود ـ كان عالما فى القانون والفلك والتنجيم كتب تاريخ العالم والحضارات القديمة من ناحية علاقة اليهود بمختلف الشعوب والحضارات القديمة ، وخص جزءا كبيرا من بحوثه عن تاريخ مصر وتاريخ اليهود فى كل من الفانتين وتانيس والاسكندرية فى مختلف العصور من الدولة الوسطى حتى عهـــد الرومـــان ٠

١١ ـ يوســــيبوس : Eusebius Caesarea ٢٦٠ ـ ٣١٠

المؤرخ المسيحى ـ ولد فى القدس وتعلم فى الاسكندرية حيث درس اللاهوت والتاريخ والتشريع كما درس فضل مصر على المسيحية ابتداء من الحفاظ على حياة المسيح عندما لجأ اليها ثم دورها فى نشر الديانة المسيحية ومقدساتها فى العـــالم المسيحى ورحلات القديسين الى مصر وحملهم الرسالة منها الى انحاء العالم ٠٠ وتتكون موسوعته عن « تاريخ العالم » من بدء الخليقة حتى عصر دقلديان ، من عشرة مجلدات جمعها تلامذته بعد وفاته حيث اضطهده الرومان بعد كتابتها ٠ وذكرت وثائق الفاتيكان أنه مات شهيدا فى السجن أثناء حملة الاضطهاد التى قام بها دقلديان ضد المسيحيين ، وقد حوى الكتاب الأول من كتبه العشرة تاريخ مصر من وقت خروج اليهود من مصر حتى عودة المسيح اليها ٠

١٢ ـ ســـنشللوس : Syncellus George ٧٤٠ ـ ٨٦٠ م

الراهب المؤرخ البيزنطى ـ بطرك القسطنطينية ٠ كتب موسوعته التاريخية « تاريخ العالم من آدم الى دقلديانوس » وقام بتكملتها فيما يختص بتاريخ الامبراطورية المسيحية تلاميذه بناء على وصيته من التحقيقات والمذكرات التى تركها ٠

سجل تاريخ الحضارات القديمة وتسلسلها والتى بدأها بالحضارة الفرعونية وتاريخ ما قبل الاسرات على شكل جداول وقوائم زمنية جمعها من تحقيقاته فيما كتبه قدماء مؤرخى الاغريق والرومان وما سجله كهنة الفراعنة .

وقد علق مؤرخو العصر الحديث على قوائم التاريخ الزمنى التى وضعها سنشللوس عن تاريخ الفراعنة بقولهم : « أن أدق ترجمة للتاريخ الفرعونى هى التى وضعها افريكانوس واكمل ترجمة هى التى وضعها سنشللوس » .

● لقد توقف تاريخ مصر بعد هؤلاء المؤرخين مئات السنين . لم يظهر جديد فى تراثه الحضارى أو تقييمه الزمنى حتى أواسط القرن التاسع عشر بعد اكتشاف حجر رشيد وفك رموز الكتابة الهيروغليفية عام ١٨٢١ حيث بدأت مرحلة جديدة فى كتابة التاريخ الزمنى على ضوء ما تكشف فى الحفريات وما كشفت عنه لفائف البرديات وما نطقت به المتون ونقوش اللوحات وما دون على حوائط المقابر وجدران المعابد .

فظهر جيل جديد من المؤرخين وعلماء الاثار منهم ولكنسون ، وصمويل برش من الانجليز . ثم البعثة البروسية الامبراطورية التى رأسها لسبيوس عام ١٨٤٢ وقدمت لعالم الاثار موسوعتها المصورة عن تاريخ مصر .

وفى عام ١٨٥٨ بدأت بحوث أوجست مارييت والبعثات الفرنسية حيث أعيد تنظيم الاثار والعمل على تصنيفها وتقييمها وتسجيل تاريخها ووضع لوائح وقوانين الآثار والحفريات بعدما توالت أعمال النهب وسرقة الآثار وتهريبها وهى التى ملأت متاحف العالم .

ثم بدأت مرحلة القرن العشرين بجيل جديد من علماء الآثار بدأت بالسير فلاندز بترى وادوار نافيل وجريفث وبلاكمان ونيوبرى ويت من علماء الانجليز ورايزنر وونلوك من أمريكا . كما كان للبحوث التى قام بها ادولف ارمان ورانك فى برلين لوضع قاموس اللغة المصرية القديمة وهى الموسوعة التى جمعت أعمال جورج ست وأعوانه الألمان بجانب سير والاسبادج وجريفث وجاردنر من انجلترا وجوتييه وليفرفر ولم تغفل الموسوعة أعمال العلماء المصريين وفى مقدمتهم العالم المصرى الدكتور سليم حسن الذى كان من المشرفين على وضع القاموس ، كذلك بحوث كل من الدكتور فخرى وزكى سعد وعبد المنعم أبو بكر من أبناء مصر .

● **مراجع التاريخ الزمنى :**

بدأ قدماء المصريين بتسجيل أحداث تاريخهم فى العصور القديمة وما قبل الأسرات . بدأ الكهنة القدماء يؤرخون الاحداث عندما عرفوا النقش المقدس (هيروغليفوس) الذى بدأوا به تسجيل تاريخهم الدينى والسياسى بلغتهم الفرعونية . اختصروه على شرائح العاج والاخشاب والاردواز ولويحات الفخار (الاستراكا)

وانتقلوا منها الى أوراق البردى ولفائفه التى كانت نواة صناعة الورق فى مختلف الحضارات حتى العصر الحديث ، فاطلق العالم اسم البردى (بابيروس) على الورق فى جميع اللغات · ثم انتقلوا فى تسجيل أحداث تاريخهم الى جدران المعابد نفسها ولوحات الجرانيت والديوريت حتى تقاوم الزمن ·

ومن أهم المراجع التى أمكن بها تنظيم التاريخ الزمنى وتسلسله ما خلفه بعض الفراعنة المصريين من سجلات اتفق على تسميتها « بقوائم الملوك » · كان الهدف منها اثبات شرعية الملك للعرش وتدوين نسبه متسلسـلا من أول الملوك الشرعيين الذين نسبوا أصلهم الى « انصاف الالهة » ويبدأ أصلهم بالملك « مينا » وهو الاسم المقدس لنعرمر موحد البلاد تحت علم اله الشمس ومؤسس الاسرة الملكية الأولى ·

ومما يلفت النظر أن تلك القوائم رغم دقة بعضها فى سرد أسماء الملوك وتاريخ كل منهم الا أنها كانت تسقط فى تسلسل كثير منها بعض أسماء الملوك الذين كان يرى الملك أنهم ليسوا شرعيين لأنه لا يجرى فى دمائهم اللون الأزرق لون السماء الذى ينتسب اليه أنصاف الاله سواء عن طريق الاب أو الأم غير الملكية أو الذين أغتصبوا الحكم بطريق غير شرعى ســواء من المواطنين أو الاجانب المغيرين ، أو من الملوك الشرعيين فكانت تلك الفجوات فى تسلسل ملوك الاسرات ســببا فى الخــلافات والتناقضات التى ظهرت فيما بعد عند كتابة التاريخ الزمنى للحضارة المصرية الذى وصل الينا عن طريق مختلف المؤرخين ومعظمهم من الاجانب كالاغريق والرومان الذين كانوا يجهلون اللغة الفرعونية ، ثم ما نقله عنهم مؤرخو العصر الحديث قبل ذلك رموز اللغة الفرعونية ، وكذلك ما كشفته الحفريات والاثار الأخيرة وما حققته البحوث العلمية الحديثة مما كشف النقاب عما ارتبط بذلك التاريخ الزمنى من غموض وفسر ما أحيط به من الغاز ·

وأهم قوائم الملوك التى اتخذها المؤرخون وعلماء الآثار مرجعا لكتابة التاريخ الزمنى لمصر وللحضارة الفرعونية ما يلى :

١ ـ حجر بالرمو !

لوحة من حجر الديوريت الاسود عثر عليها فى منف وأنتقلت الى جزيرة صقلية عام ١٨٧٧ وحفظت فى متحف عاصمتها فى بالرمو ـ تسجل اللوحة ملوك ما قبـل الأسرات فى الوجهين القبلى والبحرى الى الملك « نفر ار كا رع » وميزت كلا من ملوك الوجهين بتيجانهم · كما سجل النص المنقوش على الحجر ملوك الفراعنة ابتداء من « مينا » موحد القطرين ومؤسس الأسرة الأولى الى أواخر الاسرة الخامسة مع أهم الاحداث التى وقعت وارتبطت بحكم كل منهم ـ كما سجلت منسوب فيضان النيل خلال كل عام ·

٢ ـ لوحة سـقارة :

لوحة من الحجر الجيرى وجدت فى مقبرة الكاهن « تولى » كاهن منف فى عهد رمسيس الثانى وتحوى اسم ٥٨ ملكا ابتداء من الملك (مربى رع) سادس ملوك الاسرة الأولى وانتهت برمسيس الثانى واسقطت ملوك الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة كما اسقطت اسماء كل من الملكة حتشبسوت واخناتون وتوت عنخ آمون ·

٣ ـ قائمة الكرنك :

أقامها تحتمس الثالث (الأسرة ١٨) فى معبد الكرنك ونقلت منه الى متحف اللوفر فى باريس · تحوى هذه اللوحة اسماء ٦٢ ملكا تبدأ بالملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة وتستمر بسرد اسماء الملوك حتى نهاية الأسرة السادسة · واسقطت ملوك عصر الاضمحلال فانتقلت من الأسرة السادسة الى الاسرة الحادية عشرة مباشرة واستمرت حتى الأسرة الرابعة عشرة ثم اسقطت عهد الهكسوس لتبدأ مرة أخرى بالأسرة السابعة عشرة وتنتهى بتحوتمس الثالث الذى أمر بتدوينها ·

٤ ـ لوحة ابيدوس :

وهى مدونة على أحد جدران معبد سيتى الأول (الأسرة ١٩) سجلها رمسيس الثانى بن سيتى الأول ويرى واقفا يقدم القرابين للملوك المنقوشة اسماؤهم · وتعطى القائمة اسم ٧٦ ملكا تبدأ بمينا مؤسس الأسرة الأولى وتنتهى بسيتى الأول الذى عملت اللوحة فى عهده حيث أمر رمسيس بكتابتها ، وقد أسـقطت القائمة ملوك الأسرات التاسعة والعاشرة من عهد الاضمحلال كذلك ملوك عصر الهكسوس ، كما أنها أسقطت اسم حتشبسوت أسوة بلوحة سقارة لاعتبارها ملكة غير شرعية · كما أغفلت اللوحة أسماء كل من اخناتون وسمنقرع وتوت عنخ آمون وأى لأنهم خرجوا عن ديانة آمون·

٥ ـ قائمة بردية تورين :

ترجع الى عصر (الأسرة ١٩) وهى محفوظة بمتحف تورين بايطاليا ــ وتمتاز لوحة تورين بأنها قسمت الملوك الى مجموعات تبعا لعواصم الملك وحددت حكم كل ملك بالسنين والشهور والايام ، وتحتوى على أكثر من ٣٠٠ اسم ابتداء من ملوك ما قبل التاريخ واطلق عليهم اسم « المبجلون » واستمر سردهم حتى نهاية (الاسرة ١٨) ، كما ظهر فيها عدد كبير من ملوك الهكسوس وظهر فيها لأول مرة اسماء كل من حتشبسوت واخناتون وآمون التى سقطت فى القوائم الاخرى ·

واللوحة الموجودة حاليا بمتحف تورين تهشمت للاسف بعض اطرافها وفقدت بعض اجزائها وما تبقى منها سليما يحتفظ بسجل كامل لملوك الدولة الوسطى ·

٦ ـ لوحة الكاهن (عنخف ان سخمت) :

لوحة من الحجر الجيرى وجدت فى تانيس ومحفوظة فى متحف برلين ، يرجع عهدها الى (الأسرة ٢٢) ، وقد سجل فيها الكاهن نسبا طويلا لاجداده يمتد حتى الاسرة الحادية عشرة ولفترة تبلغ حوالى ١٤٠٠ سنة ٠ وقد سجل فيها أسماء الملوك الذين عاصروا أجداده ٠ ولما كان من بين القاب الكاهن ان سخمت أنه من علماء الفلك فقد حدد التتابع الزمنى للملوك وأسراتهم عن طريق الظـــواهر الفلكية والتقويم الكهنوتى ، وهى الطريقة التى التجأ اليها واعتمد عليها الكاهن مانيتون فى كتابة التاريخ الزمنى وتسجيل قوائم الملوك ٠

٧ ـ قوائم مانيتون :

هى القوائم التى دونها الكاهن المصرى القديم ضمن موسوعته التى كتبها عن تاريخ مصر واطلق عليها مؤرخو الاغريق اسم « اجيبتياكا » ، وقـــد كلفه بكتابتها بطليموس الأول لتصحيح تاريخ الفراعنة الذى شوهه مؤرخو الاغريق ابتـــداء من هيرودوت الى مؤرخى عهود الاحتلال والاضمحلال كما عرف ان التاريخ الحقيقى لمصر الفرعونية تحتفظ به المعابد ويعتبر من أسرارها المقدسة ٠

وقد وصف كتاب الاغريق الكاهن مانيتون بأنه « أعظم أهل مصر بتاريخ ولغة القدماء ، وكان ضليعا فى الكتابة الهيروغليفية بجانب الـــكتابات الديموطيقيـــة والهيراطيقية ، كان متعمقا فى اللغة اليونانية القديمة وأدابها ٠ كما كان من أكبر علماء اللاهوت والفلك وعندما طلب منه كتابة تاريخ مصر وضعوا تحت تصرفه جميع الوثائق والمستندات التى تحتفظ بها خزائن المعرفة السرية بمعابد تانيس وهليوبوليس ، كما تولى مركز الكاهن الاعظم لمعبد هيليوبوليس تقديرا لما أداه من خدمات عندما لعب دوره المشهور فى نشر عبادة المعبود سيرابيس الذى جعله معبودا لكل من المصريين واليونانيين عام ٢٨٥ ق٠م والتى أقنع بطليموس الأول باعتناقهـــا فتمكن بذلك من اخضاع البطالسة للعقيدة الفرعونية فلم يكن سيرابيس الا صورة جديدة لعبادة المعبود أمون ٠ كما اشرك معه الفيلسوف الاغريقى السكندرى تيموتيوس فى كتابة نصوص وتعاليم العقيدة حتى يتمكن من نشرها عند الاغريق والرومان أسوة بايزيس وزيوس أمـــــون ٠

كانت قوائم مانيتون من أدق المراجع التى حددت التاريخ الزمنى لمصر وقـــد قسمها الى مرحلتين ٠ المرحلة الأولى التى أطلق عليها مرحلة الخلق والتكوين وهى مرحلة ما قبل الاسرات التى بدأت بعصر انصاف الالهة من الكهنة المبجلين وهو العصر الذى نزلت فيه الالهة تعاليم العقيدة وبذور المعرفة وتشريع الحكم ونظـــم المجتمع الانسانى وتلى ذلك العصر أربعة عهود مختلفة من بينها حكام الدلتا وعهد الوحدة

الأولى ثم عهد الانفصال وعهد حكامأتباع تحوتى فى الجنوب وانتهت تلك المرحلة بقيام نعرمر أحد حكام الوجه القبلى بتوحيد القطرين مؤسس الاسرة الأولى الذى أطلق عليه اسم مينا وقد حدد مانيتون فى قوائمه الفترة الزمنية لكل عهد من تلك العهود وعدد الملوك والحكام معتمدا فى ذلك على التقويم الكهنوتى القديم لمعبد هيليوبوليس ٠

كان مانيتون أول من قسم المرحلة الثانية من تاريخ حكم الفراعنة الى أسرات حدد عددها بثلاثين أسرة فبدأ بمينا مؤسس الأسرة الأولى وتنتهى بنختابنو الثانى أخر ملوك الأسرة الثلاثين كما كان أول من قسم الأسرات الى عصور ودول وهو التقسيم المعمول به حاليا ٠ وقد حدد فى قوائمه مدة حكم كل ملك من ملوكها وعدد ملوك كل أسرة وأسمائهم وقد بلغ عدد ملوك الثلاثين أسرة ٤٥٩ ملكا حكموا مدة ٥٢١٨ سنة وقد اعتمد فى التحديد الزمنى على التقويم التحوتى الذى وضعه كهنة معبد هيليوبوليس للملك تحوتى ثانى ملوك الأسرة الأولى الذى اتخذ من اله المعرفة لقبا له وحدد بداية حكمه بالسنة الأولى من التقويم التحوتى ٠ ويعتبر مانيتون التاريخ الزمنى لبداية الأسرة الأولى هو السنة الثانية والستون قبل التاريخ التحوتى وتعد موسوعة مانيتون التاريخية وقوائم الملوك التى وضعها من المراجع الرئيسية التى كانت تحتفظ بهـــا جامعة الاسكندرية ومكتبتها المشهورة والمصدر الوحيد الذى نقل عنه جميع مؤرخى الاغريق والرومان تاريخ مصر وتراجمه التى تناقلها وتداولها مؤرخو العصور المتتالية حتى العصر الحديث فى كتابة تاريخ مصر ٠

تسجيلات وقوائم غير ملكية دون فيها كبار الكهنة وعظماء رجال الدولة انسابهم وربطوا التاريخ الزمنى فيها بذكر اسماء الملوك الذين عاصرهم اجدادهم ، وقد وجد الكثير منها مدونا على جدران المقابر أو مسجلا فى برديات المقابر والمعابد كما وجدت بعض القوائم والنصوص المماثلة فى مقابر بعض الأمراء الذين دونوها لاثبات نسبهم الى الاسرة المالكة بذكر تسلسل نسبهم فى شجرة العائلة أو الاسرة وامتد بعضها لاكثر من أسرة من الاسرات التى سبقتها ٠

● كان تحديد التاريخ الزمنى للاسرات وتسلسلها ـ الذى كتب تاريخ مصر الفرعونية وحضارتها الخالدة ـ من المعضلات التى واجهت الكتاب والمؤرخين طوال العصور الماضية ٠ يرى البعض أنه بدأ فى فترة ما بين ٣٥٠٠ ، ٣٢٠٠ ق٠م وحددوا عدد الملوك الذين حكموا خلال تلك الفترة ما بين ٤٢٠ ، ٤٥٠ ملكا وحاكما ٠ بينما يرى البعض الاخر أنه يبدأ ما بين عام ٤٧٠٠ ، ٤٥٠٠ ق٠م وحددوا عدد الملوك الذين حكموا خلال تلك الفترة بما لا يقل عن ستمائة ملك وحاكم ٠ وقد أجمع مؤرخو العصر الحديث على ترجيح كفة الفريق الأول وانهم يرون أن الفريق الثانى كان متأثرا بكتابة

المؤرخ المصرى مانيتون السمنودى وكانوا يتهمونه بأنه غالى فى تحديد التاريخ الزمنى بالنسبة لأسرات الدولة القديمة وعصور الاضمحلال • بل انه بالغ فى تحديد عـــدد الملوك رغم انه ذكر اسماءهم جميعا ومدة حكم كل منهم بدقة بالسنوات والشهور مستعملا فى ذلك لأول مرة التقويم التحوتى الذى ظهر فى الاسرة الأولى والذى أشير اليه فى أكثر من بردية من البرديات القديمة عند بعض الاحداث التاريخية الهامـــة خاصة ما ارتبط فيها بالمعابد فى الدولة الوسطى وبعض الاحداث التاريخية فى الدولة الحديثة التى دونها الكهنة فى بردياتهم •

لقد كان لاكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة الفرعونية وكتاباتها فى بداية القرن الحالى دور فعال فى اجتذاب اهتمام علماء الاثار فى اعادة النظر فى كتابة تاريخ مصر الحضارى والزمنى خاصة عندما كشفت أرض وادى النيل عن الكثير مما فى باطنها من أسرار وما فكته الرموز الهيروغليفية من الغاز احتفظت بها جدران المعابد وحوائط المقابر والألواح الحجرية واللوحات الفخارية ولفائف البرديات • أصبح التاريخ الزمنى للحضارة المصرية موضع اهتمام كثير من معاهد الاجيبتولوجيا وعلمائهـــا وبعثاتها من مختلف انحاء العالم ، كما اهتم علماء مصر لأول مرة من بعد مانيتون المصرى بكتابة تاريخ مصر والاهتمام بتصحيح التاريخ الزمنى للحضارة ومراحـــل تطـــورها •

وقد لعبت حفريات الدولة الحديثة وخاصة اكتشاف مقبرة تــوت عنخ آمون وحفريات تل العمارنة والدير البحرى التى كشفت عن كثير من الملوك والملكات الذين أغفلت أسماؤهم فى قوائم الملوك أو سجلات المؤرخين ، لعبت دورا هاما فى الغموض الذى أحاط بتسلسل الحكم وثغرات التاريخ الزمنى لمدة حكم الاسرات • كما بقيت ناحية هامة فى تاريخ مصر لم يشملها الصحيح وهو دور الثورات الشيوعية التى قامت بعد الأسرة السادسة فى تخريب الآثار والمتون والوثائق (كما ورد فى برديات ابيور) وتشويه التاريخ وتحريف وقائعة بالنسبة للاسرات الفرعونية المالكة التى سبقت ذلك العهد أو الاسرات التى توالت على اغتصاب الحكم والتى أطلق المؤرخون عليها اسم عصر الاضمحلال ـ مما كان سببا فى اختفاء الكثير من سجلات قوائم الملوك ووثائق أعمالهم وبالتالى التاريخ الزمنى لحكمهم • وكان المرجع الوحيد لتاريخ مصر فى عهدهم تلك القوائم التى دونها مانيتون وهى القوائم التى كانت موضع انتقاد كثير من مؤرخى العصر الحديث •

بدأ الاهتمام بدراسة تاريخ الاسرات القديمة وخاصة الاسرات الثلاث الأولى وما سبقها من عصر ما قبل الاسرات بالحفريات والابحاث التى قام بها عالم الأثريات

« أمرى » التي قضى فيها ما يقرب من الأربعين سنة فى منطقة سقارة والتى وجـــه اهتمامه في السنوات الأخيرة للكشف عن مقبرة امحتب ـ المهندس والحكيم الذى الهه المصريون والاغريق لعدة أجيال ٠

لقد احدثت اكتشافات امرى فى العصر العتيق وما قبل الاسرات وعصر الاسرات الثلاث الأولى انقلابا في مفهوم التاريخ وقوائم الملوك وبالتالى للتاريخ الزمنى لحكمهم ـ لقد كشفت أبحاثه عن حقيقة عدد الملوك الذين حكموا ضمن كل أسرة من تلك الاسرات الأولى فاثبتت صدق قوائم مانيتون القديمة وما ورد بها من ملوك ، وقد اتخذ أمرى من قوائم مانيتون مرجعا في البحث عما ورد بها من أول حكم مينا مؤسس الاسرة الأولى الى سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة أسرة الأهرام كان عددهم ٢٦ ملكا بلغت مدة حكمهم ما يقرب من ٧٥٠ عاما وليس ٤٠٠ عام كما حدده مؤرخو النصف الأول من القرن الحالى ٠

يأتى بعد بحوث تاريخ الأسرات الأولى وما حققته اكتشافاتها من تصحيح لتاريخ ذلك العهد وما ارتبط بذلك العهد وما ارتبط بذلك التصحيح من تشكيك فى التاريخ الزمنى المتفق عليه ـ تأتى البحوث التى شغلت الكثير من العلماء والكتاب وما أطلق عليه « لغز الهرم الأكبر ـ كان اخرها البحوث التى أعلنها الاستاذ أندريه بوشان عام ١٩٧٢ ٠ لقد كشفت تلك البحوث عن جانب جديد من جوانب لغز الهرم الاكبر غيرت المفهوم التاريخى والانشائى ٠

وتلك البحوث ـ ستكون موضوع بحث خاص عن البحث العلمى كما جـــددت البحوث التاريخ الزمنى لاقامة الهرم بما يزيد أو يبعد عن ٢٥٠٠ سنة عن عصر الملك خوفو والاسرة الرابعة ـ أسرة الأهرام ـ مما وضع التاريخ أمام لغز جديد وهو :
« اما أن هناك خطأ تاريخيا فى تاريخ بناء الهرم الاكبر !

واما أن هناك خطأ زمنيا فى تاريخ الاسرة الرابعة التى بنيت الأهرام فى عهدها !

واما ان خطأ زمنيا وقع فى تاريخ الحضارة المصرية كلها !

● التاريخ الزمني والبحث العلمي :

لقد دخل علم الآثار كغيره من بقية العلوم التى تحرك عناصر الحضارة ومقوماتها وتساير تطور مدنية المجتمع وضربات نبضها ٠٠٠ دخل فى عصر التكنولوجيا ٠

في مقدمة الوسائل العلمية الحديثة التى وضعتها التكنولوجيا فى خدمة علماء

الآثار كربون القياس الزمني المشع ويعد من النتائج المباشرة لبحوث الطبيعة الذرية ٠

وتتلخص نظرية الكربون المشع فى أن الأشعة الكونية تخترق الغلاف الجوى وتعمل على تكوين ما يسمى بالنظير المشع للكربون Radio isotope أو الكربون ١٤ (نسبة الي وزنه الذرى) فهذا الكربون الموجود فى الجو فى الكائنات الحية من نبات وحيوان كما ينتقل الى الانسان أيضا عن طريق تلك الكائنات العضوية التى يتغذى بها ٠ وتبقى تلك الاشعاعات الكربونية فى كل كائن بنسب ثابتة ما دام على قيد الحياة ثم يتوقف عن امتصاصها عند توقف الحياة حيث تبدأ فى الاستهلاك أو الخروج من الكائن العضوي على مرحلة زمنية طويلة ٠ فمثلا تتناقص كمية الكربون بنسبة ٥٠٪ بعد مرور ٥٧٠٠ وتصل الى ٢٥٪ بعد ١١٤٠٠ سنة وتصـــل الى ١٢½٪ بعد ٢٢٨٠٠ سنة وهكذا ٠

وقد توصل علماء التكنولوجيا الى اختراع أجهزة دقيقة لحساب النظير المشع للكربون وتحديد النسبة المئوية لوجوده فى بقايا الكائنات العضوية كالأخشاب والعظام ـ وبالتالي العمر الزمنى لها ويطلق بعض علماء الطبيعة على ذلك الجهاز ترمومتر قياس الزمن مما لا يفسح المجال للطرق البدائية التى كانت متبعة الى الآن فى قياس الحرارة أو عمر الآثار بمختلف وسائل الاستنتاج والتخمين وجس النبض ٠

لقد قام العلماء فى السنوات الاخيرة بعمل كثير من التجارب على ما وجد فى الحفريات الاثرية من المخلفات العضوية وخاصة الأخشاب والحبوب والعظام البشرية والمومياوات ، فأعطت نتائج دقيقة ومذهلة ٠ أمكن بواسطتها تحديد التاريخ الزمنى لحضارات المايا والاوزتيك الغامضة كما أمكن بواسطتها تحـــديد كثير من آثار الحضارات الاغريقية والرومانية ٠

وقد استخدمت أخيرا فى التحقيقات الخاصة بقارة الاطلنتس المفقودة وعلاقتها بالآثار التى وجدت في قاع المحيط بالقرب من الشواطىء الاسبانية كما أمكن بهـــا لأول مرة تحديد تاريخ العصر الجليدى من بقايا الحيوانات والغابات التى اكتشفت تحت طبقات الجليد في سيبيريا وشمال أوروبا ٠٠ لقد وضعت عدة محاولات فى معاهد البحوث الأمريكية والألمانية لوضع الآثار المصرية تحت منظار الكربون المشع للتأكد من التاريخ الزمنى للحضارة الفرعونية مهد الحضارات وما لابس بعض مراحل ذلك التاريخ الزمنى وحقيقة عمر الحضارة من غموض وذلك بأخذ بعض عينات من عهد البطالسة والعصر الرومانى والعهد القبطى ، فوجدت مطابقة لما ذكر فى المراجـــع والوثائق التاريخية ، بينما كشفت موميات وأخشاب أحد مقابر الأسرة الثانية عشرة

أن عمرها ٥٢٠٠ سنة أى بفارق قدره حوالى ١٣٠٠ سنة بينما فى عهد رمسيس الثانى كان هناك فارق زمنى لا يزيد على ٥٠ سنة ، ثم كانت المفاجأة عند الكشف على بعض مخلفات مقابر الأسرة الثانية حيث وجد أن هناك فارقا زمنيا يصل الى ٢٤٠٠ سنة ٠

لقد ثبت أن النتائج التى يقدمها نظير الكربون ١٤ من الدقة بحيث لا يزيد على ٥٠ سنة فى الخمسة آلاف سنة الأولى ويصل الى ما لا يزيد على ١٢٠ سنة فى العشرة آلاف ٠٠ ان ذلك الخطأ الزمنى فى تاريخ مصر سيعيد الى المؤرخ مانيتون اعتباره فهو الذى كتب التاريخ الزمنى لمصر ابتداء مما أطلق عليه بدء الخليقة وحكم الكهنة المبجلين من عام ١٦٥٠٠ ق٠م الى نهاية حكم الفراعنة وحدد فيه بداية الأسرات عام ٥٦١٩ ق٠م بدلا من عام ٣٢٠٠ ق٠م الذى حدده المؤرخون الأجانب ٠

● ان الخطأ الزمنى وفقا لذلك التصحيح فى قوائم الملوك ومـــدة حكمهم الحقيقى قد بلغ ٢٤١٩ عاما حيث حدد بدء تاريخ الأسرات الفرعونية عام ٥٦١٩ ق٠م بدلا من عام ٣٢٠٠ ق٠م الذى جرى عليه العرف كما أجمع مؤرخو القرن الماضى ٠ كما أن تاريخ بناء هرم الجيزة الأكبر ومراكب الشمس يعود الى عام ٤٨٢٩ ق٠م بفارق زمنى قدره ٢١٧٣ سنة ٠ وتاريخ تأسيس الدولة الوسطى وقيام الأسرة ١٢ يبدأ عام ٣٣٣٦ ق٠م بدلا من ١٩٩٨ أى بفارق زمنى قدره ١٣٣٨ سنة ٠٠٠ وهكذا يأخذ هذا الفارق الزمنى فى التناقص حتى الدولة الحديثة حيث تصل الى عام ١٥٩٥ بدلا من ١٥٧٨ وهو الفارق الذى نتج من سقوط اسمى توت عنخ آمون واخناتون ومدة حكمهما من قوائم المؤرخين ثم يستمر التاريخ الزمنى لحـــكم الملـــوك والاسرات من الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرات وبالتالى حتى نهاية حكم الاسكندر الأكبر والبطالسة وبداية التقويم الميلادى بدون أى فارق أو خطأ زمنى ٠

● ان تصحيح ذلك الخطأ الزمنى فى تاريخ الحضارة المصرية سيزيد من قدم الحضارة الفرعونية عما جرى عليه العرف وحدده المؤرخون والاثريون القدامى وتأثر بهم كتاب العصر الحديث ٠ كما ستؤكد عراقة الحضارة المصرية وكونها « مهد الحضارات جميعها » ٠ سيقطع الشك والبلبلة التى حاول بعض الكتاب فى العصر الحديث اثارتها فى محاولة يقصد بها عزو بعض مقوماتها الى بعض الحضارات الأخرى كالحضارة السومارية والاغريقية القديمة والكريتية والفينيقيةوالصينية لتقارب نشأة كل منها مع الحضارة الفرعونية نفسها واشتراكها فى بعض عناصر الحضارة كعلوم الفلك والتنجيم والعقائد والفنون ٠

● اكمالا للبحث أرى أنه قد آن الآوان لأن يقوم علماؤنا بدورهم فى اعادة النظر فى التاريخ الزمنى للحضارة المصرية ـ الذى يعتبر روح الحضارة نفسها ـ

على ضوء البحوث العلمية والتكنولوجية الحديثة وذلك بوضع تلك الآثار تحت المجهر التكنولوجى وهو الكربون ١٤ المشع ، وتشخيص ما اكتنف تاريخها من غموض ٠ ويكفى أخذ بعض المخلفات العضوية من اثار كل أسرة من الأسرات أو مقبرة من المقابر أو حفرية من الحفريات سواء من القطع الخشبية أو لفائف الموميات أو غيرها مما يملأ مخازن المتحف المصرى ، وبذلك يمكن كشف النقاب عن كثير من الالغاز والأسرار التى ما زالت تحمل كثيرا من علامات الاستفهام حـــول التاريخ الزمنى لحضـــارة مصر الخالدة ٠

دكتور مهندس :

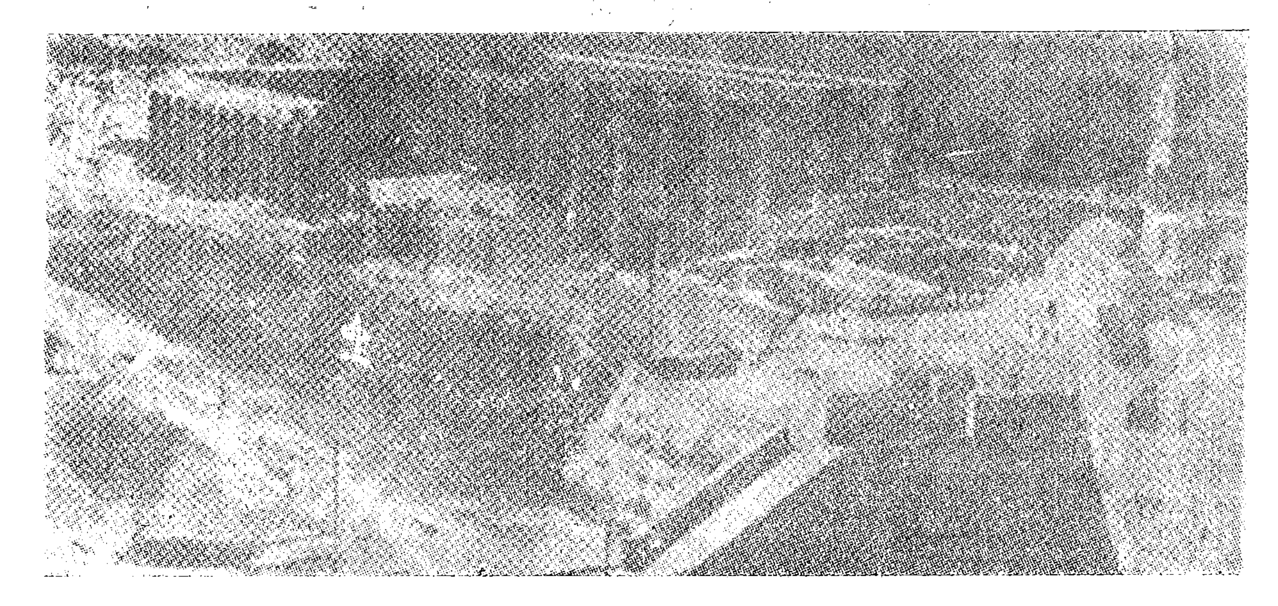
توفيق أحمد عبد الجواد

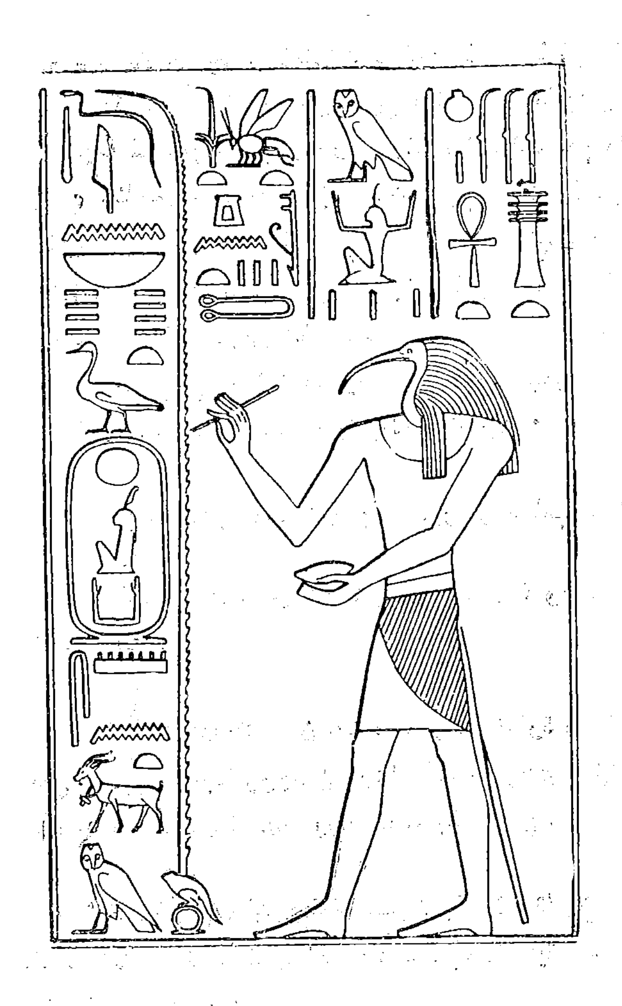
الحضارة والعمارة المصرية القديمة ـ ١ الجزء الأول

- الحضـــــــــارة الفرعـــــــونية
- العـــــوامل التى أثرت على تكوينها
- قدماء المصريين وعهـــد الأسرات
- حضارات مصر عبر العصور المختلفة
- الخواص المعمارية للعمـارة المصرية
- الأعمــــــدة المصرية القــــديمة
- الفن أعظم عناصر الحضــــارة
- أمثـــــلة من الفــــن المصرى
- الأهرامات ـ المصــاطب ـ المقــابر
- الهرم الأكبر وثيقة مرئية للكشف عن أسرار الكون
- المعـــــابد المصرية القــــــديمة
- أمثلة للمعـــابد المصرية القـــديمة
- مميزات العمـــارة المصرية القـــديمة
- المســـــــلات الفرعونيــــــــــة
- هجــــــرة المســــــلات من مصر
- مصادر التاريخ المصرى القـــديم
- الأســــــــرة والمجتمــــــــــع
- البعـــــث وعــــــودة الــــــروح
- العقيـــــــــدة والخـــــــــلود

١٠ ـ معبد الكرنك بمدينة طيبة ـ الأقصر وبهو الأعمدة ·

١١ ـ معبد الأقصر المطل على النيل ويربطه بمعبد الكرنك طريق الكباش ، حيث جارى الكشف عن هذا الطريق ·





الحضـــــــارة
الفرعـــــــونية
مهد حضارات الشرق
وأم حضـــارة الغرب

الحضارة الفرعونية .. أقدم حضارة انسانية على وجه الأرض ولدت مع مولد الزمان ـ كما وصفها المؤرخ المصرى القديم مانيتون ـ نزلت فى أرض الاله المقدس « جب بتاح » ومنه اتخذت اسمها التى مازالت تحتفظ به الى الآن .

لقد حيرت حضارة مصر علماء الآثار والباحثين والمؤرخين من قديم الزمن بما اكتنفها من غموض واحاط بها من ألغاز . كلما حاولوا كشف النقاب عن جانب من جوانبها تمخض البحث عن جوانب أخرى زادتها غموضا . متى بدأت ؟ وأين نشأت ؟ وما هى عمرها الزمنى الحقيقى ؟ كيف شقت طريقها بخطوات ثابتة تركت آثارهـــا عميقة قاومت بها عناصر الانحلال فلم تتمكن من محوها الأيام .

أمتدت جذور نشأتها من أثنى عشر ألف عام وهو التاريخ الذى حددته قوائم مانيتون لعهود ما قبل الأسرات .

أن أول لغز واجه الباحثين فى علم الحضارات وتاريخها أن الحضارة الفرعونية

اختلفت عن جميع الحضارات البشرية فى أنها لم تخضع لسنة النشوء والارتقاء بل ظهرت متكاملة ومتطورة فى جميع عناصر مقوماتها وكلما تغلغل الباحثون فى الأعماق السحيقة للوصول الى جذور المعرفة ، تكشفت لهم مفاجأة بدايتها من القمة وتوازت جميع عناصر مقومات تكوينها من علوم الفلك والطب والكيمياء والهندسة والزراعة والفنون والآداب ٠٠ وفى مقدمتها العقيدة التى شملت أسرار الوجود والايمان بالاله الخالق ووضعت تشاريع حياة المجتمع فمهدت طريق الحضارة المتعددة الأبعاد وحددت معالمه ٠٠ ذلك الطريق الذى سارت فيه مقتفية اثار أقدام مصر شعوب أخرى وشعوب الشرق القديم ثم اليونان مقتفية أثر المصرى وجميع تلك الحضارات رأت النور بعـــد أن رفعت مصر شعلة الحضارة بآلاف السنين ٠

ومن اليونان أخذت أوروبا الكثير من معالم الحضارة التى يعيشها العالم الآن ٠

فماذا أعطت مصر ٠٠ ؟ وماذا أخذت ؟ وماذا قال عنهـــا الباحثون فى تاريخ الحضارات ؟

● قال برستد « ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد وينهض دليلا على عبقرية أصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل وهى عبقرية لم تنقطع قط ولن تنقطع قط وستظل تؤدى دورها طالما بقى نسج حياة ذلك الانسان العظيم » ٠

وقال أمرى « أن عظمة مصر تتجلى فى تاريخ حضارتها ومدنيتها التى استمرت خمسة آلاف سنة عاشتها أمة عظيمة موحدة ثابتة منظمة كانت دائما تخطو نحـــو الارتقاء والتقدم » ٠

● وقال كوثريل « للمصريين شخصيتهم من أقدم الأزمنة هم لا يحتاجون أن يفنوا فى غيرهم ولكن من الجائز أن يفنى غيرهم فيهم ٠ أن شخصية المصريين أزلية انتصرت على الزمان ٠ فهي أقوى من أن تفنى فى أي شخصية أخرى » ٠

● وقال سونيرون « الانسان المصرى لم يعرف العقم فى حياته ٠ عرف العطاء منذ أن رفع شعلة الحضارة ٠ فالمصرى صنع الحضارة لا في مصر وجـــدها بل فى العالم أجمع ٠

أن أى حضارة فتحت نافذتها على وادى النيل لم يفد منها بقدر ما أضاف اليها ٠ كان المصرى أول من صنع الحضـــارة ٠ ومن يصنع الحضـــارة لا يكف عن العطاء » ٠

● أن مصر الفرعونية فجرت أول ثورة ثقافية جمعت بين العقيدة والمعرفة أو بين الدين والعلوم منذ فجر التاريخ وتشابكت جذورهما فلم ينفصل أحدهما عن الآخر· لذا فقد أطلقوا على العلوم اسم المعرفة المقدسة · نسبوا كل شيء الى الخالق عندما كانوا أول من آمن بوجوده فأرتبطت المعرفة وعلومها بالسماء فنبتت جذورها فى المعابد وأصبحت ضمن مقدساتها · لم تخضع لمبدأ التجارب والخضوع لسنة النشوء والتطور بل خرجت الى النور متكاملة يعززها البحث العلمى فنسبوها الى المعبود « تحوت » ·

يفسر « ساونيرون » فى كتابه عن أسرار المعرفة المقدسة أن تحوت ما هو الا رمز يعبر عن الكهنة الذين أطلق عليهم اسم أنصاف الآلهة المبجلين الذين نزلوا أرض مصر فى عهد ما قبل الأسرات وأسسوا معبد آون « عين شمس » بمعاهده ومرصده والذى أطلق عليه قدماء مؤرخى الاغريق « قلعة المعرفة المقدسة » ·

من تلك القلعة خرجت جميع عناصر الحضارة المصرية بمقوماتها ومنجزاتها فى مختلف علوم الحياة وفنونها وأدابها وأسرار العقيدة وتشاريعها ونظمها ·

فماذا قدم « تحوت » لمصر من وقود لشعلة حضارتها ؟ وماذا قدمت مصر للعالم عندما رفعت شعلة تلك الحضارة ليصل ضوؤها الى مختلف أمم العالم القديم ويستمر العطاء الى عصرنا الحديث ·

● فى مجال الثقافة : أنزل تحوت الحرف والكلمة والنطق وأسماء الأشياء جميعها وعلم الانسان الكتابة والقراءة ليقرأ تعـاليم الاله وينعم بالحـــكمة والمعرفة (كتاب الموتى) ·

فكانت الكتابة الهيروغليفية (النقش المقدس) التى دونوا بها كتابهم المقدس ثم مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية التى دونوا بها آدابهم وفنونهم ومختلف علوم الحياة ·

وبنزول الكتابة ابتكر المصرى القديم « الورق » ذلك الابتكار الحضارى الفذ قوام الحضارات جميعها وما زالت تنعم به الانسانية الى الآن · صنعوه من البردى (بأبى اور) وهو الاسم الذى احتفظ به العالم الحديث وأطلقه على الورق فى جميع اللغات ·

ومع اختراع الورق اخترع المصرى القديم القلم الذى صنعه من غاب النيل والحبر من نبات النيلة والفرشاة من الريش لرسم الخطوط الزخرفية والحبر الأحمر والألوان وانتقلت كل منها لتترك بصمات مصر على جميع الحضارات وامتـدادها الى العصر الحديث فكان المصرى القديم أول من كتب وقرأ وسجل ودون ·· أول من كتب التاريخ

كتبه على الورق وألواح الارتواز والفخار والأحجار الصلبة لايمانه بحق الأجيال القادمة فى حمل رسالة الثقافة ٠

وأعظم تجربة فى نشر الثقافة ومحو الأمية فى عهد الفراعنة رسالة الاعجاز التى سجلها التاريخ لاخناتون عندما نادى بأن « أول أركان الايمان بالله هو العلم والجهل كفر » وهى الرسالة التى تمكن بواسطتها من محو الامية ولأول مرة فى تاريخ البشرية من الشعب بأكمله خلال دورة الاله كاملة فى ملكوته السماوى أى خلال عام واحد والتى حدد فيها العقوبات التى أمر بها الاله لمن يقصر فى تعليم أولاده والتى وصلت الى حد مصادرة أملاك الأب وقيام الدولة بصرفها على التعليم ٠ لقد وضعت الحضارة الفرعونية أسس مختلف أنظمة التعليم بجميع تجاربها ابتــــداء من المدارس الريفية والقروية الملحقة بمعبد القرية الى مدارس مختلف مراحل التعليم ـ الى مدارس العمال وأبنائهم الملحقة بمستعمراتهم السكانية المؤقته التى تبنى بجوار الأهرامات والمعابد عند انشائها وأقامتها ثم المدارس الصناعية التى اتبعوا فيها نظام توريث المهن ويفرض على التلميذ أن يتعلم القراءة والكتابة والحرفة التى يمارسها والده (نظام توريث المهن) وعرفت البنت طريقها الى المدرسة ابتداء من الأسرات الأولى وكان برنامج تعليم البنات يشمل بجانب القراءة والكتابة تدبير المنزل ورعاية الطفل واحدى المهن المقدسة وهى الرقص أو الموسيقى أو الغناء التى وصفوها بأنها تمد البيت بعنصر الحياة الاجتماعية٠

ووصل التعليم الى مرحلة التعليم العالى ابتداء من بيوت الحياة الملحقة بالمدارس الى الجامعات الكبيرة المستقلة بمختلف تخصصاتها والتى اذا قورنت بما وصل اليه التعليم فى العصر الحديث من نواحى تشعب التخصص لتأكد لنا وصف « أميل لودفيج» عن حضارة وادى النيل بقوله ٠٠ لا جديد تحت الشمس ٠

أشتهرت مصر بجامعاتها العلمية من أقدم عصور حضارتها وأقدم جامعة قامت فوق أرض مصر جامعة أون الذى سبق ذكرها ووصفها القدماء باسم « قلعة المعرفة المقدسة » كما وصفتها أحدى البرديات القديمة بأنها سرة الكون ٠ وقد أخذ اسم عين شمس من (أون ـ رع) أى عين اله الشمس التى يطل بها على الأرض كما يقصــــد بكلمة أون أيضا الى المرصد نسبة الى مرصدها المشهور الذى خرجت منه معجزات نظريات علم الفلك القديم للعالم أجمع ٠

لقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ جامعة أون فنسبها سترابون الى عصر حضارة النقاده الثانية عندما تمت الوحدة الأولى عام ٤٢٤٠ ق٠م واتخذ ملوكها مدينة أون أول عاصمة لهم بينما كانت مدينة أون فى ذلك العصر مدينة متكاملة تمتــــد من

المطرية وعين شمس شمالا الى « مصر عتيقة » وتمتد جنوبا حتى (جبل - أون) جنوب أون أى حلوان الحالية ·

وينسب مانيتون تاريخ بناء المعبد والجامعة ومرصدها المشهور والتى بنيت قبل المدينة نفسها الى ما يطلق عليه عصر أنصاف الالهة أى عام ٩٥٠٠ ق·م وفقا لقوائم مانيتون لأسرات ما قبل التاريخ · وهو ما شجع بعض العلماء والباحثين فى العصر الحديث الى محاولة نسبتها الى حضارة قارة الاطلنتيد لاتفاق تاريخ غرق القارة الذى أمكنهم اثباته حديثا مع تاريخ نشأة الحضـــارة التى ظهرت متطورة ومتكاملة فى مدينة أون ·

وقد ازدهرت جامعة أون القديمة بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب فى وقت واحد وفيها نشأ أول مذهب دينى لتفسير نشأة الوجود والتحويد ومنها تخرج امحتب واخناتون وانتسب اليها أكثر الانبياء والفلاسفة والعلماء الذين وضعوا أسس الحضارة والفلسفات والتشـــاريع وأنظمة المجتمع للعالم أجمع ·

ومنها خرج التقويم الشمسى المربع الذى قسم السنة الى ٣٦٥ يوما وربع والتقويم الكهنوتى المقدس الذى قسمها الى ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٩ دقيقة و ٤٥½ ثانية وهو التقويم الذى حيرت دقته وصحته علمـــاء الفلك فى العصر الحديث بوســـائلهم الالكترونية واعترفوا به عالميا ·· كما نسب اليها معجزات العلوم الرياضية والهندسية وعلوم ما وراء الطبيعة التى تتحدى العصر الالكترونى الحـــديث الذى ما زال يقف حائرا وعاجزا عن تفسير الغازها أو حل رموز أسرارها ·

ويصف « ساوينرون » جامعة أون بأن البحث العلمى بها كان يدور فى جو كهنوتى غامض وكان العلماء والطلبة فى العهد المقدس يقضون حياتهم كلها فى خدمة العلم كعقيدة مقدسة » وداخل المعبد يحرم عليهم الاتصال بأحد من خارج المعبد الذى كان يعتبر كمدينة كبيرة كاملة كما كان يحرم عليهم افشاء أسرار المعـرفة التى تعلموها والعلوم التى يمارسونها ·

وينقسم علماء معبد أون الى قسمين ، قسم يعتبر من الـــكهنة المبجلين ورثة أنصاف الالهة وهم الذين يلقنون العلم ويتخصصون فيه بالوراثة أبا عن جد ويذكر عمر العالم منهم بعمر نسبه فتشير شهادة ميلاده الى أن عمره خمسمائه عام أو ألفى عام وهكذا ويعتبر هؤلاء الكهنة العلماء أمناء على أسرار مقدسات المعرفة بالمعبد ، والبعض الآخر وهم العلماء المنتسبون أو الامناء على أسرار المعرفة ويحملون لقب

الكهنة الامناء ويتخصصون عادة بالعلوم التطبيقية أى الواسطة بين أسرار المعرفة وما يكون منها فى خدمة الشعب والمجتمع ٠

وقد استمر معهد أون يؤدى رسالته العلمية والحضارية تلك الفترة التى استمرت ما يقرب من ثمانية آلاف عام حتى بداية الغزو الفارسى عندما دخل قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق٠م فحرق معبد أونوهدم معاهده ومرصده وحرق وثائقه وأمر بتحطيم بوابات الشمس وجميع مسلات المدينة (مدينة المائة مسلة) ولم ينج من المسلات سوى مسلة واحدة مازالت قائمة مكانها وهى مسلة سنوسرت الأول **بالمطرية** ٠

ومن معبد أون خرجت بعثات الكهنة ابتداء من الأسرة الأولى لنشر عقيدة توحيد الاله رع رب الارباب فى انحاء الوادى وأقامة المعابد وبيوت الحياة أو المعاهد العلمية التابعة لها لنشر المعرفة ٠

● ومن أشهر الجامعات المصرية التى قامت برسالة الثقافة وبحوثها العلمية وكان لها دور فعال فى بناء الحضارة الفرعونية ونشر رسالتها فى العـــالم بجانب جامعة أون الأم ٠

١ ـ جامعة سايس (ساو) صالحجر ٠
٢ ـ هرقليوبوليس ماجنا (ننوتسوت) أهناسيا ٠
٣ ـ هرموبوليس (خمتو) الأشمونيين ٠
٤ ـ أبيدوس (ابدو) العرابه المدفونة ٠
٥ ـ طيبة (واست) الأقصر ٠
٦ ـ منفيس (منيب حرج) منف ٠

وآخر جامعة فى تاريخ الفراعنة جامعة الاسكندرية ومكتبتها المشهورة والتى بنيت عام ٢٩٦ ق٠م فى عهد بطليموس ولعبت دورا كبير فى نقل الحضارة المصرية وعلومها الى الاغريق والرومان فكانت وسيلة للاتصال المبـــاشر بين مصر وأوروبا خصوصا وأن التعليم بها والدراسات كانت باللغتين المصرية واليونانية ٠

● وفى مجال الفلك كان المصريون القدماء أول من عرف النجوم وخصائصها ورصدوا الكواكب فى برج السماء ورسموا الخرائط وعينوا مواقع النجوم فى قبـة السماء ٠ وميزوا النجوم القطبية ـ التى لا تفنى والكواكب السيارة ـ التى لا تستريح ٠ كانوا أول من أطلق عليها أسماءها وصور رموزها التى عرفت بها على مدى التاريخ ـ كما رسموا القبة السماوية وبروجها الاثنى عشر واعطوها اسماءها وصورها التى

تعرف بها الآن ولم يحاول شعب من الشعوب القديمة والحـــديثة تغييرها وقد ثبت بمراجعة القبة السماوية التى وجدت بمعبد دندرة ووضع كواكبها وبروجها بالنسبة لبعضها أن تاريخها يرجع الى عام ٨٥٠٠ ق٠م وهو ما ذكره المؤرخون بالخطأ أنها تعود الى عهد البطالسة الذين أعادوا بناء معبد دندرة القديم ٠

ومن الفلك وضع المصريون القدماء أسس التنجيم كعلم له أصـــوله وقواعده ونظرياته التى يسير العالم الحديث بمقتضاها الى اليوم ٠ ويعترف جميع علماء الفلك فى مختلف العصور بفضل مصر على تعريف العالم بأسرار القبة السماوية ٠

وبواسطة علم الفلك وضع المصريون القدماء أول تقويم للبشرية وهو التقـــويم الشمسى الذى حل محل التقويم القمرى فى مختلف أنحاء العالم قسموا فيه السنة التى أطلقوا عليها اسم السنة الرباعية الى ٣٦٥ يوما وربع ذلك التقويم الذى خرج من هيليوبوليس ليعمل به رسميا ابتداء من عهد الملك تحوتى ابن الملك نعرمر (مينا) موحد القطرين ومؤسس الأسرة الأولى وهو التقويم الذى أرخ به مانيتون التاريخ الزمنى للأسرات وقوائم ملوكها ، قسم قدماء المصريين الزمن ووضعوا له مقاييسه الحالية التى اصطلح العالم عليها فقسموا اليوم الى ٢٤ ساعة منها ١٢ لساعات النهـــار ومثلها لساعات الليل وقسموا الساعة (أنوت) الى ٦٠ دقيقة (أ ت) والدقيقة الى ٦٠ ثانية (حات) واخترعوا المزولة لقياس الزمن وساعات النهار والقامة الفلكية لحســـاب ساعات الليل برصد تحركات النجوم وزوايا أوضاعها كما اخترعوا الساعة المائية (كلبسيدرا) التى تحدد اليوم ودقائقه بأكمله ٠

وقد نقل أوديكسيوس التقويم الشمسى الى بلاد الاغريق عام ٤٠٠ ق٠م على أن السنة ٣٦٥ يوما ٠ نقلها من احتفال المصريين بعيد رأس السنة واضافة الخمسة أيام المنسية) التى تمثل آلهة الكون وهى أيام العيد والتى كانوا يضمون لها يوما سادسا كل أربع سنوات أطلقوا عليه يوم أوزير ٠ وانتقل التقويم المصرى مرة أخرى الى روما عندما أهدته كليوباترة الى يوليوس قيصر عام ٣٦ ق٠م ليصبح التقويم العالمى الذى يعمل به العالم أجمع الى اليوم بعد ما أتفق على تحديد تاريخه الزمنى بميلاد المسيح ٠

وهكذا أنزل تحوت الرقم بعد الحرف ليدون الفراعنة حساب الزمن ويتطور منه الى حساب الأبعاد والأطوال فكانوا أول من اخترع وحدات القياس التى ذكرت بعض المراجع القديمة أن الالة وضعها بين ايديهم فاخترعوا الحســـاب العشرى الممثل فى أصابع اليد العشرة ووحدات القياس التى اتخذوها من أبعاد الأصبع والكف والذراع والتى وجدوا أن النسبة بينها وبين بعضها تتمثل فى نسبة أبعاد الجسم ومنها اخترعوا

البوصة الهرمية التى انتقلت الى عالم الغرب مع التقسيم العشرى والمئوى ووحدات القياس • بتحديد تلك الأرقام والأبعاد والأوزان كوحدات أو نواة للتكوين وارتباطها بعلم الفلك وأسراره قدمت الحضارة المصرية جميع أسس نظريات الرياضة والهندسة والطبيعيات بل وعلوم ما وراء الطبيعة التى انتقلت الى عالم الغرب •

● وفى مجال الطب كان الطب كما أجمع الباحثون مفخرة المصريين الكبرى التى صنع تحوت بدايتها • تؤكد البرديات القديمة المعروفة كبرديات أيبرس وأدوين سميث وهيرست وكاهون وغيرها من الموسوعات الطبية الفرعونية القديمة أن الكثير من وسائل العلاج المصرى القديم قد أنتقل مع الحضارة الى اليونان ومنها الى الرومان ومن الرومان الى عصرنا الحديث ولا نزال نحن سكان الأرض نتجرع فى ثقة كثيرا من الأدوية التى خلطها وقام بتركيبها المصريون القدماء من النباتات الطبية ومستخلصاتها التى كانوا أول من اكتشف وحدد خصائص كل منها • وكشفت الدراسات التكنولوجية الحديثة ما قام به الجراح المصرى القديم من معجزات فى عمليات جراحة المخ ابتداء من كسر الجمجمة واصابة النخاع الشوكى الى استعمال الابرة المجوفة فى شفط أورام المخ تلك العمليات كشفت عنها بعض المومياات حديثا والتى ثبت من التحـــام العظام نجاح العمليات وطول المدة التى عاشها المرضى بعد الشفاء •

لقد اعترف مؤرخو الاغريق بفضل مصر عليهم فى الطب وسجلوا هذا فى كتبهم ومخطوطاتهم فأشاد أقدمهم هوميروس فى الأوديسة بما وصل أحـــد أطباء مصر من الشهرة الرائعة فى العالم القديم التى لم يصل اليها أحد فى ذلك العهد فى العـــالم القديم • ووصف هيرودوت الطب فى مصر وما وصل اليه من أعلى درجات التقـــدم والتخصص فى مختلف فروع الطب بقوله « وعندهم لكل مرض طبيب ولكل عضو من أعضاء الجسم اخصائى » وهو أرقى ما وصل اليه الطب الحديث من تجارب •

وقد بدأ الطب ومختلف نواحى تخصصاته من أقدم عصور ما قبل الأسرات فى جامعة هليوبوليس ويذكر المؤرخون ما وصل اليه الطب من اعجاز خلال الدولة القديمة وما زال العالم يذكر اسم امحوتب وزير الملك زوسر وطبيبه الخاص الذى رفعه المصريون الى مرتبة الآلهة وأطلق عليه اليونانيون اسم اسكليبوس واتخذوه الها للطب فى بلادهم وأقام امحوتب معهدا خاصا للطب فى منف جمع فيه مختلف التخصصات التى اشتهر بها ومن بينها الطب الروحانى والطب النفسانى والعلاج بالموسيقى وأثر الألوان فى شفاء مختلف الأمراض •

وابتداء من الدولة القديمة نفسها كشفت البرديات القديمة عن اسماء كثير من الأطباء المتخصصين كان منهم طبيب العيون والرأس والمعدة والأسنان وأمراض النساء

وأطباء الأطفال حتى التجميل وما ارتبط به من جراحة ذكرت البرديات القديمة أسماء أكثر من طبيب من أطباء الدولة الحديثة من بينهم الطبيب الخاص للملكة حتشبسوت الذى كان يصنع لها العقاقير السحرية ومركبات التجميل ٠

وكان المصريون القدماء أول من فصل مهنة الصيدلة (فارماكى) ـ علم العقاقير ـ عن الطب ٠ كما كانوا أول من أوجد مهنة التمريض (أوت) أى علم الاربطة وهناك أكثر من مثل لاشتغال المرأة بالطب وورد اسم احدى الطبيبات فى الأسرة التاسعة عشرة ولقبها « مربية وطبيبة أطفال القصر » كما وصلت احدى الطبيبات فى الدولة القديمة وتدعى تشست الى درجة « المشرفة على الاطباء » ٠

تدور البحوث الطبية الحديثة فى محاولة تفسير كلمة « السحر » عند الفراعنة سواء فى الطب أو مختلف العلوم بأنه « سحر التكنولوجيا » ٠ لقد أمكن تفسير كثير من الغاز السحر علميا واعترف بها العالم الحديث وعلمائه على أنها نظريات علمية متطورة ٠ بل وفوق ادراك البشر ٠ من بينها على سبيل المثال التنويم المغناطيسى ودوره فى الطب الروحانى والنفسانى الذى مارسه قدماء المصريين ٠

وعلم البندول ودوره فى سحر التشخيص والعلاج وارتباطه بذبذبات الجسد واشعاعاته والألوان واشعاعات كل منها ـ ثم الابرة الصينية التى أطلق عليها كهنة الفراعنة اسم « أبرة حورس السحرية » وكانت تصنع من العاج وتكتب عليها أو تزود بمجموعة من التعاويذ والطلاسم لاعطائها قوة السحر ـ على سبيل التمويه ـ هناك أكثر من نموذج لتلك الابرة السحرية فى مختلف متاحف العالم والمتحف المصرى تعرض على أنها أنواع من أبر الزينة المستعملة فى التجميل أو ضمن التمائم التى يستعملها الكهنة فى ممارسة السحر ٠ وقد ورد فى احدى البرديات القديمة فى وصف القوة السحرية لاحد كهنة معبد بتاح بأن شكة من ابرته السحرية بعد أن يخيطها بتعاويذة يمكن بواسطتها اجراء أية عملية جراحية أو بتر أى عضو من أعضاء الجسم بغير أن يحس المريض بأى ألم ٠

لقد قام علماء العصر الحديث بتأسيس معاهد علمية خاصة تخصص كل منها بدراسة نوع واحد من نواحى السحر الفرعونى على أنه علم قائم بذاته فظهر معهد شارموران فى باريس للتخصص فى علم البندول وأكثر من معهد لدراسة علاقة الارواح الفرعونية بالطب الروحانى أو علاقة الطب النفسانى بنظريات الفراعنة فى علاقة الروح بالنفس والجسد ٠

● ان ما قدمته مصر للعالم فى مختلف علوم التشريع وقوانين المجتمع وحقوق

المرأة كذلك فى علوم الرى والزراعة ومختلف الحرف والصناعات وفنون الحياة ٠ كذلك الرياضة وألعابها القديمة منها والحديث وقد خرجت كلها من مصر ٠ لا تقل أى منها أهمية عما قدمته الحضارة المصرية من أسس وعراقة فى علوم الطب والفلك والعمارة التى سبق شرحها ٠

● وفى مجال العمارة وتخطيط المدن كان المصرى القديم ومن أزمان سحيقة أول من اخترع قالب الطوب أو وحدة البناء فى فن العمارة وعلم الانشاء ٠ قدموا لعالم المعمار جميع النظريات الانشائية المرتبطة بقالب الطوب من بناء الحوائط والعقود والقباب والاقبية وانتقلوا الى الهياكل الانشائية من أعمدة ـ وهياكل انشائية والتى خرجت جميعها من مصر لتحتل مكانها فى عمارة العالم القديم وتساعد على نشـــأة الطرز المعمارية وتصاحب فن العمارة حتى العصر الحديث ٠

مع العمارة والتعمير وضع المصريون القدماء أسس تخطيط المـــدن ونظمها فى العالم التى ظهرت أقدم أمثلتها متطورة ومتقدمة علميا ويشهد على ذلك ما وصـــل الينا من تخطيط مدن خنت كاوس (مدينة الأهرامات) وكاهون وتل العمارنة والتى تتصدر جميعها مراجع تاريخ العمارة ونشأتها فى العالم ٠

● من الاخطاء الشائعة فى عصرنا هذا ما روى عن الحضارة الاغريقية من أنها أم الحضارات الغربية وأنها لم تكن فى حاجة الى غيرها من المدنيات التى سبقتها وأنها على ذلك لم تخضع فى أصولها وفى أزمان تطورها فيما بعد لأى تأثير وفد عليها من خارج تربتها ٠

ان القول السائد الذى يردده السواد الأعظم من رجال العلم أن بلاد الاغريق هى تربة الشعب الذى استقى منه كل العالم عجائب كل ما أنتجه فى ميادين العلوم والفنون والآداب والفلسفة وأنها تعد نسيج وحدها ٠

أن هذه الفكرة ـ كما وصفها عالم الآثار الراحل الدكتور سليم حسن فى موسوعة مصر القديمة ـ خاطئة من أساسها ٠ فبلاد الاغريق كغيرها من كثير من البلاد الأخرى كانت من حيث أصول الفلسفة بوجه خاص والبحث العلمى بصفة عامة مدينة لمصر بدرجة عظيمة يظهر ذلك واضحا من تاريخ نشأة الحضارة الاغريقية ومراحل تطورها وارتباطها الزمنى بمصر فالحضارة الاغريقية لم تر النور الا فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد عندما كانت الحضارة المصرية تمر خلال احدى عصور امبراطوريتها الذهبية

(*) حضارة مصر الفرعونية : بحث للدكتور سيد كريم ٠

والتى وصلت فيه فتوحاتها الى أطراف آسيا وشواطىء جنوب أوروبا والبحر الأسود وجزر البحر الأبيض المتاخمة لبلاد الاغريق ٠

لقد دلت البحوث العلمية الحديثة وكشوفها الآثرية على أن الشعب الاغريقى قد أخذ كل مبادىء علومه ومعارفه التى امتاز بها على سائر العالم عن مصر ٠

ويحدد كثير من المؤرخين بدء الحضارة الاغريقية بالفعل بين عامى ٧٥٠ ، ٦٥٠ ق٠م حيث ازدهرت الفنون والآداب وارتقاء الصناعات واصطباغها بصبغة جديدة مبتكرة بعد تعلمهم من الكريتيين – والحضارة الكريتية كما هو معروف يرجع تاريخها الى عام ٢٠٠٠ ق٠م ٠٠ أخذت جميع أصولها وفنونها وتشريعاتها من مصر حيث ارتبطت بمصر ارتباطا وثيقا وبلغت أوج ازدهارها من ١٦٠٠ الى ١٥٠٠ ق٠م أى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية ٠ وفى عهد تحتمس الأول والملكة حتشبسوت بالذات وفى ذلك العصر أقام مهندسو مصر القصر الملكى بكنوسس الذى وصفه المؤرخون القدماء بأنه تأثر بالطابع المصرى فى فنون زخارفه وتغطية جدرانه بالصور التى تمثل الحياة ، وأسقفه التى كانت تمثل القبة السماوية أسوة بما كان متبعا فى مصر بجانب مختلف الفنون التشكيلية التى حددت طابع الفنون فى الحضارة الكريتية ٠ وفى القرن الخامس عشر قبل الميلاد خضع الكريتيون للسيادة المصرية وقد عثروا حديثا على صحن من الذهب محلى بالنقوش أهداه تحوتمس الثالث الى قائد من قواده عينه حاكما على جزر الأرخبيل وقد أخذ الكريتيون أشياء كثيرة من الحضارة المصرية التى تمثلت فى الحرف وصناعة الأثاث وآنيتهم تشبه الآنية المصرية وكتابتهم مأخوذة عن الرموز الهيروغليفية وأصبحت لهم علاقات كبيرة بمصر ٠ وقد وجد الباحثون آنية كريتية فى القبور المصرية كما وجدوا آنية من خمور مصر فى حفريات كريت كما عثر بالقرب من شواطىء الجزيرة على مجموعة من الأسلحة والدروع الفرعونية التى كانت تستعملها القوات البحرية المصرية ٠

- فان كانت علاقة حضارة كريت بالاغريق لم يمكن اثباتها فعلا فانه من الثابت أن حضارة كريت نفسها كانت نهايتها على يد الاغريق أنفسهم حيث وصف المؤرخون قصة النهاية الغامضة لحضارة الكريت فى القرن التاسع قبل الميلاد عندما أغارت عليها أقوام برابرة أهل الشمال الذين وصفهم التاريخ أنهم كانوا من سكان جزر البلقان وهم أصل الاغريق فدمروا مدينة كنوسس وحرقوا قصرها العظيم ولم تقم للجزيرة وحضارتها قائمة بعد ذلك ٠ فالاغريق هم الذين محو ا حضارة كريت ٠٠ ولم يستمدوا عناصر حضارتهم منها ٠

- لقد سجل مؤرخو الاغريق الذين زاروا مصر قبل الثورة الايونية انطباعاتهم

ونتائج رحلاتهم الى أرض وادى النيل وما تركته الثقافة المصرية عند الاغريق من أثر ووصفوا تاريخ ايغال مصر فى القدم بالنسبة لبلادهم وتفوق المصريين عليهم فى المعرفة والعلوم ٠

ولم يحاول أحد منهم أن يخفى فضل مصر على حضارات البحر الأبيض بصفة عامة وحضارة بلادهم بصفة خاصة ٠ وصفوها كما ذكر « ساورينون » فى كتابه المعرفة المقدسة The Sacred Wisdom ٠

ان مصر هى مهد الحكمة ومنبع المعرفة كما وصفها بأنها القلعة الحقيقية للعلوم المقدسة وجامعة العقيدة التى حملت شعلة الفلسفات والتشاريع الانسانية ٠ كما أجمع المؤرخون على أن كبار فلاسفة اليونان وعلماءهم ممن حملوا شعلة حضارة الاغريق العالمية وقادوا ثورتها الثقافية عبروا البحر ليتلقوا الحكمة والمعرفة على يد كهنة الفراعنة من أهل المعرفة المقدسة ويكتسبوا منهم الكثير من أسرار العلوم ليطلقوا عليهم اسم الخالدين ٠ وذكر المؤرخ ديودورس الصقلى بأن علماء الاغريق وفلاسفتهم كانوا يعتبرون رحلتهم عبر البحر الأبيض المتوسط من الرحلات التقليدية لكشف أسرار الحكمة والمعرفة المقدسة التى يحتفظ بأسرارها كهنة الفراعنة فى مكتبات جامعتهم ـ بيوت الحياة ـ وخزائن معابدهم ـ أسرار الوجود ٠ من هم هؤلاء الخالدون ؟ الذين حملوا شعلة المعرفة الى بلادهم وقادوا الثورة الثقافية التى امتدت لتبنى حضارة الغرب ؟

١ ـ أورفيوس Orpheos ٧٨٠ ق٠م

ذكر ديودورس الصقلى أن أورفيوس كان أقدم من زار مصر من علماء الاغريق وحضر الحفلات الديونيسية وطاف أنحاء البلاد وزار معابدها وتعرف على كثير من أهل المعرفة من الكهنة المبجلين وأشاد بغزارة علومهم ومعرفتهم بأسرار الوجود (ديودورس ١ / ٢٢) ٠

٢ ـ هوميروس ٧٥٠ ق٠م Homer

كان ديودورس فى كتابه الأول ١ / ٦٩ أول من وصف الرحلة التى قام بها شاعر الاغريق العظيم هوميروس فى أنحاء البلاد ٠ وقد عرف الناس كثيرا عن الاغريق الأول من شعر هوميروس الذى وصف قصة حصار طروادة التى يتناقلها الرواة ويحفظها الناس لشدة اعجابهم بها والتى تعرف باسم الالياذة ثم الأوديسة وتلك القصص كما ذكر المؤرخ ديودورس تأثر فيها هوميروس بالأساطير المصرية وخاصة أساطير الخلق

ومعارك الآلهة وجعل معظم أبطالها من أبطال آلهة الفراعنة ابتداء من زيوس أبى الآلهة (أمون) وأفروديت (ازيس) وأبولو وغيرهم من آلهة الفنـــون والموســـيقى والنور والخير والشر ٠

٣ ـ سولون ٦٤٠ ـ ٥٥٨ ق٠م SOLON

أقدم من زار مصر من مؤرخى الاغريق ـ الحكيم والفيلسوف والسياسى ٠ أكبر حكماء أثينا السبعة وأول من كون لها مجلسا تشريعيا والجــد الرابع للفيلســـوف أفلاطون ٠ قام بزيارة مصر وقضى بها ثلاث سنوات ونصف وتمكن بواسطة صداقته الوطيدة للملك أحمس الثانى (الأسرة ٢٦) واعتناقه للعقيدة الفرعونية من دخول معبد زايس حيث درس التشريع وتعاليم العقيدة والفلسفة ٠ التى وصفها فى مذكراته بأنها كان لها الفضل فى دوره السياسى الذى أقام به أول مجلس تشريعى فى اليونان وأول تشريع دستورى للحكم فى أوروبا ٠ ومن أشهر ما ورد فى مذكراته التى جمعها حفيده أفلاطون ما قاله له كاهن معبد زايس الذى انتسب اليه « أيها الاغريق انكم أطفال قصر فى العلوم والمعرفة وستظلون أطفالا الى الابد ٠ فليس فى بلادكم رجـــل مسن فى المعرفة له ماض سحيق فى القدم » ٠

كما كان سولون أول من نقل قصة الاطلنتس أو القارة المفقودة الى الاغريق ومنها الى العالم الحديث ومن أهم ما ورد فى وثائق سولون ومما أحدث ضجة مازال يدوى صداها الى اليوم ما نقله عن حديث له مع كبير كهنة معبد زايس عنـــدما قام بسؤاله عن جذور المعرفة وأصالة عمرها عند أهل المعرفة من الكهنة المبجلين ٠ فذكر له أن تلك المعرفة المقدسة التى توارثها أبا عن جد ترجع الى ٩٥٠٠ سنة وأن أجدادهم الأول أتوا بها من القارة التى أغرقها الطوفان العظيم ولم ينج منها الا من أمرهم الاله بمغادرتها من اتباعه المؤمنين والانتقال الى أرض الله الطاهرة وهى أرض مصر لينشروا رسالة الاله فى الأرض ٠ وهكذا نزلوا فى أرض مصر حيث أقاموا معبد أون (عين شمس) ومنه انتشرت العقيدة فى أرض مصر المقدسة لتنتقل شـــعلتها لتنير ظلمات البشرية بأجمعها ٠

أن وثائق سولون ومؤلفاته الخاصة بمصر الفرعونية التى أهتم بجمعها سقراط ومن بعدهما حفيده أفلاطون كانت من أهم العوامل التى شجعت كثيرا من الـــكتاب والعلماء الاغريق على زيارة مصر ومحاولة الانتساب الى جامعاتها ومعاهدها والتقرب من كهنتها لتلقى الثقافة والمعرفة ٠

٤ ـ هيكاته ٥٨٠ ـ ٥١٩ ق٠م Hekataos

يعد هيكاته المليتى ثانى من زار مصر من مؤرخى الاغريق بعد سولون ٠ زار مصر وقضى بها ثلاث سنوات متنقلا بين مختلف معابدها وكتب تاريخها قبل هيرودوت بمائة عام ٠ سجل هيكاته انطباعاته بفلسفته التى تلقنها من كهنة معبد أون وتتلخص فى « أن العقيدة هى شعلة العلوم ٠ فهى هبة السماء الى الأرض والمعرفة فى جميع نواحيها الا معرفة أسرار الوجود ٠ فهى لا تستمد الا من العقيدة والايمان بوجـــود الخالق ٠ ووصف هيكاته كهنة أهل المعرفة المقدسة الذين يحرمون كشف أسرارها على الاجانب وأن ما يتعلمه من يلتحق بمعابدهم من غير الهكنة لا يعد سوى قطرات من بحر المعرفة الحقيقية التى تعتبر لانهائية وبلا حدود ٠

وكان هيكاته أول من لفت نظر علماء الاغريق الى حضارة مصر الثقافية وما حوته من أسرار العلوم والمعرفة وانه لا سبيل الى تعلمها الا عن طريق اعتناق العقيدة التي تؤمن بها كهنة المعبد والتقرب الى الملوك أو الحكام وكسب ثقتهم وهو ما قام فعلا باتباعه عدد كبير من فلاسفة الاغريق وعلمائهم الذين تعلموا فى مصر وامكنهم الالتحاق بجامعاتها ومراكز البحث العلمى أو المعرفة المقدسة فى معابدها ٠

وقد تعلم هيكاته بجانب كتابة التاريخ وأدب الرحلات العلوم الجغرافية فكان أول من رسم خريطة لمصر وموقعها بالنسبة لليونان وأوربا وحدودها المتـــدة الى المحيطات ٠

٥ ـ هيلانيكوس ٥١٦ ق٠م Hellanicos

المؤرخ الاغريقى الذى كانت زيارته لمصر فى وقت متقارب مع هيكاته وعاش فى مصر سنتين وجه اهتمامه فيهما الى عـــلاقة الاغريق بمصر وما يمكن أن يتعلمـــه الاغريقيون من مصر وكان أول من وصف زيارة الحكيم سولون لمصر ودورها فى تكوين شخصيته كسياسى وحكيم ومشرع ٠

٦ ـ تاليس ٦٢٥ ـ ٥٤٥ ق٠م Thales

أبو الفلاسفة ، مؤسس مدرسة ميليتوس أول مدرسة للفلســـفة فى اليونان ٠ اختلف المؤرخون فى أصله ونشأته وذكر البعض أنه ولد فى الشرق ٠ عاش فى مصر خمس سنوات وحمل الى بلاده أفكار المصريين فى الرياضة والحساب والهندســـة ووصفت فلسفته أن كل الأشياء مصنوعة من الماء الذى يدخل فى تركيب كل الكائنات

وهى النظرية التى أخذها مباشرة من جامعة أون (هيليوبوليس) التى تقول « ان اله الخلق رع » خرج من الماء الازلى نون » كما شرحت فلسفته علاقتها بالهندسة وعلوم الطبيعة ونقل الى اليونان الكثير من أساطير الفراعنة التى تربط الفلك بعلم اللاهوت ٠

٧ ـ فيثاغورس ٥٨٠ ـ ٥٠٠ ق٠م Pythagoras

ذكر المؤرخ يورفيروس رحلات فيثاغورس وتنقله بين معـــابد مصر الفرعونية ومقابلته للملك أمازيس الذى ساعده فى الاتصال بكهنة معبد هيليوبوليس وكل من معبدى منفيس وديوسبوليس فى طيبة واضطر الى اعتناق ديانة المصريين لكسب ثقة الكهنة العلماء ودراسة أسرار علوم الرياضيات الفرعونية وقد ذكر جامبلينوس فى وصفه لحياة فيثاغورس أنه قضى فى مصر ٢٢ سنة متواصلة فى الدراسة والبحث وأن أبواب أسرار علوم الهندسة والرياضيات والفلك قد فتحت كلها أمامه فكان له الفضل فى نقل أسرار الرياضة والهندسة من مصر الفرعونية الى بلاد الاغريق والعالم أجمع كما كان أول من نقل عن المصريين أن الأرض كروية وتدور حول نفســـها ٠ وأهتم فيثاغورس بجانب دراساته فى الرياضيات والفلك بدراسة علوم الروح وتناسخ الأرواح التى اشتهر بها الفراعنة وأقام لها دراسات خاصة فى أثينا جمعت أشــهر الجميلات وكانت أول مدرسة للفلسفة النسائية وقد اختلف مؤرخو حياة فيثاغورس الذين وصفوه بقولهم « العالم الاسطورى » فذكر البعض أنه ولد فى سوريا وليست له علاقة بالاغريق رغم أنه كان يذكر دائما أنه من جزيرة ساموسى وذلك لأسباب سياسية ٠

٨ ـ اينوبيدس ٥٤٥ ق٠م : Oenopidus

من العلماء الذين عاصروا فيثاغورس وقضى بمصر أربع سنوات وهو من علماء الفلك الاغريق والذى أثبت أن دورة الشمس منحرفة ٠

ونقلها عن كهنة عين شمس (ديودورس ١/٩٨) وتختلف بذلك عن بقية النجوم والكواكب ـ كما نقل عنهم أيضا كروية الأرض وعلاقة دورتها بالكواكب السيارة ٠

٩ ـ اناكسمندر ٥٥٠ ـ ٤٨٠ ق٠م : Anaximander

تلميذ تاليس وأصبح من علماء مدرسة ميلت ٠ ولذا فقد لقب بأنكسمندر المليتى ٠ قام برحلة الى أرض مصر استغرقت أربع سنوات بين زايس ومنف ونقل معه الى بلاد الاغريق الساعة الشمسية ـ المزولة) كما وضع نظرية الدورة اللانهائية التى لا تفنى وتأخذ منها كل المخلوقات ماديتها وخواصها كما اكتشف نظرية تغير خواص المواد

بالضغط والتفريغ والتى كان لها أثر كبير فى كثير من نظريات الطبيعة والكيمياء والميكانيكا ٠

١٠ ـ أناكساجوراس ٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق٠م : Anaxagoras

وصف المؤرخ جاميلينوس زيارة اناكساجوراس لمصر التى استغرقت ثلاث سنوات أهتم خلالها بدراسة مشروعات النيل وأنظمة الزراعة والرى فى مصر وعاد الى بلاد الاغريق لينقل اليهم النظم العلمية فى طرق الرى والصرف وتخطيط الأراضى وحفر القنوات واقامة الجسور الزراعية وتنظيم دورات الزراعة وآلاتها ومعداتها ٠ وهى النظريات الأولى التى أنتقلت من بلاد الاغريق الى مختلف الشعوب الأوربية ٠

١١ ـ سقراط ٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق٠م : Sokrates

كان لزيارته لمصر وحواره مع كهنة معبد زايس أكبر الأثر فى تكوين شخصيته الفذة وفلسفته المميزة ٠ كانت طريقة سقراط فى التعليم الحوار والتى تعلمها فى مصر وكان دائما يحث على أن يسعى الى معرفة كنه نفسه قبل أى شىء ويهزأ بمن يقبل الأشياء على علاتها دون أن يحكم العقل وقد آمن بنظرية الفراعنة فى خلود النفس وفى أن الكون يديره اله واحد ٠ وقد سما سقراط بتعاليمه الخلقية التى لا تختلف عن تعاليم « ماعت » الفرعونية (الحق والعدالة) ولا فرق بينها وبين ما حضت عليها الاديان العظمى وكانت تلك الفلسفة وتعاليمها تتعارض مع فلسفات العقائد الاغريقية السائدة ٠

واتهم سقراط فى آخر أيامه بتضليل الشباب وحكم عليه بشرب كأس من السم ومات بين تلاميذه ٠ ويدلل أفلاطون على تأثر سقراط بعقيدة الفراعنة وايمانه بنظرياتهم فى خلود الروح وانتقالها الى العالم الآخر عبر محكمة الاخرة وهو يصف سقراط عندما رفض استرحام القضاة الذين طالبوا باعدامه فى حواره وهو يقول : لنقلب النظر فى الأمر ٠٠ وسنرى أن ثمة بارقة قوية من الأمل تبشر بأن الموت خير فهو احدى اثنتين : اما أن يكون الموت عدما وغيبوبة كما يروى عن الناس واما أن يكون انتقالا للنفس عن هذا العالم الى عالم آخر ٠

فلو فرضتم فيه انعدام الشعور وانه كرقدة النائم الذى لا تزعجه فيه حتى الأحلام ٠٠٠ ففى الموت نفع وراحة لا نزاع فيها ٠ أما اذا كان الموت ارتحالا الى مكان آخر حيث يستقر الموتى جميعا كما سمعت فأى خير يكون أعظم من هذا أيها الأصدقاء والقضاة ٠ واذا كان حقا أنه اذا بلغ الراحل العالم الآخر والتقى هناك بقضاة بمعنى

الكلمة الصحيح يمثلون الحق والعدالة فما أحب الى النفس ذلك الارتحال ٠٠ لو كان هذا حقا فاتركونى أمت مرة ٠٠ ومرة ٠٠

كان من أقرب تلاميذه اليه أفلاطون الذى حثه سقراط وشجعه على زيارة مصر والالتحاق بمعابدها العلمية التى كان لها الفضل فى تعليمه وتعليم جده سولون أكبر حكماء أثينا السبعة كما سلمه مخطــــوطات سولون التى نقلها عن الفراعنة ليكمل دراســـــتها ٠

١٢ ـ أفلاطون ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق٠م : Plato

ترك بلاد الاغريق بعد موت معلمه سقراط فعبر البحر الأبيض الى مصر وتمكن عن طريق الملك نختانبو من الالتحاق بمعبد أون (هيليوبوليس) وقضى فى مصر ١٢ سنة متنقلا بين معابدها بعد أن اعتنق الديانة المصرية على يد كهنة معبد أون ٠ ذكر ديودورس ما قاله كاهن معبد هرنوبوليس لأفلاطون فى حوار معه عن رأيه فى الاغريق بقوله « ان المعرفة كالماء تهبط عندكم من أعلى الى أسفل كمياه الأمطار على فترات لاارتباط بينها تظهر على السطح وسرعان ما تجف وليس لها استمرار أما عنـــدنا فتخرج من أسفل الى أعلى من الآبار والينابيع ونهر النيل الدائم الجريان ٠٠ مستمرة ومنفصلة لها قدمها ولها أصالتها ولها جذورها ٠

المعرفة عندكم تلقن أما عندنا فهى متوراثة وعمر العالم عندنا يقدر بأجيال وراثية المعرفة » ٠ وقام أفلاطون أثناء اقامته بمعبد أون ببحث النظرية التى انتقلت اليه عن جده الكبير « سولون » والخاصة بأسطورة الاطلنتس (القارة المفقودة) وعلاقاتها بأصول الحضارة والعقيدة والمعرفة عند الفراعنة ٠ وسجل بحوثه فى كتاب التيمايوس عند عودته الى أثينا ٠ وبعد عودته أخذ فى تعليم الفلسفة بطريقة الحوار التى أشتهر بها كهنة الفراعنة ٠ ومن أشهر كتبه الخالدة كتاب الجمهورية ٠

١٣ ـ اويكسودس ٤٣٠ ـ ٣٤٥ ق٠م : Euxodus

ارتبط اسمه باسم أفلاطون أثناء اقامتهما فى مصر ودرس مع أفلاطون علــوم الفلك والرياضيات بصفة عامة واعتنق الديانة المصرية مع أفلاطون ليتمكن من الالتحاق بمعاهد المعابد وقضى فى مصر اثنتى عشرة سنة وكان أول من نقل التقويم الشمسى الفرعونى الى بلاد الاغريق وحدد فيه السنة بـ ٣٦٥ يوما ولم يضف اليها ربع اليوم الذى كان قدماء المصريين يحتفلون به مرة كل أربع سنوات باضافة يوم الى أيام الالهة الخمسة كما حاول نقل تقسيم الزمن الى ساعات ودقائق وثوان كما كان معمولا به فى مصر ولكنها لم تنجح حتى نقلها الرومان مرة أخرى ٠

١٤ ـ ديوجين ٤١٢ ـ ٣٢٧ ق٠م : Diogenes

لم يعرف شيء عن علاقة ديوجين بمصر الا بما ورد فى أقوال المؤرخ جاميلنوس عن الرحلة الغامضة التى غادر فيها بلاد الاغريق عبر البحـــر الأبيض « ليبحث عن الحقيقة » التى وجدها فى أرض مصر ٠٠ وجدها فى علاقة الانسان بنفســه وعلاقة نفسه بعالم السماء مصدر الحقيقة وعلاقة عالم الحقيقة ! وعاد حاملا مصباحه ليبحث عن الحقيقة فى ظلمات المجتمع الاغريقى ٠٠ وخلال بحثه أصبح واحـــدا من أكبر فلاسفة بلاده ٠

١٥ ـ أرسطو ٤٢٢ ـ ٣٨٤ ق٠م : Aristoteles

أكبر فلاسفة الحضارة القديمة ٠ كان لآرائه تأثير كبير فى فلسفة الشرق والغرب ويعرف باسم المعلم الأول وقد بحث فى كل فروع الفلسفة من أخلاق وسياسة وعلوم طبيعية وأدبية وهكذا ٠

وقام بعدة رحلات الى أرض مصر وزار معابدها وتتلمذ على يدى كهنتها وتأثر بالعقيدة المصرية واعتنقها ونادى بعبادة زيوس أمون (أمون رع) واتباع تعاليمه ٠ ولما كان الملك فيليب المقدونى قد عهد الى الفيلسوف أرسطو تعليم الاسكندر وتربيته فقد تأثر الأسكندر بما كان يسمعه عن مصر أرض الآلهة من معلمه لذا فقد وضع فى برنامج فتوحاته المشهورة زيارة مصر وتقديم الولاء الى والده الروحى الآله آمون فى معبده المشهور بسيوه ٠ ٠وهى ٠

١٦ ـ اويكليد ٣٣٥ ـ ٢٧٥ ق٠م : Euklid

عاش فى مصر فى عهد بطليموس الأول ودرس علم الفلك والرياضيات فى جامعة الأسكندرية التى قضى بها ما يقرب من السبع سنوات وأكد معاصروه أن النظريات التى نادى بها عند عودته الى اثينا وضمنها فى كتابه **Stolchera** والتى تعتبر الى الآن أساس علم الحساب قد نقل معظمها عما وضعه الفراعنة ولكنه قـــام بتنقيحها وتطويرها ووضعها فى القالب الجديد وقد استمر العمـــل فى أوروبا بنظرياته حتى نهاية القرن التاسع عشر ٠

وكغيره من علماء الاغريق الذين تخرجوا فى جامعات مصر فقد تخصص بجانب الرياضيات والحساب فى الفلسفة والفلك ٠

● هؤلاء هم الخالدون ٠٠ وهذا هو دور كل منهم فى بناء حضارة الغرب التى

اعترف بها العلماء والكتاب فى العصر الحديث ٠٠ ومما يلفت النظر عند دراسة تاريخ حياة كل منهم أن معظمهم ذهب الى مصر ليدرس ناحية معينة من نواحى المعرفة سواء فى الفلك أو الرياضيات أو الطب أو العقيدة وعاد الى بلاده بعلمه الغزير الذى خلد به نفسه وبلاده بتخصص آخر مخالف تماما لما حضر لدراسته بعد اتصاله بمعاهد مصر ومعابدها واقتناعه بسطحية ما جاء به من معرفة من بلاده ٠

بجانب هذه المجموعة من الذين كان لمصر الفضل فى خلود أعمالهم ، قدمت جامعة الاسكندرية مجموعة ضخمة من العلماء الذين كان لهم دور فعال فى الحضارة الاغريقية واستمرارها فى حضارات العصر الحديث فمن بينهم عالم الفلك المشهور هيبارخ وعالم الرياضة والطبيعيات أرشميدس وغيرهم مما لا يدخل تحت حصر ٠

فجامعة الاسكندرية المشهورة التى انشئت فى عهد بطليموس فيلادلفوس عام ٢٩٦ ق٠م لتكون همزة الوصل بين مكتبات المعابد الفرعونية وخزائن أسرارها وعلمائها وانفتاح علوم المصريين على العالم الخارجى ٠

كانت مكتبة الجامعة تحوى أكثر من نصف مليون لفافة وبردية وموسوعة فى مختلف العلوم والفنون والآداب والعقيدة وقد تخرج فيها عدد كبير من علماء الاغريق الى بلادهم ٠كما أسهمت جامعة الاسكندرية فى قيام كل من جامعات الاغريق والرومان وتزويدها بالمخطوطات والمؤلفات والعلماء ٠

وقد احترقت مكتبة الاسكندرية عام ٤٧ ق٠م فى الحرب بين يوليوس قيصر وبومبيوس فى حريق الأسطول فى ميناء الاسكندرية الذى كانت المكتبة تطل عليه ٠ ومن بين المخطوطات التى كانت تحتفظ بها مكتبة الاسكندرية والتى يعتبر المؤرخون اختفاءها أكبر خسارة فى أسرار علوم المعرفة وتاريخ الحضارة موسوعة تحوتى (التى يطلق عليها الاغريق موسوعة مرمس) وكانت سجلا ضخما يتكون من ٤٢ جزءا تحوى أسرار جميع العلوم والمعرفة فى مختلف نواحى الحياة وعلوم ما وراء الطبيعة وأسرار الوجود ٠ باختفائها اختفت أسرار ما وصلت اليه من قمة فى المعرفة ٠

كان كل جزء من أجزائها الاثنين والأربعين موسوعة كاملة سواء فى الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو علوم ما وراء الطبيعة أو الفلك والطبيعيات بجانب جميع فنون الحياة من موسيقى ورقص وعادات وتقاليد وتحتفظ متاحف العالم ومعاهد آثاره بعدد لا يزيد على أصابع اليد من برديات أجزاء تلك الموسوعة التى حيرت علماء العصر الحديث بما وصلت اليه من مستوى علمى خلاق ٠

والخسارة الثانية كانت موسوعة أخرى لا تقل أهمية عن موسوعة « تحوتى » وهى وثائق تاريخ مصر – من الخلقية الى نهاية عهد الأسرات التى وضعها الكاهن والمؤرخ المصرى مانيتون · وقد كشف ما أمكن جمعه من بقاياها عن طريق أفريكانوس وسنشللوس ومقارنتها بما سجله بقية مؤرخى تاريخ مصر من الاغريق والأجانب فداحة الأخطاء التى ترددوا فيها سواء من ناحية تحديد التاريخ الزمنى أو السياسى أو تتابع الاسرات ·

● متى وكيف انتقلت الحضارة المصرية خارج حدود مصر ؟

١ – **التجارة :** بدأت أول مراحل خروج الحضارة المصرية من مصر الى البلادالأجنبية بوصول السفن المصرية والقوافل التجارية التى وصلت الى بلاد النوبة والسودان عبر النيل وشواطىء شرق أفريقيا والصومال حيث استورد المصريون ابتداء من عصور ما قبل الاسرات ،الكثير من النباتات والأخشاب الاستوائية لصناعات البناء والأثاث وأخشـــاب الأرز من شواطىء البحر الأبيض لصناعة الســـفن وأخشاب العطور من فلسطين وافريقيا بصفة خاصة خلال حكم الدولة الوسطى وقد ترك المصريون فى البلاد التى وصلوا اليها الكثير من ملامح حضاراتهم ·

٢ – **الغـــزو :** كانت مصر مطمع الغزاة من جميع أنحاء العالم وكان الغزو بالنسبة لمصر يعنى تسرب حضارة الغزاة وتأثرت بحضارة مصر وليس العكس · نقلوا الكثير من نواحى العلوم والمعرفة بدلا من أن ينقلوا اليها معالم حضارتهم ·

٣ – **الفتوحات :** كان للفتوحات المصرية أكبر الأثر فى نشر حضـــارة الفراعنة الى مختلف انحاء العالم حيث امتدت حدود مصر فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة – عصر الامبراطورية – فوصلت الى نهر الفرات شرقا الذى وصـــفه تحتمس الثالث بالنيل المقلوب أى الذى تجرى مياهه من الشمال الى الجنوب كما وصلت جنود مصر شمالا الى روسيا على شواطىء البحر الأسود وعبرت البحر الأبيض لتصل الى شواطىء فينيقيا وجزر كريت ورودس ، جنوب شواطىء أوربا ·

٤ – **البعثات العلمية :** التى أرسلها امنحتب الثالث ١٣٩٠ ق·م لتعبر أساطيله البحرية المحيط شرقا وتصل الى أمريكا حيث ظهرت فى ذلك التاريخ حضارة المايا بجميع علومها وفنونها وعقائدها وتقاليدها المصرية وتصل بعض سفن البعثة الأخرى التى اتجهت غربا لتعبر المحيط الهندى وتصل الى شواطىء اســـتراليا وتترك لشعوبها بعض العادات والتقاليد والفنون المصرية القديمة ·

وفى عام ٥٩٠ ق·م أرسل نخاو الثانى بعثات مماثلة طافت حول الشواطىء الافريقية لتصل بدورها الى المحيط الاطلسى وتعبر المحيط مرة أخرى وتصـــل الى المكسيك وتنشر الحضارة المصرية بجميع ملامحها بين شعب الاوزتيك أو حضـــارة الاوزتيك القديمة ·

العمارة المصرية القديمة ــ ١/١
Old Egyptian ARCHITECTURE

من ٥٠٠٠ ق·م الى القرن الأول ب·م

● قد يظن البعض ان ارجاع الكثير من أصول الفنون من حيث تاريخ العمارة الى مصر الفرعونية هو نوع من التحيز ، أو أن حبنا لبلادنا كمصريين يدفعنا دائما الى الكلام عن آثارها وارجاع كل ما هو حديث الى الأصل الفرعونى القديم · ولكن اذا ما علمنا أن الأعمال العلمية دائما تعتمد على دراسة القــديم والتطورات التى نشأت عنه ومرت به وحولته الى الوضع الحالى ، ثم دراسة ما يجب عمله فى المستقبل بناء على ما تم من هذه الدراسة واحتياجات المجتمع الذى نعيش فيه ، واذا ما علمنا أيضا أنه يتحتم على طالب العمارة وعلى الفرد الذى سيتعمق فى دراسة العمارة أن يتفهم هذا التاريخ ، من ثم فقد يتضح أننا لسنا بمغرضين · فتاريخ العمارة المصرية القديمة والحضارة المصرية يتحتم على طالب العمارة والمهندس المعمــارى أن يفهمه ويحافظ عليه لأنه هدية الماضى الى الحاضر ، فلا يزال هذا التاريخ يعيش على هذه الأرض الطيبة التى انبعثت منها تلك الحضارات القديمة ، ويكفى أن نعلم أن كثيرا من المظاهر التى نعيش فيها الآن مأخوذ الكثير منها من مصر الفرعونية وبقى كما كان من آلاف السنين ، أو مع بعض التحوير البسيط الذى اقتضــته ظروف التطــور والارتقاء ، وهو سنة الحياة ·

● اذن الهدف من دراسة تاريخ العمارة هو تحليل وتوضيح المعالم المميزة للعمارة Architectural Characteristics فى كل قطر من أقطار العالم ومقارنة المبانى فى كل عصر من العصور ، وشرح العوامل التى كان لها التأثير الفعلى على تكوينها ، وأهمها العوامل الست الرئيسية الآتية وهى :

١ ـ العوامل الجغرافية Geographical
٢ ـ العوامل الجيولوجية Geological
٣ ـ العوامل الجــوية Climatic
٤ ـ العوامل الدينية Religious
٥ ـ العوامل الاجتماعية Social
٦ ـ العوامل التاريخية Historical

هذه العوامل الست فى مجموعها هى التى شكلت العمــارة المصرية الفرعونية

ـ العوامل الثلاثة الأولى عوامل طبيعية ، أى طبيعة المنطقة أو الاقليم ـ والعاملين الرابع والخامس كل منهما عامل مـدنى Civil ، والعامل الســادس هو عامل تاريخى • وسيتم توضيح بعض الأمثلة فى كل عصر وفى كل حقبة من الزمن للأبنية المختلفة من حيث العناصر المعمارية الآتية :

١ ـ المساقط الأفقية ... ... Plane
٢ ـ الحوائط ... ... Walls
٣ ـ الفتحات ... ... Openings
٤ ـ الأسقف ... ... Roofs
٥ ـ الأعمدة ... ... Columns
٦ ـ الكرانيش ... ... Mouldings
٧ ـ الزخارف ... ...Ornments
٨ ـ الترتيب العام للمبنى ... ... Composition
٩ ـ الانشــاء ... ... Construction
١٠ ـ خصائصها وأشكالها • ... ... Function
١١ ـ كيفية معالجتها وتطورها ... ... Treatment
١٢ ـ أماكنها ووظيفتها .. .. Position

هذا التحليل للأوجه المختلفة مع الوصول الى تحليل العناصر الأساسية المعمارية للأبنية على مر العصور ، سيساعد طالب العمارة والباحث ودارس التاريخ أن يتصور بوضوح العوامل الأساسية التى أثرت على الطرز المختلفة للعمارة وأدخلت على كل طراز من الطرز المعمارية المختلفة •

العمارة المصرية القديمة ١/١ Old Egyptian Architecture

١ ـ الناحية الجيولوجية :

مصر ، أرض الفراعنة والأسم القديم Kemi أو الأرض السوداء • تتكون من شريط طويل أخضر ممتد على جانبى النيل يحدهما صحراء قاحلة رملية ، وهى القطر الوحيد منذ القدم عن طريق البحر الأحمر الذى يتحكم فى التجارة الأجنبية عن طريق مداخل ومخارج البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط • ومن هنا تظهر أهمية النيل ـ اقامة المدن للأحياء والأموات ، لأنه العصب الرئيسى فى حياة البلاد •

٢ ـ الناحية الجيولوجية :

المواد الطبيعية مثل الخشب ، الطين ، الطوب ، الحجر ، وهى التى تحدد معالم العمارة فى هذا القطر ، وأهمها الحجر بأنواعه المختلفة وهى الحجر الجيرى والرملى، والألبستر والجرانيت والبازلت · ليس فى المبانى فقط بل وفى أدوات الزينة والزخارف والأدوات المنزلية ·

المحاجر المصرية فى جبل المقطم فى الشمال Limestone ، والحجر الرملى فى الوسط والجرانيت فى أسوان وهو أهمها · قطع أحجار الجرانيت بواسطة القطع الخشبية فى الماء · أخيرا الطوب الأحمر المحروق فى المساكن · والطوب الأخضر النىء فى المساكن والأسوار ، الخشب نادر الوجود ـ أكاسيا فى المراكب ، سيكامور للتوابيت ، وجزوع النخيل للسقف فى بعض الحالات ·

٣ ـ الناحية المناخية :

فصلين فقط طول العام ـ الربيع ، والصيف · الثلج والمطر نادر جدا ، وعلى ذلك كانت المبانى بسيطة سهلة ـ غير معقدة كما كان الحال فى البلاد الأخرى ·

٤ ـ الناحية الدينية :

العلاقة بين الدين والعمارة ، المقابر والمعابد · والناحية الدينية عبادة الآلهة ـ كالشمس والقمر والنجوم وبعض الحيوانات · والآلهة من الناس ، الشمس وأوزوريس ـ الآلهة والملوك ، لم يكن هناك حد فاصل بين الملوك والآلهة ، ملوك على الناس وممثلون للآلهة (رهبان) وأهم هذه الآلهة ما يأتى :

كون « اله القمر » بينما كان بتاح Mout زوجته أم الكائنات Khone آمون اله الشمس ، موت Ptah الخالق « Creator » و Sekht اله النار وأمحتب اله الطب ـ أوزوريس اله الموت وازيس زوجته · هورس اله الشمس· هاتور الهة الحب Set اله الشر Serapis العجل ابيس وغيرهم ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠ اله ·

وانعكست قوة هؤلاء الآلهة ، وظهرت معالم هذه القوة واضحة معبرة عن مكانهم ومكانتهم فى المعابد التى أقيمت لهم ، تلك المعابد التى شيدت لاستعمال الملوك ، والكهنة لخدمة الآلهة · وكانت أهم ظاهرة فى معتقداتهم وعقائدهم هى عودة الروح ،والاعتقاد

فى الحياة بعد الوفاة ولذلك أقيمت الأهرامات الخالدة مثلا وتعبيرا للخلود ، أى خلود الأمـــوات ٠

ويقول المؤرخ هيرودوتس ، ان المنازل كانت للحياة المؤقتة ، أما المعابد والمقابر فكانت للحياة الدائمة أو للخلود ٠

٥ ـ الناحية الاجتماعية :

الحضارة المصرية القديمة هى أقدم الحضارات فى العالم منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، كما نص على ذلك المؤرخون الاغريق والرومان ، وما كتب على أوراق البردى ، ولم يثبت للآن وجود حضارة قبل ذلك ٠

نشأت الحضـــارة المصرية القديمة على أكتاف العمـــال والرقيق ، الذين كانت الحكومات المختلفة تستخدمهم فى اقامة المعابد فى وقت فيضان النيل الذى يجعـــل الزراعة متعذرة ، وكان الفراعنة يســتخدمون أسرى الحروب فى اقامة المنشـــئات الضخمة ، رمسيس الثانى ٠ واستخدامه لأسرى الحروب فى الحفر على حوائط المقابر وتصوير المصريين فى الحروب وفى اللعب وفى أعمال النسيج والصناعات اليدوية ولذلك تقدمت الصـناعات اليدوية كالنسيج والحفر وصـــناعة العاج والسن ونفخ الزجاج والأوانى الخزفية والآلات الموسيقية والحلى وأدوات الزينة والأشغال المعدنية والأثاث ٠وتنص أوراق البردى على أن الكهنة من المصريين القدماء كانوا يواصلون تحصيل العلم والفلك والرياضيات والفلسفة والأدب وازدهرت هذه العلوم فى أيام رمسيس الثالث ، ونقش ذلك كله على حوائط معابد أبيدوس وصقارة والكرنك ٠

٦ ـ الناحية التاريخية :

ينقسم قدماء المصريين أو الفراعنة الى ثلاثين أسرة :

١ ـ المملكة القديمة ٤٤٠٠ ـ ٢٤٦٦ قبل الميلاد ـ مينا أول ملك ٠
مملكة ممفيس من الأسرة الأولى الى الأسرة ١١ ٠
٢ ـ المملكة الوسطى ٢٤٦٦ ـ ١٦٠٠ قبل الميلاد من الأسرة ١٢ ـ ١٨ ٠
٣ ـ المملكة الحديثة ١٦٠٠ ـ ٣٣٢ قبل الميلاد ٠
٤ ـ عصر البطالسة ٣٣٢ ـ ٣٠ قبل الميلاد ٠
٥ ـ العصر الرومانى ٣٠ قبل الميلاد ـ ٣٩٥ بعد الميلاد ٠
٦ ـ العصر الحديث ٣٩٥ ـ الى الآن ٠

١ ـ المملكة القديمة : ٤٤٠٠ ـ ٢٤٦٦ ق٠م AGNENT KINGDOM

مينا كان أول ملك أسس عاصمة ملكه فى ممفيس فى الوجه القبلى واسـتمرت العاصمة حتى جاءت الأمبراطورية الجديدة التى حددت أن تكون طيبة هى العاصمة ٠ وازدهرت العمارة فى أيام الأسرة الثالثة ، وبنيت المساكن بالطوب وكذلك المصاطب ، وظهرت الكتابة باللغة الهيروغلوفية ٠ ومن المصاطب المسطحة الى الأهرامات المدببة لحماية جثث الأموات من العـوامل الجوية ، واشـتهرت الأسرة الرابعة بالأهرامات المتعددة ، الأول بواسطة سنفرو أهرام دهشور والثانى Chiops خوفو ، فقد بنى هرم الجيزة الأكبر ، وسفنكس بينما سـفرن (خفرع) بنى الهرم الثـانى بالجيزة وماكرينوس (منقرع) الهرم الثالث بالجيزة Mecerinos وتشتهر الأسرة الخامسة بهرم انفس فى سقارة والأسرة السادسة بيبى الأول pepi **فى سقارة** ٠ وانتعشت التجارة والصناعات اليدوية والرحلات الى بلاد بونت فى الحبشة ، واهتموا اهتماما بالغا فى تحنيط الجثث ، يرجى أن تنظر الصور والرسومات أشكال من ٥٩ الى ٧٠ ٠

٢ ـ المملكة الوسطى : ٢٤٦٦ ـ ١٦٠٠ ق٠م MIDDLE KINGDOM

أمنحتب الأول من الأسرة ١٢ كان نشـطا وعلى جانب كبير من العلم ، وضع الأسس للحياة الاجتماعية وحدد معالم المملكة بالحدود بين المحافظات وطرق الرى المختلفة ، ونظم عملية القطع من المحاجر وخاصة فى طرة ، وجدد المقابر والمعـابد وأنشأ معبد الكرنك ٠ وبعد ذلك أمنمحات أو أمنمحتب الثالث ـ أنعش الفن والصناعة عمل على رى منطقة الفيوم وأنشأ قصر لابيرانت ٠وتلى بعد ذلك أسر غير معروفة ، ثم دخلت بعض القبائل من سوريا وأخرى من الصـحراء الشرقية وعبرت الدلتا ، وسمى قوادهم بالهكسوس أو (رعاة الملوك) وتعلموا لغة البلاد واعتنقوا دياناتهم وظلت البلاد تحت حكمهم فى قلق شـديد الى أن طردوا من هـذه الديار فى أوائل الأسرة ١٨ ٠

٣ ـ الأمبراطورية الجديدة : ١٦٠٠ ـ ٣٣٢ ق٠م NEW KINGDOM

كانت هذه الأمبراطورية الجديدة فاتحة عصر جديد للنهضة ، سواء فى فنون السلم أو الحرب حيث هزم رمسيس الأول الهكسوس فى الدلتا وطردهم وتعقبهم حتى فلسطين ، وأصبحت طيبة عاصمة البلاد وأنشأ عـدة مبان ٠ وتلاه تحوتمس الأول ١٥٥٠ ق٠م ، حيث أضاف عدة أبنية لمعبد آمون بالكرنك وكانت البلاد فى هذه الفترة

وما بعدها تمتلك جيشا قويا • وجاءت بعده الملكة حتشبسوت حيث ثبتت دعائم الدين والحقوق الدينية ، ومن أروع آثارها معبد الدير البحرى المنحوت فى الجبل • وظهرت فيه الرسوم والنقوش الملونة بأجلى روعة والتى تتلألأ هذه الأنواع ببريق فى منتهى الدقة والجمال • وتلاها تحتمس الثالث والخامس ، وأمونفيس الثالث الذى أنشأ معبد الأقصر وتمثالى ممنون • وتلاه بعد ذلك توت عنخ آمون الذى اكتشــــفت مقبرته عام ١٩٢٢ والتى تعتبر آثاره ومخلفاته من أروع الآثار المصرية •

ثم أنشأ رمسيس الأول ، مؤسس الأسرة ١٩ ـ ١٣٥٠ ق•م الصالة الكبرى فى معبد الكرنك ، والذى يعتبر عصره من أروع العصور فهما للفن • وتلاه سيتى الأول الذى كان شغوفا بالحروب من جهة والفنون من جهة أخرى ، ونهج منهج أبيه رمسيس الأول وأكمل أعماله فى معبد الكرنك ومعبده المشهور فى أبيدوس ، ثم رمسيس الثانى أو كما كان يسمى رمسيس العظيم • ومن أعماله الخالدة معبد أبو سنبل المنحوت فى الجبل والصالة الكبرى فى معبد الكرنك والرامسيوم فى طيبة ،ولكن وجدنا أن الحرف اليدوية بدأت تتلاشى فى ذلك العهد • ثم تلاه بعد ذلك رمسيس الثالث ١٢٠٠ ق•م كان ملكا متدينا ، رقيق العواطف ،وهب أملاك الدولة للكهنة للصرف منها على المعابد والمقابر • وحمل بعد ذلك اسم رمسيس تسع ملوك ، كان اهتمامهم بمعابد الآلهة قدر اهتمامهم بمقابر الملوك ، وكان ذلك حتى نهاية الأسرة العشرين •

وحتى نهاية الأسرة السادسة والعشرين ، ازدهرت مصر بتقدمها فى فنون النحت والتصوير وانتشرت التجارة حينئذ هاجر الاغريق الى البلاد بأفكار جديدة وغزاها الأشوريون بعد ذلك وامتدت التجارة عبر البحر الأبيض المتوسط ، وحدث تطور فى الفنون والصناعات اليدوية والأعمال المعدنية والبرونزية والخزف ، وتمت محاولة فتح قناة من البحر الأحمر الى النيل ٥٢١ ـ ٤٨٦ ق•م وأصبحت مصر منذ ٥٢٥ ق•م تحت حكم الفرس لمدة ١٠٠ عام حيث قهرها قمبيز •

٤ ـ عصر البطالسة : ٣٣٢ ـ ٣٠ ق•م POTOLOMY PERIOD

أنقذ مصر الاسكندر الأكبر من حكم الطغاة ، وتوجته الكهنة وأطلقوا عليه اسم (ابن آمون) أنشأ الأسكندرية كعاصمة ملكه وأصبحت مركزا للثقافة الاغريقية ، وبعد وفاته جاء الى الحكم قائده بطليموس ، وازدهر الجزء الجنوبى من وادى النيل لمـــدة ثلاثة قرون ، وتغلغلت العادات الأغريقية فى البـلاد وطبقت أســـاليب الحكم فيها ، وتوقفت عبادة الآلهة ، واهتم البطالسة بانشاء المعابد للرعية فى نبروه ، اسنا ، ادفو ، فيلا ، وشجعوا الفن الشعبى الأصيل النابع من البيئة وتزوجوا من المصريات وخاصة

أيام حكم بطليموس الثانى والخامس ، وسجلت معالم هذه النهضة وطريقة الحكم على أثر تاريخى هام وهو حجر رشيد باللغة الهيروغلوفية والأغريقية · اكتشف عام ١٨٩٨ بعد الميلاد ، والحجر الآن فى المتحف البريطانى ـ واستمر الكفاح مع روما الى أن ماتت كليوباترة فأصبحت مصر تابعة للحكم الرومانى ·

٥ ـ عصر الرومان : ٦٠ ق·م ـ ٣٠٥ ب·م ROMAN PERIOD

أول من حكم مصر يوليوس قيصر ، ثم تلاه بعد ذلك الأباطرة والرومان وازدهرت مصر وعم الرخاء فيها ، وتغلغل الحكم الرومانى بأساليبه حتى تحكم فى الدين وخاصة أيام حكم قسطنطين · وفى عام ٣٢٤ ب·م أعلن الدين المســـيحى دينا للامبراطورية وتحولت المعابد الى كنائس بالاضافة الى انشاء الجديد ، ومن هنا نشأ الخلط العجيب فى العمارة بين القديم والحديث وطرأ تحول خطير فى العمارة المصرية القديمة وعلى الروح الفنية المعبرة الأصيلة فى العمارة والطراز المعمارى المصرى القديم ، وسيأتى شرح ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى من تاريخ العمارة فى العصور المتوسطة ·

٦ ـ العصور الأخيرة : ٣٩٥ ـ ١٩٢٣ RECENT PERIODS

كان العصر البيزنطى هو أول هذه المرحلة ٣٩٥ م ــ ٦٤٠ م ، وكان للتغيرات والتقلبات على الأمبراطورية تأثير كبير على طريقة الحكم وعلى الفنون المختلفة وخاصة أيام حكم الأباطرة الرومان من الشرق (القسطنطية) حيث أقيمت الكنائس المسيحية على الطراز البيزنطى ، وهنا مرة أخرى نرى الخلط العجيب فى العمارة بين الشرق والغرب بين القديم والحديث ·

وأثناء حكم العرب لمصر ٦٤٠ ـ ١٥١٧ م ، تأثرت مصر بعادات وتقاليد العرب من الناحية الاجتماعية والدينية ، وخاصة أيام الحكم العثمانى ١٥١٧ · وبعد ذلك استمرت مصر تحت الحكم الفرنسى حتى عام ١٨٨١ ، ثم تحت الحماية البريطانية سنة ١٩١٤ ، وحصلت مصر علىاستقلالها عام ١٩٢٣ ·

هذه هى العصور المختلفة التى مرت بها مصر منذ أكثر من ٥٠٠٠ عام · ونظرا للأهمية التاريخية للعصر الفرعونى ، فقد رأينا أنه قد يكون من المفيد شرح هذه العصور الثلاثة الأولى بشىء من التفصيل ، حتى يتمكن طلاب البحث فى تاريخ العمارة فى هذه العصور القديمة من الوقوف على معرفة هذه الحضارات المختلفة ·

● العصر العتيق ـ عصر التأسيس والبناء ٣٢٠٠ ـ ٢٩٩٠ ق٠م

وفق « مينا » حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م الى تحقيق الوحدة السياسية للبلاد ٠ واستطاع أن يكون لمصر حكومة مركزية ثابتة ، وأن يؤسس أول الأسر الحاكمة فى تاريخ مصر الفرعونية ، فبدأت منذ ذلك التاريخ أصول الحضارة المصرية فى التبلور ، لتتجلى فى دورها الأول الذى يطلق عليه المؤرخون اسم العصر العتيق أو العصر الطينى (١) ، وهو عصر التأسيس والبناء الذى شمل الأسرتين الأولى والثانية الفرعونيتين ٠

وقد بدأ « مينا » أعماله العظيمة باقامة قلعة عرفت باسم « الجدار الأبيض » عند رأس الدلتا مكان قرية « ميت رهينة » بمركز البدرشين بمحافظة الجيزة ، كانت نواة لتلك المدينة الكبيرة أصبحت عاصمة لمصر طوال أيام الدولة القديمة ، والتى عرفت فيما بعد باسم « من نفر » وأسماها اليونان « ممفيس » وحرفها العرب الى « منف » ٠

وقد عمل خلفاء « مينا » على تقوية البلاد وتثبيت اتحادها وتوطيد الأمن بها وتوسيع رقعتها ٠ حقيقة قد قامت بعض الفتن السياسية فى البلاد ، وبخاصة فى عهد الأسرة الثانية مما اضطر بعض ملوك تلك الأسرة الى استخدام القوة للقضاء عليها ، ولكن الملك « خع سخموى » آخر ملوك تلك الأسرة قد نجح فى اطفاء نار الحرب بين الشمال والجنوب ، واعادة نعمة الوحدة والسلام الى البلاد ٠ كذلك يبدو أن ازدياد قوة البلاد نتيجة لاتحادها كان له أثره الكبير فى البطش بتلك القبائل البدوية ، حتى كانت تغير على البلاد من الغرب أو الجنوب أو الشرق طمعا فى خيراتها ، فشن المصريون الغزوات على القبائل الليبية ، وهاجموا النوبيين فى ديارهم وأدبوا بدو الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء ٠

وقد جرت الأمور فى شطرى البلاد على منهاجها القديم ، فكانت هناك ادارة للجنوب وأخرى للشمال ، ووزير للجنوب وثان للشمال ، ويعلو الجميع سلطان واحد هو سلطان فرعون الكبير ، رب الوحدة وراعيها ، حاكم القطرين وصاحب التاجين الذى يدير الأمور من قصره الكبير بما فيه خير الجميع ، وبما يحقق الصالح العام ٠

وقد خطت مصر فى ذلك العصر البعيد خطوة كبرى فى سبيل تقدم البشرية ، حين

---

(١) نسبة الى مدينة « طينة » بالقرب من مدينة جرجا الحالية التى ينتسب اليها « مينا » حسب ما أورده مانتون السمنودى ٠

توصل المصريون الى ابتداع الكتابة المصرية القديمة ، التى أسماها الأغريق فيما بعد « بالهيروغليفية » والتى تدل على مدى تقدم المصريين العقلى ورقيهم الفنى حينذاك ٠ وقد خطا الفن أيام هاتين الأسرتين خطوات واسعة موفقة ، وتحددت القواعد الأولى للاسلوب المصرى فى النحت والنقش والتصوير ، كما تدل مقابر الملوك ومصاطب الأشراف على تطور فن الهندسة المعمارية وتقدمه ، وبخاصة بعد أن استخدم المصريون الحجر بجانب اللبن فى البناء ٠ كذلك بلغت الصناعة درجة كبيرة من الرقى والأتقان٠

وقد كشفت الحفائر عن مخلفات وآثار متعددة ترجع الى ذلك العصر فى الكاب والعرابة المدفونة فى أبيدوس وسقارة ٠ وتجمع صفات مشتركة بين هذه الآثار مما يدل على أن حضارة مصر فى ذلك الحين كانت حضارة موحدة ذات طابع خاص أظلت كافة أنحاء البلاد ٠ وهكذا ، ما يكاد هذا العصر ينتهى حتى تتجلى مصر كدولة متحدة قوية ، غنية ، متحضرة ، مما مهد لها أستقبال عصر مجيد فى تاريخها هو عصر الدولة القديمة ٠

● عصر الدولة القديمة ـ عصر الاستقرار : ٢٩٩٠ ـ ٢٣٠٠ ق٠م

انعقد لواء الحكم لملوك الدولة القديمة من بناة الأهرامات عام ٢٩٩٠ ق٠م بعد أن انتقل عرش البلاد الى منف على يد الفرعون « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة وصاحب أكبر بناء حجرى ضخم عرفه التاريخ ، وأقدم هرم معروف ، وهو الهرم المدرج بصقارة ، يرجى أن تنظر الصور والرسومات أشكال من ٥٩ الى ٦٤ ٠

وقد ظلت البلاد قوية متحدة متماسكة طوال أيام الأسرتين الثالثة والرابعة وجانبا كبيرا من أيام الأسرة الخامسة ، تلك الأسرة التى أقامها كهنة اله الشمس « رع » بعد أن اعتلى كبيرهم « أو سر كاف » عرش البلاد وكانت مصر بأجمعها ملكا لفرعون ، يحكمها من قصره حكما مطلقا مقدسا ، يساعده فى ذلك من يختارهم من الوزراء والموظفين وحكام الأقاليم ، الذين يلتفون حوله فى حياته وبعد مماته (١) ، ويخضعون له خضوعا تاما ٠ ولكن الخلافات السياسية والدينية أخذت فى اضعاف سلطان القصر ونفوذه ، واضطر ملوك الأسرة الخامسة الى استمالة الأنصار والأعوان من كبار الموظفين ورجال الدين باغراق الهبات والامتيازات عليهم ، كما ظهرت أسر كبيرة أخذت تتوارث مناصب الوزارة والوظائف الكبرى بعد أن كانت تلك المناصب يسندها فرعون الى آل بيته أو لمن يصلح لها ٠ وفى عهد الأسرة السادسة تضاءلت هيبة الفراعنة ٠ فحيكت الدسائس لها والمؤامرات ضدهم ٠ وقد ذكر « مانثون » أن

(١) كانت قبورهم تقام حول الهرم ٠

« تتى » مؤسس الأسرة السادسة قد قتل بيد حراسه ، كما حدثنا أحد كبار الموظفين من عهد بيبى الأول عن مؤامرة دبرتها احدى زوجات فرعون لاغتياله · فاذا اضفنا الى ذلككله ازدياد شوكة حكام الأقاليم وبخاصة فى النصف الأخير من عهد الأسرة السادسة ، وسعيهم الى الانفصال عن نفوذ فرعون ، والاقلال من الصلات التى تربطهم به ، والاستقلال بحكم أقاليمهم فقد كانت النتيجة الحتمية هى انهيار السلطة المركزية ، وانقسام البلاد الى أقاليم منفصلة ومستقلة تماما عن سلطة ونفوذ حكومة « منف » وانتشار الفوضى والتفكك والانحلال ، وقد تم ذلك فى عهد الملك « بيبى الثانى » الذى حكم قرابة قرن من الزمان · وكان لطول حكمه أثر كبير فى اضعاف الملكية وسقوط الأسرة السادسة وانتهاء أيام الدولة القديمة الزاهرة ·

وقد تميز عهد الدولة القديمة بالتقدم الكبير فى عمارة البناء والعلوم الهندسية ، وأن أهرامات « خوفو » و « خفرع » و « منقرع » من ملوك الأسرة الرابعة ، وهرم « أوناس » من عهد الأسرة الخامسة لأكبر شاهد على هذا التقدم الهائل ، وأقوى دليل على ما كان يسود البلاد وقتئذ من حسن النظام والتنظيم ، وعلى وفرة مواد الثروة وقدرة المصريين المعمارية · وقد تبارى ملوك الدولة القديمة فى بناء تلك القبور الهرمية الشكل التى تنتشر فى الصحراء غربى النيل ما بين الجيزة والفيوم ، حتى أطلق على أيامهم (عصر بناة الأهرام) · وتتجلى عظمة العمارة أيام الدولة القديمة ، كذلك فى مخلفاتها من معابد وقبور ومصاطب الخاصة التى تنتشر بجوار الأهرامات ، يرجى أن تنظر الرسومات والصور أشكال من ٥٩ الى ٧٠ ·

وتشير تماثيل الدولة القديمة مثل تمثال الملك خفرع ، وتمثال الكاتب الجالس القرفصاء وتمثال شيخ البلد ، وكذلك النقوش والصور التى تحلى جدران القبور فى جبانات الدولة القديمة ، وبخاصة فى سقارة والجيزة وميدوم الى مهارة وقدرة فنية عالية يصعب علينا أن نجد لها نظيرا فى العصور الفرعونية التالية · وقـــد تقدمت الصناعة فى ذلك العصر تقدما كبيرا ، ومن أبدع ما عثر عليه من آثار ما وجد فى قبر الملكة « حتب حرس » زوجة الفرعون « سنفرو » ، وأم « خوفو » ، التى تشهد للصانع المصرى بجودة الصنعة وحسن الاخراج ·

كذلك نهضت العلوم الرياضية والفلك والطب وغير ذلك من ألوان العلوم والمعارف نهضة كبيرة ، كما بلغت اداب المصريين الاجتماعية ومثلهم الروحيـــــة ، وتعاليمهم الروحية والتربوية والخلقية درجة كبيرة من الرفعة والسمو كما سيأتى شرحه تفصيلا فيما بعد ، وبذلك ينتهى عهد الأسرة السادسة ·

● الانحلال السياسى والتفكك الاجتماعى :

وبانتهاء الأسرة السادسة حوالى ٢٣٠٠ ق٠م انفلت زمام الحكم من يد فرعون ، وساد الانحلال السياسى والتفكك الاجتماعى ، ورجعت البلاد الى ما كانت عليه قبل عهد الوحدة من انقسام وتفرق ، وشنت نيران الحروب الأهلية ٠ ومعلوماتنا عن هذا العصر المضطرب الذى اصطلح المؤرخون على تسميته بالعصر الوسيط الأول أو عصر الاقطاع قليلة محدودة ٠ فالمصادر التاريخية لم تتحدث عنه الا قليلا ، كما لم نعثر من آثاره الا على القليل ، الذى يفتقر معظمه الى الأهمية التاريخية ٠

ولعل أشد أيام ذلك العصر اضــطرابا هو عصر الأسرتين الســابعة والثامنة المنفيتين (١) اللتين ساد خلال عهدهما الفقر والبؤس ، وحل القحط وتتابعت الفتن ، وانتشرت الفوضى ، واختل الأمن ، وتلاشت السلطة المركزية ، واختفى سلطان العرش ، وكفر بالمعاقد والمثل العليا ٠ فنهبت الدور وحطمت الآثار ، كما أغار بدو الصحراء على الدلتا ، وغاثوا فيها فسادا ٠ وليس أدل على الفوضى التى سادت فى ذلك العهد مما ذكره « مانتون » من أن الأسرة السابعة المنفية قد ضمت سبعين ملكا لم يحكموا غير سبعين يوما حقيقه يبدو عنصر المبالغة واضحا جليا فى هذا القول ولكنه فى نفس الوقت يصور لنا مدى الفوضى والتفكك وروح التشاحن التى كانت تسود حينذاك ٠ كذلك تعطينا الصورة القائمة التى رسمها « ايبو ـ ور » أحد أدباء ذلك العهد لما لحق البلاد وقتئذ من شر وبلاء ، وما حاق بها من بؤس وويلات ، وترسم لنا بوضوح فكرة عامة عن حالة البلاد التعسة المحزنة خلال تلك الفترة من تاريخها ٠

● زعــامة أمير :

وفى خلال تلك الفوضى ، ظهرت « باهناسية المدينة » عند مدخل منخفض الفيوم أسرة قوية بزعامة أمير يدعى « خيتى » ، اغتصب العرش من الأسرة الثامنة المنفية الضعيفة ، التى بقيت تدعى لنفسها حق الملك مدة طويلة ٠ ولم يترك هؤلاء الاهناسيون آثارا تذكر ، ولم نعثر على قبورهم فيما عدا قبر الملك « مريكارع » بسقارة ، ومع ذلك توصل المؤرخون الى بعض الحقائق التاريخية عن ذلك العصر معتمدين على مصدرين هامين ٠ أولهما التعاليم التى تركها الملك « خيتى الثالث » وصية لولده وولى عهده

(١) نسبة الى مدينة « منف » التى يتخذوها مقرا لحكمهم ٠

« مريكارع » وكانت خلاصة تجارب ذلك الشيخ طوال حياته التى امتلأت بالحروب وألوان الكفاح · وثانيهما تلك النصوص التاريخية التى دونها أمراء أسيوط ، المعاصرون والمتحالفون مع الاهناسيين – على جدران قبورهم · وقد اعتبر ملوك اهناسية خلفاء مباشرين وشرعيين لملوك منف ، وحاولوا نشر سلطانهم على أقاليم الوادى كله من « اهناسية » التى ظلت مقرا لعرشهم طوال حكم الأسرتين التاسعة والعاشرة ، كما نجحوا فى طرد بدو الصحراء من الدلتا ·

عهد الاهناسيين :

ويمثل عهد الاهناسيين بوجه عام دور انتقال بين حكم الدول القديمة المنفية ، وحكم الدولة الوسطى الطيبية · وقد تميز ذلك العهد بازدهار الأدب ، الذى كان أدبا واقعيا ، يخلو من عناصر الافتعال والاصطناع ، ويترجم مشاعر الناس واحساساتهم فى ذلك الوقت ترجمة صادقة ، ويبشر بالمساواة الاجتماعية والعدالة الانسانية ، كما كان الجانب الدينى منه يبرز الديموقراطية الدينية فى صورة رائعة ·

وقد كانت علاقة اهناسية بطيبة سليمة فى بادىء الأمر ، الى أن نشبت الحرب بين الاهناسيين والطيبين ، حين تقوى الأخيرون · وقد رجحت كفة ملوك اهناسية وحلفائهم أمراء أسيوط فى المرحلة الأولى من ذلك الصراع المرير الطويل · ولكن سرعان ما انقلب ميزان الحرب ومال فى صالح أمراء طيبة · وقد انتهت الحرب الضروس بانتصار الطيبيين فى آخر الأمر انتصارا تاما حين تمكن « منتوحتب الثانى » أحد ملوك الأسرة الحادية عشر الطيبية من اسقاط عرش اهناسية ، وجلس على عرش مصر المتحدة ، مما كان يشير الزوال لعصر الفوضى والاقطاع ودخول البلاد فى دور جديد من أدوار ازدهارها وعظمتها ·

عصر الدولة الوسطى – عصر الرخاء : ٢٠٦٠ – ١٧٨٥ ق·م :

الملك منتوحتب الثانى :

وفق الملك « منتوحتب الثانى » حوالى سنة ٢٠٦٠ ق·م الى ضم شمل البلاد واعادة وحدتهافى ظل حكومة قوية استمرت بقية أيام الأسرة الحادية عشرة وخلال حكم الأسرة الثانية عشرة ، فيما اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر الدولة الوسطى ويرجع الى ملوك الأسرة الحادية عشرة الفضل فى توحيد البلاد والقضاء على الحروب الأهلية ، واستتباب الأمن وتوطيد النظام ، مما ساعد على انتعاش البلاد اقتصاديا ،

وتقدم العمارة والفن (١) ٠ ولم تلبث الأسرة الحادية عشرة فى الحكم بعد « منتوحتب الثانى » الا قليلا ثم فيض الله للبلاد حوالى سنة ٢٠٠٠ ق٠م رجلا عظيما هو « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة ،وصاحب الفضل الأكبر فى بناء نهضة البلاد الجديدة ٠ وقد استخدم « منحات » العنف تارة ، والحيلة تارة أخرى حتى أخضع أمراء الأقاليم لسلطانه ، كما طهر أطراف البلاد من البدو والليبيين ، وأدب العصاة النوبيين ، وسيطر بذلك على البلاد من أدناها الى أقصاها ٠ وقد اقتضت الضرورة السياسية هذا الفرعون الى نقل العاصمة من طيبة الى « ايثت تاوى » (مكان اللشت الحالية) ذات الموقع المتوسط بين شطرى البلاد ، حيث جلســـت أسرته على العرش أكثر من قرنين ٠

وقد تعاقب من بعد « امنمحات الأول » ثمانية ملوك ، نهضت البلاد فى أيامهم نهضة شاملة وتمتعت بقسط كبير من الرخاء والعمران ، وبخاصة فى عهد « سنوسرت الثالث » وخليفته « امنمحات الثالث » ٠ ثم كانت نهاية الدولة الوسطى شبيهة الى حد كبير بختام أيام الدولة القديمة ، اذ طال حكم الملك « امنمحات الثالث » حتى امتد أكثر من خمسين عاما مما أضعف سلطة العرش ، كما خلفه ملوك ضعاف تلاشى على أيديهم نفوذ فرعون تماما فكان ذلك نذيرا بانتهاء أيام الأسرة الثانية عشرة ، وسقوط الدولة الوسطى ، ودخول مصر مرة ثانية فى عصر من عصور الفوضى والظلام ٠

● عهد الدولة الوســطى :

وقد تميز عهد الدولة الوسطى بالرخاء الاقتصادى ، اذ اهتمت الحكومة بتنظيم مياه النيل وتوفيرها للرى ، وعنيت بالزراعة وعملت على النهوض بها ، لا تدخر فى سبيل ذلك مالا ولا جهدا ومن أشهر مشروعاتها فى هذا السبيل ذلك السد الذى أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة فى منطقة من الفيوم ، فأنقذوا ذلك المنخفض الواسع من الغرق وحولوه الى جنه خضراء ٠

واهتم فراعنة الدولة الوسطى بالتجارة وعملوا على تشجيعها ، فحفر « سنوسرت الثالث » قناة فى شرق الدلتا وصل بها ما بين النيل وخليج السويس عن طريق وادى طميلات والبحيرات المرة ٠ وتعد هذه القناة أقدم طريق مائى وصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ٠ اذ كانت السفن تشق طريقها فى النيل ، ثم فى تلك القناة الى البحر الأحمر متجهة الى بلاد بونت ٠ كذلك بذلت فى عهد الدولة الوسطى محاولات لتوطيد صلات مصر بسوريا وفلسطين ، فعقد فراعنة النيل على سبيل المثال تحالفا مع أمراء

---

(١) فى معبد تلك الأسرة بالدير البحرى (غرب طيبة) خير دليل على ذلك ٠

« أو جاريت » (١) حيث عثر على تمثال لزوجة « سنوسرت الثانى » وآخر على شكل أبى الهول « لأمنمحات الثالث » ، ومجموعة تمثل الوزير « سوسرت عنخ » مع سيدتين من أسرته ، مما يدل على قوة الصلة بين مصر وذلك المركز التجارى الهـــام • ومن المرجح كذلك أن الصلة التجارية بين مصر وجزر البحر المتوسط قد توثقت منذ ذلك العهد ، وقد عثر على بعض الآثار المينيوية (٢) فى أبيدوس وفى الصـــربة واللاهون باقليم الفيوم • كما أهتم المصريون بتأمين التجارة مع الجنوب ، فأقيمت عند « كرما » جنوب الشلال الثالث محطة محصنة سميت « حائط أمنمحات » •

● **تقدم الصناعة والفنون :**

وقد فتحت فى عهد الدولة الوسطى المناجم والمحاجر التى ظلت شبه مغلقة أيام العصر الوسيط الأول ، وكثرت ارسال البعثات الى مناجم ومحاجر الصحراء الشرقية وسيناء ، فتقدمت نتيجة لذلك الصناعات والفنون ،ونهضت العمارة وأعمال البناء • ولم تكن تلك النهضة مقصورة على العاصمة فقط ، بل تعدتها الى الأقاليم حيث نحت حكامها قبورهم فى الصخر ، وزينوا جدرانها بالنقوش والرسوم التى بلغت الغاية فى الابداع والروعة ، كما يتبين ذلك فى جبانات بنى حسن والبرشه وأسيوط وغيـــرها من المقابر الأخرى •

ويعتبر عصر الدولة الوسطى أزهى عصور الأدب المصرى ، وقد اعتبر المصريون الذين عاشوا بعد ذلك العصر مخلفات الدولة الوسطى الأدبية نموذجا للأسلوب الجيد يسعون الى تقليده والاحتذاء به •

● **العصر الوسيط الثانى ـ عصر الاحتلال الأجنبى ١٧٨٥ ـ ١٥٨٠ ق•م**

— **الضعف والفوضى والفساد :**

وبانتهاء عهد الدولة الوسطى حوالى سنة ١٧٨٥ ق•م دخلت مصر فى عصر من عصور الضعف والفوضى والذل ، جرت العادة على تسميته بالعصر الوسيط الثانى• ولعل أشد أيام ذلك العصر اضطرابا وغموضا هى الأيام التى تلت سقوط الأسرة الثانية عشرة ، حين كثر تطلع كبار الموظفين وقواد الجيش وكل ذى سطوة الى عرش البلاد • ما يكاد أحدهم يجلس عليه قليلا حتى يقتله أو يخلعه آخر ليحل محله • كذلك اشـــتد

---

(١) مكان « رأس شامرا » الحالية بسورية •

(٢) حضارة جزر • بحر ايجه •

النضال بين حكام الأقاليم بعضهم مع بعض من جهة أخرى ونتج عن ذلك أن تعددت المؤامرات واندلعت الثورات ، وتتابعت الحروب الأهلية فاضطرب الأمن ، واختل النظام، وتسرب الفساد الى كل مرافق الحياة ، وعادت الحال الى مثل ما كانت عليه عقب سقوط الدولة القديمة ٠ وقد ظلت هذه الفوضى سائدة طوال أيام الأسرتين الثالثة عشرة ، التى أرجعها « مانتون » الى طيبة ، وقدر عدد ملوكها بستين ، والرابعة عشرة التى الى مدينة « سخا » بالدلتا ، وقدر عدد ملوكها بستة وسبعين ٠ ولا نعرف عن ملوك هاتين الأسرتين أو عن الأحداث السياسية والتاريخية لذلك العصر الا القليل لندرة ما عثر عليه من آثار ذلك العصر وغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عنه ٠

● اغارة الهكسوس :

وكانت النتيجة الحتمية لاضطراب أحوال البلاد وتفككها وضعف حكومتها أن سقطت حوالى سنة ١٧٢٥ ق٠م فريسة فى يد عدو متربص بها ٠ اذ غزاها المغيرون من القبائل الرعوية التى أطلق عليها اسم « هكسوس » والتى اجتاحت مصر بسهولة نظرا لضعف القوات المدافعة عن البلاد ، ونتيجة لكثرة عدد المغيرين ومهارتهم العسكرية واستخدامهم للعجلات الحربية والخناجر والسيوف البرونزية والأقواس الضخمة البعيدة المرمى ، وهى جميعا أسلحة لا قبل للمصريين بمقاومتها ٠ وقد خضعت الدلتا للمغيرين الذين اتخذوا من « أواريس » (صا الحجر) على الجزء الجنوبى للبلاد ، ولم يبق من مصر المستقلة سوى رقعة ضيقة فى صعيد مصر يحكمها أمراء طيبة ٠ وقد ظل حكم الهكسوس قائما طوال أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجانبا من حكم الأسرة السابعة عشرة فيما يتجاوز قرنا ونصف من الزمان ٠ وأساء الهكسوس فى بادىء الأمر معاملة المصريين ، وعبدوا معبوداتهم الخاصة ٠ ولكنهم لم يلبثوا على ذلك الحال طويلا ، اذ سرعان ما جرفهم تيار الحضارة المصرية ، فتمصروا ، وقلدوا ملوكهم فراعنة مصر فى أزيائهم وألقابهم وتقاليدهم الملكية ، وتكلموا لغة المصريين وتقربوا الى معبوداتهم ولكن المصريين لم ينخدعوا بذلك ، ولم يطمأنوا للهكسوس أو يتعاونوا معهم ، بل ظلوا معادين لهم ينظرون اليهم نظرة الكره والاحتقار ٠ ولم يستطيع الهكسوس القضاء على الروح الوطنية فى البلاد ٠ بل كانت تلك الروح تقوى مع الأيام ٠ فلما أخذت قوة الهكسوس فى الضعف انتهز أمراء طيبة الفرصة ، وهبوا يكافحون فى سبيل استرداد حرية بلدهم المسلوبة ، ويسعون لتخليص وطنهم من ذلك الدخيل البغيض ، فكتب الله لهم النصر والنجاح ٠

● أحمس وحرب التحرير :

وكان سبب حرب التحرير المباشر من تدبير الهكسوس ، فقد رأى أحد ملوكهم

ويدعى « أبو فيس » أن حكام طيبة قد بلغوا من القوة والبأس حدا يشكل خطرا على الهكسوس ولا يجدر به السكوت عليه ، فأرسل يتحدى أمير طيبة فى ذلك الوقت « سقننرع » ويثيره ليدفعه الى القتال (١) · واضطر أمير طيبة للخروج على رأس جيشه لملاقاة جيوش الهكسوس ،ونشبت معارك حامية الوطيس ، سقط فيها « سقنرع » شهيداً ، فخلفه فى الجهاد ابنه « كاموسا » (٢) الذى كانت أمه العظيمة « اياح حتب » تشجعه وتنفخ فيه من روحها الوثابة المملوءة شمما ووطنية · وقد حاول الهكسوس تأليب حكام الندبة على « كاموسا » حتى يحصره بين نارين ، ولكن برغم مشورة قواده بتجنب القتال ، اتجه جنوبا وتمكن من تخليص جانب كبير من أرض مصر الوسطى من قبضة المحتالين بعد أن هزمهم قرب الأشمونين · الا المنية عاجلته هو الآخر وقام من بعده أخوه « أحمس » الذى أندفع شمالا يطارد الهكسوس حتى وصل الى عاصمتهم « أورايس » ، وسرعان ما سقطت فى يده · وقد اضطر الهكسوس الى الفرار الى جنوب فلسطين فتبعهم أحمس وطاردهم هناك حتى شتت شملهم فى موقعة « شاروهين » فلم تقم لهم بعدها قائمة · ثم قفل البطل « أحمس » راجعا الى طيبة عاصمة الثورة ، مسجلا فصل الختام من ذلك العهد البغيض المشئوم ، عهد الانحلال والتحكم الأجنبى فى البلاد ·

الهكسوس : الرعاة المحتلون ··· !

- وهل حقا كانت مصر مقبرة للغزاة ·
- ما هى الأحداث التى مهدت للغزو ؟
- الهكسوس حاولوا الوصول الى طيبة ··
- كان طبيعيا أن يبقى الهكسوس طويلا والشتات يمزق جبهة مصر الداخلية ·
- الملك بيبى الأول يواجه المتخاذلين ·
- كامس يندد بعدوه ···
- المصريون يصدون غزوا جديدا ···
- الخطر القادم على مصر من بابها الشرقى ···
- الآشوريون يريدون مصر ····
- الآريون على باب الدلتا ···
- أول حرب التحرير ····
- الخيانة تمكن قمبيز من غزو مصر ··

---

(١) وردت تلك الوقائع فى قصة كتبت فى عهد الملك « مرنبتاح » أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة ·

(٢) سجلت قصة كفاح « كاموسا » على لوحة ترجع الى السنة الثالثة من حكمه ، عثر على أجزاء منها فى أزمنة متباعدة ، وقد اكتشف أطول تلك الأجزاء سنة ١٩٥٤ فى أساس معبد الكرنك ·

هل حقا كانت مصر مقبرة للغزاة ؟

ربما لم تدفع أمة ما ثمنا باهظا من التضحيات لقاء الحفاظ على موقعها حرا مثلما دفع المصريون على طول التاريخ وربما لا تحمل اثار أمة ما شواهد هذا الثمن الباهظ وحقائقه قدر ما يحمل الواقع المسجل على صفحات تاريخ مصر منـــذ أول عصــــورها .

من أجل الموقع العبقرى الذى جعل مصر تتوسط بحرين . يتصل أولهما ببلاد الشرق والمحيط الهندى . ويمتد ثانيهما حتى بلاد الغرب والمحيط الأطلسى . دفعت مصر الكثير دفاعا عن موقعها فى مواجهة غزوات الطامعين . ابتداء من قبائل البدو السامية التى تعيش على الرمال والطامعة فى دلتا النهر الخصيب : الى الهكسوس رعاة الجبل . راكبى العجلات الحربية أصحاب الأقواس المركبة ذات السهام البعيدة المرمى . الى جحافل القبائل الارية القادمة من الشرق على العربات الخشنة الصنع ذات العجلات الثقيلة . الى جموع الاشوريين الى الفرس يقودهم قمبيز .

منذ زمن بعيد والمصريون يحاربون دفاعا عن موقعهم ويبذلون الضحايا . وينتصرون واذا ما كانت هزيمتهم لا يهدأ بالهم ولا تستقر حياتهم الا اذا طردوا الغزاة وطهروا البلاد ومعأن التاريخ المحفور بالازميلعلى جدران المعابد والمنقوش علىأوراق البردى تملأه حكايات الغزو والحرب والتحرير . فثمة من يريدون أن يقلبوا أمام أعيننا حقائق التاريخ .

المصريون فى الأغلب . بناة حضارة قديمة – متواكلون – يعيشون على حافة نهرهم الهادىء يزرعون الأرض ويقدسون الفرعون . يتكيفون مع الواقع دون أن تكون لهم القدرة على تكييفه أو تغييره . !!

والذين يقلبون حقائق التاريخ وينفون عن المصريين قدرة الحرب والقتال هم فى الحقيقة الطامعون فى أرض مصر وما أكثرهم على مر السنين .

ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء الذى تنهض شواهد التاريخ منذ قدمه على افتــــرائه ؟

لماذا يقع الكثيرون فريسة هذا الرأى المشبوه الذى لا يريد منا أن نعرف حقيقة أمتنا وحقائق تاريخنا . الدكتور عبد المنعم أبو بكر يقدم لنا فى بحثين متتابعين قدر الجهد والتضحيات التى بذلها المصريون على طول التاريخ من أجـــل الحفاظ على موقعهم حرا .

الهكسوس .. الرعاة المحتلون (*) :

فوق جدران مقبرة مصرية قديمة لم تندثر بقاياها : مازال التاريخ يحفظ لنا حكاية الغزو الأولى غزو قبائل البدو الساميين فى عصر الملك بيبى الأول . الثالث من ملوك الأسرة السادسة .لم تكن مقبرة الملك هى التى حملتفوق جدرانها أقدم نص لأول غزو معروفوأنها كانت مقبرة (أونى) رجل الشعبالذى عهد له الملك بمهمة الدفاععن مصر، تاريخ يعود الى عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد ومع ذلك لم يزل محفوظا على جدران المقبرة التى مازالت أطلالها قائمة فى أبيدوس القديمة (المشهورة باسم « العرابة المدفونة » وتقع على مقربة من البلينا بمحافظة سوهاج) .

الى أرض فلسطين أولا . جاءت جحافل البدو . اعدادا ضخمة يبدو أنها كانت بداية الهجرات الأمورية القديمة (قبائل منحدرة من شمال سوريا واستقرت فى فلسطين استقرت هذه الجحافل فى فلسطين ومن هناك كانت ترنو طامعة الى دلتا مصر الخصيبة وتحرك المغيرون الذين عرفهم المصريون باسم (عامو .. حربويشع) أى قبائل البدو التى تعيش على الرمال تجاه حلمهم الدلتا الخصيبة ، محاولين الاستقرار فيها . ويسارع الملك بيبى الأول ويعهد بالدفاع عن الوطن الى (أونى) رجل الشعب .

على جدران المقبرة سجل أونى الحاد الذكاء ، العظيم النفس ، تاريخ حياته منذ أن كان موظفا صغيرا يشرف على بيت الزراعة حتى رفعته ثقة الفرعون الى ما هو أهم من ذلك ، حتى أنه عهد اليه بمهمة التحقق فى المؤامرة التى دبرتها ضده الملكة نفسها (ايمتس) .

يتحدث أونى عن هذه الغزوة وطريقته فى القضاء عليها فيقول انه جهز جيشا من عشرات الألوف من الرجال جندهم من جميع مناطق الوجهين القبلى والبحرى ومن النوبيين الموالين لمصر ومن أهل ليبيا الذين سماهم باسم (التمحو) وقام الضابط بتدريبهم على وجه السرعة ثم استعرضهم القائد الأعلى (أونى) للتأكد من المامهم بكل الحركات العسكرية وقسمهم الى فرق متعددة عهد بقيادة كل منها الى ضابط كبير ويفخر القائد الشاب بأن النظام كان مستتبا بين جنوده وأن جميع رجال الجيش كانوا المثال لما يجب أن يكون عليه الجندى .. « لم يحدث أن تنازع جندى مع زميله أو اغتصب جندى رغيفا من عابر سبيل أو سرق نعله ، ولم نهب أن نهب أحد الجنود شيئا من قرية أو جلب عنزة منغيره » .

التقى أونى على رأس جيشه الكبير بجموع المغيرين عند الحدود الشـــمالية

(*) بحث للدكتور عبد المنعم أبو بكر نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٦٩/٨/١ .

الشرقية ·· وهزمهم هزيمة منكرة ويبدو أن اللقاء الأول لم يكن كافيا ·· واضطر الى أن يعود الى فلسطين ٤ مرات ليطارد العدو حتى معاقله ·· وفى المرة الخامسة اضطر الى ارسال جيش برى وآخر بحرى حملته سفن الأسطول المصرى الى شاطىء فلسطين حتى منطقة (أنف الغزال) قريبا من جبل الكرمل وهكذا حصر العدو بين فكى كماشة وتمكن من القضاء عليه قضاء لم تقم له قائمة بعد ·

وفى ختام حملاته رفع أونى الى مليكه تقريرا عن معاركه الخمس ، كان ختامه سبعة أبيات من الشعر أكد فيها سلامة جيشه ٧ مرات · عاد الجيش سالما بعد أن خرب أراضى أهل الرمال · عاد سالما بعد أن فرق بلاد أهل الرمال· عاد سالما بعد أن دمر حصون الاعداء · بعد أن اقتلع مزارع التين والكروم وألقى النار بين جنود الأعداء عاد الجيش سالما بعد أن قتل عشرات الآلاف من الجند · عاد سالما بعد أن أحضر معه آلاف الاسرى ·

ربما أيضا كانت الغزوة الثانية من أقسى الغزوات التى تعرضت لها مصر · ومن أكثرها تأثيرا على نفوس المصريين هذا الغزو الخطير لمصر والذى وقع فى مستهل القرن السابع عشر قبل الميلاد سبقه ومهدت له أحداث خطيرة هيأت الظروف التى مكنت الهكسوس من اجتياح مصر بعرباتهم الحربية التى يجرها الخيول السريعة وأقواسهم المركبة الكبيرة ذات السهام البعيدة المرمى ·

كتب مانيتون السمنودى المؤرخ المصرى الذى عاش حوالى عام ٢٨٠ قبل الميلاد معاصرا الملك بطليموس الثانى فى كتابه عن تاريخ مصر :

« فى عهد الملك نوتيمايوس ولا أدرى السبب فى ذلك · أصابتنا غضبة الالهة · ووفد غزاة من الشرق مجهولو الأصل الى أرضنا · فهاجموها عنوة واستولوا عليها بسهولة · وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد · حرقوا مدننا دون رأفة · وهدموا معابد الالهة · وعاملوا المصريين بخشونة وفظاظة وذبحوا بعضهم وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا أماء وعبيدا لهم وأخيرا عينوا واحدا منهم اسمه « سا ليتيس » ليكون ملكا عليهم · فأقام فى منف وفرض الضريبة على شمال مصر وجنوبها ووضع الحاميات فى أكثر المواقع مناسبة » ·

● أحداث مهدت للغزو :

واذا كان مانيتون السمنودى قد ارجع سهولة الغزو الى غضبة الالهة التى لم

يجد سببا لها . فان النصوص المصرية الاخرى ترجع سهولة الغزو الى « وباء كان قد انتشر بين أرجاء مصر ولم يكن هناك من سيد بين المصريين ليقوم ملكا عليهم » ولكى نكون منصفين لأنفسنا يجب أن نقول بأن من أهم ما سـهل للهكسوس غزو مصر . ما حملوه معهم من أسلحة جديدة للحرب لم يكن المصريون يعرفونها . فقد استعملوا العربات الحربية التى تجرها الخيول السريعة وكان أثرها فى ذلك الوقت يعدل الآن أثر المصفحات الحربية فى تمزيق صفوف المشاة . كانوا أيضا قد استعملوا الأقواس المركبة الكبيرة وكانت ترمى بالسهام الى مدى أبعد من مدى الأقواس المصرية القديمة».

كان الهكسوس اذن أكثر تقدما فى استخدام أدوات الحرب من المصريين . ومع ذلك فلدينا من الادلة ما يثبت أن الهكسوس وجدوا بعض المقاومة من أهل الدلتا . نستدل عليها من جبانة واسعة عثرت عليها مصلحة الآثار بالقرب من كوم الحصن بغرب الدلتا ترجع الجبانة الى عصر الهكسوس وتتميز بأن أصحابها قد ماتوا فى معارك حربية وأن كلا منهم اصطحب معه الى دنيا الموت أدواته الحربية الكثيرة التى فضلها على أى متاع آخر من الدنيا .

من المفيد أيضا أن نقول أن احداثا خطيرة قد سبقت غزو الهكسوس ، هيأت للغزو ظروفه المناسبة .. أحداثا نمت فى مصر .. واحداثا أخرى تمت فى محيط عالمها الغريب .

فى مصر .. كان العصر الزاهى الذى شمل الأسرة الثانية عشرة والذى يعتبر من أزهى عصور التاريخ المصرى تقدما ورخاء ، قـد اسلم نهاياته الى عصر آخر انتقلت فيه مقاليد الحكم الى أيد حاكمة جديدة لم تستطيع مصادر التاريخ المصرى أن تنسبهم الى بيت معين أو عاصمة واحدة . عصر من الفرقة والشتات الداخلى . بلغ فيه عدد ملوكه ما يقرب من مائة وثمانين اسما .. والكثيرون منهم كانوا متعاصرين يحكم كل منهم منطقة محدودة من أرض مصر . ولو ان كل واحد منهم كان يدعى لنفسه صفة الملك ويسجل على اثاره القاب الفراعنة . والأمر الذى لا شك فيه أن هذه الظاهرة انما تدل على عدم استقرار فى الحكم وفساد فى الادارة وتفرق الكلمة وانتقاد الوحدة الوطنية . ذلك ما كان يحدث فى مصر وقتها ويهيىء للحملة ظرفها المناسب .

ما كان يحدث فى محيط عالمها القريب شىء مختلف .. كان الخزان البشرى الممتد فى أواسط آسيا وحول بحر قزوين قد طفح بموجة عالية من موجات الهجرة .. تركت فيها هذه الشعوب الجبلية الشمالية والمعروفة باسم (الهند وأوربية) أوطانها متهجة

نحو الغرب · نحو السهول · كان رعاة الجبل المحاربون يهبطون على السهول وينقضون عليها من حالق كانهيارات الجليد غزاة ومخربين ونتيجة لذلك سادت الثورات جميع مناطق الشرق القديم وبدأت قوى فتية جديدة تظهر على المسرح السياسى نتيجة توالى هجوم شعوب المتيانى والميدين والحيثيين على الهلال الخصيب شرقا وغربا قادمين من مرتفعات الاناضول ليقيموا الدولة الكاشية فى بابل ودولة الحيثيين فى آسيا الصغرى ودولة الميتانى فى المناطق الممتدة من أعالى الفرات غربا الى شاطىء البحر المتوسط ·· أستقرت فلول من هذه القبائل فى سوريا وفلسطين وبدأت من هنـــاك ترنو الى مصر · وكانت غزوتهم لها فى القرن السابع عشر ·· هؤلاء هم الذين ذكرهم التاريخ باسم الهكسوس ·

الهكسوس اذن هم فلول القبائل الجبلية التى جاءت من أواسط آسيا وأستقرت فى فلسطين وداعبها حلم الاستيلاء على الدلتا · وفى الحقيقة فان كلمة الهكسوس هى تحريف للقب معروف استعمله المصريون منذ أوائل الدولة الوســـيطة وهـــو « حتاحازوت » أى حاكم البلاد الأجنبية وأطلقوه على زعماء القبائل البدوية التى كانت تعيش فى شرقى مصر ·

● يحاولون الوصول الى طيبة :

لم يستسغ الهكسوس البقاء فى مناطق مصر العليا · واكتفوا باحتلال الدلتا ومصر الوسطى حتى ملوى جنوبا وفرضوا الجزية على الصعيد مانحين حكامه شيئا من الاستقلال الذاتى معتقدين أن أحدا منهم لن يجرؤ على مناهضة قواهم أو الوقوف فى وجههم وأسسوا لأنفسهم عاصمة أطلقوا عليها اسم (حات أوعارت) وهى تقع على مقربة من صان الحجر فى شرق الدلتا · فضل الهكسوس البقاء فى (حات أوعارت) على أن يذهب ملكهم مرة كل عام الى منف العاصمة القديمة ليقرر الجزية ويشرف على أحوال الدولة وينتقد شئون الحاميات ·· كان من الطبيعى أن يبقى الهكسوس طويلا فى البلاد مادام الشتات يمزق الجبهة الداخلية حتى ظهرت فى اقليم طيبة بالصعيد أسرة قوية تبادل زعامتها رجال أفذاذ نشروا عوامل الثورة ضـــد المحتل وأخذوا يمدون نفوذهم الى ابيدوس فى أقصى الشمال والى أسوان فى الجنوب لم تكن تلك مهمة هينة أو يسيرة فلقد كان للهكسوس عيونهم فى كل مكان وذلك ما دفع أسرة طيبة القوية الى أن تسير فى مهمتها على مهل اتقاء اثارة الهكسوس قبل أن يكتمل استعدادها ··

وفى الواقع فقد اتتنا النصوص بأخبار اندلاع المعارك فى مصر فى عصر الثلاثة

الاخيرين منهم • فى حين سبقهم ثلاثة عشر اسما هم الذين مهدوا للثورة الجامحة •• وهؤلاء الثلاثة سقمن رع وولداه « كامس » و « أحمس » •

لم تتوافر حتى الآن النصوص الكافية التى تكشف كل الظروف التى انطلقت منها حركة التحرير •• ابتداء من طيبة لتعم الوادى كله •• ولكن ثمة وثيقة هامة تتحدث عن بدء النزاع السافر بين الملك « أبوفيس » ملك الهكسوس ، والذى جعل من الاله سوتخ معبودا لمصر •• والذى أتخذ ككل ملوك الهكسوس من « حات أوعارت » عاصمة لملكه وبين الملك « سقمن رع » سليل أسرة طيبة القوية المحتمى بظل الاله « آمون رع » سيد الالهة •

ويصطلح علماء التاريخ على تعريف الوثيقة باسم بردية ساليبة الأولى التى هى فى الحقيقة صفحة من مذكرات طالب مصرى عاش خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ــ أى بعد خروج الهكسوس بنحو ٣ قرون • الأمر الذى يدل على أن تاريخ حرب التحرير ضد الهكسوس كان من بين ما يدرسه الطلاب فى مدارسهم •

● بردية ساليبه الأولى :

تبدأ بردية ساليبه الأولى بأن « أرض مصر كانت تئن تحت وطأة الوباء « تشير بذلك الى وجود الهكسوس فى البلاد » وأنه لم يكن فيها سيد يحكمها •• فبينما حكم الملك سقمن رع فى مدينة طيبة حل الوباء فى مدينة العامو « حات أو عارات » وأن الملك أبو فيس جعل من الاله « سوتخ » معبودا لمصر ولم يقدم قربانا لاله غيره وبنى له معبدا الى جوار قصره حيث كان يبكر يوميا لتقديم القرابين اليه ــ واعتاد رجال حاشيته أن يحملوا اليه باقات الزهور فى حين عبد سقمن رع الاله « آمون ــ رع » سيد الالهة •• وتستطرد البردية وتقول بأن « أبو فيس » جمع حكماءه ورجال حكومته وشاورهم فى الأمر فنصحوه بأن يرسل رسولا الى سقمن رع ليقول له متحرشا •• « اسكتوا أفراس الماء فى مياه طيبة فصياحها يحرمنى من النوم فى نهارى وليلى وأصواتها تزعجنى فى مدينتى » •

ما الذى جرى بعد ذلك •• من المؤسف أن تنقطع الوثيقة عند هذا الحد لتهشمها وتآكلها • غير أن ثمة ما يوحى بأن الملك « سقمن رع » قد بدأ حرب التحرير يتضح ذلك من جثة الملك المحفوظة فى المتحف المصرى • والتى ظهر من الكشف عليها انه مات قتيلا بعد أن أصيب بخمسة جراح عميقة شقت ما فوق الحاجب الأيسر وعظام الجمجمة • كما أنه من الواضح أيضا أن تحنيط الجثة كان قد تم على عجل اذ أن اللفائف حول الجثة كانت ملفوفة دون عناية ••

مات الملك « سقنف رع » ولكن ابنه « كامس » تلقف علم القيادة ليتم رسالة أبيه وثمة وثيقتان هامتان تحكيان قصة هذا الملك الشاب الشجاع المعتد بنفســـه ·· والوثيقتان تكملان بعضا وتنسجان معا تفاصيل معارك التحرير التى خاضها الملك « كامس » · الوثيقة الأولى كتبت على لوح مما كان يستعمله تلاميذ المدارس فى تعلم الكتابة والقراءة والوثيقة الثانية لوحة حجرية عثر عليها فى الكرنك عام ١٩٥٤ ·· وهكذا تستكمل الوثيقتان قصة الملك ··

ضاق « كامس » ذرعا بنفوذ الهكسوس فى مصر الشمالية · كما أخـــذ يندد بقبائل « الكوش » التى أخذت تتجمع فى الجنوب ·· وبدأت تهاجم حدود مصر عند أسوان ·· فدعا رجال بلاطه وقواد جنده ليشاورهم فى الأمر · وبدأ حديثه معهم قائلا : أريد أن أعرف ما فائدة شجاعتى وقوتى هذه ·· اذا كان هناك حاكم فى « حات أوعارات » عاصمة الهكسوس فى الدلتا ·· وآخر فى كوشى « بلاد النوبة » وأجلس هنا مشتركا مع رجل من « العامو » الهكسوس وآخر زنجى ويحكم كل منا جزءا من مصر · ان هذا الذى يشاركنى فى الأرض يجعلنى لا أستطيع الوصول الى منف التى هى جزء من مصر لأنه يتحكم فى مدينة الاشمونين (على مقربة من ملوى الآن) والناس فى ذل لأنهم جميعا فى خدمة الاسيويين ·· سأحاربه وسأبقر بطنه بيدى · ان رغبتى هى ان أخلص مصر وأسحق الاسيويين ·

● الملك يواجه المتخاذلين :

غير أن مجمع رجاله عارضه قائلين : « انظر أن منطقة الاسيويين تمتـد حتى القوصية · وها نحن نعيش فى طمأنينة نحكم مصر ·· كما أن الضفتين بخير وجميع الناس حتى القوصية فى جانبنا وأرضنا تحرث · وماشيتنا ترعى فى الدلتا ويأتينا الشعير علفا لخنازيرنا · لم يأخذ أحد منا شيئا ولم يعتد علينا معتد · أنه يحكم أرض الاسيويين ونحن حكم أرض مصر · أما اذا جاءنا أحد واعتدى علينا فسوف نقاومه ·

وهنا غضب الملك الذى ضاق ذرعا بالتواء منطقهم وأحسن الظن بسواد شعبه · صاح فيهم قائلا : « سوف أحارب « العامو » ـ الهكسوس ـ وسوف يحالفنى النصر ·· ولقد يتباكى بعضكم ، ولكن البلاد كلها سوف ترحب بى وتهتف لهذا الحاكم فى طيبة وستقول عنه : كامس هو حامى مصر ··· ومثلما تقول الوثائق :

« خرج كامس من طيبة ومن ورائه جيش أحسن اختياره من ابناء الصعيد بعد أن ضم اليه بعض الجند من رجال قبائل النوبة الموالين له · وأخذ يمون جيشه من القرى والمدن القائمة على شاطىء النيل ووصل فى زحفه الى الاشمونين ـ قريبا من

ملوى – حيث كان لقاؤه الأول مع العدو الذى انهزم ·· وأستمر « كامس » فى زحفه شمالا · مهاجما كل بقعة احتمى فيها العدو مخربا حصونه · مشيعا الرعب فى نفوس جنـــــده » ·

ومثلما يصف النص دخوله احدى مدن الهكسوس ·· « لمحت نساء العـــدو فوق دياره يتطلعن من النوافذ ·· وحين رأيننى لم يســـتطعن حراكا واخذن يتلصصن من خلال الأبواب والنوافذ كافراخ القطا فى جحورها » ·

● كامس يندد بعـــدوه :

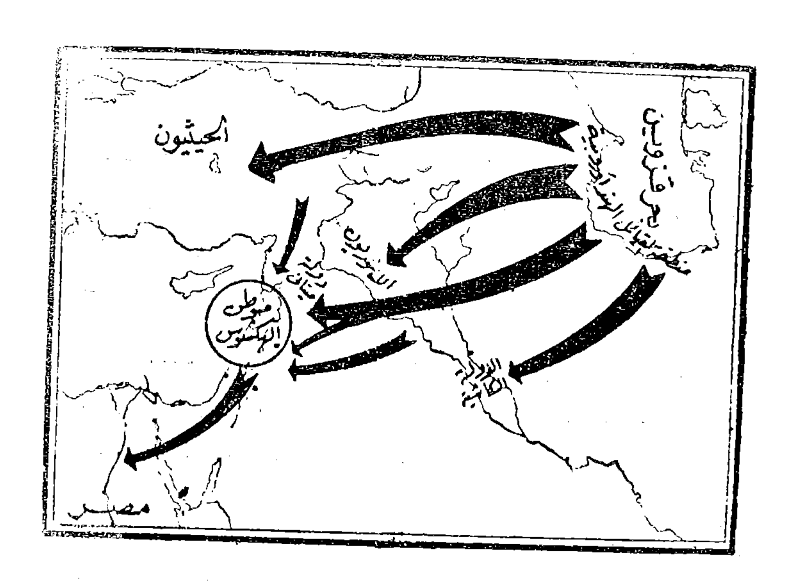
وفى فترات اخرى من نفس النص يقول الملك منددا بعدوه :

« سوف تعجز بجانب جيشك أيها الاسيوى الخاسىء الذى اعتاد أن يقول انا السيد ولا مثيل لى ·· ها هو جيش وراءك · وسوف يصيب العقم نساء مدينتك عما قريب وحق ربى آمون القادر ·· لن يكتب لك بقاء ولن أدعك تخطو على أرض دون أن أركب فوقك وحينئذ سوف أخمد أنفاسك · أما عاصمتك فلن أجعل أحدا يعثر لها على أثر · وسوف أدمر قرى شعبك وأحرق ديارهم حتى تصبح تلالا حمراء الى الأبد · وذلك لما ألحقوه بمصر من دمار وسوف يسمع الناس عويلهم قريبا حين يفارقون سيدتهم مصر وهم مرغمون » ·

انتصر كامس فى أكثر من موقعة · وتقابل مع عدوه فى معركة نيلية أستولى فى نهايتها على ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز تفيض بمحتوياتها من الذهب والفضة والفيروز وفؤوس القتال المصنوعة من النحاس والكثير من زيت الزيتون والبخور والدهن والعسل وأنواع الخشب الثمينة كانت كلها متجهة الى عاصـــمة الهكسوس ·· واستطاع الملك أيضا أن يلقى القبض على رسل كان ملك الهكسوس « أبو فيس » قد أرسله عن طريق الواحات الى حاكم كوشى النوبى المتمرد فى الجنوب يدعوه الى محالفته كى يهاجم طيبة من الجنوب ويعده بأن يتقاسم معه مدن مصر ·· ويقول كامس انه لم يبطش بهذا الرسول بل أطلق سبيله وأرسله سالما الى ســـيده ليحدثه عما رآه من انتصارات كسبها البطل المصرى ·

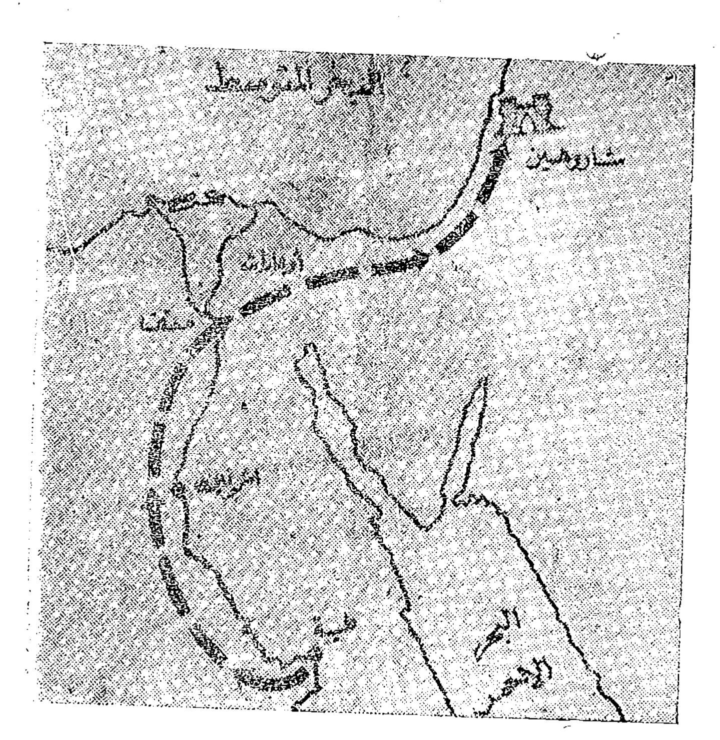
مثلما لا نعرف على وجه الدقة ·· كيف انتهت أيام الملك « سقمن رع » كذلك لا نعرف على وجه التحديد كيف انتهت أيام ابنه « كامس » ولكن الوثائق تحدثنا بعد ذلك عن أحمس اخى كامس الذى تلقف علم القيادة واستمر فى حرب التحرير حتى أجلى العدو تماما ·

استطاع « أحمس » أن يستنهض الأمة كلها من أجل قتال الهكسوس · والأمر



أعلا : هكذا خرجت جحافل القبائل الهنداوربية من موطنها حول بحر قزوين الى موجات من الهجرة المتتابعة حيث قضت على كثير من الحكومات القائمة فى العصر القديم وشيدت لنفسها دول جديدة فى بلاد ما بين النهرين والاناضول ٠٠ ومن فلول هذه القبائل المتجمعة فى سوريا وفلسطين وقع الغزو الذى حاق بمصر فى القرن ١٧ قبل الميلاد وتحت اسم الهكسوس ٠

أسفل : حتى حصن شاروهين فى فلســـطين ظل أحمس يطارد فلول الهكسوس ليوطد للسلام المصرى دعائمه هناك خارج أبواب مصر الشرقية ٠



المؤكد أن ثورة شاملة عمت كل البلاد على يديه . ثورة مجدت الجندية ودعت الى تجنيد كل الرجال كما دعت الى التعبئة العامة .. والأمر المؤكد أيضا أن استجابة المصريين كانت أكثر من عارمة .. ذلك أن الجندية كانت تعنى الخلاص من المستعمر وتطهير البلاد من العدو الجاثم على صدرها والذى يمد سلطته فى مصر الوسطى حتى الاشمونين .

تسلطت عوامل الحرب ودواعيها على المصريين من كل الفئات ومن كل الطبقات .. من أثرياء القوم وأمراء الدولة وأفراد الطبقة الوسطى الذين سارعوا الى الجندية ولم يكن المجتمع المصرى قد أعترف بها كطبقة حتى الآن .

هذه الروح الجديدة هى التى مكنت أحمس من أن يبنى جيشه ، وأن يحسن تجهيزه بالأسلحة الجديدة التى جاء بها الهكسوس الى مصر .. الحصان والعربة والأقواس المركبة ذات السهام البعيدة المرمى .

بالجيش الذى يضم كل فئات الشعب المعد جيدا . المدرب على أحدث سلاح تساقطت أمام أحمس القلاع والحصون واحدا وراء الآخر حتى وصل الى « حات أو عارات » . عاصمة الهكسوس فى قلب الدلتا . ودارت من حول العاصمة معارك برية ونيلية شديدة وأخيرا دخل جيش « أحمس » الظافر المعقل الأخير بعد مذابح قاسية . دمرت خلالها المدينة وأسر معظم حاميتها . الاخرون تمكنوا من الافلات من جيش أحمس . هربوا الى الشمال الشرقى . حيث احتموا بحصن « مشاروهين » المنيع ـ الحصن قد اندثر الآن غير أن المكان مازال قائما فى فلسطين . قرية صغيرة جنوب غزة اسمها تل قرعة ـ ولكن أحمس كان فى اثرهم . وهناك حاصرهم لفترة بلغت ٣ سنوات فى نهايتها تمكن من اقتحام الحصن ..

بانتصار أحمس فى شاروهين تم الخلاص لمصر من الهكسوس .

كان شتات الجبهة الداخلية وكثرة الملوك وفساد الادارة اذن هى التى هيأت الظرف الداخلى المناسب الذى مكن الهكسوس من مصر . وكانت الوحدة التى سعت الى ايجادها أسرة طيبة القوية هى التى هيأت الظرف الداخلى المناسب لبدء حرب تحرير شاملة أستمرت سنوات طويلة وشملت كل فئات الشعب وطبقاته .

● سيدة مصرية عظيمة :

ودائما يفسح التاريخ المصرى على طوله مكانا ودورا هاما لسيدة مصرية وفى

الازمات المصرية يبرز هذا الدور أكثر ٠٠ وخلال حرب التحرير كانت سيدات أسرة طيبة العظيمة صاحبات جهد كبير فى لم الشتات وتوحيد الكلمة ابتداء من « ثتى شرى » أم الملك « سقمن رع » واياح حوتب زوجته وأم ولديه « كامس » و « أحمس » ٠ وابنته « أحمس نفارتارى » التى تزوجت اخاها « أحمس لتنجب منه « أمنحوتب » الأول ٠

ولا نعرف عن السيدة الأولى « ثتى شرى » أكثر مما ذكره حفيدها « أحمس » على لوحة حجرية من عبارات التبجيل والاحترام ملقبا اياها بلقب العالمة أو العارفة ٠ أما السيدة الثانية اياح حوتب فقد سجل عنها أحمس هذا الحديث :

« امدحوا سيدة البلاد وسيدة جزر البحر المتوسط فاسمها محترم فى جميع البلاد الأجنبية وهى التى تضع الخطط للناس ٠ زوج الملك وأخت الملك وأم ملك ٠٠ العظيمة القديرة التى تهتم وتضطلع بشئون مصر وهى التى ساعدت فى تجميع صفوف الجيش وحمست الناس واعادت الفارين ولمت شتات المهاجرين ٠وهدأت قلق الصعيد واخضعت من فيه من العصاة ــ الملكة « اياح ــ حوتب » « لها الحياة » ٠

أن النص يكشف فى وضوح عن الأثر الكبير لهذه السيدة فى السياسة الداخلية والخارجية فمن الضرورى أنها اشتركت فى جمع كلمة الجيش ، والمدنيين على الاعتراف لأحمس بالطاعة حين اعتلى عرش مصر ٠ كما أنها استطاعت أن تقنع سكان جزر البحر المتوسط « جزيرة كريت » بتقديم يد المعونة لمصر فى حصار الهكسوس ٠٠

أما السيدة الثالثة أحمس نفرتارى فقد ظل نفوذها قويا فى أيام ابنها امنحوتب الأول ، وذاع صيتها حتى أن المصريين ارتفعوا بها الى مصاف الالهة واقاموا لها معبدا فى طيبة عبدها الناس فيه طوال قرون بعد موتها ٠

لم يهدأ أحمس الا بعد أن أطمأن الى أن الأمور فى فلسطين تسير بما لا يشكل الخطر على مصر ٠ لم يهدأ أيضا الا بعد أن أطمأن كذلك الى المنـــاطق الواقعة الى الجنوب من البلاد ، وهكذا وضع أحمس حجر الأساس فى امبراطورية مصر الظافرة التى امتدت فى عصور خلفائه الى أعالى الفرات فى الشمال والى الشـــلال الرابع فى الجنوب ٠

الخطر على مصر من بابها الشرقى ـ المصريون يصدون غـــزوا جـــديدا :

● الآشوريون يريدون مصر (*) :

منذ أن اقتحم أحمس حصن شاروهين فى أرض فلسطين على فلول الهكسوس وبددها · تهيأت لمصر ٣ قرون مجيدة بدأت منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد · خلالها استطاعت الامبراطورية المصرية أن تلعب دورا رئيسيا على مسرح السياسة الدولية · ولكن احداثا خطيرة كانت قد بدأت تلعب دورها فى العالم القديم لتغير من مراكز قواه (*) ·

موجة هجرة جديدة من الشعوب الهندواوربية لفظتها جبال ارمينا والاناضول وكأسراب الجراد أو انهيارات الجليد العارمة نزلت جموع هذه الشعوب الرعاة من الجبل الى السهول ينشرون الدمار وينزلون الفزع والرعب بين سكانها الأصليين فى البداية وصلوا الى مناطق شرق أوروبا من شمال البحر الأسود · وحطوا رحالهم فى البلقان · ثم انتشروا جنوبا على عربات ثقيلة تجرها الخيول حتى غطوا مناطق البحر الأيجى وجزره · وما يحفظه التاريخ عنهم انهم كانوا رعاة جبـــل على جانب من الوحشية والقسوة ، محبين للنزال تحت وطأة اقدام جموعهم انهارت حضارات كثيرة ·· اندثرت حضارة كريت القديمة ·· وظلت لسنوات طويلة جزر بحر الارخبل ميدان قتال مرير بين أهلها الأصليين وهؤلاء المغيرين ·· وانتهى الأمر بأن اضطرت آلاف من الأسرات التى كانت تسكن هذه الجزر الى الهرب · استقلت سفنها وهامت على وجهها فى البحر المتوسط تبحث عن وطن جديد ·

● الهائمون المهاجمون :

كالسيل الجارف · جاءت موجة أخرى جديدة من هذه الشعوب الهندواوربية · وصلت الى مناطق آسيا الصغرى · وازاحت بالرعب سكانها الأصليين فهاجـــروا وحملوا نساءهم وأطفالهم ومتاعهم على عربات خشنة الصنع ذات عجلات ثقيلة · كانوا هم أيضا يبحثون عن وطن جديد ·· الغريب فى الأمر · أن هـــذه الأفواج المطرودة من أرضها سواء تلك الهائمة على وجهها فى البحر أو الآخرى القادمة عبر الشرق على عرباتها الخشنة · هذه الجموع الكثيفة كأسراب الجراد كانت تتجـــه بابصارها الى وادى النيل ودلتاه الخصب · من الشرق ومن الغرب جاءوا وكأنما كانوا على موعد ·

(*) بحث للدكتور عبد المنعم أبو بكر نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢ ·

كان الغزو بأكمله مفاجأة للمصريين ، فجأة ظهرت هذه الأفواج تدق الباب الشرقى لمصر · وشعر الجميع بالخطر الداهم الذى يهدد وطنهم · كان على رأس الدولة فرعون « مرنبتاح » الذى خلف أباه رمسيس الثانى تقول النصوص المصرية القديمة أن القلق أخذ يؤرق فرعون مصر فهرع الى الهة « بتاح » يدعوه أن يهب له النصر · وان ينجى مصر من شرور المحن · وتقول النصوص · أن الاله استجاب للملك وشجعه على الخروج للقتال · كان ذلك فى العام الثالث من حكمه · لم يكن قد جهز الجيش ·لكنه اتم تجهيزه وتدريبه فى أربعة عشر يوما ·· وعند الحدود الشرقية أولا التقى مرنبتاح بالمغيرين · حقق عليهم نصرا هائلا ·· طارد فلولهم بشدة وعنف وزحف الى فلسطين وسوريا لينزل بهما العقاب للسماح لهؤلاء المغيرين بالتقدم فى أراضيها حتى وصلوا الى مصر ·

ولم يكد مرنبتاح ينتهى من معركة الشرق حتى سارع الى غرب الدلتا ليصد موجة الهجوم القادمة عبر الغرب ·

● أغنية السـلام :

عندما عاد السلام الى الوادى · عاد الملك مرنبتاح الى عاصمته حيث سجل انتصاراته · حيث سجل أيضا الى جوار هذه الانتصارات صورة حية للمشاعر المصرية التى شملها الفرح بزوال هذا الخطر ··

يقول النص الذى سجله الملك ··

لقد شمل مصر فرح عظيم وتصاعدت فيها أصوات السرور وأصـبح الجميع يلهجون بنصر مرنبتاح قائلين : ما أحب هذا الملك المنتصر وما أسعد هـذا القائد الحاكم · أجلس مسرورا وتكلم كيفما شئت · أو سر بعيدا حيثما أردت فلا خوف الآن فى قلوب الناس · القلاع تركت وشأنها والابار فتحت من جديد وأصبح الرسل ينتظرون حول القلاع مستريحين فى ظل جدرانها التى تقيهم حرارة الشمس حتى ينتبه الحراس من الداخل أما الجنود فأصبحوا مستريحى البال ــ وعاد حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالمعتاد · لا أثر الآن لتلك الأصوات التى كانت تنادى فى صميم الليل · قف · هاقد اتى شخص · قف · ها قد اتى رجل يتكلم بلغة أجنبية بل ها هو ذا كل شخص يروح ويغدوا آمنا ولا حزن بين الناس · لقد أخذت تبنى وتشيد منازلها من جديد · أما من زرع فسوف يجنى محصوله ويأكله · حقا لقد رضى (رع) عن مصر كيف لا · وقد انجب لها ولدا يدافع عنها ويحميها · لقد هزمت أرض « التحنو »

ليبيا • وضربت أرض الحيثيين (الاناضول) وكذلك سلبت أرض كنعان بقسوة وأخذت عسقلان وكذا مدينة جازر وابيد شعب اسرائيل ولن يكون له نسل أما « خارو فلسطين فقد جعلتها مصر كارملة لقد اتحدت البلاد وخيم السلام على الجميع وأصبح مرنبتاح يوثق بحباله كل من يثور على النظام » •

على طول التاريخ القديم لم يكن فى وسع قبائل الصحراء الليبية المحبة للحرب والقتال أن تقاوم عوامل الاغراء التى شدتهم الى محاولات لم تنقطع عن غزو الدلتا ـ الأرض الخضراء الفسيحة ـ ولم يتوقف المصريون خلال هذا التاريخ عن الدفاع عن الباب الغربى المصرى أمام زحف قبائل الصحراء الطامعة فى الأرض الخضراء •

وعندما ضرب مرنبتاح العظيم الحملة الأخيرة القادمة من الغرب بعنف بالغ • كان قد ضرب فى ذات الوقت الامال التى ظلت محتدمة داخل قبائل الصحراء من أجل غزو الوادى الأخضر •

● الآريون على باب الدلتـــا :

لأكثر من نصف قرن والاشوريون يدقون باب مصر الشرقى بعنف • جحافل غازية متتابعة ••• وحتى بعدما خسر المصريون الحرب وأستولى الاشوريون على الدلتا فلم يمتثل المصريون لسطوتهم • وكانوا قد أصبحوا فى هذا التاريخ قوة عالمية كبرى •• امبراطورية واسعة الاطراف ذات نظام ادارى متفوق •

فور الهزيمة •• بدأ المصريون جهد التحرير •• وعندما تمكن المصرى بسماتيك بن تحاو من دخول منف • واجتياح الحاميات الاشورية حتى فلسطين وسوريا • كان قد أعطى فى نفس الوقت لكثير من شعوب هذه الامبراطورية درسا مفاده • أن جهد التحرير اذا كان صادقا لابد أن يصل الى نهايته • وهكذا اندلعت بثورة بسماتيك وانتصاره الثورات فى كل أرجاء الامبراطورية الاشورية حتى تهـــاوت فى النهاية ســـــطوتها •

لم يكن الاشوريون حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد سوى شعب يحدق به خطـــر الطامعين من كل جانب • كان موقعهم الجغرافى يفرض عليهم الدفاع الدائم ضـــد اطماع قوى كثيرة أحاطت بلادهم • فى الجنوب كان السوميريون أصحاب الحضارة المزدهرة يسيطرون على العراق ويتوقون الى ابتلاع أرض اشور • الى الغرب منهم ظهرت قوة الحيثيين التى حاولت هى الأخرى السيطرة على أرض آشور •• ومن الشرق كانت تجيئهم دائما جحافل القبائل الجبلية •• يسقطون من فوق أرضهم الوعرة

الى السهول كانهيارات الجليد العارمة يريدون أنيأكلوا أطراف أرض آشور ·

لألف عام كاملة وأطماع الجميع تحيط بأرض آشور ·· هذه الفترة الطويلة من النضال العنيف خلقت داخل الآشوريين احساسا بضرورة القوة ·· هذه الحرب الطويلة أعطتهم الخبرة العملية لفن القتال ·· هذا العصر بأكمله خلق فى أرض آشور فلسفة جديدة ·· اجتياح الاخرين باعتباره الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الكيان ·

وهكذا أسلمت فترة النضال العصيب فى آشور نهاياتها لحقبة ثانية ١٠٠٠ عام حتى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد · حقبة جديدة تمثل طور النضج السياسى والحربى ·· واستطاع الآشوريون بالفعل خلال هذا التاريخ أن يأسسوا امبراطورية واسعة الاطراف تميزت بطول عصرها وبتفوق نظامها الادارى ·

عام ٧٢٢ ق·م·· جاء الدور على مصر عندما جلس سرجون الثانى على العرش الآشورى · كانت شهرته تملأ افاق عالمه القديم ·· كان قد استطاع أن يمد أطراف امبراطورية آشور حتى المناطق الشمالية من سوريا ولبنان وعندما تصبح سوريا ولبنان فى الخطر ·· يصبح الباب الشرقى لمصر أيضا فى نطاق هذا الخطر ·· هكذا تؤكد فصول التاريخ المتتابعة · ودائما كان المصريون يدركون الحقيقة ·· من أجل ذلك سارعت مصر الى امداد ولايات سوريا بمساعداتها الحربية الجمة ·· أرسلت الى هناك فرقا بكامل أسلحتها ليوقفوا هذا الخطر المشترك ·· غير أن سرجون استطاع أن يصل الى رفح · الى باب مصر الشرقى ·· لم يتمكن من اجتياز باب مصر لأن الفرق المصرية استطاعت أن تصده وأن تلحق بجيشه خسائر فادحة ·

مات سرجون · وجاء ابنه « سناجريب » حاول أن يفلح فيما فشل فيه أبوه ·· وصل الى أورشليم ·· لكن أورشليم كانت قد استعانت ببعض الفرق المصرية فى الدفاع عن حصنها لم يستطع (سناجريب) بحصاره الطويل للمدينة أن يكسر دفاعها · فكر فى أن يتركها متجها الى مصر لكن وباء الطاعون الذى تفشى بين جنـــده مزق جيشه · فاضطر أن يعود بفلوله الى أرض آشور ·

لم تتوقف مأساة الطاعون آمال الآشوريين فى غزو مصر ·· على العكس جاء اسرحدون الى العرش تحركه الرغبة فى الانتقام من مصر التى أمدت الولايات السورية بمساعداتها الحربية الجمة خلال حملة الملك سرجون الثانى · وأمدت أورشليم بفرق مصرية أسهمت فى الدفاع عن حصنها فى مواجهة حملة سناجريب الثانية ·

استطاع اسرحدون أن يجتاز الباب الشرقى لمصر ·· حتى وصل الى أراضى

شرق الدلتا كان ذلك عام ٦٧٤ ق الميلاد ٠ وهناك دارت معركة حامية ٠ دافع فيها المصريون عن بلادهم باستماتة حتى تمكنوا من ضرب جحافل الآشوريين الذين اضطروا الى الرجوع عن مصر مولين الادبار ٠ والثابت المؤكد أن هزيمة « اسرحدون » فى شرق الدلتا ٠ قد هزت الامبراطورية بعنف بالغ والثابت المؤكد أيضا أن « اسرحدون » فقد بهذه المعركة هيبته الأمر الذى دفعه الى ضرورةأن يدخل مع المصريون جولة ثانيا ٠ بدأت بعد ٤ سنوات من جولته الأولى ٠٠

ويبدو أن المصريون اعتقدوا أن الدرس الذى أخـــذه الآشـــوريون فى شرق الدلتا سوف لا يجعلهم يفكرون فى مصر مرة ثانية ٠٠ فاطمأنوا وتراخت عزائمهم ٠٠ بينما ظهر (سرحدون) فجأة فى سوريا بادئا معاركه مسارها الخطى نحو دلتاها ٠ مخترقا طريقا وعرا عبر الصحراء يمتاز بقصره دله عليه البدو الذين كانوا يعملون فى خدمة الجيش الآشورى بتأجير جمالهم لحمل العتاد الحربى ومياه الشرب ٠

فاجأ الجيش الآشورى المصريين هذه المرة ٠ الذين تراجعوا تحت وطأة المفاجأة الى حصن منف المنيع ٠٠ لكن المبادرة كانت قد ســـقطت من أيديهم ٠٠ واستطاع الاشوريون أن يقتحموا الحصن وان يدخلوا مصر أخيرا ٠٠

ومنذ دخل الآشوريون مدينة منف ٠ لم يهدأ بال المصريين وخلال حرب التحرير الطويلة التى شنها المصريون على الوجود الآشورى والذى التزم فى مصر نطاق منطقة الدلتا دون الصعيد استطاع المصريون أن يستعيدوا من الآشوريين عاصمتهم مرتين ٠

● أول حرب التحرير :

ما بين محاولة المصريين لاستعادة منف هذه المحاولة التى تمت فى عهد طهارقا والمحاولة الثانية التى تمت فى عهد خلفه « الشاب المتحمس » ثانوت آتون ٠٠ كان جهد المصريين مستمرا من أجل استنزاف طاقة العدو الآشورى ٠ لم تنقطع المقاومة ٠٠ بل لقد ابتكر المصريون خلال هذه الفترة أسلوب حركة التحرير الذى يستند الى العمل الفدائى ٠ ولعل جهد المصريين كان يمثل فى هذه الفترة أولى حركات الفدائيين فى تاريخ البشرية ٠

كان ثمة أمير مصرى اسمه نخاو تقلد الزعامة الروحية لهذه الحركة ٠ كان يجمع حوله الناس فى فرق صغيرة تهاجم بها تجمعات الجيش الآشورى فى حركات سريعة مفاجئة تأخذ أسلوب الانقضاض والانسحاب المفاجىء ٠ وذلك ما يدعونا الى

القول بأن هذه الحركة بأسلوبها فى القتال وتنظيمها الداخلى انما تشكل أولى حركات الفدائيين فى تاريخ البشرية ٠

غير أن الحركة التى بدأها نخاو وجماعته تعرضت لضربة قوية ٠ عندما استطاع الآشوريون القبض على قادتها ومن بينهم الأمير نخاو نفسه ٠ أرسلوا مكبلين بالحديد ٠٠ الى نينوى ٠ عاصمة آشور وتقول الاخبار أن نخاو كان رجلا مسنا حنكته التجارب ٠٠ مثقفا تجمعت فيه مواهب الحكيم المنوه ٠ وان الملك الآشورى (اشوريلى بال) عفا عنه لحكمته وجميل حديثه ٠٠ وانه اعاده معززا الى مصر ٠٠ بل انه عهد اليه بامارتى « صان الحجر » ومنف ٠

استطاع الآشوريون اذن ٠ ابتلاع الحركة بابتلاع قادتها ٠ ولكن صعيد مصر كان يغلى كالمرجل يدعو الى الثأر من هؤلاء الذين أخذوا الدلتا ووصلوا بجيوشهم حتى أبواب طيبة فهدموا المعابد وقتلوا الكثيرين ٠

ومثلما تمكن طهارقا من الوصول الى منف وتحريرها حتى جاءتها نجدات الآشوريين ٠ تمكن خلفه « الشاب المتحمس » ثانوت آمون من تجميع قوات محدودة انضمت لها بعض جنود السودان ٠ وانضمت لها أيضا أفواجا أخرى من شعب مصر ٠٠ من كل القرى ٠ من كل المدن والجيش فى طريقه الى الشمال ٠ حتى وصل الى منف ٠٠ودخلها دخول الغازى المنتصر ٠٠ ولكن الملك الآشورى أسرع أيضا هذه المرة الى الدلتا وتمكن مرة أخرى من استرجاع المدينة ٠

وتماما مثل ما حدث مع طهارقا حدث مع ثانوت آمون ٠ طارده الجيش الآشورى حتى طيبة ودخلها مخرباواضـــطر الملك الى الاسراع نحو مدينته بناتا فى أقصى الجنـــوب ٠

على كل فان الأمر المؤكد تاريخيا ٠ أن هذه الحركات الثلاث التى تشكل تاريخ المقاومة المصرية للوجود الآشورى فى الدلتا سواء فى ذلك حركة الملك طهارقا أو حركة الأمير نخاو قبل أن يتمكن الآشوريون من القبض عليه واستبعاده أو حركة الملك ثانوت آمون ٠ هذه الحركات الثلاث باليقين ايقظت شعوب هذه الامبراطورية الواسعة الأطراف وفتحت عيونها على الثورة وذلك ما ساعد دون شك الملك سماتيك على أن يحقق النصر النهائى على الاشوريين وأن يتمكن من اكتساح الحاميات الاشورية التى كانت تعسكر فى الدلتا وان يطاردها حتى فلسطين ٠

هذه الشخصية المصرية التى استطاعت أن تنظم صفوف المحاربين فى الصعيد

وأن تجمع من حولها أمراء الدلتا المصريين وأن تمضى فى اقتدار سنواتها الأولى فى اعداد الخطط وان تتصل سرا بملك ليبيا ٠٠ احدى ممالك آسيا الصغرى التى عانت كثيرا من عسف الآشوريين وظلمهم ٠٠ هى شخصية الأمير بسامتيك ابن الأمير نخاو الذى كان قد قاد حركة التحرير فى شمال الدلتا والذى كان الآشـــوريون قد القوا القبض عليه ٠

وعندما بدأ بسماتيك زحفه تجاه منف كان بين جنوده فرقتين من الجند الايونيين والكاريين أرسلهما له ملك ليديا ٠ وكانت الثورات الداخلية قد بدأت تأكل ســـلطة الاشوريين فى كل مكان ٠٠ الأمر الذى شغل الملك « آشور بنى بال » ولم يدع له الفرصة كى يوجه قواته من جديد الى مصر ٠٠

● عاد الســـلام الى الوادى ٠٠

وعندما تركت القلاع وشأنها وفتحت الابار من جديد وأخذ حراس الليل يعملون فى حقولهم كالمعتاد ٠ عندما بدأ المصريون يغنون لنصرهم الجـــديد ٠ كان سمانيك يؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى حكم مصر ٠ ٠وكانت الثقة العظيمة التى ملأت نفس كل مصرى بالنصر على الآشوريين قد مهدت لعصر جديد فى مصر القديمة ٠٠ اصطلح العلماء على تسميته بعصر النهضة ٠

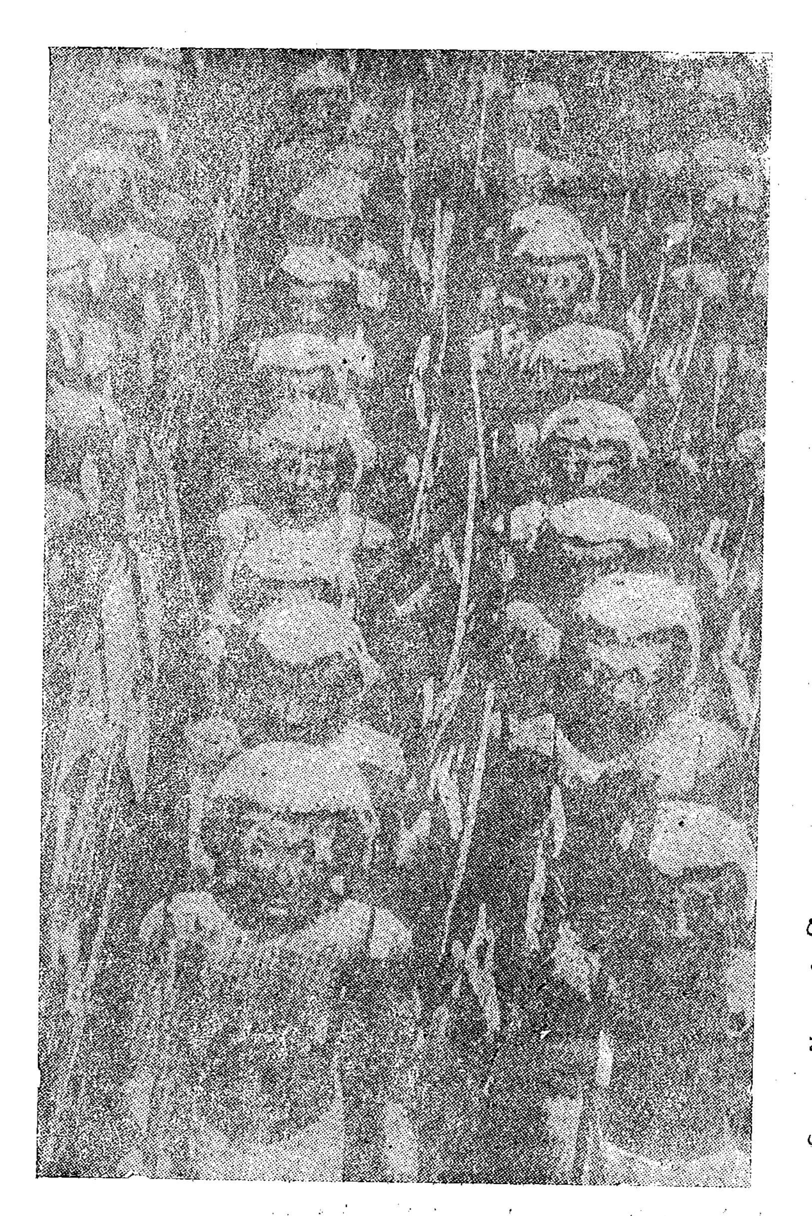
كان كل ما هو مصرى مدعاة للتفاخر ٠٠ وولد هذا الاحساس الجديد بالقومية اتجاها عارما من أجل احياء تقاليد الدولة المصرية القديمة ٠ ٠من أجل اعادة النظر فى التراث المصرى لاحياء كل ما هو مصرى بحت ٠ وعاد الى الوادى عصر الأهرامات الشاهقة والعلوم المتقدمة والالهة العظمى واللغة الفصحى والفراعنة الملهمين ٠٠ وسارت مصر بذلك قدما فى استعادة مجدها القديم ٠

الخيانة تمكن قمبيز من مصر :

« انا قمبيز ٠٠ اكتب اليكم هذا ٠٠ فاذا استمعتم له كان ذلك خيرا لكم وألا فكونوا مستعدين لملاقاة جام غضبى الذى سأصبه على رؤوسكم لأننى سيد الأرض كلهـــــا » ٠

من رسالة قمبيز للمصريين

« أى قمبيز ٠ أيها التعس ــ تدبر أمرك ٠ وفكر مليا فيما أنت مقدم عليه ٠



الشـعوب المختلفة التى دخلت فى حروب مع مصر ابتداء من القرن السادس عشر قبل الميـلاد (١) الشريدان · أو شعوب البحر ·· أهل سردينيا الان (٢) التكلش كانوا يسكنون الجزر اليونانية (٣) الربو كانوا يسكنون أرض ليبيا (٤) الخارو·· الشعوب الهندو أوربية (٥) الرتنو ·· الشعوب التى كانت تسكن أعالى الفرات ·



هلا اتغظت بالملوك الآشوريين والحيثيين وأولئك الذين يقطنون المناطق الغربية ٠٠ ألم يكونوا وسوف يلحق بك العار على أيد جنودنا »

من رسالة المصريين لقمبيز

كانت قد مهدت للغزو الفارسى لمصر ظروف دولية ـ غيرت من موازين القوى فى العالم القديم ٠ انهارت دولة الآشوريين بعدما اكتسح المصريون حاميات جندهم فى فلسطين وبعدما انتشرت ثورات الشعوب المحكومة فى الامبراطورية الواسعة الاطراف ٠ وكانت فارس قد أصبحت قوية فتية جديدة ترنوا الى بسط نفوذها على كل شعوب الشرق القديم ومنها مصر ٠٠ كانت هى المؤهلة تاريخيا لارث الامبراطورية الآشورية المقوضة ٠

ومع أن قمبيز كان يتردد كثيرا فى مهاجمة مصر ٠ فلقد كانت ضراوة حركة التحرير التى نشبت فى مواجهة الوجود الاشورى فى الدلتا لازالت ماثلة فى الاذهان ٠ وكان قمبيز نفسه يجهل الكثير من أحوال مصر الداخلية ويخشى الصحراء الوعرة ومسالكها المجدبة ٠ الا أن ثمة ظروف شجعت قمبيز أخيرا ٠٠

● يدخلون بالخيـــانة :

لقد استسلمت له ، سوريا بدويلاتها الكثيرة ٠ وتخلت قبرص عن التعاون مع مصر ووضعت فينيقيا أسطولها الكبير تحت أمرة الفاتح الفارسى ٠ وساقت الصدف ٠٠ فانيس مغامر قديم عاش فى مصر قائدا لفرقة من الجند المرتزقة ووقع بينه وبين الملك المصرى « ايا أحمس » خلاف قوى اضطر بسببه الى الهرب والتجأ الى قمبيز عارضا عليه خدماته مؤكدا له قدرته على أن يساعده على غزو مصر ٠٠ وكان ثمة ظرف آخر ٠ ذلك أن نفرا من اليهود كانوا يعيشون فى مصر كانوا على استعداد للتعاون مع قمبيز ٠ قمبيز ابن قورش ٠ الذى فك أسر اليهود المنفيين فى بابل واعادهم الى أورشليم وساعدهم على تعميرها ٠٠

ومع كل هذه الظروف القاسية ٠ ومع ضخامة الجيش الفارسى قاوم المصريون قمبيز مقاومة عنيفة ٠ ولربما أثار حميتهم فى الدفاع رؤيتهم لفانيس الذى كان يعيش بين ظهرانيهم يشارك عدوهم فى الاشراف على المعركة ٠ بل لقد بلغ غضبهم من فانيس حدا جنونيا حتى انهم أتوا بولديه وذبحوهما أمام عينيه واضافوا الى دمائهما الماء والنبيذ وداروا بالاناء على الجند المصريين يسقونهم جرعة لكـــل جندى انتقاما من فانيس الخائن ٠

تراجع الجيش المصرى تحت وطأة الطوفان الفارسى المسلح ٠ غير أن قمبيز لم يتابع هجومه ٠ فضل البقاء فى الفرما ٠٠ منتظرا انباء عيونه قبل أن يقدم على الخطوة التالية ٠٠ وجاءته الانباء بأن المصريين سوف يدافعون عن أراضيهم وأنهم سيكبدونه أكبر الخسائر ٠ وانهم لن يستسلمون ٠٠

عندئذ هاجم الجيش الفارسى مدينة منف واستولى عليها ٠ لكن ذلك لم يفت فى عضد المصريين ٠ لقد بدأوا من جديد حربهم التحريرية ٠٠ ومع أن مصادر التاريخ كلها تؤكد أن قمبيز أرتكب فى مصر فظائع يقشعر لها البدن حتى بقتل حركة المقاومة فى نفوس شعبها الا أن هذه المصادر تؤكد أن فترة الحكم الفارسى لمصر كانت فترة ثورات مستمرة ٠ استنفذت جهد العدو وأحالت وجوده الى جحيم مستمر بنار الغضب والانتقام ٠٠

ثمة وثيقة تعود الى العصر القبطى تتحدث عن غزو قمبيز لمصر والوثيقة القبطية تشكل دليلا على ما تركته حملة الفرس من ذكريات مؤلمة ثبتت فى أذهان المصريين على مر الأجيال فجعلوها من بين تراثهم القومى ٠ حكاية ينقلها الاحفاد عن الأجداد ٠٠

تبدأ الوثيقة القبطية لقصة الغزو ٠٠ بالرسالة الأولى التى بعث بها قمبيز الى الشعب المصرى ٠ يطلب منه الاستسلام دون قتال « تقول رسالة قمبيز » ٠

« أنا قمبيز » لم أكتب اليكم لارغامكم ٠ فانى لا أود الا زيارتكم لا حرج عليكم اذا حضرتم لى ٠٠ بل تعالوا فلسوف امنحكم مجدا أكثر مما تتمتعون به الآن ٠ ولربما حدثتكم أنفسكم بعدم الخضوع الى ٠ فاذا فعلتم فتكونون قد وضعتم ثقتكم فى أولئك الذين يسيرون بكم الى الدمار أى ملوك مصر وأمراء البلاد ٠ لن يستطعوا تخليصكم من قواتى وآلاتى الحربية انظروا ٠ أنا قمبيز أكتب اليكم هذا واذيع عليكم ٠ فاذا استمعتم له كان ذلك خيرا لكم وألا فكونوا مستعدين لملاقاة جام غضبى الذى سأصبه على رؤوسكم ٠ لأننى سيد الأرض كلها » ٠

رفض المصريون الرسالة ٠٠ واراد الجند أن يذبحوا رســــول قمبيز الا أن رؤساءهم أوصوا بعدم قتله والسماح له بالعودة حاملا رد المصريين على رســـالة قمبيز ٠ تقول رسالة المصريين الى قمبيز ٠

● رســـالة المصريين :

« يكتب هذه الرسالة جميع المصريين الى أولئك الذين يقطنون اقاليم الغرب

ويعيشون فى الهند · نكتب اليك أيها الجبان الرعديد قمبيز لقد تركنا رسولك يذهب بسلام · لا خوفا منك · بل نزولا على أرادة فرعون الذى يحكمنا بمجد عظيم · لقد تركنا الرسول لشأنه ولم نذبحه · ولكن اذا اثرتم سخطنا فأنت تعلم ما نحن فاعلون · فنحن قوة فرعون ومجد مصر وبطش جنودنا سوف تعلم أيها العبد ما سيحل بك · سنوردك موارد التهلكة · وسنلقى بأتباعك الظالمين خارجا وسنحرق الهتك المرافقة لك أما أنت فلن نضيع الوقت فى طهى قطع من لحمك · بل سنمزقه بأسناننا كما تفعل الدببة والسباع الضارية ·

والآن أيها التعس تدبر أمرك وفكر فى الأمر مليا فيما أنت مقدم عليه قبل أن ينصب عليك غضب مصر · فمن من الملوك لابين الاشوريين فحسب · بل من ملوك العالم كلهم قد استكبر على مصر حتى بعد التغلب عليها فهل تطمع أنت فى التغلب عليها هلا اتعظت بالملوك الحيثيين وأولئك الذين يقطنون الاقاليم الغربية · أليسوا جميعا على جانب عظيم من القوة والجاه · فلماذا لم ينجوا ببلائهم من قبضة مصر عندما تعاظموا بل قبعوا لكى لا يصيروا عبيدا لنا ! يا للعجب أن تهاجم أنت مصر ··

سيحل بك العار على أيدى جنودنا » وكان وصول رد المصريين الى قمبيز ايذانا ببدء الحرب الفارسية المصرية ·· الحرب التى سجل فيها المصريون أروع الصـــور دفاعا عن موقعهم حرا فى العالم ·

ـــ دروس وعبرة :

غادر الهكسوس مصر على يد « أحمس » حوالى سنة ١٥٨٠ ق٠م ، الذى يعد مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وواضع حجر الأساس فى بناء مجد مصر الحربى ، ورأس عهد جديد زاهر هو عهد الدولة الحديثة ٠

وكان فى غزو الهكسوس واحتلالهم للبلاد عظة كبيرة للمصريين ، اذ أدركوا ما للقوة العسكرية من أهمية كبرى فى حماية الوطن والذود عن حياضه ٠ كما نتج عن اشتراكهم فى حرب التحرير ، تذوقهم لذة النصر وتهيؤ الفرصة لهم ليحذقوا أساليب القتال ولتنبعث فيهم الروح العسكرية ، ومن ثم فقد اهتموا بانشاء جيش قوى ، عامل ، منظم ، سلحوه بخير الأسلحة المعروفة فى ذلك الوقت ، وزودوه بالعجلات الحربية التى عرفوها عن الهكسوس ٠ وبهذا الجيش العظيم ، يتقدمه فرعون ويتولى قيادته ، تكونت ما جرى بعض المؤرخين على تسميتها ـ بالأمبراطورية المصرية ، التى كانت تشكل فى الحقيقة وحدة افريقية آسيوية تتزعمها مصر وتضم معها شمال السودان وفلسطين وسوريا ٠ والواقع أن مطاردة الهكسوس قد أتاحت الفرصة للمصريين ليطلعوا أنفسهم على موارد الأقطار الأسيوية ، ويتعرفوا الى شعوبها ، فأدركوا منذ ذلك الحين أن مصر وجيرانها يمكنهم أن يؤلفوا وحدة متكاملة مكتفية بذاتها ٠ وقد اضطر فراعنة الدولة الحديثة الى استخدام القوة فى اقامة تلك الوحدة وللمحافظة عليها ، نظرا لما كان عليه أمراء وحكام البلاد الأسيوية فى ذلك الحين من تفكك وانقسام ، وما كان يحاك وقتذاك من فتن واضطرابات ٠

● تحتمس الثالث :

وقد اضطر فرعون مصر العظيم « تحتمس الثالث » الى قيادة سبع عشرة حملة فى آسيا ضرب بها على يدى العابثين والمتآمرين ، وأحل بها الاستقرار والنظام محل الفوضى والشقاق ، حتى ذاع صيته فى مختلف الأرجاء ، وأخذ الملوك والأمراء فى شتى الأنحاء يخطبون وده ويرسلون اليه الوفود تحمل الهدايا وتقدم أطيب مشاعر المودة ، وهنا يجب التنويه بأن المصريين قد أنتهجوا سياسة حكيمة فى البلاد الاسيوية ، فهم لم يمسوا عقائدها أو قوانينها ، ولم يتدخلوا فى شئونها الداخلية الا بمقدار ٠ كما

تركوا حكامها الأصليين يباشرون سلطاتهم كما كانوا يباشرونها من قبل . وقد حفظ معظم هؤلاء الحكام الود لمصر ، وحين أخذ الحيثيون فى تهديد النفوذ المصرى فى تلك البلاد فى عهد اخناتون ، سارعوا الى ارسال الرسائل الى فرعون ينبهونه الى الخطر المرتقب ، ويناشدونه انقاذ الموقف ، ويأسـفون على تلك الوحـــدة التى توشك على الانهيار .

● اخناتون والخلافات الدينية :

والواقع أن هذه الوحدة التى أقامها المصريون بجهودهم وأرواحهم قد بدأت فى التفكك أثر الثورة الدينية التى أشعلها « اخناتون » عندما انهمك الفرعون فى التسبيح لمعبوده الجديد (١) وانصرف المصريون الى الخلافات الدينية ، فى حين أخذ النفوذ المصرى فى آسيا فى التداعى تحت ضغط الحيثيين ومؤامراتهم . كذلك ظل النظـــام الحكومى والادارى سليما ، يشرف عليه فراعنة الأسرة الثامنة عشرة بكفاية ومقدرة من عاصمتهم العظيمة « طيبة » حتى جاء « اخناتون » اذ نتج عن اغفاله لشئون الحكم أن فسدت الأداة الحاكمة ، وأساء الموظفون استخدام سلطة وظائفهم . ولكن لم تمض بضع سنوات بعد وفاة اخناتون حتى اعتلى عرش البلاد الفرعون المصلح « حور محب » الذى روعه ما رأى من فساد نظام الحكم وسوء حاله والذى أدرك بالرغم من أنه جندى قديم ورجل حرب – أن الأجدى لمصر أن تصلح شئونها الداخلية وتقضى على الفساد الذى انتشر فى البلاد ، فأصدر من القوانين الصارمة ما أصلح به حال البلاد ، وضرب به على أيدى العابثين ، فعبد بذلك الطريق أمام خلفائه ليستعيدوا مجد البلاد .

وقد حكمت البلاد بعد وفاة حور محب أسرة جديدة هى الأسرة التاسعة عشرة

---

(١) اتجه اخناتون نحو التوحيد فى العبادة وآمن بالله واحد لاشريك له تمثله فى قرص الشمس « آتون » الذى يرسل أشعته الذهبية على كل ما فى الكون ، حاملة الحياة والضياء . وقد قضى اخناتون معظم أيام حكمه فى محاربة « آمون » اله الدولة القديم ، وفى القضاء على نفوذ وسلطة كهنته ، وفى التبشير والدعوة للدين الجديد ، فى وقتكان يتطلب بذل أقصىالجهود وتعبئة كل القوىلواجهة خطرالحيثيين الجاثم على الأبواب . لقد كان هذا الدين الجديد مظهرا لاتساع افق الفكر عند المصريين كما كان أول دعوة للتوحيد عرفها التاريخ ، ولكنه لم يكتب له البقاء لعوامل متعددة ، منها تذمر الشعب ، وسخط رجال الجيش ، ومقاومة رجال الدين القديم .

التى أخذت مصر فى كنفها تسترجع ما فقدته من قوة ونفوذ ، وتجددت بفضل ملوكها من الرعامسة العظام وحدة بلاد الشرق العربى القديمة ، ويعد « رمسيس الثانى » أشهر ملوك مصر القديمة وأبعدهم صيتا ، كما تعد حروبه آخر المجهودات الحربية التى بذلها ملوك الدولة الحديثة فى سبيل المحافظة على الوحدة بين بلاد المنطقة ٠

◉ ازدهار العمارة والفنون فى عصر الدولة الحديثة :

وقد تميز عهد الدولة الحديثة برخاء وثروة منقطعتى النظير ،وبلغت حضارة البلاد مستوى لم تبلغه من قبل ٠ وتميل مخلفات المعابد من ذلك العصر ، والتى تنتشر أطلالها الرائعة على ضفاف النيل الى الضخامة والفخامة ، وتشير الى جمال الصنعة ودقة الفن ٠ نذكر منها بوجه خاص معابد طيبة التى كانت تعد عاصمة الدنيا فى ذلك الوقت ، والتى لبست ثوبا قشيبا من الفخامة والجمال وبخاصة فى عهـــد الفرعون « أمنحوتب الثالث » ومن أهم تلك المعابد معبدا الأقصر والكرنك فى البر الشرقى ، ومعابد الرامسيوم والدير البحرى ومدينة هابو فى البر الغربى ٠ ومن معـــابد ذلك العصر الرائعة أيضا معبد سيتى الأول من ملوك الأسرة التاسعة عشرة فى أبيدوس ، ومعابد « رمسيس الثانى » ببلاد النوبة ، وخاصة فى « أبو سنبل » ٠ ويعد بهو الأعمدة بالكرنك من عجائب البناء والعمارة ، اذ رفع سقفه على عمد بلغ عددها أربعة وثلاثين ومائة عمود يجاوز محيط الواحد منها عشرة أمتار ٠ يرجى أن تنظر الصور والرسومات والأشكال بهذه المعابد فى عهد تلك الأسرات ٠

كذلك تقدم الفن تقدما كبيرا ، كما يبدو فى تماثيل تحتمس الثالث ، ورمسيس الثانى ، وفى نقوش قبور وادى الملوك ووادى الملكات وقبور النبلاء بطيبة ٠ وتنطق مخلفات الصناعة فى قبور الدولة الحديثة وبخاصة فى قبر « يويا » و « تويا » والدى الملكة « تى » زوج « امنحتب الثالث » وفى قبر الملك « توت عنخ آمون » بمهارة الصانع المصرى ودقة صناعته ، وبلوغه الذروة فى الصناعات الدقيقة والفنون التطبيقية ٠

ما لم يذكره التاريخ :

فرعون يوسف
فرعون موسى

— من هو فرعون يوسف ؟
— العصر الغــامض الذى عاش فيــه سيدنا يوسف فى مصر وأين ··· ؟
— قبل دعوة الأنبياء عرف فلاســـفة أون » أول تفسير لنشأة الكون ·

سفر الخروج
بين الواقع والأساطير

— من هو فرعون موسى ···
— متى دخل اليهـــود مصر ، ومتى خرجوا منها ·
— ولماذا طردهم المصريون ···
— رحلة الخروج فى ســـــيناء وجبل موسى ·

● **لم يذكر التاريخ أو كتابه أو مؤرخوه ولم يتركوا خلفهم أية علامة عن يوسف ··· وكيف عاش فى مصر وأين ··· ؟ ومن هو الفرعون الذى أخرجه من السجون الى مقعد الرجل الثانى بعد الملك ؟**

من هو فرعون سيدنا يوسف ؟

والمعاول مازالت حتى الساعة تهبط وتصعد فى موقع الكشف الدينى والتاريخى الكبير عند مشارف القاهرة ·· ومازال السؤال الحائر يظلل المكان كله ·· هل هنا عاش سيدنا يوسف عليه السلام · كما جاء فى التوراة ؟ وأين مخلفاته ؟ وأين كان مكانه مع زوجته أسنات ابنة فوطيفارع كبير الكهنة وولديه منسيا وأفريم ؟ هل كان هنا فى أون أقدم مدينة على وجه الأرض أم خارج أسوارها فى مكان لا يعلمه الا الله ·

وهل آن الاوان ـ بعد الكشف عن المكان الذى عاش فيه سيدنا يوسف فى أون ـ أن نحل طلاسم العصر الغامض الذى مر بمصر خلال سنوات حياة يوسف ولا نعرف عنه شيئا ·· بل أن المؤرخين لم يتركوا لنا سطرا واحدا عن سيدنا يوسف · ولولا الكتب السماوية ما علم أحد بقصة يوسف !

بل ان فرعون يوسف الذى أخرجه من ظلمات السجون وجعل منه الرجل الثانى فى البلاد من بعده ·· لا أحد يعرف حتى الآن من هو ! ؟

— الحديث : حول ما اخرجته المعاول من بين اطلال أقدم مدن الدنيا .

— قلت : ولكن هـــل من الممكن أن نعثر هنا فى أون بعد اتمام أعمال الحفر كلها على مخلفات تقودنا الى حل طلاسم العصر الغامض الذى عاش فيه يوسف فى مصر والذى لم تصلنا منه أى معلومات الا من الكتب المقدسة لا غير ؟ ..

— والمتحدث : د. عبد العزيز صالح : لقد اشارت بعض نصوص التوراة الى مدينة أون وكهنتها واشادت بعض المؤلفات الاغريقية والرومانية القديمة بثقافتها الفكرية والتعليمية وكذلك فعلت بعض المصادر العربية القديمة ومهمتنا الآن اعادة بعث معالم هذه المدينة التىساهمت فى ركبالحضارة والثقافةالانسانية أكثر من خمسة آلاف عام وقد خرج من أون أقدم تفسير لنشأة الكون .. ولا جدال فى أنه قد أصبح بين أيدينا أول دليل مادى من كل العصور ومن بينها العصر الذى عاش فيه سيدنا يوسف عليه السلام فى مصر وهو ما ستكشف عنه الأيام القادمة .

● **انبياء جاءوا الى مصر (*) :**

اذا نحن تتبعنا قصة نزول الأنبياء والرسل الى الأرض .. وتتبعنا الانبياء الذين جاءوا الى مصر بالذات نجد أن أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام ويعقوبوموسى وعيسى قد جاءوا الى أرض مصر .. بعضهم مكث شهورا قليلة مثل أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام ومنهم من مكث سنوات حتى مات بأرض مصر مثل يعقوب عليه السلام الذى مات بمصر وعمره ١٤٧ سنة . وعيسى عليه السلام الذى مكث بأرض مصر ١٤ عاما مع أمه العذراء مريم .. أما يوسف عليه السلام فقد جاء الى مصر وعمره ١٣ عاما ومات بها وعمره ١١٠ أعوام .

ولقد استمرت رحلة الأنبياء على الأرض من حوالى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد أى منذ أكثر من ٤ آلاف سنة لتتوقف عند عام ٥١٧ ميلادية عندما نزل آخر المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وحتى الآن لا نجد لقصة يوسف مخلفات أو آثارا تاريخية بين أيدينا وقد يكون التفسير الوحيد لذلك هو توقف التاريخ المصرى فى فترة بدأت من القرن السابع عشر قبل الميلاد وحتى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد .. عندما دخل الملوك الرعاة أو كما أطلق عليهم المصريون القدماء « حقا وخاسوت » أو كما يعرفهم التاريخ « الهكسوس » الذين دخلوا

(*) بحث للاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح
جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٩/٨/٢٦ .

مصر كسيل جارف وتوغلوا فى مدن مصر وبدأ حكمهم بحمامات من الدم وتحطم على أيديهم كل ما هو جميل ورائع على أرض مصر !

ولنترك مانيتون المؤرخ المصرى يصف ذلك كله بقوله :

●● كان لنا ملك يدعى تحتمس وقد حدث فى عهده ولست أدرى لماذا غضبت علينا الالهة أن زحفت علينا من الشرق على غير انتظار أقوام من أجناس غريبة وفى زهو من النصر والبطش اكتسحوا بلادنا دون معارك وبعد أن قهروا حكامنا أحرقوا مدننا دون رحمة وهدموا هياكل الالهة وبطشوا بأهالى البلاد ، فذبحوا منهم من ذبحوا وحملوا النساء والأطفال أسرى وعبيدا وأخيرا عينوا من رجالهم ملكا علينا يدعى « ساليتيس » استقر فى منف واخضع شعب مصر العليا والسفلى فدفعوا له الجزية صاغرين وأقام المعسكرات التى تحميه وأعد جيشا قوامه ٢٤٠ ألف مقاتل لحراستها وتعرف الآن باسم هوارة فى شرق الدلتا ٠

●● وللباحث المصرى المدقق حبيب سعيد دراسة عميقة متكاملة عن فرعون يوسف يقول فيها :

« يرجح بعض العلماء والمؤرخين أن سيدنا يوسف قد جاء خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ مصر ولذلك فليس من المستغرب أن التاريخ لا يذكر من هـــذه المعلومات أن الأدلة تثبت صدق القصة الكتابية ٠

وفى احدى الوثائق المصرية القديمة قصة من القصص الشعبى الـــذى أحبه المصريون القدماء وعنوانها « الاخوان » كتبها الكاتب المصرى القديم « آنا » للفرعون « سيتى الثانى » أحد فراعنة الأسرة ١٩ قبل تولية عرش البلاد ٠٠ وقد عاش الكاتب فى عصر « مرنبتاح » ولا نستبعد أن هذا الكاتب قد نسج خيوط قصته من قصة يوسف التاريخية والقصة كما كتبها بالحرف الواحد :

●● عاش فى عصر من العصور اخوان ولدان من أم واحدة وأب واحد كان اسم الاكبر (أنوب) والاصغر (باتا) وكان للاكبر دار يسكنها وزوجة يأنس اليها أما الاصغر فقد عاش معهما كأبن لهما وكان يخيط لهما الثياب ويرعى الماشية فى الحقل ويحرث ويزرع ويحصد ٠ وكان فلاحا لا نظير له فى شئون الفلاحة ٠ وفى ذات يوم أرسل « أنوب » أخاه « باتا » الى البيت ليجىء اليه ببعض البذور ولما بلغ الدار رأى زوجة أخيه منهمكة فى تمشيط شعرها وقال لها : قومي هاتي لي كمية من البذور لكى

أخذها وأعود بها الى الحقل بدون أبطاء كما أمرنى أخى فقالت له المرأة : ادخل الغرفة وخذ من البذور كما تريد ، فدخل وملأ وعاءين من بذور القمح والذرة ٠

ثم سألته : ما وزن الحمل الذى تحمله فوق كتفيك فقال : مكيالان من الذرة وثلاثة مكاييل من القمح فنظرت المرأة الى الصبى وقالت ما أشد قوتك وما أحلاك يا فتى ومال قلبها اليه وربتت على كتفه وقالت تعال لنقضى ساعة من الراحة والمرح ٠

وهنا غلا الدم فى عروق الفتى ، وهاج كنمر شرس مفترس ، أما هى فقد وقفت خائفة مذعورة ٠ وقال لها يا امرأة كنت لى مثل أمى ، وأخى فى منزلة أبى لأنه أكبر منى ٠ فما هذا الشر الذى تكلمت به ؟

وعاد الزوج فى المساء كعادته ليجد زوجته ممددة تشكو من أذى ألم بها ولم تقـــدم له ماء لغســـل يديه كعادتها ، ولم تشعل له السراج ، فكان البيت فى ظلمة وحين رأها زوجها على هذه الحال قال لها ، من الذى اعتدى عليك ؟ انهضى ! فأجابت « لم يؤذنى أحد الا أخوك الأصغر ، فلما جاء يأخذ البذور وجدنى وحدى فقال لى : « هيا بنا نلهو ونمرح ساعة ، أرخى شعرك » وهكذا حدثنى فأجبته « ألست أنا مثل أمك أليس اخوك مثل أبيك » على أنه لم يصغ الى كلامى واستخدم العنف معى ، لكى لا أبوح لك بهذا السر ٠ والان أن كنت لا تقضى عليه فأنا سأقتل نفسى ٠

وهنا اهتاج الأخ الاكبر ، واستشاط غضبا كنمر شرس ، وشحذ سكينه وأخذها فى يده ووقف وراء باب الحظيرة ليقتل أخاه الاصغر عند عودته مع الثيران والأبقار فى المساء ٠ وبعد أن غابت الشمس حمل الأخ الاصغر طيبات الحقل على كتفه ٠ وعاد مع الماشية كعادته ٠ وما أن خطت أول بقرة باب الحظيرة حتى قالت له : احذر ! ان أخاك يقف وراء الباب وفى يده السكين يقتلك بها ٠ وهكذا قالت له البقرة الثانية ٠ فأطل الى أسفل الباب ولمح قدمى أخيه واقفا ٠ فألقى بحمله على الأرض وفر هاربا وأخوه يركض وراءه والسكين بيده ٠ ولكن رع « اله الشمس » خف لنجدة الغلام البرىء ووضع نهرا ، تسبح فيه التماسيح بينه وبين أخيه ، وقضى الاثنان الليل كله يقف أحدهما قبالة الاخر ٠ وفى الصباح اقنع الفتى اخاه الأكبر بأنه لم يرتكب جرما وأنه أخطأ اذ صدق زوجته ٠ ثم افترق عن أخيه ، وعاد الاكبر الى البيت وقتل زوجته ، وقضى بقية حياته فى عزلة وغم وحزن ٠

هذه عينة من القصص الشعبى المأخوذ من قصة يوسف ومدونات التاريخ ٠

مجاعات عمرها ٧ سنوات ولكن ماذا كشفت عنه الحفائر عن فرعون يوسف ؟

● ●في سنة ١٨٨٨ عثر على نقش هيروغليفي في جزيرة تقع بين أسوان وفيلا يصف مجاعة أخرى امتدت الى سبع سنوات حدثت في تاريخ مبكر ، ويؤخذ من النقش أنها وقعت في السنة الثامنة عشرة من حكم ملك يظن أنه من الأمراء الاثيوبيين الذين حكموا مصر العليا في العصر الذي ساده الاضطراب في أسرتي البطالمة الرابعـــة والخامسة ·

● ● وقد أثبت أحد العلماء الباحثين وهو دكتور بروجش حدوث مجاعة أخرى في مصر في تاريخ مبكر ·· ففي القبور المنقورة في الصخور حيث كان أمراء طيبة يعقدون مجالسهم في عصر الهكسوس وجد قبر لأبي القائد أحمس » وهو الذي عاون فرعون الأسرة الثامنة عشرة الذي طرد الهكسوس من اخر معاقلهم في مصر · ويشيد هذا القائد بالأعمال المجيدة التي أتاها ويضيف « حين وقعت المجاعة التي امتدت سنوات كثيرة أخرجت الحنطة من مخازني » ·

وقد تكون هذه المجاعة هي التي وصفها سفر التكوين من الكتاب المقدس · وكان من اثار هذه المجاعة أن سلم المصريون أراضيهم وقطعانهم الى يوسف · وباتوا هم مزارعي فرعون يتناولون خمس المحصول ·

● ●وقد جاء في سفر التكوين وعد صريح لابراهيم عليه السلام « أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم · فيذلوهم أربعمائة سنة » (تكوين ١٥ : ١٣) ·وان كان الخروج قد تم في أواخر أيام الأسرة التاسعة عشرة ــ فان الــ ٤٣٠ سنة التي ذكرها السفر المقدس تأخذنا الى بداية الأسرة الاخيرة من عصر الملوك الرعاة ·

● ● ومن الغريب حقا أن التاريخ المصري يذكر فترة مداها ٤٠٠ سنة تكاد تكون الفترة عينها التي جاءت في سفر التكوين · فقد عثر المنقبون في صان ــ وهي صوعن القديمة ــ على لوحة كبيرة من الحجر أقيمت في عهد رمسيس الثاني وصنعها أحد ضباطه وهو حاكم الحدود الاسيوية ·

وقد أقيمت اللوحة الحجرية احياء لذكرى زيارة قام بها الحاكم لمدينة صان في اليوم الرابع من شهر ميسوري في السنة الاربعمائة من حكم « ملك مصر العليا والسفلى ستيافيتي ابن الشمس الذي أحبته ويدعى أيضا ست نبتي · ولما كان « سيت » أو « سوتيك » هو اله الهكسوس·ولما كانتصان (صوعن القديمة) عاصمة الهكسوس ،

فانه يبدو أن هذا الأمير « ست نبتى » كان أحد أمراء الرعاة الذى حكم مصر والذى بدأت به أسرة من أسر أولئك الغرباء • ويظن بعض علماء الاثار أنه أحـــد فراعنة الهكسوس باسمه كانت بداية اخر أسرة من الملوك من المرجح أن الفترة التى اقترنت باسمه كان بداية اخر أسرة من الملوك الرعاة •

●● ويقول يوسيبيوس المؤرخ المعروف أن زعيم هذه الأسرة الاخيرة كان « سايتس » وهو قريب من « سيتا فيتى » • ويقول أيضا أن فراعنة هذه الأسرة حكموا ١٠٣ سنوات ولكن افريقانوس وهو عادة أدق وأصدق فى حساباته • اخر عهـــد الهكسوس فى حوالى سنة ١٧٢٠ ق٠م وهو تاريخ يتفق تماما مع الأثر الذى عثر عليه فى صان • وان كان خروج بنى اسرائيل قد تم فى عصر مرنبتاح فانه يكون قد وقع سنة ١٢٧٠ ق٠م أو سنة ١٢٥٠ ق٠م أن كان قد تم ـ كما يقول المؤرخون ـ فى عهد سيتى الثانى •وفضلا عن ذلك فان هذا التقدير يتفق تماما مع أقوال بعض المؤرخين اذ جاء فى أساطيرهم أن يعقوب انحدر مع أولاده الاثنى عشر الى مصر سنة ١٧٠٦ ق٠م وسكنوا هناك وتكاثروا حتى صاروا أمة عظيمة •

ثلاثة ملوك باسم سيزوستريس :

●● والتاريخ المصرى من ذلك العصر كما تقول اثار كرنك وطيبة القديمة يبدأ بملوك الأسرة ١٢ ويذكر المؤرخون ملوك هذه الأسر بطريقة غير منتظمة •

أما الأسرة ١٢ فقد صارت مملكة واحدة عاصمتها طيبة وأول من أستقل بالمملكة هو « أوسير طاسن » وهو الاسم اليونانى للملك سيزوستريس وقد عثر علماء الاثار على ثلاثة ملوك بهذا الاسم ولذلك فالمرجح أن يكون أحدهم هو شخص فرعون يوسف !

●● وقال بعض المؤرخين أن فرعون يوسف لم يكن من ملوك العرب أو العمالقة بل كان من العائلة المصرية التى تولت مصر قبل دخول الرعاة وليس بعد خروجهم ويرجحون أن سيزوستريس أحد ملوك الأسرة ١٢ ويؤيد ذلك لوح عثر عليه فى مقابر بنى حسن يثبت حدوث قحط شديد فى حكم « أوسيرطاسن » الأول وقد عثر فى مقابر بنى حسن وهى أقدم مقابر الملوك فى مصر بعد الأهرام على جثة أمير محنطة وقد نقشت على قبره هذه العبارة •

« فى سنى القحط زودت كل سكان اقليمى بالطعام اللازم » •

وفى هذه الحالة تأخذنا الـ ٤٣٠ سنة اقامة بنى اسرائيل فى مصر الى الوراء

الى سنة ١٧٠٠ أو سنة ١٦٨٠ قبل الميلاد ومعنى هذا أنه حدث بعد حوالى عشرين عاما من تأسيس آخر أسرة من الملوك الرعاة أو قبل تأسيس الاسرة ١٨ بحوالى مائة وثلاثين عاما وفى زعم أصحاب هذا الرأى أن يوسف كان وزيرا لمصر قبل حروب الاستقلال ٠ وكان قد عاش ومات قبل أن يطرد أولياؤه واصدقاؤه من الأرض التى احتلوها طويلا ٠

وهناك رأى آخر ذهب اليه بعض الباحثين الذين قالوا أن يوسف عاش ومات فى عهد الملوك الرعاة ٠ ولكن عددا من الباحثين فى الأصول التاريخية لهم رأى له وزنه وثقله التاريخى يقولون :

« لقد كان أبو المؤمنين فى الخامسة والسبعين من عمره عند تلقى الموعد ٠ وتدلنا قرائن الكلام على أنه انحدر الى مصر فى تلك السنة عينها (تكوين ١٢ : ٤) وولد اسحاق بعد ذلك بخمس وعشرين سنة لما كان عمره مائة سنة (تكوين ١ : ٥) وولد يعقوب لما كان عمر أبيه ستين سنة ونزل الى مصر لما كان مائة وثلاثين سنة (تكوين ٤٧ : ٩) فاذا قدرنا هذه السلسلة بطريقة حسابية كانت النتيجة :

٢٥ + ٦٠ + ١٣٠ = ٢١٥ سنة وهى المدة الأولى من اقامة بنى اسرائيل فى أرض غربتهم أى كنعان ولأنها كانت تعتبر أرضا غريبة فى ذلك العصر ٠ واما المدة الثانية فقد قضوها فى مصر فى شكل عبودية وكلتا المدتين متضمنتان فى الاربعمائة وثلاثين سنة الوارد ذكرها فى (خروج ١٢ : ٤٠) ٠

ويتضح من سفر التكوين ١٥ : ١٣ وسفر الخروج ١٢ : ٤٠ أن الـ ٤٣٠ سنة هى التى قضاها بنو اسرائيل فى الغربة ٠٠

اللغز الكبير هل يجد حلا ؟ ولكن ماذا بعد ذلك كله :

● هل عاش يوسف فى فترة الاضطراب الأول بعد سقوط الدولة القديمة وهل فرعون يوسف قد عاش من نهاية الأسرة السادسة حتى الأسرة العاشرة ؟ أم أن فرعون يوسف عاش فى فترة حكم الهكسوس لمصر وهى الفترة التى لم يدون فيهـــا أى أثر مكتـوب ؟ أم عاش فى عهد سيزوستريس الذى شق الترع ونظم وســـائل الرى فى الاسرة ١٢ كما تؤكد ذلك بعض الآثار المكتشفة فى هذا العصر ؟

واذا كان من المرجح ـ حتى الآن ـ أن فرعون يوسف هو نفسه الملك سيزوستريس ٠٠ الا أن المعاول الهابطة الصاعدة فى أعماق أقدم مدينة فى الوجود سوف تحمل لنا فى الأيام القادمة اجابة حاسمة لهذا اللغز الكبير ٠٠ بما يتفق تماما مع كل ما جاء فى الكتب السماوية !

وإذا كان نبى الله يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبو الأنبياء قد عاش بالفعل ·· كما جاء فى التوراة فى هذا المكان الذى ظل نحو ٦ آلاف سنة يحمل اسم أون أو « أونو » ·· فان نفس المكان قد خرجت منه قبل يوسف وقبل كل الانبياء أول عقيدة دينية قالت بوجود الاله الواحد الأحد الذى خلق الوجود كله ·

·· كيف كان ذلك ومتى ؟ ذلك تحقيق الغد ·

هل تزوج يوسف من زليخة ؟

●● لا أحد يعلم على وجه التحديد مصير زليخة زوجة فوطيفارع أو عزيز مصر هل تزوجها حقا سيدنا يوسف ·· رغم أنه قد زوج بالفعل من اسنات ابنة كاهن أون وانجب ولدين منسيا وأفرايم ؟؟!

ولقد ثار جدل كبير حول نهاية قصة سيدنا يوسف وامرأة العزيز ولقد انهت حلقات محمد رسول الله فى التليفزيون قصة زليخة ويوسف — المعتمدة من علماء الأزهر — بزواجهما ·· ورغم القرآن الكريم الذى أفرد ليوسف سورة كاملة باسمه وحكايته الا أن السياق القرآنى — كما يقول الزميل أحمد بهجت فى كتابه أنبياء الله — قد أهمل تماما قصة امرأة العزيز فلا نعرف ماذا كان من أمرها بعد شهادتها الجريئة التى اعلنت فيها براءة يوسف وايمانها — ضمنا — بدين الله الواحد الأحد — حين قالت : « أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » ثم قالت : « وما أبرىء نفسى أن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى · ان ربى غفور رحيم » · وكل ما نعرفه عن مصير العزيز وصل الينا من الحكايات والأساطير التى نسجت من حولها :

● قالوا : ان زوجها العزيز مات وتزوجت من يوسف فأكتشف أنها عذراء واعترفت له أن زوجها كان شيخا لا يقرب النساء ·

● وقالوا : أن بصرها ضاع بسبب بكائها الطويل على يوسف وخرجت من قصرها وتاهت فى طرقات المدينة ، فلما صار يوسف كبيرا للوزراء ومضى موكبه يوما هتفت به امرأة ضريرة : سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية · وجعل العبيد ملوكا بالطـــاعة !

وسأل يوسف : صوت من هذا ؟ فقيل له : هذه امرأة العزيز انحدر حالها بعد عز ·· واستدعاها يوسف وسألها : هل تجدين فى نفسك من حبك لى شيئا ؟ قالت : نظرة الى وجهك أحب الى من الدنيا يا يوسف ·· ناولنى نهاية سوطك فناولها فوضعته على صدرها · فوجد السوط يهتز فى يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها !

وهكذا تحولت قصة زليخة الى أسطورة !

● **قبل دعوة الأنبياء عرف فلاســفة « أون » أول تفسير لنشأة الكون ٠**

— **قالوا بأن الاله « أتوم » خلق نفسه بنفسه ثم خلق الدنيا وما عليها ٠**

— **قالوا بأن الحياة من الهواء والرطوبة وان الاله رفع السماء الى أعلى ٠**

● **وهنا عرفوا الاله الواحد الأحد ٠**

هل هى أول صورة لسيدنا يوسف ؟

اثارت اللوحة النادرة التى نشرها الأهرام هنا أمس نقاشا طويلا ٠

واللوحة تصور أحد العبرانيين الذين قدموا من خلف نهر الفرات الى مصر وقال علماء الاثار والتاريخ أنه من دراسة الملابس وألوانها ومن الرمح والعصـــا يعتقدون أنها لسيدنا يوسف نفسه ٠٠ وبذلك تصبح اللوحة أول اثر مادى ــ بخلاف ما جاء فى الكتب المقدسة ــ على وجود يوسف فى مصر !

وقد عثر عليها فى قبر أمير اسمه « ناهاربين نمهت » مستشار الملك وأمير الامارة وهى تصور الأمير نفسه يستقبل جماعة من الناس يقدمهم اليه أحد الكتبة فى يده لوح مكتوب عليه مورخ السنة السادسة من حكم سيزوستريس الثانى ٠٠ وزعيـم جماعة الغرباء وعددهم ٣٧ شخصا ممسك بوعل من قرنيه وقد ارتدى ثوبا كثيــر الألوان ٠

وقد فشل المؤرخون فى حل طلاسم الكتابات الهيروغليفية فى اللوحة فقالوا يمكن القول أنه من ألوف الغرباء الهوجاء وألوانهم الفاتحة أنهم ليسوا بمصريين ثم الرداء والألوان والرمح والقوس والعصا كلها من خواص آل يعقوب ولكن واضح من قوة بنية زعيم الجماعة انه ليس نبى الله يعقوب فقد كان وقتها قد تجاوز المائة والثلاثين من عمره ٠ وربما كان يوسف نفسه أو أحد اخوته الذين جاءوا الى مصر أو حلوا فى أرض جاسان ــ الشرقية الآن ــ

واللوحة ترجع الى عصر الاسرة الثانية عشرة خلال حكم الفرعون سيزوستريس

الثانى وقد حدثت أيامه سنوات قحط شديد كما تصور ذلك لوحة المجاعة المحفورة فى أحد كهوف بنى حسن على شاطىء النيل ذلك كله يشير الى أن يوسف عليه السلام قد عاش أيام هذه الأسرة وبالذات فى سنوات حكم فرعون مصر سيزوستريس الثانى ٠

على أى حال فاللوحة تمثل دليلا ماديا هاما على وجود يوسف فى مصر ٠٠ وبقى أن تقدم لنا عمليات التنقيب التى مازالت تجرى الآن فى مدينة أون شرق القاهرة على دليل مادى آخر قد يكون بيت يوسف نفسه أو بيت زوجته أسنات أو حتى بيت حماه فوطى فارع كبير كهنة أون ٠

وهنا عرفوا الاله الواحد الأحد :

واذا كان سيدنا يوسف عليه السلام قد عاش فى مدينة « أون » أقدم مدن الأرض وتعلم فى جامعتها القديمة القراءة والكتابة باللغة الهيروغليفية والحكمة والفلسفة والفلك ٠٠ فان « أون » نفسها التى تحدثت عنها التوراة هى مدينة الحكمة والفلسفة والأديان منذ فجر التاريخ المكتوب ٠

— منها عرفت الدنيا قديما قبل نحو ٦ آلاف سنة وقبل نزول الأنبياء الى الأرض بنحو ٢٠٠٠ سنة أن وراء هذا الكون خالقا واحدا أحدا هو الله !

— ومنها عرفت الدنيا أول تقويم شمسى لشهور السنة والذى يعرف خطأ بالتقويم القبطى ٠

— وفى جامعتها ـ أقدم جامعة فى العالم ـ تعلم الفلاسفة العظام والعلماء الذين غيروا وجه الحضارة الانسانية كلها :

وهو مسند ظهره الى أحد الأعمدة الباقية من أحد المعابد القديمة فى أون راح «د٠عبد العزيز صالح » وعيناه تلمعان بأفكار عميقة قديمة وكأنه فوطىفارع كبير كهنة أون ٠٠ يقول : « هنا فى هذه المدينة القديمة قدم الدنيا نفسها خرج أول تفسير لنشأة الوجود فى العالم ٠٠ الغريب أنهم هنا فى أون قد توصـــلوا بثاقب فكرهم وعميق ايمانهم الى أن وراء هذا الكون الها واحدا أحد لا شريك له فى الملك ٠٠ أقام الدنيا بنفسه وخلق كل شىء بعد أن خلق نفسه بنفسه ! » ٠

● قلت بأنبهار شديد : عرفوا الله الواحد الأحد قبل نزول الأنبياء والرسل الى الناس فى الأرض بنحو ألفين من الأعوام !

— قال بنفس نبرات صـــوته الهادئة الخالية من الانفعالات : نعم ٠٠ بل انهم سبقوا علماء الغرب كلهم وفى مقدمتهم داروين وغيره الى تفسير نشـــأة الكون والمخلوقات كلها بنحو ٦ آلاف سنة كاملة ٠

● كيف ؟

— « لقد ردوا الكون الى عناصره الأساسية والقوى العظمى المتحكمة فيـــه ٠٠ فافترضوا فى البدء محيطا مائيا أزليا لا حياة فيه وأطلقوا عليه اسم « فون » ٠٠ وخرج من هذا المحيط الأزلى اللا نهائى اله خالق أوجد نفسه بنفسه وخلق ولم يخلق وهو أتوم » كما أطلقوا عليه ومعنى هذا الاسم « الكامل المتناهى ! » ٠

مرسل من عند الله :

● قلت : اسمح لى أن أقاطعك لقد جاء فى احدى آيات القرآن الكريم آية كريمة تقول : « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ٠٠ وفى التوراة وفى انجيل يوحنا على ما أعتقد عبارة تقول : وفى البدء كان الماء ٠٠ فكيف توصل فلاسفة أون وقد سبقوا نزول الكتب المقدسة والرسالات السماوية بنحو ٢٠٠٠ سنة الى هذه الحقائق الأساسية حول نشأة الكون ؟

— « لا تفسير لذلك الا واحدة من ثلاث :

١ ـ أما أنهم توصلوا الى ذلك بالفطرة والشفافية المطلقة ٠٠

٢ ـ وأما أنهم بلغوا قمة التفكير الانســـانى والتعمق فى الحيـــاة والخلق والمعرفة ٠٠

٣ ـ وأما أن الله قد أرسل اليهم أو أحدا قبلهم رسلا ، قاموا بهدايتهم وتعريفهم بالطريق الصحيح ٠وقد جاء فى القرآن الكريم أن الله عز وجل قال موجها حديثه الى خاتم المرسلين ما معناه أنه قد أرسل رسلا من عنده الى الناس فى الأرض ٠٠ لم يذكرهم له وأنه لم يقص عليه كل قصص الأنبياء والرسل الذين نزلوا الى الأرض » ٠

● وسبقوا أيضا تفسير علماء الغرب لنشأة الوجود الذى يقول ان الحياة بدأت من قلب محيط مالح ثم تكونت الخلايا الأولى وبعدها الاسماك البدائيـــة ثم الحيوانات المائية التى زحفت الى البر لتبدأ سلسلة الحياة والتطور على الأرض الذى انتهى الى الانسان الحالى وباقى المخلوقات !

« ليس هكذا بالضبط ٠٠ ولكن فلاســـفة أون قالوا : ان أتوم الاله الخالق

قد خلق من نفسه عنصرين مقدسين هما « شو » روح الهواء والضياء والفضاء و « تفنون » روح » الرطوبة والندى و « شو » ذكر ٠٠ و « تفنوت » انثى ٠٠ ومن امتزاج هذين العنصرين المقدسين الهواء والرطوبة تكثفت الأرض والسماء وكانتا فى البداية متصلتين معا وقد ظلتا على حالهما من الاندماج معا حتى اذن لهما الله الخالق أتوم بالانفصال فانفصلا ٠٠ الأرض واسمها « جب » والسماء واسمها « توت » والأول ذكر والثانى انثى ٠٠ وقد رفع الاله أتوم السماء الى أعلى وملأ بينها وبين الأرض بنوره وأنفاسه ! » ٠

● لقد قال الحق تعالى فى كتابه الكريم « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » ٠

● ● ولكنهم فى أون لم يبلغوا مبلغ آيات الكتاب الكريم ٠ بل انهم قالوا ، أن اتصال السماء والأرض ــ ذكر وانثى ــ وانفصالهما قد انجبا أربعة عناصر أخرى كانت هى المرحلة الوسطى من الالوهية الى البشرية ٠٠ ويمثلها : أوزوريس وست وايزيس » ونفتيس وهم الرعيل الأول الذى يجمع بين الالوهية والبشرية وبدأ الاله الأكبر بهم فى مهمة تعمير الكون كله :

ــ أوزوريس رب الخصوبة والخير ٠
ــ وايزيس ربة الأمومة والحب والحنان ٠
ــ وست رب الشر والعواصف والرعد ٠
ــ ونفتيس ربة الحياة المستقرة ٠٠ وكان هؤلاء الذين جمعوا بين صفات الالوهية والبشرية هم الذين نزلوا الى الأرض وأقاموا الحياة فيها ومن بعدهم تتابع خلق البشر » ٠

● قلت : ولكن السؤال الآن هل استمر المصرى القديم منذ نحو ٦ آلاف سنة فى عبادة الاله الواحد الأحد المسمى بـ « أتوم » الذى عرفه كهنة وفلاسفة أون أم أنه دخلت الى حياته الهة أخرى عبدها أيضا بجانب الاله الأكبر ؟

● ● والجواب هنا من نصوص المقابر ومتون الاهرامات يقول : لقد تعددت الالهة وضاعت ملامح بداية ونهاية التوحيد فترة من الزمن ٠٠ حتى جاء اخناتون واعاد الروح اليها ٠٠ ليصبح اخناتون بالفعل أول من عرف الاله الواحد الأحد المطلق الذى لا شريك له من بنى **الانسان** ٠

قبل نحو ٥ آلاف سنة على الاقل ٠٠ كان الليل فى أون يمتلىء بالغموض والأسرار ٠٠ وكانت المعابد تضاء بمصابيح تشتعل بالزيت ٠٠ وكان الكهان ومن خلفهم سكان أون يرددون للاله الأعظم والقمر فى السماء بدرا كاملا :

« أتوم خلقت البشر جميعا ٠٠ ونوعت هيآتهم » ٠
« ووهبت الحياة لهم جميعا ٠٠ وفرقت بين ألوانهم » ٠
« يا سميعا عليما لرجاء عبدك ٠٠ يالطيفا بمن دعاك » ٠
« أجريت الرياح الأربعة حتى يأخذ كل انسان نفسه مثل أخيه » ٠
« وأجريت الفيضان حتى يأخذ الصغير نصيبه مثلما يأخذ الكبير » ٠
« وخلقت الناس سواء ولم تأمرهم بالمعاصى وارتكاب الشرور » ٠

الله خلق كل شيء :

ولقد تعلم الناس وفى مقدمتهم ملوك الفراعنة من كهنة أون عبدة الاله أتوم وها هو ذا خيتى ملك اهناسيا يقدم لولده كلام الاله : « أخفى الرب ذاته بذاته ولكنه يعلم طباع البشر ويدرك كل شيء من حوله ٠٠فاعبد الرب أينما كنت فانه كالنهر الكبير وما الانسان الا جدول صغير » ٠

●● وقد عاد أهل مصر مرة ثانية الى وحدانية الخالق بعد أن عبدوا فى فترات متصلة الهة متعددة فى عصر الدولة الحديثة التى بدأت منذ عام ١٥٧٠ حتى ١٠٨٠ قبل الميلاد وأهم ملوكها تحوتمس الرابع الذى عرف الاله الواحد تحت اسم « رع حور اختى » ، وهو صاحب اللوحة التى بين أقدام أبو الهول التى قالت ذلك ٠٠

وكان ملك مصر ورعيته وآل بيته يرددون فى الهزيع الأخير من الليل هـــــذه التسابيح بحمد الله الواحد الأحد :

كائن فرد خلقت كل موجود وواحد أحد أبدعت الوجود ٠٠
واهب الحياة اسماك الماء والطير فى كبد السماء ٠٠
مرسل الانفاس للفرخ فى البيضة ومحيى الدودة فى التربة ٠٠
ورزقت الجرزان فى الجحور ورعيت الطير والنمل والزواحف والهوام ٠٠
ثناء عليك يا من فعلت كل هذا ٠٠
يا من يقضى الليل ساهرا والناس نيام ٠٠ لك الحمد ربنا بكل لسان ٠٠

●●وجاء اخناتون فى عام ١٣٦٧ قبل الميلاد أى منذ نحو ٣٣٤٦ سنة ليعلن ديانة ألاله الواحد الأحد الذى لا شريك له بعد أن شطب كل الالهة الوسيطة بين الله والناس ٠٠ وجعل نفسه نبى رسالة التوحيد على الأرض ٠٠ وكان اخناتون يقول للاله الواحد الأحد :

« رب أحد دون شريك برأت الدنيا وكنت فردا خلقته البشر والانعام وكل مايسعى على الأرض يقدم ويحلق بجناح فى الفضاء٠٠وجهت كل فرد الى موطنه ودبرت للجميع

شئونهم ٠٠ ربى يا ضوء النهار يا عظيم المجد ٠٠ الزهر ونبات الأرض ينفتح لمرآك وتتملكه النشوة لمحياك والانعام تتراقص على أقدامها والطيور فى أوكارها تطــوى أجنحتها تسبيحا للخالق الحى ٠٠ الأرض بأسرها عامرة بحبك ٠٠ والعشب والشجر يسعد لمرآة وجهك ٠٠

تقويم شمسى عمره ٦٢١٥ سنة :

●● واذا كانت أون التى عاش فيها سيدنا يوسف قد قدمت للدنيا أول تفسير لنشأة الوجود وكان كهنتها أول من عرفوا الله الواحد الأحد قبل الأنبياء بألفين من السنوات ٠٠ فانهم أيضا قدموا للدنيا أول تقويم شمسى للسنة الزراعية والذى نعرفه خطأ باسم التقويم القبطى ٠٠ كيف ؟

« قبل نحو ٦٢١٥ سنة وبالتحديد فى عام ٤٢٣٦ قبل الميلاد خرج من مدينة أون أول تقويم شمسى وضعه فلاسفة المدينة وقالوا :

●● أن السنة مقسمة الى ١٢ شهرا على أساس ظهور نجم « الشعرى » مع طلوع الشمس فى سماء أون ليلة ظهور تباشير الفيضان وقد وجدنا أن اقتران نجم الشعرى بالشمس مع بداية الفيضان لا يتكرر الا كل ١٤٦٠ سنة ٠٠

وقد قدم المصريون وحدهم الى العالم هذا التقويم الشمسى الى جانب الشهور القمرية وعنهم تعلم العالم كله هذا التقويم ٠ ٠ولا زال الفلاح المصرى يدير دفة أعماله الزراعية كلها حسب شهور السنة الزراعية التى تسمى خطأ بالشهور القبطية وهى انسب للفلاح من الشهور الميلادية أو العربية ٠

واذا كان سيدنا يوسف عليه السلام قد تعلم فى جامعة أون أقدم جامعـــات الدنيا ٠٠ فان طابورا من فلاسفة العالم وعلمائه العظام الذين غيروا وجـــه الفكر الانسانى كله قبل الميلاد قد تلقوا الحكمة والفلسفة وعلوم الحياة فى نفس الجامعة التى دخلها يوسف عليه السلام ٠٠ وفى مقدمة هؤلاء الرجال العظام : أرســـــطو وأفلاطون وفيثاغورس ٠٠ كيف عاشوا فى أون وماذا تعلموا على أيدى فلاسفة مصر !

● **وفى بلبيس خزائنه فى الأرض :**

واذا كان سيدنا يوسف عليه السلام قد عاش فى مدينة أوف أقدم مدن الأرض وتعلم فى جامعتها القديمة القراءة والكتابة باللغةالهيروغليفية وفيها تزوج وأنجب ولديه منسيا وأفرايم ٠٠ فان عددا من المؤرخين العرب فى مقدمتهم البغدادى والمقريزى قد

أعلنوا — من خلال ثلاث وثائق قديمة — أن يوسف وأخوته قد عاشوا بالقرب من خزائن الحنطة التي أقيمت خلال السنوات السبع السمان لانقاذ البلاد من سبع سنوات عجاف لا نبت فيها ولا زرع .. وان هذه الخزائن كانت قائمة فى قرية صغيرة تدعى غيته بالقرب من بلبيس .

والوثائق الثلاث تحكى كلها أن سيدنا يوسف عليه السلام قد جاء الى قرية غيته وأقام بها وأن أباه سيدنا يعقوب واخوته قد وفدوا اليه من أرض كنعان فى فلسطين وأقاموا معه فى نفس المكان الذى نعرفه الآن باسم « غيته » .

وكما يقول الشيخ عبد الغنى محمود المدير العام للاوقاف : أن غيته بكل الدلائل والوثائق والتفسيرات القرآنية هى التى أقام بها يوسف مع اخوته وقد جاء فى قوله تعالى : « وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » والتفسيرات القديمة تقول أن القرية هى قرية غيته بجوار بلبيس .

والوثائق الثلاث مأخوذة من كتب قديمة كتبها مؤرخون عرب موثوق بهم :

●● الوثيقة رقم (١) مأخوذة من كتاب معجم البلدان الذى كتبه الشيخ الامام شهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمدى الرومى البغدادى والذى توفى سنة ٦٢٦ هجرية .. وقد كتب المؤلف كتابه منذ نحو ٧٠٠ سنة على الأقل ومن ثم فهو مرجع تاريخى أصيل يقول الشيخ شهاب الدين البغدادى فى معجم البلدان فى صفحة ٣١٨ باب الغين والياء :

« غيته : بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء ثم هاء يقال أغفت الشجرة فغافت وهى تغيف اذا تغيفت أغصانها يمنا وشمالا وشجرة غيفاء ويجوز أن يكون موضع ذلك غيفه . قال أبو بكر محمد بن موسى غيفه ضيعه تقارب بلبيس وهى بلدة فى مصر اليها مرحلة ينزل فيها الحجاج اذا خرجوا من مصر فغيته مشهد يقال فيه صاع العزيز » .

وواضح — أن « غيته » كان اسمها « غيفة » ثم حرفت فيما بعد وأنها سميت غيفة لأن بها أشجارا كثيرة وارفة الظل .. وانها تقع بالقرب من بلبيس وهى ليست بعيدة عن مصر وكان يلجأ اليها الحجاج فى طريقهم الى زيارة قبر الرسول ينزلون فيها ويقيمون بعض الوقت تحت أشجارها .. وان بها — وهذا هو المهم — مشهد — أى مكان جرت به وقائع قصة مشهورة جاء ذكرها فى القرآن الكريم وهى التى تدور حول « صاع العزيز » والصاع هنا معناه المكيال الخاص بعزيز مصر والذى كان سيدنا

يوسف أمينا على خزائنه ·· ووجود المكان الذى جرت فيه وقائع قصة صاع العزيز دليل قاطع على وجود سيدنا يوسف فى هذا المكان منذ آلاف السنين ·

●● وفى دراسة أعدها الشيخ رجب العايدى من علماء الأزهر :

« أصاب أرض كنعان ما أصاب أرض مصر من القحط فأرسها يعقوب الذى كان يعيش بأرض كنعان ـ فلسطين ـ بنيه « أخوة يوسف » ليشتروا «الميرة» وهى الطعام من مصر · وجاء أخوة يوسف ودخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون · وقال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم الا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين « المضيفين » ثم انتهى المشهد بقولهم بعد أن أحضروا أخاه بنيامين ! « أنك لأنت يوسف فقال « أنا يوسف » وهذا أخى قد من الله علينا » قالوا : « تالله لقد آثرك الله علينا وانا كنا لخاطئين » فرد عليهم بقوله : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ·

وعندما رحل أخوته بالطعام وترك عمدا فى متاع أخيه بنيامين « صاع العزيز » وهو مكيال الغلال الخاص بوالى المنطقة وكان اسمه العزيز كما جـــاء فى القرآن الكريم ·· ثم أرسل جنده لكى يفتشوا متاع بنيامين ويكتشفوا « الصاع » ثم يحملوا الى يوسف الذى فعل هذه الخدعة لكى يقيم أخوه بنيامين معه فى مصر فى الوقت الذى ذهب فيه أخوته الى أبيهم فى أرض كنعان » ·

تلك هى قصة صاع العزيز الذى قال الشيخ شهاب الدين البغدادى من ٧٠٠ سنة وهى كتابة معجم البلدان أنها جرت فى قرية غيفة أى غيته الآن ·

●● ويجىء المقريزى أعظم مؤرخى مصر بعد شهاب الدين البغدادى ليؤكد فى خططه هذه الحقيقة ·· يقول المقريزى فى كتابه الذى ألفه منذ نحو ٦٥٠ سنة فى صفحة ١٩٦ :

« غيته قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط اليها مرحلتـــان · كانت منزلة قافلة الحجاج ويقال أن صواع الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيته هذه » ·

ويضيف المقريزى عن مدينة بلبيس :

« وسميت فى التوراة أرض ماشان وفيها نزل يعقوب !! قدم على ولده يوسف عليهما السلام فأنزل بأرض ماشان وهى بلبيس وهذا دليل اخر على أن سيدنا يوسف كان يقيم بهذه المنطقة عندما حضر من فلسطين أبوه سيدنا يعقوب وأولاده أخـــوة سيدنا يوسف ·

اما أخوة يوسف فهم أحد عشر يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبلون ويشجر وأم هؤلاء هى « ليابنت ليان » ثم دان ونفتالى وجاد واشر وامهم جاريتان « زلخة وبلهة » ولما توفيت ليا تزوج سيدنا يعقوب أختها راحيل فولدت له بنيامين واخاه يوسف ٠ اذن فبنيامين هو الشقيق الاوحد ليوسف من أمه وابيه ولذلك كان يحبه كثيرا وفعل معه حيلة « الصاع » لكى يبقيه معه فى مصر ٠

● والوثيقة رقم (٣) فى مصر كتاب الخطط الجـــديدة التوفيقية « لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة تأليف الجناب الأمجد والملاذ الاسعد سعادة على باشا مبارك ــ وهو بالنص ما كتب على غلاف الكتاب قال على مبارك فى صفحة ٦٤ فى الجزء الرابع عشر : « غيته » قرية بمديرية الشرقية من قسم بلبيس فى غربى ترعة الاسماعلية بنحو ٣٠٠ متر وفى الجنوب الغربى لمدينة بلبيس بنحو ٤٥٠٠ متر وبها جامع غباره ، ودائرها نخيل كثير وأكثر زراعتها صنف الحناء وأكثر أهلها مسلمون ولعلها المشهورة فى الكتب باسم « غيفة » وغيفة هذه ذكرها المقريزى عنــد الكلام على رمال الغرابى وقال أنها تقارب مدينة بلبيس ويقــال أن صواع الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال أخوة يوسف عليه السلام بغيته هذه ٠٠ »٠

فرعون موسى :
سفر الخروج بين الواقع والأساطير :

دخل اليهود مصر عام ١٦٥٦ ق٠م فى عهد الهكسوس ، وخرجوا منها عام ١٢١٨ ق٠م مع موسى عليه السلام فى عهد التحرير ٠٠

وبعد أن أنقذهم موسى من فرعون وجنوده ، حرفوا وصاياه وصنعوا لهم عجلا عبدوه ٠٠ فأتاههم الله فى الصحراء أربعين عاما عن الأرض الموعودة ٠ وحرفوا سفر الخروج وصنعوا لهم منه أسطورة ٠ لعب الخيال والاختلاق دورا فى نسج خيوطها فتاهت الحقيقة آلاف السنين وضاعت معها مقدسات معتقداتهم وحقيقة معجزات نبيهم٠

لقد شغلت تلك الأسطورة الباحثين فى علوم الأديان وبحوث التاريخ الجغرافى ، وعلماء الآثار فى العصر الحديث لفك رموزها وما احاطها من الغاز بعدما كشفوا بعدها عن الحقائق التاريخية وتناقضها مع ما ورد فى الكتب السماوية وسفر خروج التوراة نفسها ٠

فما هى حقيقة الأسطورة ؟ ومن هو فرعون موسى الحقيقى ؟ هل عبروا البحر الأحمر ؟ ٠ وهل وصلوا الى جبل موسى ؟ وما هى حقيقة المعجزات التى نسجوا منها خيوط الأسطورة ؟

● متى دخل اليهود مصر ؟ ومتى خرجوا منها ؟

دخل اليهود مصر عام ١٦٥٦ ق·م عن طريق يوسف عليه السلام فى عهد الملك أبوفيس ملك الهكسوس فى الأسرة السادسة عشرة ، وكان عددهم كما ورد فى التوراة سبعين شخصا · وبدأت هجرتهم الجماعية فى عهد الملك فوطيفار الذى قرب يوسف اليه وعينه وزيرا على خزائن مصر ومخازنها ···

وتروى التوراة فى سفر التكوين : « ان فرعون وهو من الهكسوس المحتلين لمصر ، شجع وجود اليهود ليقاوم بهم حركة المقاومة فى الجنوب حيث أصبحت لهم فى طيبة جالية كبيرة ومعبد خاص ، ومقابر خاصة بهم ··· ويروى سفر التكوين قول فرعون ليوسف : « خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا الى أعطيكم خير أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض ، واصنعوا هذا وخذوا لكم من أرض مصر عجلات لأطفالكم ونسائكم واحملوا آباكم وتعالوا ولا تحزن عيونكم على أثاثكم · أن خير أرض مصر هو لكم » ، وصنع كذلك بنو اسرائيل ، وأعطاهم يوسف عجلات بأمر فرعون واعطـــاهم زادا للطريق ···

وبعد ما طرد الهكسوس من مصر وكان اليهود أكبر نصير لهم ، بدأوا يتآمرون على المصريين ويعملون على مساعدة المغيرين · وتروى التوراة « أن فرعون مصر قال للمصريين عن اليهود أنهم اذا وقعت حرب ينضمون الى اعـــدائنا يحاربوننا ويخرجون من الأرض » ··· ولكى يأمن رمسيس الثانى شرهم ودسائسهم قـــام بتسخيرهم فى أعمال البناء وانشاء الطرق وحفر الترع ، وهى الأعمال التى كانوا يرفضون القيام بها ، حيث تخصصوا فى التجارة والتموين ··· كما فرض عليهم أعمال السخرة فى بناء مدينتى فيتوم وبر رعمسيس ···

وتروى التوراة أنهم كانوا يتكاثرون بشكل بالغ ، وكانوا لا يتزوجون إلا من مجتمعهم المقفل حتى أصبحوا يشكلون خطرا على المصريين ، فأصدر فرعون قراره المشهور الذى يهدف الى أعدام الذكور من المواليد وتزويج البنات من المصريين ···

وخرج اليهود من مصر على يد موسى عليه السلام عام ١٢١٨ ق·م فى عهد الاسرة التاسعة عشرة · وبذلك تكون أقامتهم فى مصر قد أستمرت ٤٤٨ عاما ، كما كان عددهم يوم خروجهم كما ورد فى سفر الخروج « ثم أرتحل بنو اسرائيل بنحو ستمائة ألف ماش من الرجال خلا الاطفال » ·

● لماذا طردهم المصريون ؟

تضاربت آراء المؤرخين والمفسرين عن أسباب ثورة فرعون والمصريين على اليهود ،

وهجرتهم من مصر أو طردهم منها · تلك الثورة التى ظهرت بوادرها فى عهد رمسيس الثانى وقبل خروجهم ·

ورد فى التوراة أنهم هربوا من مصر لأن فرعون كان يصادر أملاكهم وأموالهم ويسخرهم فى أعمال الانشاءات وبناء القصور والمعابد ونحت الأحجار وشق الطرقات وحفر الترع ، كما جمعهم من انحاء البلاد واسكنهم فى مدينة واحدة (تل اليهودية) حتى يكونوا تحت رقابته ·

كما يروى بعض المؤرخين أن كهنة طيبة كانوا يحقدون على اليهود ومعبدهم الخاص الذى يعبدون فيه الههم « ياهو » ويمنعون المصريين من الاختلاط بهم أو الاطلاع على أسرار طقوسهم وتعاليمهم الدينية السرية ، فأقنع كهنة طيبة فرعون بأن معابدهم كانت أوكارا يتآمرون فيها على البلاد ويتعاملون مع الأعداء المغيرين وفلول الهكسوس ويساعدون الأجنبى على اعادة احتلال البلاد لذا فقد بدأت ثورة المصريين عليهم فى طيبة ، حيث حطم المصريون معابدهم وخربوا مقابرهم ·

كما ذكرت احدى البرديات القديمة أن كبير كهنة معبد طيبة تنبأ لفرعون بأن نهايته ستكون على يد مولود من بنى اسرائيل يولد خلال العام الجديد ، وهى النبوءة التى يفسر بها المؤرخون أمر فرعون بقتل جميع المواليد الذكور الذين يولدون مع بداية العام الجديد ، وهو التاريخ الذى ولد فيه موسى وألقته أمه فى اليم على شاطىء بر رعمسيس فوجدته أخت فرعون التى تبنته وتربى فى القصر كأحد أمراء الفراعنة · وقد وردت القصة فى سورة القصص ٦ ــ ٨ « وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين · فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ·

واسم موسى الذى أطلقته عليه أخت فرعون ليس من الاسماء اليهودية فهو اسم فرعونى نسبة الى اسم شاطىء النيل الذى يطل عليه القصر ·

كما نسبت بعض البرديات القديمة ثورة المصريين عليهم الى ما كانوا يقومون به من أساليب لاغتصاب أملاك الفلاحين وابتزاز أموالهم ، فكانوا أول من ابتدع الربا والمراهنة كما كانوا يجمعون الذهب والفضة نظرا لتخصصهم فى صناعة المصاغ ويهربونه الى خارج البلاد · وتشير تعاليم التلمود التى وضعت فى ذلك الوقت « بأنه أما أن يكون عندهم وحدهم كل شىء ، أو لا يكون هناك شىء عند أحد من الناس » !

ومنها : « كل شىء لا أملكه هو وديعة عند غيرى من الناس ··· وكل الناس لصوص لأن كل ما يملكه الناس يجب أن يكون ملكا لليهود » !

« كل ما تقع عليه عينك فهو ملك لك ··· وكل ما تدوسه قدماك مزرعتك ، وكل دابة تسعى فى حقل أو على جبل فهى دابتك · أربطها والرب حارسك ، واذا اضطررت الى بيعها للكفرة من رب الديانات فسوف يعوضك عنها رب الجنود الصبر » ـ (التوراة ـ سفر التكوين) ·

أما ثورة فرعون الأخيرة عليهم والتى انتهت بطردهم من مصر فينسبها المؤرخ « نافيل » الى خيانتهم للوطن عندما كانوا يهربون أولادهم من التجنيد أو أعمال الحرب، وانتهزوا فرصة انشغال فرعون وجيشه فى محاربة الليبيين على الحدود الغربية ورجال البحر من الشمال فقاموا بتهريب الغلال والماشية والذهب الى سوريا والبلاد الآسيوية ، وكانوا يشرفون فى ذلك الوقت على مخازن التموين وصوامع الغلال فى بررعمسيس ومنف ، مما تسببت عنه المجاعة فى البلاد ، وتوقف امـــداد الجيوش المحاربة بالتموين ··· فأوقف فرعون معاركه وعاد الى العاصمة حيث أعد خطـــة القضاء عليهم ، وهى الخطة التى عرفها موسى من القصر ونقلها الى الاسرائيليين ، وكان هروبهم المعروف وخروجهم من أرض مصر ·

ويصل اليهود الى فلسطين بعد أربعين سنة قضوها تائهين فى الصحراء عندما حرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ·

وعندما خرجوا من مصر ووصلوا الى أرض فلسطين قتلوا فى مدينة واحدة اثنى عشر ألف رجل ، وكان شعار ياشوع (يوشع) : « ان أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حيـــا »

● **حروب مصر وفلسطين :**

أن أول حرب خاضها المصريون ضد الاسرائيليين بعد احتلالهم لفلسطين هى التى قام بها شيشنق الأول فى الأسرة الثانية والعشرين عام ٩٤٠ ق·م ، والتى أعاد فيها فلسطين الى مصر ودمر اليهود تماما ، ومحى هيكل سليمان من الوجود ، وعاد بكثير منهم أسرى فى موكب فرعون ···

وحربهم الثانية مع المصريين هى التى قام بها الملك نخاو الثـــانى فى الاسرة السادسة والعشرين عام ٥٩٥ ق·م ، التى حطم فيها جيوشهم التى كانوا قد أعدوها للزحف على مصر ، وقتل ملكهم ياشوع ·

ولم تقم لها قائمة بعد تلك المعركة ، وعاشوا بعدها عبيدا وأسرى مشردين فى

مختلف عصور البطالسة والرومان يتيهون فى الأرض ويحلمون بالعودة الى أرض الميعـــاد ٠

● من هو فرعون موسى (*) :

لم يذكر اسم فرعون موسى الذى طرد اليهود من مصر فى التوراة وسفر الخروج، كما لم يرد اسمه فى مختلف الكتب السماوية التى وصفت قصة موسى وفرعون ، لكن المؤرخين القدماء والمفسرين أجمعوا على أنه رمسيس الثانى ، نظرا لمعاصرته عهد موسى ، وكذلك اضطهاده المعروف لليهود وتسخيرهم فى بنـــاء مدينتى بررعمسيس وفيتوم ومخازن الغلال فى دفنه واعتـــداء المصريين على معـــابدهم وطردهم من طيبة ومنف ٠

كذلك لوجود اسم موسى لأول مرة فى التاريخ فى احدى لوحات طيبة التى ترجع الى أواخر عهد رمسيس الثانى ، ويظهر فيها موسى وهو يتضرع الى رمسيس ويقدم له الهدايا ٠٠ وأشار البعض الآخر الى الحملات التى انتصر فيها رمسيس الثانى على بدو فلسطين وورد فى بعض الوثائق القديمة أن رعمسيس الثانى هو الذى أمر بقتل مواليد اليهود كما ذكر سابقا ٠ وحاول بعض المؤرخين نسبة فرعون موسى الى تحتمس الثالث وهى نسبة تفتقر الى اثبات تاريخى ٠

لقد أثبتت البحوث الحديثة التى قام بها كل من فلندرينرى ، وادوار ماير ، وذافيل وحققها العالم المصرى الدكتور سليم حسن ــ أن فرعون موسى هو مرنبتاح بن رعمسيس الثانى ، وهو الذى انقلب على اليهود بعد أن كان يقوم بحمايتهم والدفاع عنهم أثناء حكم أبيه واضطهاده المعروف لهم ، وكان انقلابه عليهم بعد خيانتهم له أثناء حروبه فى الصحراء الغربية ومع قوم البحار المغيرين من الشمال ٠

وقد ورد اسم اسرائيل لأول مرة في الوثائق المصرية القديمة فىانشودة النصر فى لوحات أتريب التى وصف فيها مرنبتاح انتصاره عليهم فى النص التالى :

« ان اسرائيل خربت وقطعت بذرتها ٠

واضحت فلسطين أرملة لمصر وكل من كان ثائرا قتله الملك مرنبتاح » ٠

وقد فسر بترى معنى « قطعت بذرتها أى طردهم وأولادهم وتطهير مصر من نسلهم كما وجد أن التاريخ الذى حدده الملك مرنبتاح فى لوحة النصر لانتصاره عليهم ،

(*) بحث للدكتور سيد كريم ــ مجلة الهلال ٠

وهو الشهر الثالث فى اليوم الثالث من السنة الخامسة من حكمه ، يتفق تماما مع التاريخ الذى حدده اليهود فى سفر الخروج ٠

ويعتبر ذكر اسم قوم اسرائيل فى لوحات مرنبتاح المثل الوحيد الذى عثر عليه فى الآثار المصرية ، ولم يرد ذكرهم بعد ذلك الا بعد انقضاء أربعة قرون فى الكتابات المسمارية كما لم يظهر اسم اسرائيل قبل لوحة مرنبتاح الا مرة واحدة فى احـــدى برديات تانيس عند ظهور قوم يوسف أثناء حكم الهكسوس ٠وتولى مرنبتاح الحكم عام ١٢٢٣ ق٠م وهو الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى ، وكان قائدا عسكريا عظيما أثناء حكم أبيه ، ومن القابه « الكاهن الأكبر للاله بتاح ــ سم ، والقائد الاعظم للجيش ، والكاتب الملكى ، وحامى مقدسات المعبد » ٠

وذكر كل من مانيتون ويوسيفوس أنه حكم مصر ١٩ سنة ، وستة أشهر ، وكانت سنه عندما تولى الحكم ٥٨ سنة وقاد معاركه وهو فوق الستين مما جعل البعض يخلط بينه وبين رعمسيس الثانى بعد أن ذكر اليهود أن فرعون كان طاعنا فى السن عندما قاد جيوشه لمطاردتهم ٠

أما قصة موسى نفسه ونشأته وحياته فقد اتفقت عليها المراجع التاريخية ، وكما وردت فى جميع الكتب السماوية ، وكان موسى من وجهة النظر المصرية أقل شأنا من يوسف ، وتصفه التوراة : « لقيطا فى قصر فرعون ، وهاربا من وجه العدالة ، ثم متكلما عن عبيد غرباء » ــ وكان الاسرائيليون يعدون عبيدا فرض عليهم فرعون أعمال السخرة ٠ بينما وصفوا عهد يوسف بأن اليهود كانوا من رعاة البدو وكل راع فى نظر المصرى لعنة ٠

⊛ طريق الخروج ٠٠ بين الواقع والأساطير :

ان أسطورة خروج اليهود من مصر وعبورهم البحر الأحمر التى صاغها قدماء مؤرخى اليهود وما أرتبط بها من معجزات خارقة ــ صورها خيال رائع أبعدها عن واقعها التاريخى ، وحولها الى حقيقة ثابتة رددها الكثير من الكتاب والمؤرخين ومفسرى الكتب السماوية على مر العصور ، بينما تختلف الأسطورة نفسها اختلافا تاما عما ورد فى التوراة نفسها فى سفر الخروج ٠ كما كشفت كثير من الحفريات والوثائق الفرعونية القديمة كثيرا من نواحى الغموض الذى اكتنف الأسطورة ووضح كثيرا من معالم الطريق المجهول ، مما ساعد كثيرا من العلماء والباحثين فى العصر الحديث على الاهتمام بدراسة طريق الخروج ، ومن بينهم ولكوكس ، وليـــان ، وروبرتسون ثم جاردنر وبترى وحفريات مدينة قنطير كما اشترك من العلماء المصريين الدكتور

سليم حسن وعلى بك شافعى ، وتركزت بحوثهم على مقارنة اسماء البلاد والمناطق التى مروا بها فى مختلف مراحل هجرتهم ومواقعها على الخرائط القديمة ، وما كشفته الحفريات والوثائق التاريخية ، وقد وجدت جميع المناطق موضحة فى احدى الخرائط المصرية القديمة التى ترجع الى عهد البطالسة والمحفوظة بمتحف الفاتيكان ، وهى المبينة فى الرسم المرفق الذى وقعت عليه اسماء البلاد ومراحل طريق الخروج باللغات الفرعونية والعبرية والعربية ٠

والمدن التى ورد ذكرها فى سفر الخروج بالتوراة والتى أمكن تحديد مواقعها جميعا تشمل بالترتيب – رعمسيس ، وسكوت ، وبيداء ايتام ، وفم الحيروت ، ويم سوف ، وأرض شيحور ، ومجدول ، وبعل زيفون ، ومدين ٠

وفيما يلى خط سير طريق الخروج الفعلى واقتفاء اثرهم يوما بيوم :

اليوم الأول : « ثم ارتحل بنو اسرائيل من « رعمسيس » الى « سكوت » بنحو ستمائة ألف ماش من الرجال خلا الاطفال » (سفر الخروج ١٢ – ٣٧) ، وهو ما حددت الأسطورة عددهم بحوالى مليون ولكن ذلك لا يتفق مع الواقع أو المنطق حيث كان سكان بر رعمسيس بأكملها من يهود ومصريين لا يزيد عن ١٥٠ ألفا ٠ وقد فسر فلاندربترى فى كتابه عن اسرائيل ان « الألف » يعبر عنها فى اللغة العبرية القديمة بأنها « الأسرة » أى أن عددهم كان لا يزيد عن ٦٠٠٠ شخص ، وقد غادروا رعمسيس « فى الشهر الأول فى اليوم الخامس عشر منه فى عيد الفصح بيد مصرية على مشهد من جميع المصريين (سفر الخروج ٣٣ – ٢) وقد اختاروا هذا الشهر بالذات لأنه شهر الجفاف والتحاريق الذى تجف فيه الحياض والترع ويمكن عبور النهر على الاقدام والعربات فلا يلفتوا اليهم الانظار ولا يحتاجون الى سفن لنقلهم ونقل متاعهم٠

مدينة بررعمسيس المذكورة هى مدينة قنتير التى بها قصر رعمسيس واسمه بررعمسيس ، ودفنا أو دفنى التى كانت بها المخازن التى سرقوا ما كان بها من غلال هى أدفينا الحالية ، أما سكوت التى قضوا فيها الليلة الأولى فهى منطقة الصالحية ، وكانت بها قلعة تدعى « ختم سكوت » التى كان يذهب اليها مرنبتاح لصيد البط (يم بتوم – مرنبتاح) وهى برك الصيد المعروفة حاليا باسم سعده وأكياد ٠ ويطلق على سكوت حاليا اسم « تل اليهودية » ٠

● اليوم الثانى : « وارتحلوا من سكوت ونزلوا ببيداءايتام فى طرف البرية» (سفر الخروج ١٣ – ٢) وبيداء أيتام كانت معروفة فى عهد الفراعنة باسم (أدوم) كما أطلق عليها فى عهد البطالسة (ايتما) وهى صحراء الفاقوسية الحالية ، وهذا

الطريق الذى يفصل الأرض الزراعية عن الصحراء كان طريقا للرعاة والقوافل ، وقد اختاره بنو اسرائيل فى هجرتهم حتى يكونوا بعيدين عن أعين المصريين ٠

● اليوم الثالث : كلم الرب موسى وقال له مر بنى اسرائيل ان يرجعـــوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل زيفون تنزلون تجاهه فى اليم (سفر الخـــروج ١٤ ـ ١) وقسى الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بنى اسرائيل ٠ وبنو اسرائيل خارجون بيد سامية » (سفر الخروج ١٤ ـ ٨) ٠

تؤكد تلك الآية ما ورد فى البرديات القديمة من أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر بأذن من مرنبتاح ، ثم اكتشف بعد رحيلهم المؤامرة التى دبروها لسرقة ذهب ومصاغ المصريين بحجة استعارته فى عيدهم ثم هربوا به مع ما سرقوه من خزائن الدولة ، وهو الذهب الذى صنعوا منه العجل الذى عبدوه ٠٠٠ فتبعهم فرعون بجنوده مما دعاهم الى تغيير خط سيرهم من طريق بلوزيوم أو طريق الفلسطينيين الذى يصل الى فلسطين عن طريق الشاطىء ـ وغيروا اتجاههم الى طريق سيناء حتى لا يلحق بهم فرعون ٠

وتروى التوراة قصة الذهب الذى سرقوه من المصريين « ٠٠٠ فاذا انصرفتم فلا تنصرفون فارغين بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضية وذهبا وثيابا تجعلونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون المصريين » ٠

● اليوم الرابع : « وتبع موسى وقومهفى ستمائة عربة يسوقها نخبة منفرسانه ولحقوا بهم بالقرب من يام سوف »

كلمة « يام » الواردة فى التوراة اسمها باللغة الفرعونية « يم » ومعناها البركة والمستنقع ، وكانت تطلق على الفيوم أرض المستنقعات (بـ ـ يوم) ٠ وسوف ـ اسمها بالفرعونى سوب أو سوبى ومعناها البوص أو البردى فيام سوف معناها بركة البوص أو مستنقع البردى والمعروف أن البوص أو البردى لا ينمو الا فى المياه العذبة لذا فان يم سوف ، كان من المستنقعات أو البرك الواقعة شرق بحيرة المنزلة والتى كانت تغذى بالمياه من فرع حور الشرقى ومن المعروف أن تلك البرك تنكشف أرضها عند هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الموسمية ، ويمكن عبورها بالسيارة أو على الأقدام كما هو الحال فى الطريق بين بلطيم والبرلس الذى تغمره المياه وترتفع الى ما يزيد على المتر مع هبوب الرياح الغربية ٠٠٠ « ومد موسى يده على البحر فأرسل الرب ريحا شرقية طول الليل جعله جفافا وانشق الماء » ٠ (سفر الخروج ١٤ ـ ٢١) ٠

وليست هناك علاقة بين تلك البركة والبحر الأحمر حيث تقع البركة أويام سوف

التى ورد ذكرها فى التوراة شمال مدينة الاسماعيلية ، وتبعد عن البحر الأحمر حوالى سبعين كيلومترا كما أن أرض شيحور التى انتقلوا اليها بعد عبورهم اليم تقع بدورها شمال السويس بما يقرب من الستين كيلو مترا وهى أول منطقة وصلوا اليها فى صحراء سيناء أما قصة غرق فرعون وجنوده وعرباته كما وردت فى الأسطورة ، فقد ذكرت التوراة فى وصف ما حدث لعربات فرعون « وخلع دواليب العربات فساقوها بمشقة » أى أن دواليب العربات والخيول غاصت فى الاوحال فعطلتهم عن متابعة بنى اسرائيل عندما ارتفعت المياه فى البركة بما يصل الى ارتفاع قدمين أو ثلاثة عندما « هبت الريح الغربية العاتية » .

● ان اسم البحر الأحمر لم يذكر بتاتا لا فى سجلات التاريخ الثابتة ولا فى نصوص الكتب السماوية ولا فى التوراة نفسها .

وقد قام كل من البروفيسور فيدمار ، وروبرتسون ، بالبحث عن مصدر ذلك الخطأ ووجود اسم البحر الأحمر بدل « يم سوف » فى بعض التراجم الحديثة للتوراة . فوجد أن أول ترجمة للتوراة من العبرية الى الاغريقية فى القرن الثالث قبل الميلاد بواسطة الكهنة السبعين والتى يطلق عليها « الترجمة السبعينية » ترجمت « يام » أو بركة باسم « بحر » **ومنها ترجمت فى العصور الوسطى الى الانجليزية باسم بحر البوص** . Reed Sea **وبقى هذا الاسم** مسجلا حتى القرن السابع عشر حيث حرفت فى الطبعات التى ظهرت فى ذلك الوقت فسقط حـــرف e من كلمة Reed وتحولت الى Red أى الأحمر ، ولم يعرف ان كان ذلك قد نتج عن خطأ مطبعى أو تحريف مقصود ليتفق مع الأسطورة والمعجزات .

● كما أن قصة غرق فرعون وجنوده ليس لها أساس من الصحة ، فقد سجل تاريخ الملك مرنبتاح أو فرعون موسى سواء فى لوحة النصر أو رسائل اتريب وأقوال مانيتون وافريكانوس ، أنه طرد من بنى اسرائيل فى العام الخامس من حكمه ، وحدد تاريخ طردهم باليوم والشهر بما يتفق مع ما ورد فى التوراة وسفر الخروج ، ثم عاد الى عاصمة ملكه واحتفل بعيد النصر ، واستمر حكمه بعد طرد اليهود أربع عشرة سنة قام خلالها بفتوحاته المشهورة ، كما امتدت البحوث الى جثته « المومياء » المحفوظة بالمتحف المصرى ، فثبت بالكشف عليها أنه لم يمت غريقا بل مات ميتة طبيعية بعامل الشيخوخة وانه قد تجاوز السبعين من عمره .

● ان ما ورد بالقرآن الكريم عن قصة موسى وفرعون تتفق بدورها مع الحقائق التاريخية نفسها كما تتفق مع ما ورد ذكره فى التوراة الأصلية .

« وأوحينا الى موسى أن اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » (سورة طه) ٠

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ٠

الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ٠ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » (سورة يونس) ٠ فاليوم « ننجيك ببدنك» تعادل التعبير العامى خلص أو نفد بجلده ولم يغرق ٠ « كما أن كلمة « يم » فى اللغة العربية أصلها « يم » بالفرعونية أى البركة أو المستنقع وأطلق عليها فى العبرية كلمة « يام » الواردة فى التوراة ٠

● رحلة الخروج فى سيناء وجبل موسى :

لقد كان لهذا الكشف الاثرى التاريخى والجغرافى الذى قلب الأسطورة رأسا على عقب بعد ما حدد طريق الخروج ومراحـــــل خطواته حتى وصولهم الى أرض سينا ـ كان حافزا لكثير من العلماء والباحثين لاقتفاء اثر رحلة الخروج فى المرحلة الثانية ابتداء من عبورهم « يم سوف » الى وصولهم الى أرض الميعاد ، نظرا لما اكتنف تلك المرحلة أيضا وطريق سيرها من غموض وما أحاطته به الأســــطورة من وقائع ومعجزات تفتقر الى البراهين المادية والتى وجد أن الكثير من وقائعها تتعارض مع ما ورد بالتوراة نفسها ٠

وكان من أول الباحثين عن اثار تلك المنطقة قبل الحرب العالمية الماضية كل من نلسن جلوك الذى كشف عن حفريات أيتما وحدد موقع بيداء حور أو شيحور الفرعونية التى وجد أنها الصحراء التى تقع شرق الدلتا وتنتهى بالقرب من السويس شمال البحر الأحمر وخليج العقبة بعدة كيلومترات ٠ كما كشفت بحوثه عن بعض أماكن سيناء التى حددت مواقع الوادى المقدس ووادى الفيروز ومدين ، وهى من الأماكن الهامة التى حدد معالم طريق السير ٠ كما قام روبرتسون بدراسة علاقة « يم سوف » ـ مستنقعات المياه العذبة ـ بالبحيرات المرة التى كانت تستمد مياهها فى ذلك الوقت من فرع حور الشرقى قبل اتصال البحيرات بالبحر الأحمر وقناة السويس وتحويلها الى بحيرات مالحـــــة ٠

لقد بدأ الاهتمام الفعلى بدراسة المرحلة الثانية من طريق الخروج فى السنوات الأخيرة بعد الاحتلال الاسرائيلى لسيناء فقامت بعض البعثات الأثرية الجغرافية الألمانية

الأخيرة بعد الاحتلال الاسرائيلى لسينا فقامت بعض البعثات الاثرية الجغرافية الألمانية والأمريكية والاسرائيلية فيما أطلق عليه بالمسح التاريخى لسيناء ، كانت أخرها البحوث التى قام بها جوردن جاسكيل والتى اشترك معه فى بحثها البروفيسور منشه حاريل استاذ الجغرافية التاريخية للاديان بالجامعات العبرية ٠

لقد بدأ جوردون جاسكيل دراساته مبتدئا بمنطقة البحيرات المرة ، التى اعتبرها « يم سوف » وأن منطقة الدفرسوار هى الممر المائى الذى عبره اليهود لضحالة مياهها وتأثر المد والجزر بها بالرياح الجنوبية والشرقية التى تهب فى ذلك الوقت بالذات من السنة ، كما تنطبق عليها جميع الأوصاف التى وردت فى التوراة ، وقام فى نفس الوقت بدراسة الموقع الذى حددته الأسطورة على البحر الأحمر فاثبت استحالة اعتبارها منطقة العبور لعدة أسباب من بينها :

١ ــ وجد أن عرض البحر فى تلك المنطقة يبلغ ٢٨ كيلومترا وعمق المياه ستون مترا ، كما أن قاعه ملىء بالشعب المرجانية والتقلصات الصخرية التى تعوق سير القافلة ومعداتها ، كما لا يمكن قطعها فى بضع ساعات كما ذكرت التوراة ٠

٢ ــ بعد ذلك الموقع الذى عبروا فيه البحر من مجدول وفم الحيروت التى قضوا فيها الليلة السابقة للعبور حيث تبعد عنها بما لا يقل عن المائة والعشرين كيلومترا وهى مالا يعقل أيضا أن تقطعها القافلة فى يوم واحد ، علما بأن متوسط سيرها طول الطريق كان يتراوح بين العشرة كيلومترات والخمسة عشر كيلومترا ٠

٣ ــ أن بيداءحور (شيحور) التى وصلوا اليها بعد العبور تقع كما سبق ذكره شرق الدلتا والبحيرات وتمتد من منطقة القنطرة الى جنوب البحيرات التى قامت بها بعثة جاسكيل وحاريل فى تتبع الطريق الذى ورد ذكره بالتوراة واستكشاف معالمه التاريخية والجغرافية مكملا للمرحلة الأولى كما يلى :

● اليوم الخامس : «وغادروا من أمام فم الحيروتومروا وسط سطح اليام، وهكذا أحضر موسى اسرائيل ، ومشوا فى بيداء سور ومكثوا مسافرين ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء وضربوا خيامهم فى مارا » (سفر الخروج ١٤ ــ ٢٨) ٠

● اليوم الثامن وصلوا الى « مارا » وهو أول مكان وصلوا اليه بالقرب من البحر الأحمر وتقع على الشاطىء الشرقى فى مواجهة مدينة السويس ، وقد أمكن الاستدلال على مكانها ويطلق عليه البدو اسم بئر المر ، وهى التى حدثت عندها معجزة موسى « عندما ضرب صخر البئر بعصاه السحرية فذهبت ملوحة الماء » ٠ وتبلغ المسافة من « يام سوف » الى مارا خمسين كيلومترا تقريبا ، وهى التى قطعها اليهود فى ثلاثة أيام ٠ ومما يلفت النظر أن « مارا » التى وصلوا اليها بعد ثلاثة أيام من عبورهم اليم تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا شمال المنطقة التى حددتها الاسطورة كمكان العبور ٠

● اليوم التاسع «ارتحلوا من «مارا» الى «ايليم» ووجدوا بها اثنى عشر بئرا وسبعين نخلة» وقد أمكن الاستدلال على ايليم التى هى عيون موسى الحالية حيث وجد أنها تبعد عن مارا بمسافة ١٥ كيلو مترا أى مسيرة يوم واحد · كما أنها الواحة الوحيدة بين واحات سيناء البالغ عددها ما يقرب من ٢٥٠ واحة ، والتى يبلغ عدد عيونها اثنا عشر عينا وكان الصيادون وقوافل البدو يطلقون عليها فى العصور القديمة اسم غابة النخيل ما يؤكد أنها « ايليم » التى ورد ذكرها فى التوراة ·

● اليوم العاشر « وهو أهم أيام رحلة بنى اسرائيل حيث وصل موسى وقومه الى « رافيديم » بعد مسيرة يوم من ايليم ، وتقع عند مدخل الوادى المقدس ومنها شاهد جبل حورب الذى صعد اليه ليكلم ربه « فاستبطأه اليهود عندما ذهب لملاقات ربه فكفروا بموسى وربه واتبعوا السامرى أحد علمائهم الذين هربوا مع موسى فأمرهم أن يخلعوا حليهم التى أستولوا عليها من المصريين وصنع لهم منها عجلا جسدا له خوار وقال هذا الهكم واله موسى ·

وقد أمر موسى بحرق الاله الجديد ونسف فى اليم نسفا، مما يدل على أن رافيديم كانت بالقرب من شاطىء البحر وليست بالقرب من جبل الطور كما حددت موقعها خرائط الأسطورة ··· ويحطم موسى لوحات الوصايا ويشكو لربه فحرم عليهم فلسطين أربعين سنة يتيهون فى الأرض ·

فموقع رافيديم التى لا تبعد عن عيون موسى بأكثر من مسيرة يوم وعند مدخل الوادى المقدس الذى دخلوا منه الى قلب سيناء — هو صدر الحالية والوادى المقدس لا يخرج عن كونه وادى صدر كما أن جبل موسى الذى يقع على رأس العين من رافيديم كما وصفته التوراة ، هو جبل سن بشر كما أن كلمة « سن بشر » فسرت بأنه يقصد بها تشاريع البشر أو الوصايا العشر التى نزلت على موسى · فجبل حورب أى « سن بشر » هو جبل موسى الذى تداولته الاساطير ·

أما جبل موسى فى طور سيناء فهو يبعد عن عيون موسى بمسافة ٣٢٠ كيلومترا مما يتعارض مع ما ورد فى التوراة نفسها أن موسى وقومه بلغوا الوادى المقدس وجبل حورب بعد مسيرة يوم واحد من عيون موسى · كما أن الجبل لا يمكن مشاهدته بالعين من ذلك البعد ، أى من عند رافيديم ، بالاضافة الى ارتفاعه الذى يبلغ ٧٦٠٠ قدم بينما لا يزيد ارتفاع سن بشر عن ٢٤٠٠ قدم ·

ولما كانت أحجار اللوحات التى نقش عليها موسى الوصايا العشر من الحجر الجيرى اللين الذى يسهل حفره والتى ذكر أن اللوحات تحطمت تماما عندما سقطت على

الأرض ، فذلك يثبت أنها صنعت من حجر سن بشر الجيرى وليس من صخور جبل موسى وهى من الجرانيت والبازلت الصلب · كما ذكرت التوراة أنهم اتجهوا بعد نزول موسى من الجبل الى بئر دلهم عليها أو فجرها اسمها بئر رتما ، وقد ثبت وجود تلك البئر فعلا فى مجرى وادى صدر ويطلق عليها العرب حاليا اسم « عين ريتما » ·

وتدل جميع الشواهد على أن الوادى المقدس هو وادى صدر نفسه فهو المدخل الطبيعى الاول الى قلب سيناء وليس من المعقول أن يتركه موسى ليسير مائة وخمسين كيلومترا الى الجنوب ليدخل عن طريق الطور ويصعد الممرات ويتسلق الجبال الشاقة البعيدة عن ينابيع المياه بقومه من نساء وأطفال وشيوخ بصرف النظر عن بعده بمسيرة عشرة أيام لا يوم واحد كما ورد فى التوراة كما أن وادى صدر وهو حوض قديم لمجرى السيول فهو الطريق الطبيعى كممر للقوافل لسهولة الحصول على عيون الماء وابارها والواحات التى تكثر فى مثل تلك الوديان التى ترويها وتغذى آبارها مياه السيول ·

كما أن وصف التوراة بمرورهم فى أرض مناجم الفيروز والنحاس تنطبق على ذلك الوادى بالذات حيث كانت مناجم الفيروز المشهورة عند قدماء المصريين والتى اشتهر اليهود بصناعتها والتجارة فيها ، وليس لتلك المناجم بالذات وجود فى جبل سينا نفســـه ·

وفى بحث آخر قام به برنشتاين للتحقيق فى معجزة المن والسلوى التى أمطرتها السماء ، فقد فسره علميا بأن المن نوع من الطحالب الطفيلية التى تنمو على الصخور عند سقوط الامطار أو الندى فى المناطق القريبة من البحر ، وهناك نوع معين من النمل الصحراوى يتغذى على تلك الطحالب ويفرز كالنحل مادة صمغية فى الليل تشبه عسل النحل ، وعندما تسقط عليها أشعة الشمس فى الصباح تجف وتتحول الى حبات حلوة المذاق ولا تظهر الا فى موسم معين من السنة وهو الوقت الذى تصادف مرور اليهود فيه فى المنطقة ·

ومن المفاجآت التى أكدت أن وادى صدر وجبل حورب (سن بشر) هما جبل موسى والوادى المقدس أنه اكتشف أن المن والسلوى لا وجود لهما فى منطقة جبل سينا وليس لهما وجود الا فى تلك المنطقة بالذات ·

« ان اليهود يحجون كل عام ·· ومن القرن السابع الميلادى حتى اليوم الى جبل موسى ويتحملون مشقة الوصول اليه وتسلق ٣٨٠٠ درجة للوصول الى قمته التى يعتقدون أن موسى كلم ربه فوقها وتلقى منه الرسالة والوصايا حتى أصبح ذلك الجبل بالنسبة لهم كالكعبة بالنسبة للمسلمين · ولا يقل عدد من تحملوا مشقة ذلك الحج عن العشرين مليون يهودى حتى أصبح ذلك الجبل من المقدسات الدينية فأعلان تلك البحوث أو الحقائق التاريخية ستخيب أمالهم وتفقدهم ثقتهم فى أسطورة تحولت الى عقيـــدة ·

ـ دولتان : شمالية وجنوبية :

أدت العوامل التى ظهرت فى أواخر الأسرة العشرين الى اغتصاب « جريجور » الملك حوالى سنة ١٠٩٠ ق٠م وكانت الدلتا قد ثارت ووضعت على العرش فرعونا منافسا ٠ فانقسمت مصر الى دولتين ، أحدهما جنوبية وعاصمتها « طيبة » حيث يحكم « جريجور » ، وأخرى شمالية عاصمتها « تانيس » (صان الحجر) حيث يحكم الملك الذى أطلق عليه الأغريق اسم « سمنديس » ٠ وقد نتج عن مصاهرة بين البيتين الحاكمين أن حكم الفرعون الطيبى (باى نجم الأول) مصر بشطريها ٠ وقد اصطلح العلماء على تسمية الفترة التالية من تاريخ مصر بالعصر المتأخر ، الذى تميز بالانهيار السياسى والثقافى والاقتصادى ، ووصلت فيه البلاد الى دور انحلال لم تفق منه الا لفترات متقطعة قصيرة ٠

وقد اضطر ملوك الأسرة العشرين الى استخدام الجنود المرتزقة من الليبيين بوجه خاص ، كما أخذ الليبيون يهاجرون الى الأراضى الزراعية فى مصر ويستوطنونها فى أعداد كبيرة ٠ وبينما أخذت الأسرة الواحدة والعشرين فى الضعف المضطرد ، كان نفوذ احدى الأسر الليبية التى استقرت فى « اهناسية المدينة » يزداد تدريجيا ، حتى تمكن أحد زعمائها وهو « شيشنق الأول » من التربع على عرش البلاد حوالى سنة ٩٤٥ ق٠م مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الليبية ٠ وقد بدأت هذه الأسرة عهدها بنشاط وافر وسعت الى المجد فشن « شيشنق الأول » حملة على فلسطين عاد منها الى العاصمة « بوبسطة » (قرب الزقازيق) حاملا مغانم جمة ٠ ولكن فى مدن الوجه خلفاء « شيشنق » أخذ يضعف تدريجا ، بينما قوى نفوذ زعماء الليبيين فى مدن الوجه البحرى بوجه خاص ، وانقسمت البلاد الى عدة أمارات حربية ، وانفصلت النوبة عن مصر حيث تأسست مملكة مستقلة اتخذت من « نباتا » بالقرب من الشلال الرابع عاصمة لها ٠ وقد استمرت البلاد على هذا الحال من التفكك والانقسام والضعف طوال أيام العهد الليبى ، أى حتى نهاية الأسرة الرابعة والعشرين ٠

ملوك النوبة وآشور بانيبال :

وقد تمكن ملوك النوبة المتحضرين من الاستيلاء على مصر كلها حوالى سنة ٧٣٠ ق٠م وأسس ملكهم « منجى » الأسرة الخامسة والعشرين النوبية ٠ ولكن سلطة هذه الأسرة كانت ضعيفة فى الدلتا لأن عددا من الأمراء المحليين الأقوياء كانوا

يتنازعوا ملوكها السلطة · ولم يحكم النوبيون مصر الا بضع عشرات من السنين ، ففى ذلك الوقت كانت الدول المجاورة لمصر آخذة فى النهوض ، وكانت دولة الأشوريين قد اتسعت حتى ضمت اليها فلسطين ثم اصطدمت بمصر ، الضعيفة المفككة ، التى لقيت على يديها الهزيمة ، فاستطاع الملك « آشور بانيبال » فتح مصر وطرد النوبيين وغدت مصر ولاية آشورية ·

ولكن الأمير « ابسماتيك » أمير سايس انتهز فرصة انغماس آشور فى صراع مع بابل وتمكن من طرد الحامية الآشورية فى مصر وطاردها فى فلسطين ، ثم عاد الى مصر وأخضع أمراء الأقاليم ، أعلن نفسه ملكا على البلاد سنة ٦٦٣ ق·م مؤسسا الأسرة السادسة والعشرين التى يعرف عهدها بالعصر الصاوى نسبة الى العاصمة « صا الحجر » والذى تميز بأنه عصر اصلاح ونهضة · وقد حاول ملوك ذلك العصر أن ينهضوا بالبلاد عن طريق احياء ماض كان زاخرا بالقوة والازدهار ، فقلدوا آداب وفنون الدولة القديمة التى عدوها العصر الذهبى فى تاريخ مصر · كذلك أعاد هؤلاء الفراعنة تنظيم الجيش وحاولوا احياء مجد مصر الحربى ، ولكن حلمهم تبدد بهزيمة الفرعون « نخاو » هزيمة تامة فى فلسطين على يد البابليين · وقد اهتم ملوك ذلك العصر بالتجارة فحاول « نخاو » اعادة حفر القناة بين النيل والبحر الأحمر ولكنه فشل فى ذلك · عمل هؤلاء الملوك على تنمية وتشجيع علاقات مصر التجارية بالبلاد الأخرى · وفى ذلك الوقت كان ركب الحضارة قد بدأ يتحول من المشرق الى المغرب قاصدا بلاد الأغرق ، ففتح فراعنة الأسرة الســــادسة والعشرين أبوابهم للاغريق وشجعوهم على الاستيطان بمصر ، مما أدى الى ثرائهم وازدياد نفوذهم وسيطرتهم اقتصاديا على البلاد ، ولكن هذه الانتعاشة لم تدم طويلا · اذ أن ظهور « كروش » الفارسى وانتقاله من نصر الى نصر كان نذير بالخطر الذى تحقق حين غزا « قمبيز » الفارسى مصر سنة ٥٢٤ ق·م وضمها الى الأمبراطورية الفارسية دون عناء كبير ·

● قمبيز ، دارا :

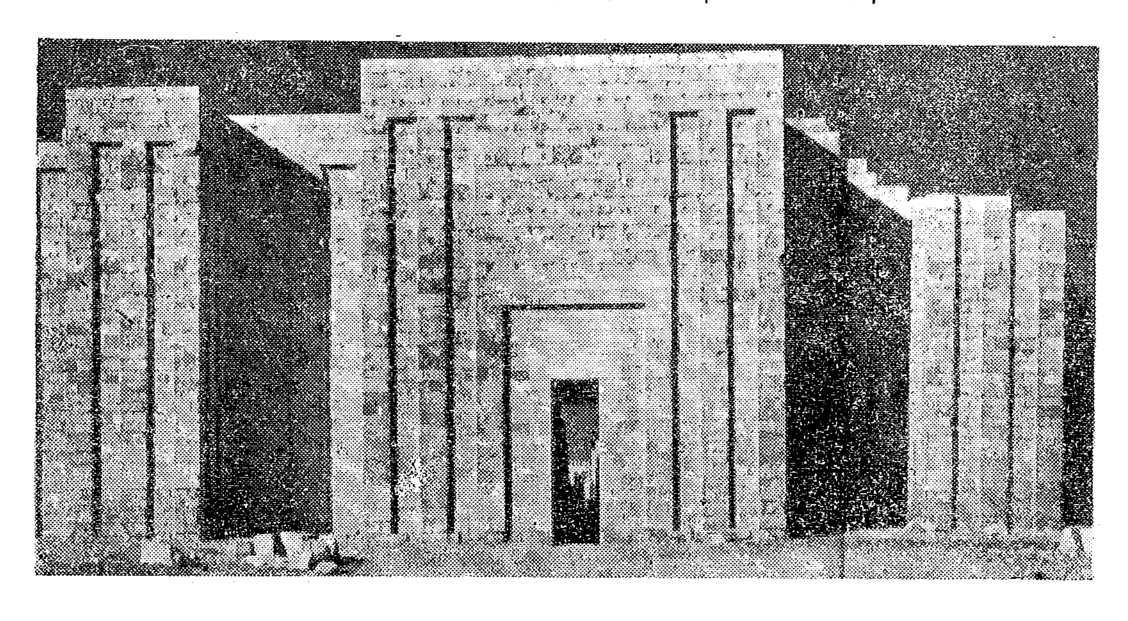
وقد عامل قمبيز المصريين بقسوة ، وحقر معبوداتهم مما أوغر صدور المصريين ضد الفرس · وبالرغم من مسلك العطف الذى انتجهه خليفته « ادرا » حيال المصريين والذى أراد أن يصلح ما أفسده سلفه ، فقد احتمل هؤلاء النير الأجنبى على مضض ، وثاروا على الفرس عدة مرات ، كانت الأخيرة منها فى شكل ثورة عامة تحولت الى حرب تحرير وانتهت بنيل الاستقلال سنة ٤٠٤ ق·م واعتلى زعيم الثورة « آمون حر » عرش البلاد مؤسسا الأسرة الثامنة والعشرين · ثم تلتها الأسرة التاسعة والعشرين الوطنية التى اتصفت بعداء الفرس ومودة الأغريق ، ثم الأسرة الثلاثون التى بــذل ملوكها جهدا كبيرا فى البناء ، كما ازدهر فى عهدهم الفن وتقدمت التجارة ·

أن عادوا الى مصر مرة ثانية سنة ٣٤١ ق٠م ليحكموها بضع سنوات ، يدخل الاسكندر الأكبر مصر سنة ٣٣٢ ق٠م ويضمها الى ملكه الواسع وهكذا ينتهى التاريخ الفرعونى على يده ليحكمها بطليموس أحد قواده ، ومن بعده خلفاؤه فيما يعرف بالعصر البطلمى أو عصر البطالسة ٠

● وبعـــــد ٠٠٠

من هذا العرض التاريخى عرفنا كيف بدأ المصريون القـدماء حياتهم جماعات متفرقة ما لبث أن اتحدت وكونت أمة متماسكة ، ورأينا كيف امتازت الدولة القديمة بحضاراتها المصرية الصميمة وبحسن التنظيم واستقرار الأحوال ونمو البلاد سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وكيف تميزت الدولة الوسطى بالعناية باقتصـــاد البلاد ورخاء الشعب ورفاهيته ، وكيف سعت الدولة الوسطى بالعناية باقتصاد البلاد ورخاء الشعب ورفاهيته ، وكيف سعت الدولة الحديثة الى تكوين جيش قوى استخدمته فى توحيد بلاد الشرق العربى القديم وفى المحافظة على تلك الوحدة ٠

وفى خلال كل تلك العصور شاهدنا كيف أن حضارة مصر وثروتها كانت مثيره لطمع الطامعين ، فتعرضت البلاد لألوان من الاعتداء وصنوف من العدوان ، وبخاصة فى تلك الفترات التى كان يشيع فيها التفكك والانقسام أو تسودها الفوضى والفساد ٠ ومع ذلك فقد كان المصريون أصلب عودا من المعتدين ، فوقفوا فى وجه كل معتد وقاوموا كل اعتداء ، ولم يرضخوا لحكم محتل أو دخيل ٠



ـ مدخل وأسوار مجموعة المبانى الملكية وهرم سـقارة المدرج للملك زوسر مؤسس الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ق٠م

● الخواص المعمارية للعمارة القديمة ١/٢

OLD EGYPTIAN - PHARAONIC
ARCHITECTURAL CHARACTERS

من الوجهة التاريخية بدأت العمارة المصرية القديمة منذ ٥٠٠٠ عام حتى القرن الأول لنشر المسيحية • حيث بدأت العمارة المصرية تتكون على ضفتى النيل من الطين والغاب والطوب النىء « الأخضر » وبعـــد ذلك من الحجر ثم الجرانيت • ومن أهم خصائص العمارة فى ذلك الوقت الطريقة التى اتبعت فى انشاء الحوائط وميلها الى الداخل ، كالتى اتبعت تماما فى بناء الأهرامات والمصاطب ، وتسليح الطين بالغاب والبوص ، وجعل الشكل الخارجى يميل الى الداخل بشكل حزمة لاعطاء المبنى قوة وتحملا وكانت هذه الميول الى الداخل من أهم ما تمتاز به العمـــارة المصرية القديمة ومن أهم مظاهرها •

وتمتاز الأعمدة المصرية بخواص معينة أيضا واضـــحة (اشتقت من أصـــل النباتات) بقنوات محفورة الى الداخل عند القاعدة تشبه تماما سيقان أوراق البردى أو اللوتس • وأحد هذه الأعمدة يعتبر أنه صورة من الحجر تماما للغاب ومجموعة من هذه الأعمدة متوجه من أعلى قمتها بزهرة اللوتس أو أشجار النخيل • وكذا طريقة عمل القبور بالطوب بنفس الطريقة التى تستعمل حتى الآن • وسيأتى شرح تفاصيل الأعمدة المصرية القديمة فيما بعد ، وكذا شرح أهم الصفات والمميزات التى اتصفت بها العمارة المصرية القديمة ، يرجى أن تنظر الصور والرسومات الخاصة بالأعمدة المصرية القديمة أشكال من ٣١ الى ٤٠ •

لقد انفردت العمارة بطراز خاص بها وهو طراز نابع من عوامل مشتركة متفاعلة، وهذه العوامل هى •• الطبيعة الجغرافية للمنطقة ، والتكوين الجيولوجى ، والمناخ ، ثم العقيدة التى كانت سائدة فى هذا المجتمع فى تلك العصور •

ومن المؤكد قطعا بأن العمارة الحجرية (*) فى مصر ، أو العمارة المصرية القديمة أو العمارة الفرعونية Pharonic Architecture جاءت بعد تطور فى العمارة التى سبقتها وهى العمارة النباتية Plant Architecture والعمارة التى تلتها وهى العمارة الطينية أو العمارة اللبنية ، Sun Brick Architecture •

(*) الفن أعظم الحضارة فى مصر القديمة ــ بحث للدكتور عبد المنعم أبو بكر •

فاستخدم المصرى القديم فى مبانيه سيقان البردى وأعواد البوص وجـــذوع النخيل ، وأمكنه أن يصنع ستائر القش المجدول فى الحوائط الداخلية لهذه الأبنية ، وابتداءا من هذا النموذج البدائى للعمارة النباتية ... تقدمت خطوات محسوسة ، دخلتها الزخرفة وتحولت من مجرد أكواخ للايواء الى سرادقات نباتية ممتدة واسعة يقوم سقفها على عمد من سيقان البردى أو حزم الغاب أو جذوع الشجر التى حور النجارون هيئاتها لتصبح رباعية الشكل . وسوى المصرى القديم بعد ذلك بلمسة فنية بسيطة أطراف الواجهات العليا بألياف البردى وحبال من الليف . وأستمر يطور هذه الأطراف وأبقى عليها حتى بعد أن انتقلت العمارة المصرية النباتية الى العمارة الحجرية والتى تعرف باسم الكورنيش المصرى – يرجى أن تنظر اللوحة رقم ٣٠ .

وحتى عندما انتقل المصرى من استعمال المـــواد النباتية الى البناء بالطمى ، سواء بواسطة كتله الغير منتظمة أو بواسطة قوالب الطوب النىء ، حافظ على كثير من تقاليد هذه العمارة النباتية الطابع . ونستطيع أن نعثر على امتـــداد كثير من خصائص العمارة الحجرية فى عمارة المصريين القدماء سواء تلك النباتية الطابع أم عمارة الطوب النىء التى سبقتها .. ومعنى ذلك أن الطفرة التى أحدثها المهنـــدس أيموحتب فى العمارة الحجرية خلال عصر الأسرة الثالثة لم تبدأ اذن من فراغ .

فى عصر الأسرة الرابعة اتسعت آفاق العمارة الحجرية وتنوعت مجالاتها ، هذا العصر الذى تميز بأهراماته التسعة ومعابده الفسيحة . الضخامة الهائلة كانت طابع عمارة الأسرة الرابعة ، ولم تدع هذه الضخامة للاعتماد على العناصر الزخرفية . شهدت أساليب العمارة المصرية خلال عصر الأسرتين الخامسة والسادسة انقلابا كبيرا ، فلم تعد تعتمد على الأحجام الهائلة وانما اعتمـــدت على عنصر الزخرفة . وظهرت نهايات الأعمدة المشكلة على هيئة زهرة اللوتس أو على هيئة براعمها المقفلة ، كما ظهرت الأعمدة التى تأخذ هيئة زهرة البردى أو قمم النخيل .

ومنذ أن استقرت القواعد الفنية للطرز المصرية فى العمارة الحجرية ، أخـــذ المهندسون والفنانون يزيدون من صلة مبانيهم بالذوق والفن من خلال ما نفذوه من وسائل الوضوح واستقامة الاتجاهات والتقليل من الانحناءات والتعقيدات .

وكما تميز المعبد المصرى منذ نشأته حتى اكتماله باستقامة الاتجاهات فى محوره الرئيسى وبتنفيذ أسلوب المقابلة بين أجزائه – المحورية والسيميترية – تميز تخطيط المبانى المصرية باستعمال الأشكال المستطيلة أو المربعة المتجاورة أو المتداخلة ، وبذلك تكون الشكل العام للمبنى المصرى القديم من مستطيل رئيسى ، انقسم الى عدة مستطيلات صغيرة ... كل منها يتجزأ بدوره الى مستطيلات أصغر .

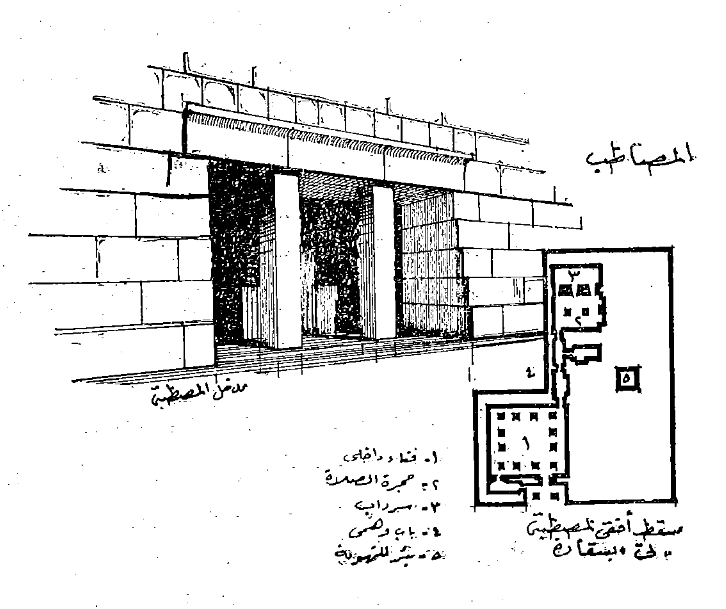
المصاطب أو مقابر الأمراء :

THE MASTABA - TOMB

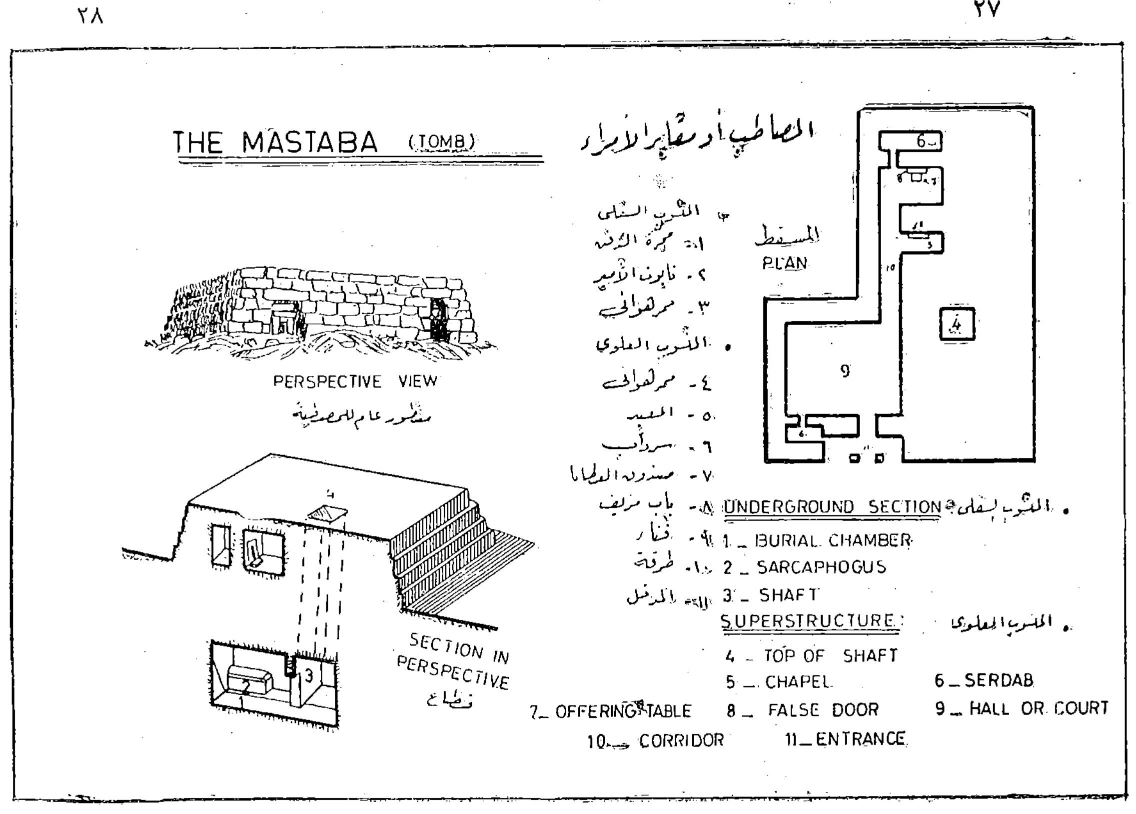
● كانت المصاطب عبارة عن مقابر الأمراء وكبار رجال الدولة ، بنيت اما بالحجر أو الطوب النيء حيث تتكون المصطبة من جزئين ، أحدهما تحت سطح الأرض منحوت فى الصخر يمكن الوصول اليه بواسطة بئر رأسى أو نفق منحدر يصل الى حجرة الدفن التابوت، والجزء الاخر أعلا منسوب سطح الأرض ويحتوى على حجرة بها باب وهى فى الجهة الغربية ، وحجرة أخرى يوضع فيها تمثال صاحب المقبرة وتسمى هذه الحجرة بالسراديب ٠

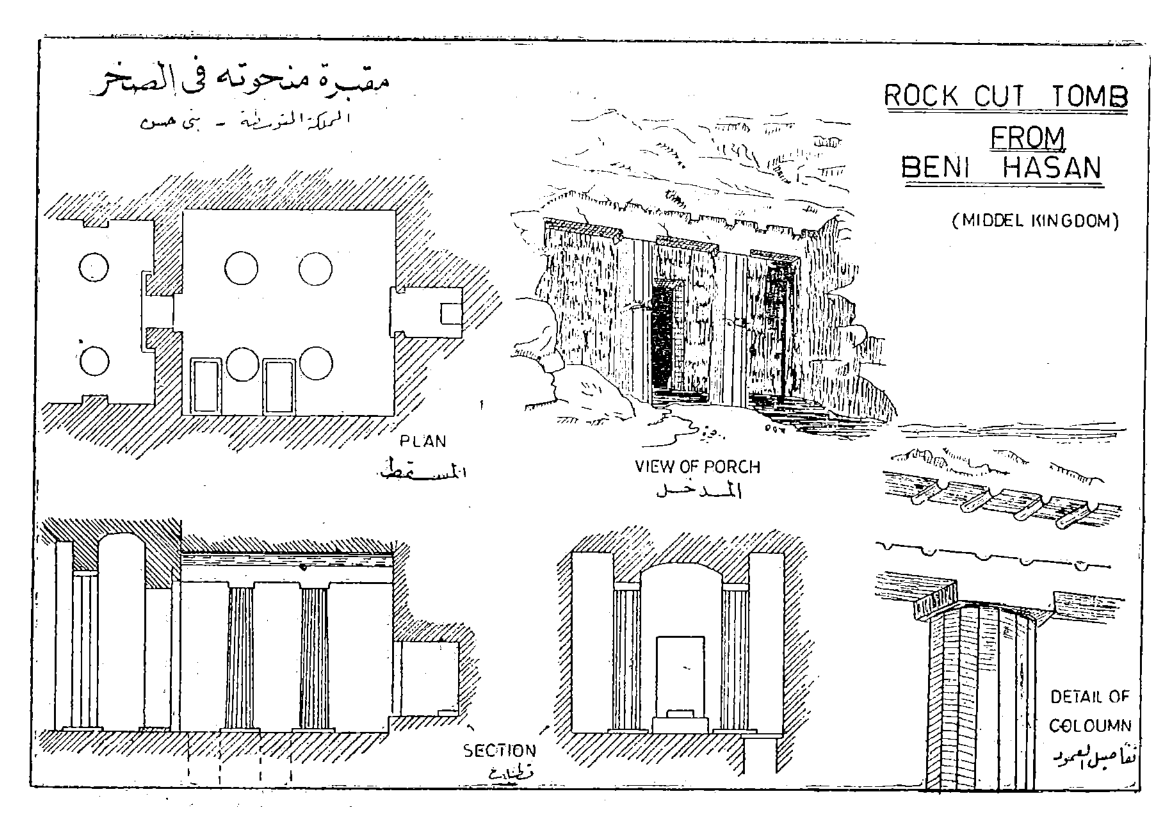
● وتحتوى معظم المصاطب على أفنية مفتوحة وسراديب وحجرات وصالات حوائطها منقوشة بمناظر مختلفة لصاحب المقبرة وهو يؤدى أعماله اليومية كما تحتوى على مناظر الريف المصرى من زرع وحـــرث وحصاد ودرس الحبوب وتشوينها بالأجران ، والصناع والنجاريين وهم يعملون ، ويشرف على كل ذلك صاحب المقبرة ٠ وقد كان لهذه النقوش الجميلة فضل كبير فى معرفة الكثير عن حياتهم ٠

٢٨



٢٧

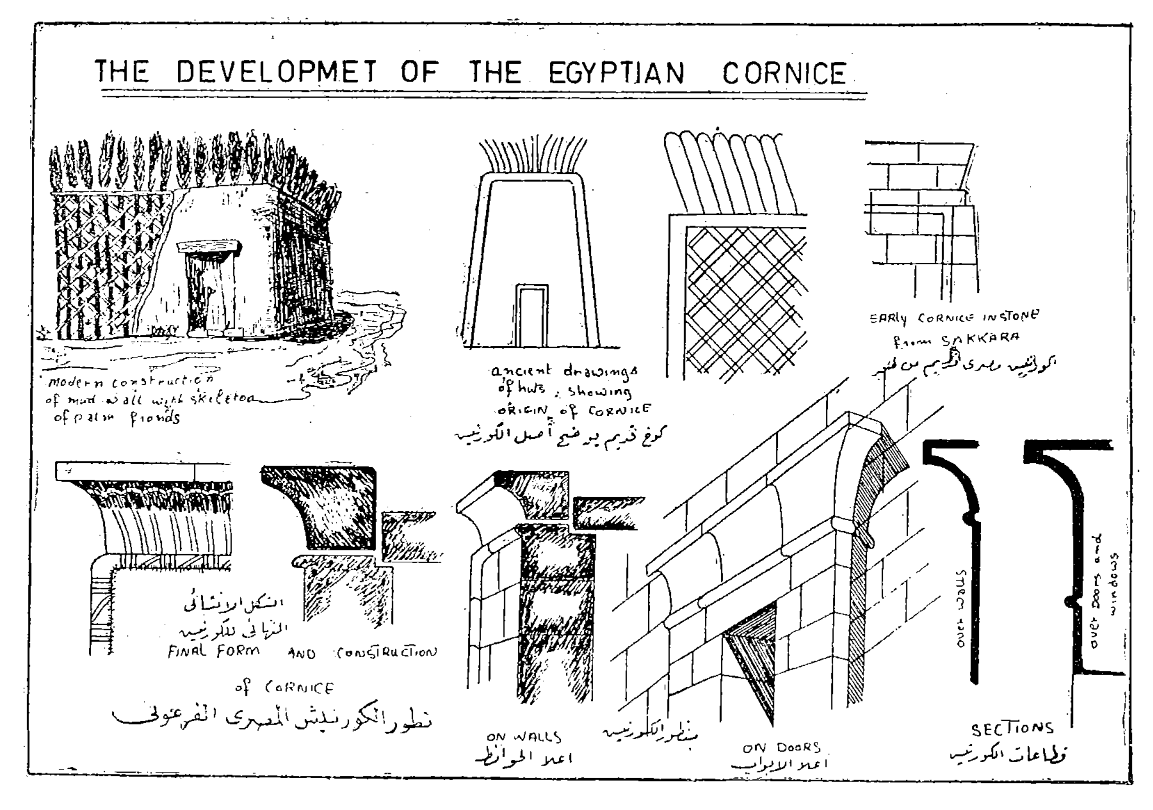




٢٩

⊛ بأدت العمارة المصرية القديمة تتكون على ضفتى النيل من الطين والغاب والطوب النيىء ، ثم بعد ذلك من الحجر والجرانيت · ومن اثار عصر الدولة المتوسطة مقابر بنى حسن المنحوتة فى الصخر كما هو موضح فى اللوحة أعلاه · شكل رقم ٢٩ أما اللوحة الأخرى شكل رقم ٣٠ فتوضح تطور الكورنتس المصرى القديم ·

٣٠



ونظرا لما يتميز المناخ المصرى بشدة الضوء وارتفاع درجة الحرارة ، فقد استغنى المهندس المصرى عن الفتحات الكبيرة ٠٠ ، لذلك ظهرت حوائط المبانى كمسطحات كبيرة واسعة خالية من أية فتحات ملحوظة سوى ما بها من أبواب ، ومن فتحات ضيقة فى أعلا الحوائط وفى السقف ٠ وبذلك هيمن على المبنى نوع من الاضاءة الخافتة التى تزيد من هيبة المكان ووقاره ٠

أما العمود الذى يستعمل فى الشادوف فيتكون من قوائم بوص أو جريد مربوطة عرضيا بمواد نباتية ، وقد ملئت الفراغات كما عملت لها لياسة من الخارج بمادة الطين ٠ وهذا الشكل كذلك يشابه الأعمدة المصرية التى نرى فيها الحليات الطولية التى تمثل القوائم الطولية ، كما أن الخطوط العرضية تمثل الأربطة المستعرضة ٠ وهذا يشابه القوائم الحديدية والأربطة العريضة أو الكانات فى الأعمدة الخرسانية المسلحة من المبانى الحديثة أو هى نفس الفكرة لأن هذه الأربطة العرضية عملت حتى تربط القوائم أو الأسياخ الطولية فلا تنبعج تحت ضغط الحمل عليها ٠

أما الحوائط فكان المصرى القديم بل ومازال الى الآن يستعمل فى بعض الأحوال قوائم من الجريد أو البوص ممسوكة بعوارض من نفس المادة ، كما تعمل لها لياسة من الطين فتكون كحائط مصمط ٠ ومن هذه الطريقة نشأ شكل الحوائط المصرية المزخرفة من أعلاها بزخرفة الكورنيش المصرى المعروف باســـم الجورج المصرى ، اذ بنيت الحوائط بنفس الطريقة من سعف النخيل ،وتركت الأطراف العليا للخارج ، فأكسبت الأسوار شكلاً زخرفيا نقل الى البناء الحجرى ، وهذه الطريقة تماثل ما يعمـــل فى تسليح الحوائط من الخرسانة المسلحة بالتسليح الطولى والعرضى ٠

أما الأسقف فقد استعملت فى المبانى لحمايتها من الداخل من عوامل الطبيعة الخارجية كالشمس والمطر أو بناء طوابق فوقها ، وعلى هذا فقد اســتعمل المصرى جزوع النخل فى التسقيف فى بعض الحالات التى فوقها أحمال ٠ وكذلك اســـتعمل البوص أو الجريد فى الأحوال التى لا يلزم وضع أحمال فوقها ، فوضع البوص فى اتجاهين متعامدين لتغطية الغرف ، كما كساها المصرى القديم بلياسة من الطين أو ما نسميه بالدهاكة ، ويمكن أن تقارن هذه الطريقة بأسقف الخرســـانة المسلحة فى التسليح الطولى والعرضى أو ما يسمى الفرش والغطاء ٠

وأخيرا نرى أن احتياجات المصرى القديم فى البناء ، وطبيعة المادة المتوفرة لديه فى المكان هى التى جددت أو أوحت اليه بهذا الاستعمال بناءا عن التجربة ، ونشأ عنها فكرة تسليح المنشآت من الخرسانة المسلحة عندما اتجه الفكر الانسانى الى استعمالها فى العصر الحديث ٠

الطرز والأعمدة المصرية القديمة


OLD EGYPTIAN COLUMNS

من المؤكد أن الفن المصرى القديم وضع أسس الطرز المعمارية ، فتطورت فيه المساند الى أعمدة أخذت بدورها تتشكل حسب حاجة الانسان وتفكيره ·· وفى مبانى الهرم المدرج بسقارة نرى ذلك التطور واضحا وأخذ يتدرج حتى انتهى الى شـــكل الأعمدة ذات القنوات التى نقلت عنها الأعمدة العمارة اليونانية فيما بعد · ونستطيع أن نلخص طرز الأعمدة المصرية فيما يأتى :

١ ـ الأعمدة المربعة ·
٢ ـ الأعمدة المستديرة ·
٣ ـ الأعمدة ذات القنوات ·
٤ ـ الأعمدة الحتحورية ·
٥ ـ الأعمدة النخيلية ·
٦ ـ أعمدة اللوتس ·
٧ ـ أعمدة البردى ·
٨ ـ أعمدة الزهرة المقلوبة ·
٩ ـ الأعمدة المركبة ·

ولقد كان شكل الأعمدة يمثل ـ كالعمارة تماما ـ حاجة الانسان وطريقة تفكيره، وتقيده بالمواد المستعملة والعوامل الأخرى المحيطة به · لذلك تجد الأعمدة الحجرية عندما ظهرت فى الأسرة الرابعة ، كانت عبارة عن كتل ضخمة من الأحجار القوية المربعة ، وذلك لأن بناء المعابد كان يراد بها اظهار القوة والعظمة والجبروت التى عرفت به الأسرة الرابعة ، وكان يجب أن يتوفر للمـــكان رهبته ليؤثر فى نفوس الزائرين ليشعروا بضآلتهم بجوار تلك المبانى الشامخة القوية كمبانى الأهرامات والمعابد المحيطة بها · وبذلك يضمن الكهنة بأن أفراد الشعب سوف يطأطئون رؤسهم خشوعا واجلالا بما توحيه الأبنية من قوتهم الالهية وأسرارهم الدينية الغامضة ، التى كانوا يعتقدون أنها وقف عليهم ، فيحاولون ارضاءهم بشتى الطرق ، ويتجنبون عداءهم ومحاربتهم ، لأنهم فى صف الاله الذى لابد وأن ينتصر ·

وكانت أعمدة المعبد البسيطة المربعة تهدف الى التعبير عن قوة الأسرة الرابعة ، كما يتضح من رصانتها وشكلها الضخم · وكانت أبعادها ١ الى ٤ ، وقد صنعت من أحجار الجرانيت الصلبة لم يكن بها أى نوع من الزخرفة ، بل اكتفى بتأثير لون المادة نفسها · وقد استنبط المصرى من هذا العامود نوعا آخر ذا ٨ ، ١٦ ضلعا ، واستمر عمل هذا النوع من الأعمدة فيما بعد ، وأضيف اليه بعض الزخارف أو الصقت بهـــا تماثيل الاله أوزيريس كما نرى فى أعمدة الرمسيوم ·

وقد بدأت **الأعمدة المستديرة** كذلك فى الدولة القديمة ، كما نراها فى أعمـــدة ساحورع الذى كتب على احدى جوانبها نص به اسم الملك وألقابه ، وكانت للأعمدة قواعد تبرز عن العمود بل كانت مفرطحة على الأرض بحيث توزع ثقل العامود على الأساس وتمنع تسرب الرطوبة للعامود نفسه فلا يتآكل بمرور الزمن ۰ وليست القواعد بغريبة على الفن المصرى القديم ، اذ أن هذه القواعد عرفت قبل ذلك فى أرجل الكراسى التى عملت لها قواعد على شكل مخروط ترتكز قاعدته على الأرض ، بحيث لا يدع الكرسى يغوص فى الأرض من أجل تأثير الحمل المرتكز فوقه ولا يدع رطوبة الأرض تصل الى الزخارف المحفورة على أرجل الكرسى فتشوه شكلها ۰ وقد استعمل العمود الأسطوانى كذلك فى الدولة الحديثة ۰ كما يرى فى معبد سيى الأول بأبيدوس ۰ الا أن نسبة العمود كانت أضخم من نسبة أعمدة مبانى الدولة القديمة والأسرة الخامســـة (يرجى أن تنظر الرسومات والصور الخاصة بالأعمدة المصرية القديمة أشكال من ۳۱ الى ٤۰ ۰

ومن أجمل الطرز المصرية طراز **العمود ذى القنوات** أو ما يسمونه ما قبل الدورى Protoderic Column ۰ وأول من أطلق هذه التسمية على هـــذا العمود المصرى هو العالم الأثرى شامبليون عندما أراد أن يؤكد أن هذا الطراز هو أساس الطراز الدوريكى الذى ظهر فى العمارة الأغريقية ۰ وكان مشابها الى حد كبير للطراز المصرى الذى تطور من شكل مساند مبانى الهرم المدرج وظهر فى أجمل أشكاله فى مقابر بنى حسن المحفوره فى الصخر ، وكذلك ظهر هذا العمود فى مبانى الدير البحرى ، وبمعبد بتاح بالكرنك من عهد الأسرة ۱۸ ، وفى بيت أو أكثر من بيوت الأسرة ۱۹ شكل ۳۱ ۰

أما **الطراز الحتحورى** : فهو يشبه الى حد كبير تلك الآلة الموسـيقية المصرية باسم سيسترون وهى شخشيخة لها رأس بشكل الاله حتحور أو الاله هاتور كما يسمى أحيانا ۰ وقد مثل العمود الحتحورى السسترون اذ أن جسم العمود يمثل السسترون وتاج العامود يمثل الشخشيخة نفسها بشكل رأس الآله حتحور وهى تحمل فوق رأسها شكل واجهة منزل أو معبد ۰ ويجوز أن يكون شكل هذا المعبد له علاقة بتلك القصة القديمة التى تدور حول الآلهة التى أرضعت حورس فى أحراش الدلتا ،ولذلك سميت حتحور أى بيت حورس ، ومثلت على رأسها شكل بيت حورس كما جاء فى القصة ، شكل ۳۲ ، شكل ۳۹ ۰

وهناك نوع آخر من**الأعمدة الحتحورية المركبة** وهى عبـارة عن نفس العمود الحتحورى العادى على شكل زهرة من زهرات اللوتس الأبيض ، أما العمود فهو عبارة

عن حزمة من عروق اللوتس مربوطة بخمسة أشرطة بالقرب من التاج ٠

أما **الأعمدة النخيلية** : فقد اقتبسها المصرى من شكل شـــجرة النخيل ، ويظن بعض العلماء أن هذا الشكل مرجعه ميل المصرى الى الزخرفة ، فكان يضع حول قمة العمود زعف النخيل ليزين به مسكنه أو معبده فى الأعياد ٠ وكان يربط الزعف الى العمود بشرائط خمسة ، قلدها عند نقل هذه الزخرفة الى الأحجار ، فأصبح العمود بشكل أسطوانة يقل قطرها فى أعلا وتنتهى بشكل زعف نخيل مربوط برباط من خمسة أشرطة ملونة على التوالى باللون الأحمر فالأزرق فالرمادى فالأزرق فالأحمر أما زعف النخيل فيلونه بلونه الطبيعى الأخضر ، ولكن جسم العامود يترك الحجر الأصلى على أن تلون الكتابة والنقوش المرسومة على العمود بالألوان المصطلح عليها فى الكتابة المصرية ــ يرجى أن تنظر الأشكال ٠

ولا تختلف **أعمدة اللوتس والبردى** عن العمود السابق من حيث أنها تمثل شكل النبات فى تحوير زخرفى ، فعمل عمود اللوتس بشـكل زهرة اللوتس المفتوحـــة أو النخيل فيلونه بلونه الطبيعى الأخضر ، ولكن جسم العامود يترك الحجر الأصلى على المقفولة ، كما روعى أن يكون شكلها كشكل كأس الزهرة فى تحوير زخرفى يمثل اللوتس الأبيض عديم الرائحة الجميلة وكذلك عمل جسم على شكل عروق اللوتس المستديرة ٠ أما عمود البردى فقد عمل تاجه شكل نبات البردى ، وجسمه مثل شكل عروق النبات ذات الحافة المدببة ٠ وفى بعض الأحيان نرى أن المصرى قد أهمل تمثيل عروق النبات ليجعل من سطح العمود المستدير القطاع مكانا مناسبا لتسجيل الكتابات التى يريد نقشها على الأعمدة (وسيأتى شرح الأعمدة القديمة من الوجهة المعمارية فيما بعد حين التحديث عن الصفات والمميزات الهامة فى العمارة المصرية) ٠ يرجى أن تنظر اللوحة رقم ٣٧ ٠

وقد حاول المصرى كذلك عمل نوع آخر من كأس زهرة اللوتس ، فرسمها بشكل كأس مقلوب كما نراه فى معبد الكرنك بالجزء الذى بناه تحتمس الثالث ٠ وفى العهود الأخيرة ، حاول المصرى أن يبرز الوضع الزخرفى ويركز فيه كل عنايته ، وأصبح شكل التيجان كشكل باقة من الزهور مصفوفة بها النباتات فى عـــدة أدوار تعلو بعضها البعض ٠

ويعتبر **العمود المركب** من أبدع ما أخرجته عبقرية الفراعنة ، ويرجع تاريخه الى عصر البطالسة ، ويتكون تاجه من طبقتين من البردى على شكل مضلع بعضها فوق بعض يتكون من مجموعها حزمة كبيرة ٠ ويرى هذا العمـــود فى قصر أنس الوجود بأسوان ٠ ونلاحظ أنه فى بعض الأحيان ، كانت تعمل أبدان هذه الأعمــدة ذات ١٦

وجها ، وهذه الأخيرة لم يكن لها تاج من النوع النباتى السابق ذكره ، بل كان عبارة عن قرص مربع بسيط ، ولم يكن له قاعدة من أى نوع ٠ وقد استعملت تماثيل الاله أوزوريس فى مكان الأعمدة ، وفى بعض الأمثلة يظهر التاج على شكل الاله هاتور ــ يرجى أن ينظر شرح الأعمدة ٠

ومما يميز أعمدة قدماء المصريين بوجه عام ، انحناء البدن الى الداخل بشكل مسلوب قبل القاعدة مباشرة ، والتى كانت على شكل قرص مســـتدير بسيط ملفوف الحرف العلوى ٠

● تاريخ العمارة الفرعونية بين عمارة الحياة وعمارة الخلود :

● هناك فرق شاسع بين كتابة التاريخ كفن ، وكتابه كعلم ٠٠٠ كتبه المؤرخون القدامى عبر التاريخ على أنه فن ٠ فن كتابة التاريخ ٠ أما اليوم فى عصر العـــلوم والتكنولوجية ٠ العصر الذى يشترك فيه العقل الالكترونى مع العقل البشرى فى البحث والتنقيب والتحليل فقد وضع التاريخ تحت مجهر العقل الاكترونى (١) ٠

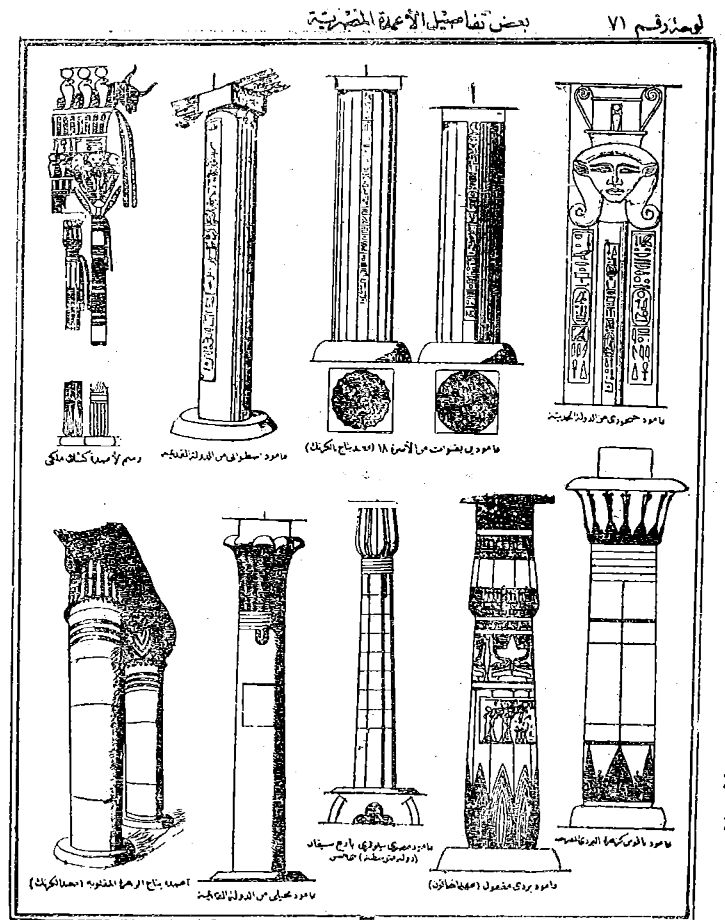
نظر العالم الى التاريخ كنظرية علمية ٠ الأمانة فى تســـجيلها معناها جمعها وتحليلها وتفسيرها وربط حلقاتها ببعضـــها البعض ، حتى الأساطير أمكن تحليلها وتحويلها الى حقائق علمية ثابتة ٠ وما عجز المؤرخون عن تفسيره كفن ، وصـــفوه بالسحر ــ قام العقل الالكترونى بتحليله كعلم ٠٠ وفسره كواقع علمى ٠ وهكذا اصطدم التاريخ فى كثير من بحوثه بما أطلق عليه اسم « ألغاز الحضارة » تلك الالغاز التى شوه الاجتهاد فى تفسيرها جوهر الحضارة وانجازاتها الحضارية الفعلية ٠

وتاريخ العمارة الفرعونية ، كغيره من عناصر تاريخ الحضارة ، فالطريقة التى كتب بها ورغم تمجيد المؤرخون له ووصفهم العمارة المصرية بأنها أم الفنون المعمارية ــ فقد جانبهم الصواب عندما نظروا اليها من زاوية ضيقة ومحدودة أغفلت الكثير من قيمها الفعلية ومـــا حققته من انجازات كانت وليـــدة البحث العلمى الذى تميزت به الحضارة المصرية عن بقية الحضارات الأخرى ٠

لقد وصف تاريخ العمارة دور العمارة الفرعونية فى رسم أول خط للســـماء رسمته يد الانسان ــ بأنه بدأ بالخطوط الهندسية الأفقية ومسطحاتها المستوية التى عبر عنها بالمصاطب ، وارتفعت المصاطب عن سطح الأرض فى طبقات متراصة فوق

---

(١) تيجان وأعمدة : بحث للدكتور سيد كريم / مجلة الهلال ١٩٨١ ٠



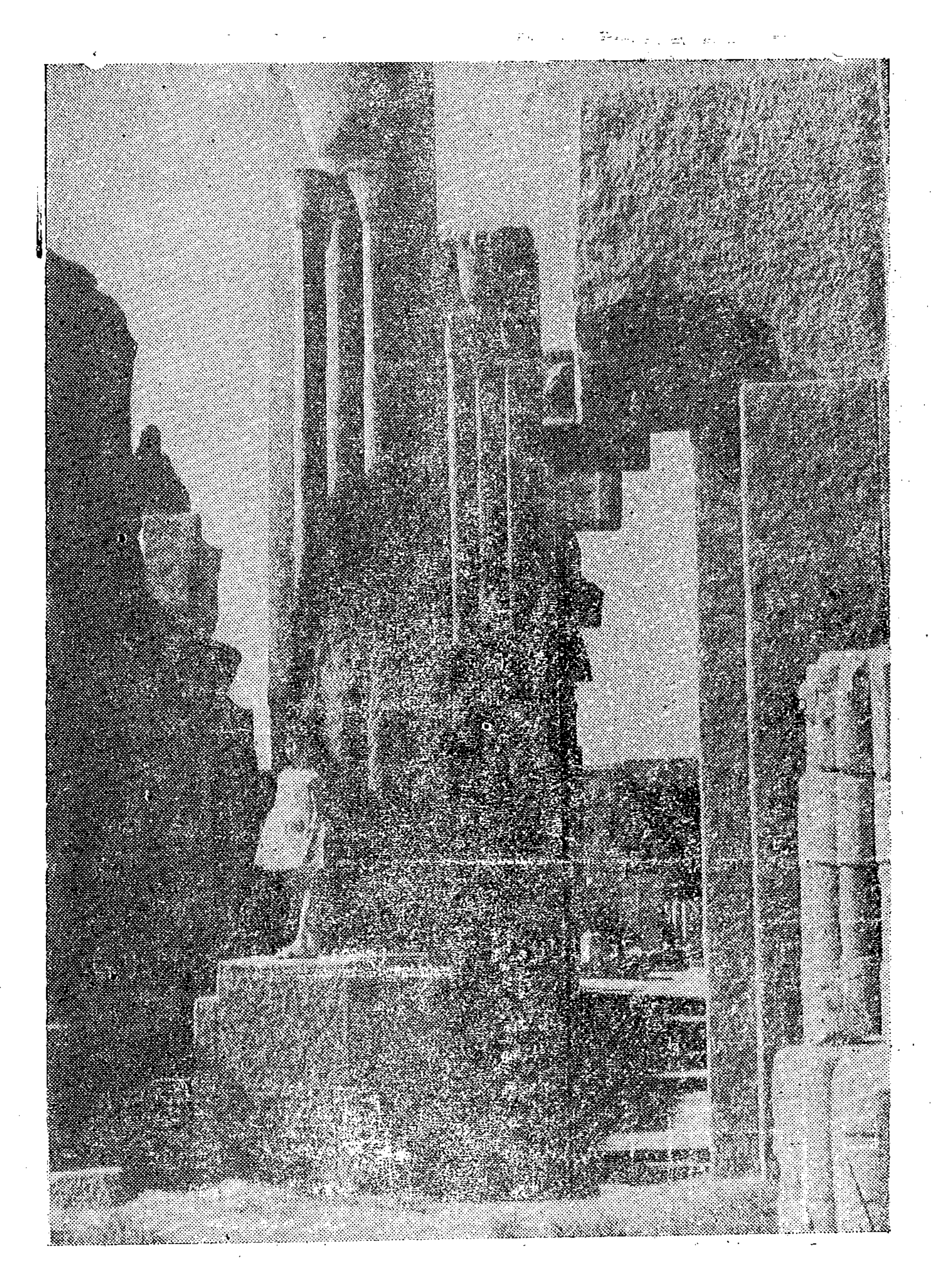
٣١ ـ الأعمدة المصرية الفرعونية أصل وأساس الطـرز الأغريقية والرومانية والكلاسيكية .

تيجـــان وأعمـــدة

بعضها البعض لتصنع الأهرامات المدرجة التى تمثل سلم الصعود الى الســماء ، وانتقلت منها الى الأهرامات الهندسية الأشكال والرياضية التكوين بأضلاعها المنحنية والمستقيمة وأسطحها الزخرفية الملساء ، ثم ارتفع الهرم بقاعدته عن سـطح الأرض لتظهر معابد الشمس ثم تعلو فوق قائم يشق طريقه نحو السماء لتظهر المسلات الرشيقة بقممها الهرمية تناطح السحاب وتكون أكثر قربا من السماء وتقربا الى الآلهة .

ثم انتقلت من الجدران الصماء والحوائط العالية الى الدعامات والقوائم والأعمدة التى تحمل الأعتاب والكمرات والأسقف لتضع أسس الهياكل الانشائية بتعدد نظريات تكوينها التى تغيرت أبعادها ونسبها تبعا لتغير مواد البناء ونظريات انشائها فحددت طراز العمارة الفرعونية ومراحل تطور معالمها عبر التاريخ .

● أن تلك العمارة التى ارتفعت على شواطىء نهر النيل وتجمعت فى معرض



٣٢ ـ أعمدة الكرنك : الأقصر

طوله ألف كيلو متر يمتد من شلالات أسوان الجرانيتية الى شاطىء البحر الأبيض المتوسط الرملية وسبعة آلاف عام تمتد من عهد ما قبل الأسرات الى نهاية العصور الفرعونية ـ نجح باثاره الخالدة التى قاومت الزمن فى تسجيل حضارة مصر القديمة ولكنه لم ينجح فى تسجيل تاريخ عمارتها الحقيقى الذى خلد حضارتها ٠

● كلما ذكر اسم العمارة الفرعونية قفزت الى الأذهان تلك الأهرامات الخالدة والمعابد وبوابات الشمس والهياكل الجنائزية والتماثيل الضخمة وما يكتنف مبانيها من أسرار واعجاز فى وسائل بنائها وطرق انشائها ، فتلك السلسلة المتراصة من الاثار المعمارية الخالدة كانت المرجع الدائم لكل من قاموا بكتابة تاريخ العمارة المصرية وما نسبوه اليه من أمجاد عندما وصفوها بأنها رسمت بداية خط السماء لتطور العمارة فى العالم والتى بدأت بالمقابر التى تحت الأرض لترتفع فوقها فتظهر المصاطب وتستمر فى العلو حتى تصل الى المعابد والأهرامات ٠

فتلك العمارة التى تكلم عنها التاريخ المعمارى ، ووصفها بتاريخ العمارة لا تمثل فى الواقع الا جانبا واحدا من جوانب العمارة ونشأتها وتطورها التى تمثل عناصر الحياة التى بنت الحضارة نفسها ٠ فللعمارة وجهان كوجهى العملة الواحدة يكمل كل منهما الاخر ٠

أحدهما أو أولهما عمارة الحياة ٠٠ العمارة التى تخدم حيـاة المجتمع وتعبر عن كيانه وتطوره وتسجل واقع مدينته وتتمثل فى عمارة حياة المجتمع ومبانى مختلف نشاطات حياته التى تبدأ بمساكن المجتمع الى مبانيه العامة الى المدن نفســها التى تخطط لتجميع تلك المبانى وعلاقة المدن وتخطيطها بتخطيط حياة المجتمع ونظم معيشته وكيان تلك النظم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعقائديا ٠

بينما الجانب الآخر أو الوجه الآخر للعمارة هو ما يطلق عليه عمارة الخلود ٠٠ أو عمارة الموت ، والتى تخدم العقائد والمعتقدات والتى تتمثل فى المقابر والمصاطب والأهرامات والمعابد ، والتى أطلق عليها قـــدماء المصريين أنفســـهم اسم عمارة العالم الآخر ٠

● فاذا عرفنا أن المصاطب التى كانت بداية فن العمارة وعلم الانشاء فى نظر كتاب تاريخ العمارة المصرية ، كانت مقابر الملوك والحكام وأن ساكنيها كانوا فى حياتهم يعيشون فى قصور شامخة ومبان عالية في مدن كاملة لمجتمع متكامل بأنظمة حكمه واقتصاديات مجتمعاته ومختلف مقـومات نواحى ثقافته والتى ترجع نشـأة مدينتها الى ألوف السنين التي تسبق بناء المقابر ومصاطبها ـ لأدركنا مـدى الخطأ الذى وقعنا فيه عند كتابة تاريخ العمارة ٠ تاريخ نشأتها وتطورها وارتباطها بالطابع والطراز ٠

فكتابة تاريخ العمارة من ذلك الجانب فقط كمحاولة كتابة تاريخ العمارة المصرية الحديثة وطابعها أو تاريخ عمارة قاهرة اليوم بدراسة عمارة المدافن والقرافات المحيطة

بها أو مبانى مدينة الموتى والتى لا تعطى صورة حقيقية أو واقعية عن حياة مجتمع المدينة وعناصر تكوين مدينتها من فنون وعلوم وثقافة تنعكس جميعها على العمارة وطرازها الحقيقى ٠

● كما تميزت حضارة مصر القديمة فى جميع نواحى عناصر تكوينها بارتكازها على البحث العلمى فكانت تلك المعجزات فى علوم الطب والصيدلة والفلك والتنجيم والرياضيات والهندسة والتى امتدت لتشمل مختلف علوم الحياة وفنونها وآدابها ، كذلك فن العمارة المصرية القديمة لم يكن وليد الاجتهاد والابتكار الفنى بل خلاصة تكنولوجيا علم البناء الذى وضع أسس كثير من نظريات العمارة وعلوم الانشاء فى مختلف الحضارات القديمة وامتدادها الى عمارة العصر الحديث العالية نفسها ٠

لقد فسرت تلك النظريات المعمارية الانشائية التى أمكن التوصل الى معرفة واستكشاف مراجعها من عمارة الحياة ـ فسرت الكثير من الالغاز والأسرار التى توقف عندها التاريخ الوصفى لعمارة الخلود ووصل الكثير من حلقاتها المفقودة التى تربط علاقة تطورها بوسائل بنائها وطرق انشائها ، فكانت من الأسباب التى تركتها نهبا للافتراضات والاستنتاجات والتخمينات التى لجأ اليها كتاب تاريخ العمارة ، فتضاربت أقوالهم التى لا ترتكز على أساس تاريخى أو علمى سليم كما هو الحال فى وصف كتاب تاريخ العمارة لطرق بناء الأهرامات ووسائل اقامة المسلات والتماثيل الضخمة واقامتها ، أو نظريات بناء المعابد ورفع الكمرات والأسقف الحجرية والصخرية الضخمة التى تزن عشرات الأطنان الى تلك الارتفاعات الشاهقة التى يصل بعضها الى ارتفاع ناطحات السحاب الحديثة ٠

فليست عمارة الموتى ولا تاريخ العمارة الذى سجلته هو الذى سيكتب التاريخ الحقيقى لتلك العمارة ، بل تاريخ علوم انشائها التى ارتبطت بتكنولوجيا الحياة وعلومها ، وهو الذى يمكن الكشف عن جذوره وأسراره بين آثار عمارة الحياة ٠٠ فهى التى ستكتب التاريخ الحقيقى للعمارة ٠

● لقد كشفت بحوث الآثار التى بدأت فى عهد الحياة التى امتدت جذورها الى عصر ما قبل الأسرات أن المصريين القدماء كان لهم الفضل فى وضع مثلث تكنولوجيا علم البناء للعالم أجمع ذلك المثلث الذى تتكون أضلاعه من :

١ ـ **وحدة البناء** : وهو قالب الطوب ٠ ابتكره المهندس المصرى القديم من ٨ آلاف سنة ٠ أعطاه اسمه (توبى) وحدد شكله ونسب أبعاده التى احتفظ بها العالم الى اليوم ٠

٢ ـ **وحدة القياس** : ابتداء من البوصة الهرمية الى الذراع المعمارى وغيره من وحدات القياس وتقسيمتها العشرية والمئوية واستعمالها فى حساب الأبعاد والمسطحات والفراغ مع ما ارتبط بكل منها من نظريات حسابية ورياضية وهندسية بجانب اختراع الأرقام التى حدد بها وحدات القياس وعلوم الرياضيات والهندسة التى وضعت نظريات فن العمارة وعلوم الانشاء ·

بالاضافة الى ابتكار وحدات قياس الزمن ابتداء من السنة الى الثانية وتقسيماتها التى نقلها عنه العالم أجمع ولم يحاول تغييرها الى اليوم ·

٣ ـ **وحدة التشكيل** : ابتداء من الخط المستقيم الى مختلف الزوايا والدوائر والمنحنيات وتشكيلاتها الهندسية وما أرتبط بها من علوم حساب المثلثات والهندسة الوصفية والعلوم التشكيلية ·

● لقد أقام قدماء المصريين مبانى الخلود أو مبانى الموت بالحجر والجرانيت لتبقى أبد الدهر تتحدى الزمن بينما بنوا مبانى الحياة بالطوب النيىء وكسوها بالجص والأخشاب والمواد الزخرفية حتى تعبر عن الحياة وتساير تطورها فيكون للمبانى التى يعيش فيها الانسان عمر محدد كالانسان نفسه حتى يمكننا أن تتطور وتجدد نفسها لتساير حياة مجتمعه وتطور أجياله وحتى تعيش العمارة حياة المجتمع ولا تكون وقفا على خدمة جيل معين تتحول بعدها الى متاحف تسكنها وتعيش فيها الأجيال المتتالية ·

أن تلك الفلسفة المعمارية التى سجلها التاريخ المعمارى لعمارة الحياة عند الفراعنة أصدق تعبير عن واقعية الطراز المعمارى الخالد بتطوره وواقعية نظرته للحياة ·

● **أين توجد مراجع عمارة الحياة ؟**

لقد حرص المصرى القديم ـ الذى أمن بالخلود الذى خلد به حضارته ـ حرص على الاحتفاظ بذكريات حياته الدنيوية ومعيشته فى اطار مجتمعه فزين حوائط مقابره بالنقوش والرسوم والصور والنماذج المجسمة التى تمثل ذكريات حياته الدنيوية فصور حياته الاجتماعية اليومية وما ارتبط بها من عادات وتقاليد · صور قاعات الاستقبال فى مسكنه وما كان يقام بها من حفلات استقبال وترفيه وأعياد كما صور ما كان يمارسه من أعمال فسجل الحرف والصناعات التقليدية فى مختلف فنون وصناعات حياته ·

وبالمثل كان المهندس المصرى القديم حريصا على تخليد تصميماته الهندسية وروائع فنه المعمارى فسجلها بدوره واحتفظ بين خزائن عمارة الخلود ومقابر أصحابها أما على شكل مخططات وتصميمات رسمها على صفحات أوراق البردى ولويحات الاستراكا وألواح الاردواز · نقش عليها مساكن وقصور أصحاب القبور · كما نحت بعض نماذجها على حوائط مقبرة أصحابها وجدران النواويس · وفى بعض الأمثلة التى كشفت عنها حفريات العصر العتيق وعهد الأسرات الأولى فى منطقة سقارة صنع المهندس المصرى تابوت الملك أو صاحب المقبرة على شكل القصر أو المسكن الذى كان يسكن فيه فى حياته فاذا بالتابوت الحجرى الذى تحفظ به المومياء ما هو الا نموذج مصغر (ماكيت) للقصر الذى كان يعيش فيه احتفظ به كتذكار لحياته الدنيوية وخلد به المعمارى عمله الفني الذى قام به فى حياته · ويقدم للتاريخ صورة حقيقية وحية عن تاريخ العمارة المصرية ·

لقد كشفت حفريات الدولة القديمة وعهد ما قبل الأسرات عن الكثير من نماذج القصور والدور العامة والمسكان وروائع الطراز الفرعونى القديم الذى تجاهلته مراجع تاريخ العمارة لتستعرض المصاطب والأهرامات والمعابد على أنها تعبر عن طراز العمارة الفرعونية فى مختلف عصورها ·

من بين الأمثلة الحية لنماذج القصور أو عمارة الحياة التى احتفظ بها مصغرة فى مقابر العصر العتيق تابوت الملك يوادجى ·

ملوك الأسرة الأولى · والتابوت عبارة عن ماكيت مجسم للقصر الملكى بواجهاته وبوأباته وزخارفه بخطوطه الرأسية المستقيمة وأعمدة الواجهات الملتصقة ووصل ارتفاع الواجهات الى مايقرب من الثلاثين مترا · وهو نفس الطراز المعمارى الذى ظهرت خطوطه الأولى قبل بداية الأسرة الأولى واستمر ليصبح الطابع المميز لعمارة منف منذ نشأتها حتى نهاية الأسرة الثالثة كما ظهر واضحا فى حفريات عمارة الحياة ومبانيها العامة التى كانت تضمها أسوار هرم زوسر المدرج ·

كما وجدت عدة نماذج للقصور وتصميمات واجهاتها فى مقابر أبيدوس من بينها نموذج لواجهات قصر الملك برايش ـ أحد ملوك الأسرة الثانية والملك بوادجى من ملوك الأسرة الثانية ·

وانتقلت تقاليد تخليد عمارة الحياة فى نماذج التوابيت الى عصر الأهرامات فى الأسرة الرابعة حيث اكتشف علماء الآثار أن تابوت الملك خفرع ما هو الا نموذج مصغر للقصر الذى كان يسكنه فى حياته ·

لقد كشفت حفريات مدن قدماء المصريين وآثار عمارة الحياة بها عن دور البحث العلمى فى وضع نظريات العمارة عند قدماء المصريين لمختلف مواد البناء الطبيعية المصنعة التى توصلوا الى اكتشافها أو ابتكارها ٠ وقد أثبتت الدراسات الحديثة فضل مهندسى مصر القدماء فى ارساء أسس نظريات البناء والانشاء لمختلف مواد البناء التى انتقلت من مصر عبر التاريخ الى مختلف الحضارات الأخرى وما زالت تحتل مكانها فى العمارة العالمية الحديثة ٠ ويمكن تلخيص تلك المواد ونظريات انشائها والتى تعتبر نشأة فن البناء فى العالم فيما يلى :

● صناعة الطوب وتطور فن العمارة والانشاء :

قالب الطوب أو وحدة البناء أول ابتكار حضارى فى تصنيع فن البناء ترجع صناعة الطوب الى ما قبل عصر الأسرات وتعود أقدم آثارها الى ما يقرب من ثمانية الاف عام ٠ لم تكن صناعة الطوب فى عهد قدماء المصريين مختلفة عما هى عليه الآن ٠ بل ما زالت كما كانت سواء من ناحية التكوين أو التصنيع أو طريقة البناء ٠ صنعوا قالب الطوب من طمى النيل « الذى يقدمه اله النهر كل عام على شاطئيه هدية لأبناء واديه » ٠٠

وكانوا يخلطون الطين بالتبن أو قش البوص وتخمر العجينة فى أحواض خاصة تشكل بعدها قوالب الطوب فى فرم خشبية ثم يرص لتجف فى الشمس وهى نفس الطريقة المستعملة الى اليوم ٠

كانت أبعاد قالب الطوب فى الدولة القديمة لا تختلف عن أبعادها فى العصر الحديث (٢٨ × ١٤ × ٧) سم ثم اختلفت مقاساتها من عصر الى آخر مع احتفاظ القالب بنسب أبعاده حتى أمكن معماريا تحديد تاريخ العصر الذى أقيم فيه المبنى من مقاسات الطوب التى كانت شائعة فى ذلك العهد ٠

كما ابتكر المصريون ختم قوالب الطوب باسم المصنع أو المنطقة التى يصنع بها ، وقد ابتكر المصريون نظرية بناء الحوائط الطولية المرتفعة بمداميك مقوسة لمقاومة الهبوط والشروخ والتمدد وفى بعض الأمثلة التى ظهرت فى الدولة الوسطى استعمل نوع خاص من الطوب مقوس الشكل تبنى به المداميك المموجة الشكل ٠ كما قاموا بتسليح الحوائط السميكة بوضع دعامات خشبية داخل الحوائط بين المداميك لربطها ، وقاموا بتسليح بعضها بالعروق الخشبية وأفرع الأشجار والبوص ٠ كما استعملوا جذوع النخيل الكاملة أو بعد شقها لتقوية الحوائط السميكة وخاصة فى حوائط الحصون

والقلاع والاستحكامات الدفاعية وكانت وقوالب الطوب النيء المستعمل فى بناء تلك المبانى تخلط بالرمل والطفل وكسر الأحجار كما كانت أبعاد الطوب أكبر من أبعـــاد الطوب المستعمل فى المبانى العادية (٣٦ × ١٨ × ٩) ٠

وقد تطور فن البنا بالطوب النيء ليصنع منه الفراعنة العقود بأنواعها والأقبية والقبـــاب ٠

كانت العقود تبنى برص مداميك الطوب رأسيا وفى بعضـــها تم رص المداميك أفقيا كما استعملوا كلا الطبقتين معا بحيث ترص المداميك الأفقية أسفل العقد تعلوها عدة طبقات من المداميك الرأسية ٠

وفى بعض أمثلة العقود بمعبد الروماسيوم فى طيبة صنعوا من الطوب النيء قوالب خاصة منحنية ومقوسة يكون تجميعها شكل العقود مباشرة ٠ واستعمل فى بناء حوائط الطوب مونة مكونة من الطين والطفل وكانت الحوائط تطلى بالطين المعجون بالتبن بنفس الطريقة المستعملة حاليا فى الأرياف (الدهاكة) ثم تدهن بالجير الأبيض ، كما كانت المساكن بالمدن تطلى حوائطها بالجص الأبيض وتزين بالنقوش الزخرفية المتعددة الألوان ٠ واستعمل الحجر فى بناء أساسات مبانى الطوب النيء فى أوائل الدولة الوسطى فى المناطق الرطبة وخاصة فى مدن الدلتا ، وقد وصل ارتفاع المبانى بالطـوب النيء فى الدولة القـــديمة الى ارتفاع ثلاثة أدوار وكان الدور الأرضى فى القصور المرتفعة يبنى بأكمله بالحجر أما حوائط الأدوار العليا فكانت تبنى بالطوب النيء وتطلى بالجص الذى تطلى به الحـوائط الحجرية وقد عرف قـــدماء المصريين صناعة الطوب المحروق فى أواخر الدولة القديمة ويرجع بعض المؤرخين أن المصريين القدماء اكتشفوا صناعة الطوب الأحمر بالصدفة نظرا لأن أقدم نماذجه واستعمالاته ظهرت فى أماكن صناعة الأوانى الفخارية التى تحول طوب حوائط أفرانها بفعل الحريق الى الطوب الأحمر المعروف حاليا ثم انتشر استعماله فى الدولة الوســـطى والدولة الحديثة ٠ وكان الطوب فى الدولة الحديثة يحرق فى قمائن لا تختلف فى طريقة اعدادها وأشكالها عما هو مستعمل حاليا ٠

● الحجر فى تاريخ العمارة :

ويرجع استعمال قدماء المصريين للحجر الى الأسرة الأولى ، كما ورد فى مراجع تاريخ العمارة الذى ترجع أقدم أمثلته الى عصر الملك أوديمو ســـادس ملوك الأسرة الأولى الذى اكتشفت مصطبته فى أبيدوس التى كسيت أرضياتها ببلاطات مصقولة من

الجرانيت كما ذكر أن الملك حاسخموى آخر ملوك الأسرة الثانية كان أول من استعمل الحجر الجيرى فى كسوة الحوائط بدلا من الخشب والبياض الذى كان مستعملا فى معظم المصاطب ، ثم ظهرت كسوة الحوائط بالقيشانى فى عهد الملك زوسر فى الأسرة الثالثة ثم ظهر الحجر والجرانيت فى صناعة بوابة معبد هيراكلونبوليس وانتقلت منها الى صناعة البوابات المحورية والمنزلقة التى كانت تستعمل لسد فتحات الطرقات الداخلية بالأهرامات ، أما استعمال الأحجار فى بلاطات الأسقف والاعتاب فقد وجدت بعض أمثلتها فى عمارة الأسرة الأولى ·

وكانت الأحجار التى استخدمت فى بناء مدينة منف وأسوارها المعروفة تستخرج من محاجر طره والمعصرة ·

لقد نسب كتاب تاريخ العمارة استعمال الحجر فى العمارة الفرعونية الى امحوتب مهندس الملك زوسر (الأسرة الثالثة ٢٨٠٠ ق·م) عندما بنى هرم سقارة المدرج والمجموعة المعمارية المحيطة به وتبلغ مساحتها (٥٥٠ × ٢٨٠ مترا) وانتقلت منها العمارة بالحجر الى أهرامات الأسرة الرابعة ومعابدها ·· لقد اشتملت الأهرامات ومعابدها على العديد من أمثلة استعمالات الحجر فى العقود والأسقف المقوسة وتعتبر مرجعا لصناعة العقود الحجرية وتطورها فى علم الانشاء ·

لا شك فى أن تلك الأمثلة جميعها التى وصفها الباحثون بأنها أول محاولات للبناء بالحجر واستعمالاته سواء من ناحية فن البناء أو طرق الانشاء أو أعمال التكسية والأعمال الزخرفية وقد وجدت جميعها فى المقابر أو المصاطب كانت جميعها مستمدة من عمارة الحياة ولا تمثل الا جزءا بسيطا من فن العمارة واستعمالات الحجر بها التى كانت تبنى بها القصور والمبانى العامة ·· والمدن بأكملها ، لذا فهى لا تعطى صورة حقيقية عن تاريخ العمارة بالحجر لا من الناحية الفنية ولا النظرية أو التاريخ الزمنى لنشأتها ومراحل تطورها ·

● التيجان والأعمدة فى فن العمارة :

العمود هو وحدة التعريف فى وضع أسس الطرز المعمارية التى يطلق عليها فى فن العمارة اسم القواعد المعمارية Orders الخمسة وهى التوسكانى (العمود الأسطوانى البسيط) والدورى أو الدوريكى (المشطوف والمضلع) والايونى (الذى يتميز بتاجه ذى المنحنيات الملتوية) ثم الكورنثى والمركب والتى تتميز بتيجانها النباتية ·

لقد نسب الباحثون فى فن العمارة وتاريخها مصادر تلك الأعمدة وتيجانها الى العمارتين الأغريقية والرومانية ودورهما فى تطور مختلف الطرز الأوروبيـة ، واذا رجعنا الى تاريخ ظهور الأعمدة فى العمارة بصفة عامة نجد أن أول ظهورها فى العمارة الاغريقية القديمة بدأ فى القرن العاشر قبل الميلاد بالعمود الدوريكى الطابع المميـز للعمارة الاغريقية القديمة • وكان ذلك العمود عند اكتشاف مقابر بنى حسن التى ترجع الى الدولة الوسطى (١٩٧٠ ق٠م) واكتشف شامبيليون أن أعمدة مقابر الدرويك الاغريقية وتسبقها بتسعة قرون • وأطلق شامبيليون على أعمـدة بنى حسـن اسم (البروتودوبك) أو أصل العمود الدورى هو الاسم الذى اصطلح عليه كتاب تاريخ العمارة فى العصر الحديث •

وقد حاول بعض الكتاب التشكيك فى تلك العلاقة بمحاولتهم ارجاع أصل العمود الدورى الاغريقى الى وجود رسوم لعمود مشابه له فى نقوش احدى الحفريات المقدونية القديمة التى ترجع الى تاريخ مقارب لتاريخ أعمدة بنى حسن ••• وأخيرا لقد دهم تلك النظريات جميعها اكتشاف العمود الدوريكى متكاملا بمختلف أوضاعه المعمارية والانشائية وأكثر تطورا من أعمدة بنى حسن وأعمدة الاغريق وذلك فى حفريات العصر العتيق والدولة القديمة فى سقارة ومعابدها الجنائزية ومنشآت الهرم المدرج والتى ترجع الى عام ٢٩٠٠ ق٠م مما يدل على أنها نشأت من عدة قرون سابقة لذلك العصر بالذات •

بالرجوع الى مصدر الأعمدة ونشأتها وتطورها واسـتعمالاتها فى العمـارة الفرعونية على ضوء تلك البحوث ، وينكشف لنا أن الأعمدة لم تكن تطورا وتسلسلا طبيعيا من مبانى الحوائط الحاملة بمختلف المواد الى الدعامات ومنها الهياكل الانشائية التى حلت فيها الأعمدة والكمرات والبلاطات الأسقف محل الحوائط أى الانتقال من المصاطب الى الاستحكامات الى الأهرامات الى معابد الشمس وأخيرا المعابد وهياكلها المعمارية بمختلف أعمدتها •

لقد كشفت دراسة العمارة الفرعونية أو عمارة الحياة وتطور عناصر انشائها أن الأعمدة وهياكل الانشاء المرتبطة بها قد ظهرت من أقدم العصور الفرعونية والى عصور ما قبل التاريخ وأنها كانت من الطابع المميز لمبانى مدينة أون (عين شمس) أقدم عاصمة فى تاريخ الحضارة المصرية والتى يرجع انشاؤها الى ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة عن عصر الأسرات أو العصر العتيق •

لقد اثبتت الدراسات أن أشكال الأعمدة فى العمارة الفرعونية مرتبط بنشأتها

من أقدم العصور وأنها نشأت فى عهود متقاربة ارتبطت فيها اسم الأعمدة وتيجانها بظروف المنطقة وطابعها وخاماتها الطبيعية ٠

فالعمود الدورى المضلع المفرز يرمز الى صناعة الأعمدة من حزم البوص التى تربط ببعضها البعض بخيال الكتان وتحمل مخدة أو بلاطة تركز عليها كتل الكمرات وأعمدة النخيل بدأت باستعمال جذوع النخيل كأعمدة للمبانى بعد كسوتها وطلائها بالطين أو الجص ورسموا للعمود تاجا يمثل زعف النخلة رمزا لخلودها ثم أعمـــدة اللوتس والبردى والتى تمثل قوائمها حزم سيقان البردى واللوتس والبوص وبنفس طريقة أعمدة النخيل توج كل عمود بتاج يرمز الى زهور نباتات اللوتس والبـــردى ومختلف زهور النباتات التى كانت تصنع منها الأعمدة لذلك كان ظهور أعمدة النخيل فى أقدم أمثلتها فى مناطق الصعيد التى اشتهرت بزراعة النخيل وأشجار الدوم أو مناطق الدلتا فى عواصم مصر القديمة التى سبقت عصر الأسرات كما أن أعمدة اللوتس التى ظهرت أقدم أمثلتها فى الصعيد ووصلت الى منف عندما كانت زهرة اللوتس شعار الوجه القبلى وبالمثل ظهرت أعمدة البردى فى الوجه البحرى والتى أصبحت زهرة نبات البردى شعارا له ٠

كانت تلك الأشكال التكوينية لنشأة الأعمدة وتتويجها هى التى وضعت قواعد الأعمدة الفرعونية وطرزها المعمارية بأكملها عند صناعة الأعمدة من الحجر والجرانيت حيث احتفظت الأعمدة بأشكالها وفنون زخرفتها وطـابع تيجانها مما أســتمدته من أصول نشأتها تغيرت فيه نسبها وأبعادها من مواد بنائها ٠

لقد أثبتت حفريات العصر العتيق وسقارة ومدن أون القديمة (عين شمس) وتانيس ومنف وسقارة خطأ جميع النظريات التى حاول المؤرخون وكتاب تاريخ العمارة فى نسبة كل نوع من الأعمدة الى عصر تاريخى أو تاريخ زمنى معين ، كما هو الحال فى العمود الدوريكى ووجود أمثلته متكاملة من الأسرة الأولى ٠

كذلك عمود النخيل الذى نسب الى الدولة الوسطى عندما كان الطراز أو الطابع المميز لمعابد ومبانى مدينة تانيس كما كان فى نفس الوقت مميزا لمبانى رمسيس الثانى فى الدولة الحديثة وجدت بعض مراجعه القديمة فى أهناســيا قبل الأسرة الأولى ٠ كما أن أعمــدة البردى واللوتس والأعمدة المركبة التى نســبها المؤرخون الى عصر البطالسة وجدت بين حفريات الدولة القديمة والدولة المتوسطة ، وقد لعبت تيجان تلك الأعمدة دورا هاما فى أكثر من مرحلة من المراحل السياسية عندما كانت زهرة اللوتس رمزا للوجه القبلى وزهرة البردى كرمز للوجه البحرى ، فظهرت التيجان المركبة التى

تجمع بين الزهرتين فى تكوينات زخرفية لتعبر عن وحدة البلاد وقدمت بعض التيجان كقرابين للاله لتتوج أعمدة المعابد كرمز للخلود لحفظ المبنى وحفظ الوحدة ·

● أن ما توصلت اليه بحوث تاريخ الفن المعمارى عن أصل العمود الدوريكى الذى ثبت أنه منقول من العمارة الفرعونية والاتفاق على تسمية العمـــود المصرى Proto Doric أو أصل العمود الدوريكى ينطبق على بقية الأعمدة أو القواعد المعمارية التى نسبها تاريخ العمارة والفنون الى الأغريق والرومان والتى أمكن اكتشاف أصل كل منها أو النماذج المطابقة لها بين أعمدة العمارة الفرعونية وتيجانها المعبرة والتى سبقت كل منها مثيلاتها الاغريقية والرومانية بألوف السنين ·

فالعمود الايونى ثانى القواعد المعمارية بمنحنيات تاجه الملتوية ظهر أيضا فى مصر فى عدة أشكال منها زهرة اللوتس بأوراقها الملتوية التى ظهرت لتتوج أعمـــدة الكرنك المربعة أو قرون الكباش الملفوفة التى ترمز للاله آمون والتى توضع على جانبى التاج لحمايته كما نسبتها احدى مراجع تاريخ الفنون القديمة الى لفتى ورق البردى التى ترمز الى أسرار المعرفة المقدسة وكانت توضع على جانبى التاج فى أعمدة غرف خزائن المعبد ، لحماية المقدسات التى تحمل تيجان الأعمدة أسقفها ·

وقد نشر العلامة الدكتور اسكندر بدوى بحثا قيما (مجلة العمارة ١٩٤١) أطلق فيه على العمود الفرعونى اسم Protionic أى أصل العمود الايونى قدم فيه عدة أمثلة من عصر تحتمس الثالث ١٥٠٠ ق·م والمنحنيات الملتوية المرسومة على قاعدة تمثال اله النيل كما قارن بين كثير من رموز وتيجان الأسرة الخامســـة ٢٧٠٠ ق·م وأثبت علاقة التاج الايونى الاغريقى بكل منها ·

أما العمود الكورنثى وتاجه النباتى الزخرفى فما هو الا صورة من الأعمـــدة النباتية الفرعونية التى عم استعمالها فى عصر البطالسة وانتقلت عن طريقهم الى روما وكانت أيضا امتدادا لأعمدة اللوتس والبردى القديمة والتى استبدلت زهور البردى واللوتس وأوراقها بأوراق الزهور والنباتات الاغريقية والرومانية المعروفة ·

أما العمود المركب أو رابع قواعد المعمارية فلا يختلف عن العمود الفرعونى المركب الذى جمع بين نباتى اللوتس والبردى « زهرتى الوحدة » وأدخلت بين ثنايا التيجان أنواع أخرى من الزهور والنباتات المصرية المعروفة ·

لم تكن النباتات وحدها تستعمل فى تصميم تيجان الأعمدة الفرعونية بل ظهرت رءوس المعبودات لتتوج الأعمدة كتيجان المعبود حتحور بمعبد دندرة وتيجان المعبود

بس كما ظهرت عدة أمثلة لتيجان أو أعمدة الملوك التى استعملت فيها تماثيل الملوك لتحل محل الأعمدة لحمل أسقف المعابد وقد نقلت تلك التيجان لتظهر ضمن قواعـــد العمارة فى أعمدة الكرياتيد الاغريقية ٠

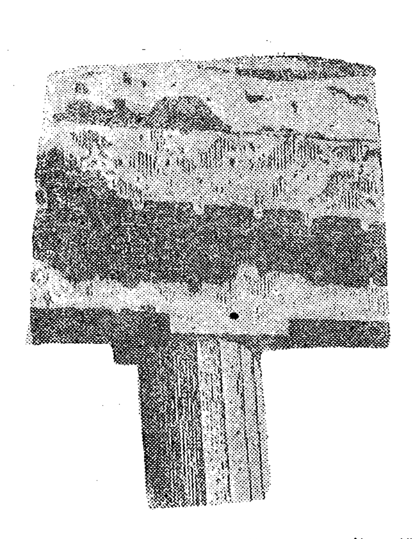
● العمارة المصرية والبحث العلمي :

ان كانت تكنولوجيا العمارة الفرعونية قد وضعت أساس نظرية الانشاء المجهز بابتكار « قالب الطوب » ، أول وحدة جاهزة ومصنعة فى علم البناء ـ فلا يجب أن ننسى أن بحوثهم العلمية مهدت لهم السبق فى وضع أسس نظريات المبانى الســـابقة التجهيز والمساكن الجاهزة ، وذلك من بداية الدولة القديمة وقبل عصر الأهرامات ٠

فقد ظهرت المساكن الجاهزة التى تصنع حوائطها من وحدات خشبية متماثلة تثبت فى بعضها البعض بأربطة من الجلد تثبت على قواعد حجرية بها مجرى تركز فيها الحوائط وتربطها من أعلى كتلة خشبية على شكل مجرى تحمل العروق الخشبية التى تكون الأسقف المزدوجة لمنع الحرارة تكسوها الألواح الخشبية من أسفل والحصائر من أعلى التى تغطى بطبقة من الطفل كما صنعت لها وحدات ثابتة النماذج للابواب والشبابيك التى يمكن تثبيتها وفكها بسهولة ٠ وكانت تلك الأنواع من المساكن الجاهزة يستعملها القواد فى ميادين الحرب بدلا من الخيام أو رحلات الصيد ، كما وجدت نماذج منها يستعملها المهندسون ليقيموا فيها أثناء اقامة المنشآت أو تخطيط المـــدن وبناء المعابد ٠

كما طبق المصريون القدماء نظرية المساكن الجاهزة والسابقة التجهيز فى بناء مدن بأكملها ، ومن أقدم أمثلتها التى ظهرت متطورة علميا مدينة « خنت كاوس » احدى المدن التى بنيت فى الأسرة الرابعة ٢٥٦٥ ق٠م التى بنيت لتآوى عمال بناة الأهرامات ومعابدها الجنائزية ، كانت فكرة اقامتها بنظرية المساكن الجاهزة العمل على سرعة اقامتها وتجهيزها ثم سهولة فكها بعد الانتهاء من القيام بغرضها ثم أهدائها للعمال والفنيين الذين قاموا ببناء الأهرامات لينقلوا مساكنهم الى قراهم ومدنهم التى أتوا منها ليعملوا فى خدمة الاله ٠

قام المهندسون بتحقيق نظرية المساكن السابقة التجهيز بوضع تصميمات المساكن ذات النماذج والتصميمات والمساقط والأبعاد الموحدة لجميع غرف المساكن وجزئياتها ٠ كما أعدت نماذج موحدة لجميع أبواب المساكن الخارجية والداخلية والشـــبابيك ٠ كذلك الوحدات الجاهزة لأعتاب الفتحات وكمرات الأسقف وبلاطات الأرضيات ومجارى المياه وغيرها من مختلف التفاصيل ٠



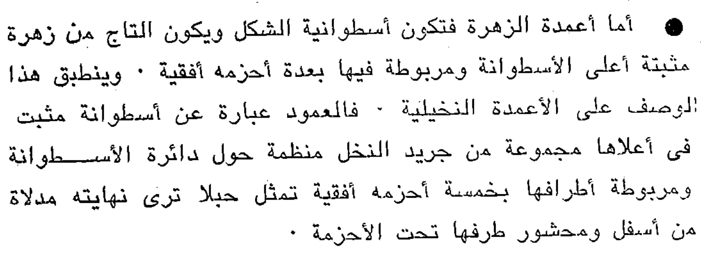
٣٤ ـ العمود ذو القنوات أو ماقبل الدورى من مقابر بنى حسن ، يعلوه وسادة بمثابة تاج يرتكز عليهـــا العتب وفوقه كورنيش بزخرف يمثـل طريقة البنـــاء الخشـــبى وكيف نقـــل الى الحجر

الأعمدة المصرية القديمة

OLD EGYPTIAN COLUMNS

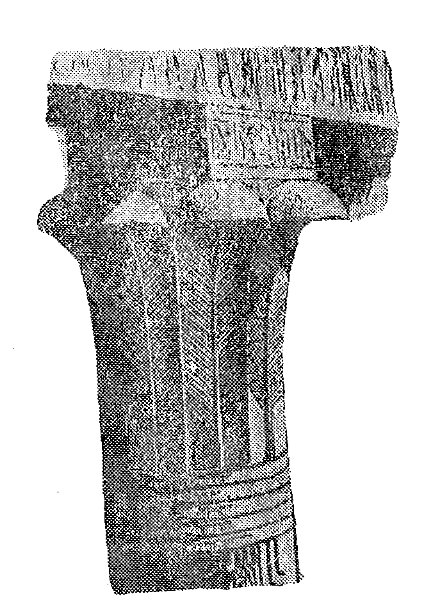
● اتخذ المصريون من زهرة ونبات البردى **Papyrus** وكذلك زهرة ونبات اللوتس أو البشنين **Lotus** أشكالا زخرفية جميلة خلاف الأشكال الأخرى التى تشبه النخيل ، وقد تفننوا فى التعبير عنها وفى تركيبها ونظمها · ومنها ما كان على شكل زهرة مقفولة ـ النورة Bud Column أو زهرة مفتوحة Flower Column ، ويسمى عادة بالعمود الناقوسى Companiforme ذلك لأن تاجه يشبه الناقوس·

● ويتكون عمود النورة من حزمة من سيقان النبات مجتمعة عند القاعدة وهى أسطوانية الشكل ومربوطة تحت التاج الذى يشبه فى شكل كتلته النورة ، ويحمل فى أعلاه كتلة مكعبة من الحجر يركب عليها أطراف الأعتاب ·



● أما أعمدة الزهرة فتكون أسطوانية الشكل ويكون التاج من زهرة مثبتة أعلى الأسطوانة ومربوطة فيها بعدة أحزمه أفقية · وينطبق هذا الوصف على الأعمدة النخيلية · فالعمود عبارة عن أسطوانة مثبت فى أعلاها مجموعة من جريد النخل منظمة حول دائرة الأســـطوانة ومربوطة أطرافها بخمسة أحزمه أفقية تمثل حبلا ترى نهايته مدلاة من أسفل ومحشور طرفها تحت الأحزمة ·

● ويتكون تاج العمود الهاتورى من أربعـــة رؤوس للآلهة هاتور تحمل مكعبا ، كل وجه من أوجهه الأربعة منحوتة على شكل معبد صغير ·



٣٥ ـ معبد الرمسيوم/طيبة



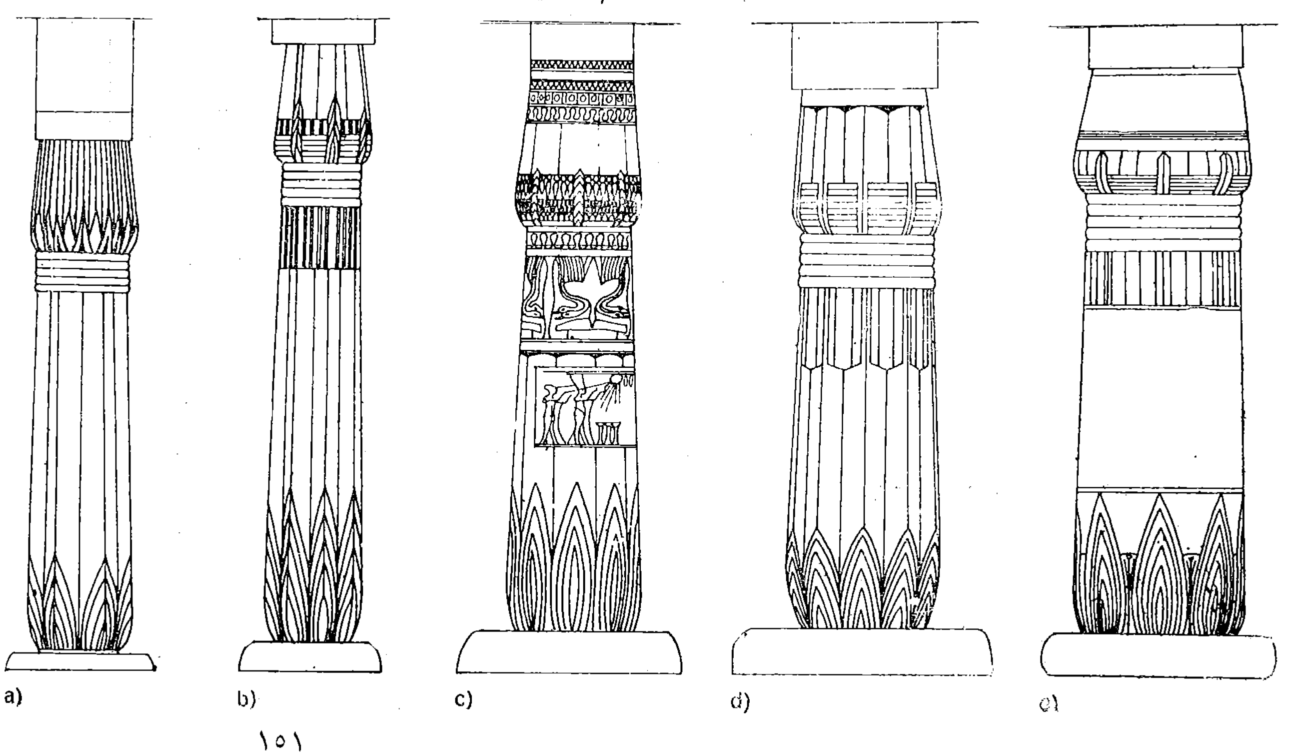
٣٦ ـ الأعمدة المصرية القديمة

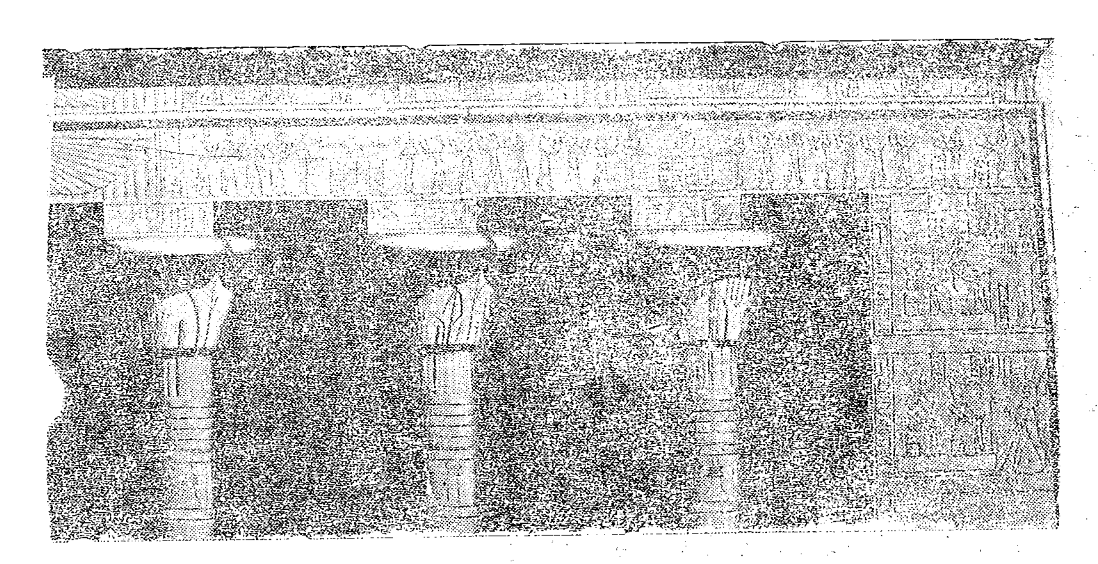


٣٩

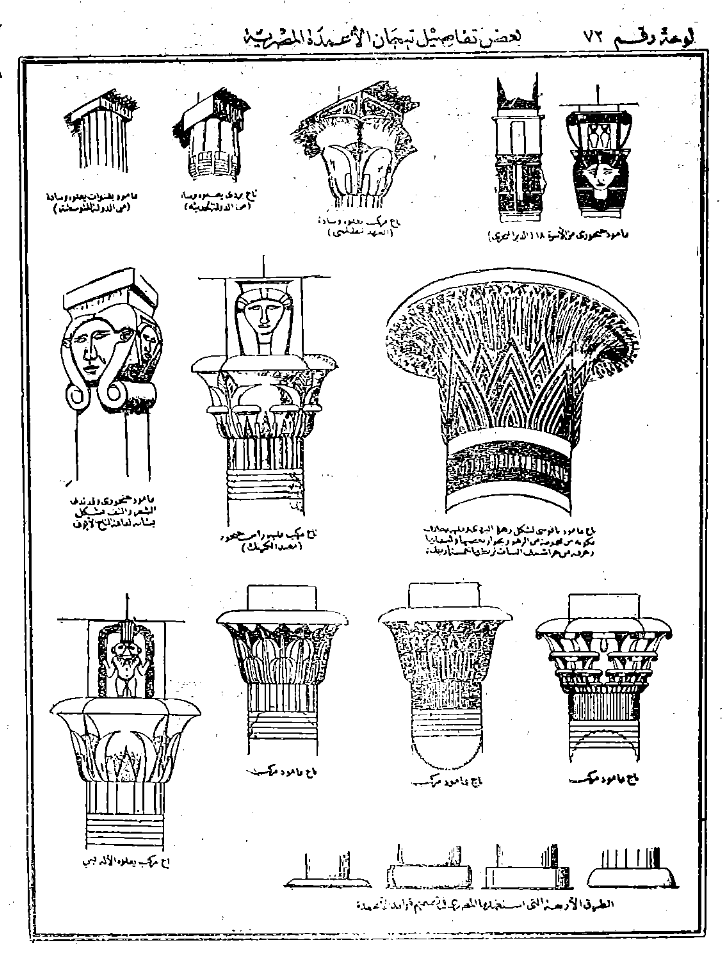
● تطور العمود المصرى على شكل زهرة ونبات البردى ، واللوحة رقم ٣٦ توضح الأعمدة المصرية القديمة ٠ الأول من اليسار عمود الأسرة الخامسة، العمود الثانى من الأسرة ١٨ / تحتمس الثالث ، والعمود الثالث من عهد أمحتب الرابع ، والعمود الرابع من الأسرة ١٩ / سيتى الأول ، والخامس من الأسرة ٢٠ / رمسيس الثالث ٠

٤٠





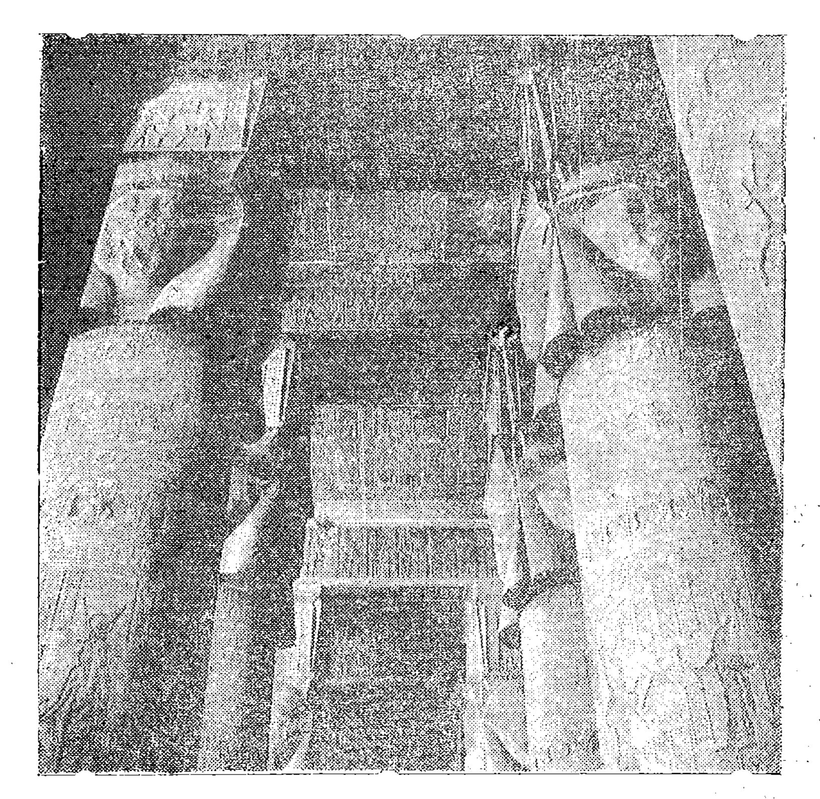
٣٧ ـ أعمدة معبد حورس / ادفو

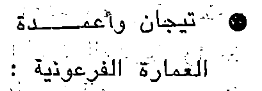


٣٨ ـ تفاصيل معمارية للاعمـدة المصرية القديمة والتى اتخذت تيجانها أشكالا مختلفة من زهرتى البردى واللوتس أو الشكل الناقوسى أو النخيلى ـ اللوحة مأخـوذة من كتاب فلتشر

الأعمدة المصرية

● لقد كشفت دراسة العمارة الفرعونية أو عمارة الحياة وتطور عناصر انشائها ان الأعمدة وهياكل الانشاء المرتبطة بها قد ظهرت عن أقدم العصور الفرعونية الى عصور ما قبل التاريخ وأنها كانت الطابع المميز لمبانى مدينة أون ـ عين شمس ـ أقدم عاصمة فى تاريخ الحضارة المصرية والتى يرجع انشاؤها الى ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة عن عصر الأسرات أو **العصر العتيق** ٠

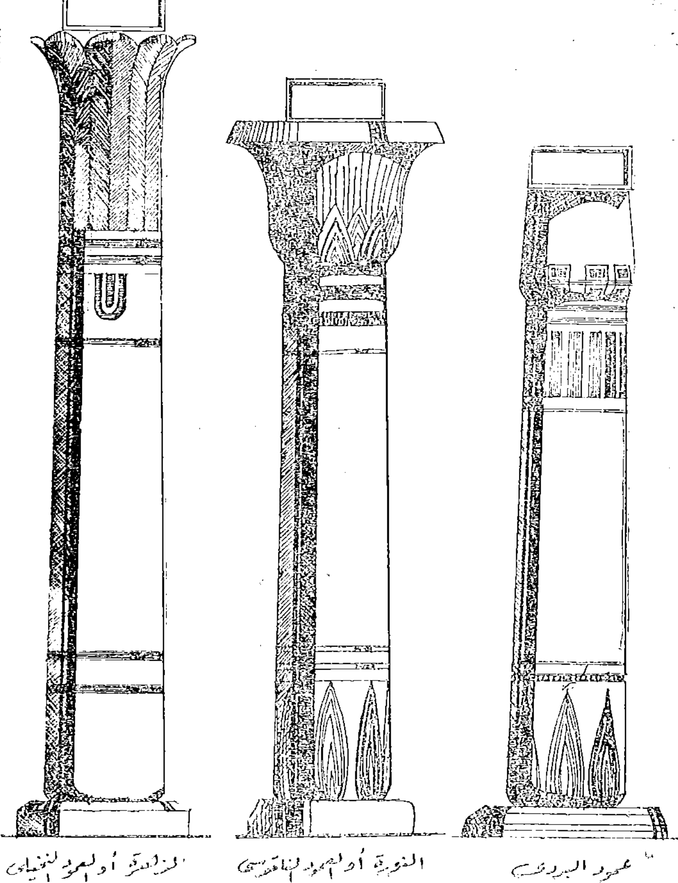




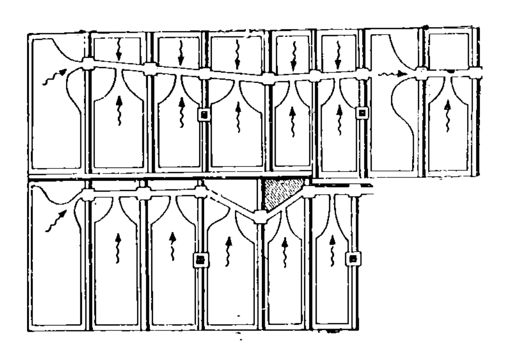
● تيجان وأعمـــدة العمارة الفرعونية :

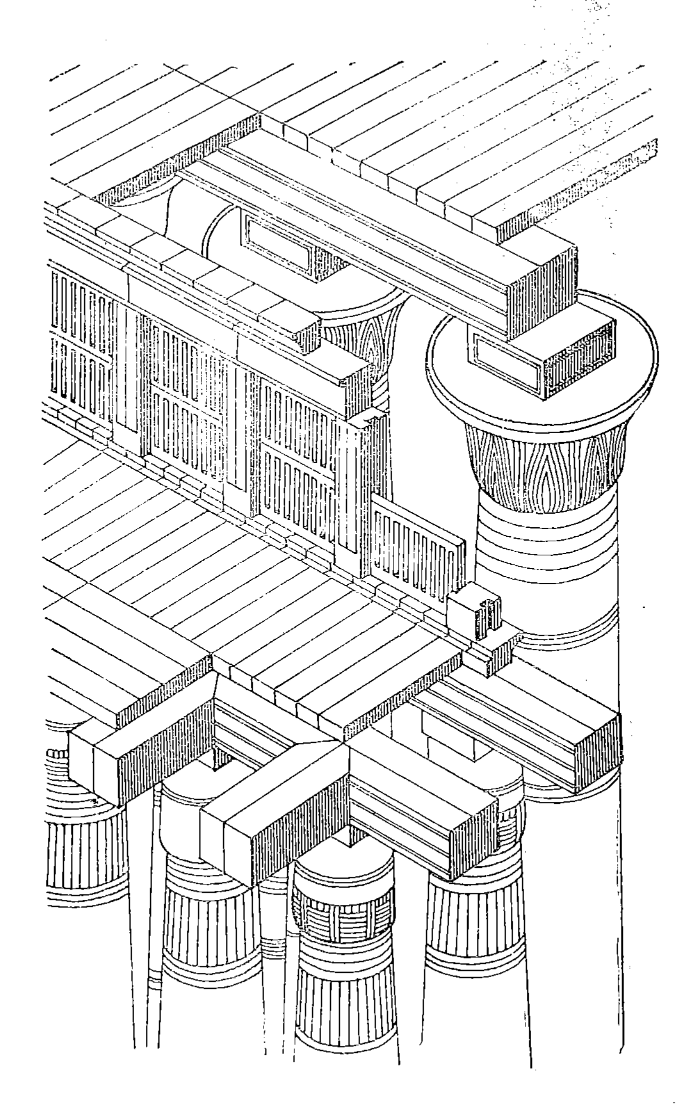
٣٩ ـ أعمدة مصرية قديمة ـ التاج بشكل هاتور بمعبد دندرة فى صالة المعبد الكبرى الداخلية ٠

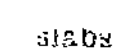
٤٠ ـ أعمدة مصرية قديمة ـ وهى بالترتيب من اليمين الى اليســار البردى والناقوسى والنخيلى ٠

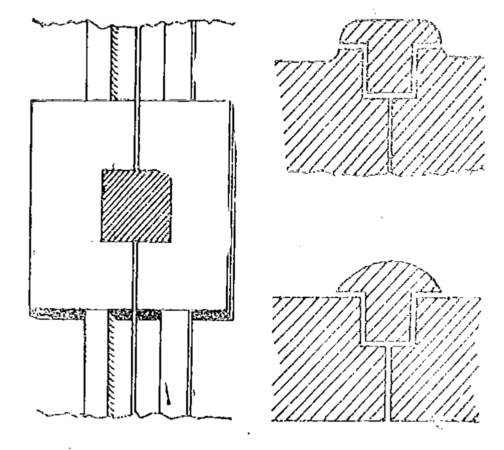


● لقد أثبتت الدراسات أن أشكال الأعمدة الفرعونية ترتبط نشأتها من أقدم العصور ، وانها نشأت فى عهود متقاربة ارتبطت فيها اســم الأعمــدة وتيجانها وظروف المنطقة وطابعهــا وخاماتهــا الطبيعية ٠









● **الرمسيوم** : أو المعبد الجنائزى لرمسيس الثانى ويمتــاز عن المعــابد التى من نوعه بما بقى من الملحقات التى حوله ومبانيها بالطــوب النىء من خازن وحجرات للموظفين ، أسقفها معقودة بقبوات من الطوب لم يستعمل فى بنائها العبوات الخشبية كما يرى فى الشكل الموضح أعلاه ٤١ وحذا حذوه رمسيس الثالث أول ملوك الأسرة العشرين واتخذ معبد الرمسيوم نموذجا بنى على منواله معبده بمدينة هابو لا يزال كثيــر من أجــزائه محتفظا برونقه حتى الآن ٠

٤٢ ـ رسم تفصيلى يوضح الطريقة التى اتبعت فى انشاء الأسقف على مناسيب مختلفة لاستخدام الاضاءة الطبيعية فى الصالات الكبرى داخل المعابد ٠ صالة بهو الأعمدة بالكرنك ـ الأقصر

٤٣ ـ تفاصيل كيفية عمل سقف صالة معبد الكرنك٠

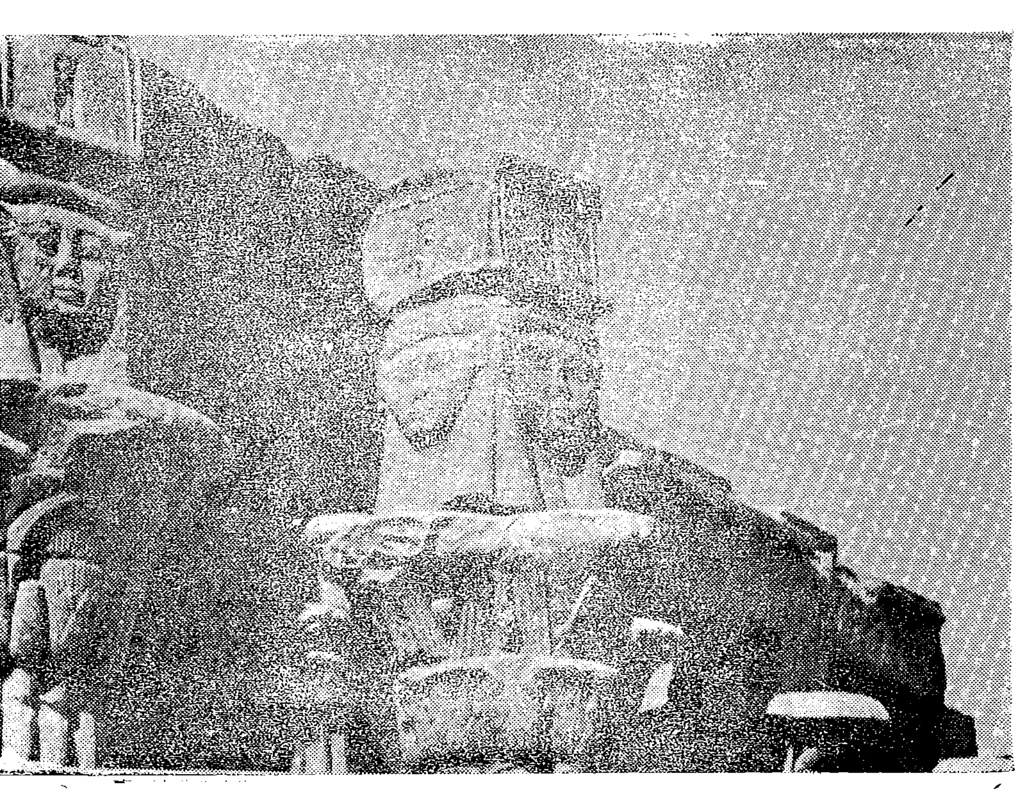
٤٤ ـ تفاصيل كيفية عمل تعاشق فى بلاطات الأسقف لمنع تسرب مياه المطر من الأسطح ـ معبد أبيدوس مدينة هابو ٠

٤٥ ـ تفاصيل بارعة لعمل فتحات للاضاءة للمعابد٠



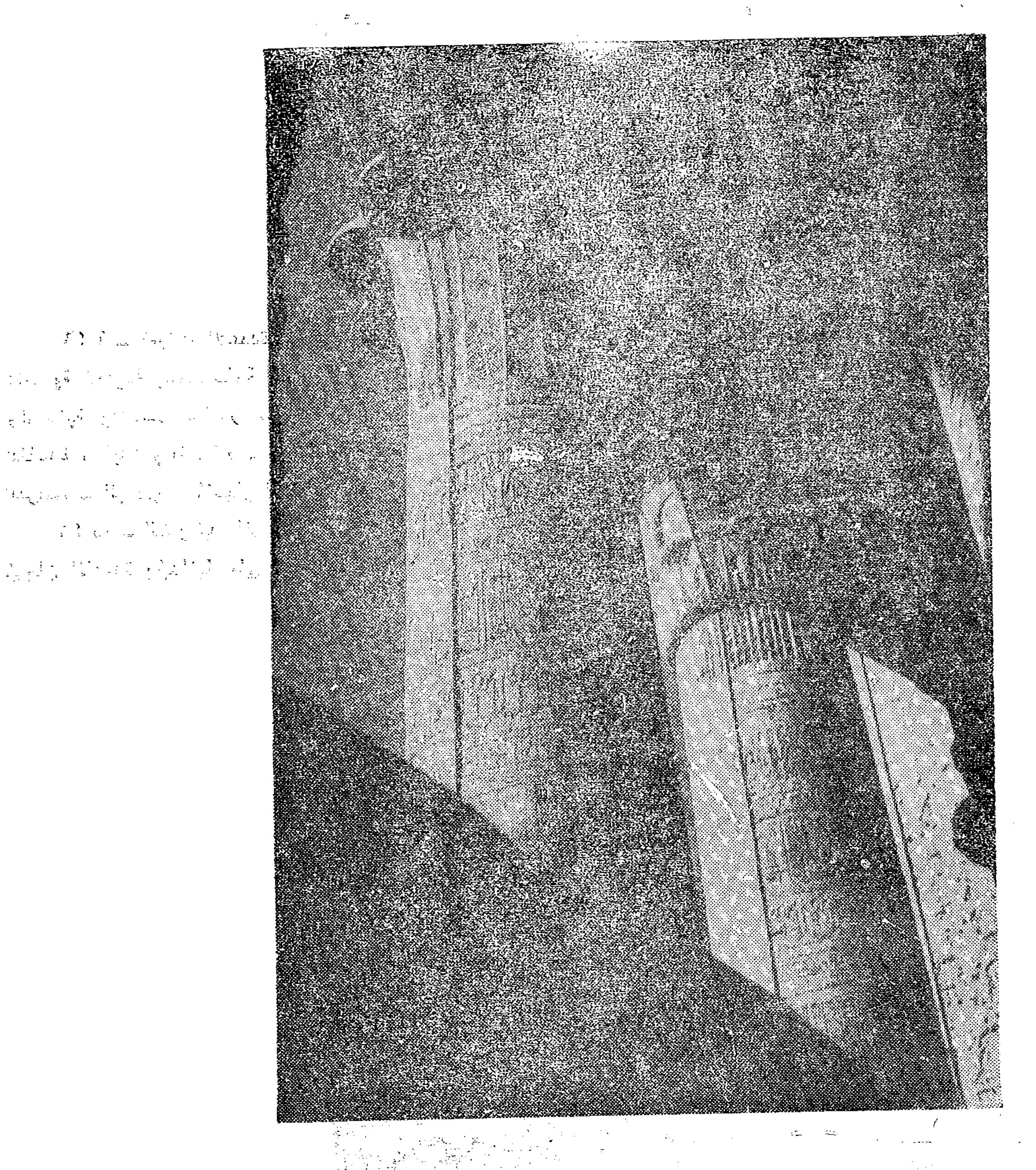
٤٦ أ ـ تميزت الأعمدة الفرعونية فى العمارة المصرية القديمة بضخامة المظهر وقوة التعبير والرمزية وأشتقت عناصر تكوينها وأجزائها ـ القاعدة ، البدن والتاج ـ من الطبيعة ـ زهرة اللوتس ـ البردى ـ أشجار النخيل ...

٤٦ ب ـ الكرياتيد الفرعونية أو المحملات ... تيجان الأعمدة وأبدانها على هيئة أشخاص .



● **الحضارة الفرعونية أو الحضارة المصرية القديمةهى أقدم حضارة انسانية على وجه الأرض ونمت وامتدت مع مولد الزمان ـ كما وصفها المؤرخ المصرى القديم « مانيثون » نزلت فى أرض الاله المقدس « جب بتاح » ومنه اتخذت اسمها الذى تحفظ به حتى الآن ٠**

٤٦ جـ ـ تيجان وأعمدة العمارة الفرعونية ٠٠٠ هى أساس جميع الطرز المعمارية التى ظهرت بعدها الطرز الاغريقية والرومانية الكلاسيكية ٠



هناك مثل آخر أكثر تقدما وتطورا فى علم المساكن الجاهزة والمبانى السابقة التجهيز وهو الحى الشرقى بمدينة اخناتون فى تل العمارنة التى أقامها اخناتون عام ١٣٦٠ ق٠م وقد اشتمل التجهيز الموحد معظم أحياء المدينة حتى الأحياء الراقية منها فظهرت بجانب النماذج الموحدة السابقة لجميع جزاء المبنى ووحدات انشائه ظهرت نماذج موحدة لدرجات السلالم والافران والمخازن بجانب الأعمال الزخرفية نفسها فتوحدت نماذج الأعمدة والكرانيش الزخرفية ، بل انتقلت الى وضع نماذج موحدة للحمامات وأحواض السباحة التى لم يخل منها مسكن من المساكن ونافورات الحدائق واللوحات الزخرفية التى تزين الحوائط وأجزاء عديدة من قطع الأثاث مما أعطى للمدينة طابعا وشخصية مميزة ٠

فالعمارة الفرعونية بفضل ارتكازها على البحث العلمى أسوة بغيرها من مقومات الحضارة كالطب والهندسة والفلك كان لها قصب السبق فى تصنيع العمارة تصنيعا علميا فكان لها قصب السبق فى ميدان المساكن الجاهزة والانشاء السابق التجهيز وانتاج الجملة فى صناعة وحدات المبانى والتى أصبحت الطابع المميز للعمارة العالمية الحديثة أو عمارة عصر التكنولوجيا ٠

فدراسة العمارة المصرية من واقع عمارة الحياة ودور البحث العلمى فى بنائها وتطورها هو الذى سيكتب تاريخ العمارة الفرعونية الحقيقى ويثبت أنها مهد الحضارات المعمارية وعلومها وفنونها التى وضعت أسس وقواعد العمارة ونظرياتها فى العالم أجمـــــع ٠

● الصفات والمعالم المميزة للعمارة والفنون المصرية القـــــديمة : Egyptian Architecture Features & Characters

كان المصريون القدماء أول من وضعوا أسس فن العمارة ، كما أنهم كانوا أول من استخدموا الأعمدة فى البناء ، وليس من شك فى أنهم كانوا خير من ملك زمام نحت الأحجار وصقلها فبنوا ونحتوا ما شـــاء لهم من الجرانيت والمرمر والبازلت والديوريت ، وقد سيطروا عليها سيطرة تامة فى عهد الأسرتين الثالثة والرابعة أيام عصر بناة اهرام ، حين وصل الفن مبلغا لم يبلغه فى أى عهد من عهوده التالية ٠

وتتميز العمارة المصرية فى أقدم عهودها بالبساطة والضخامة والعظمة التى تشعر بالقوة والاستقرار وتتجلى روح البساطة هذه فى أهرام الجيزة وهرم سقارة المدرج ومعبد أبى الهول ، على أن هذه البساطة كانت مقرونة بالجمال والانسجام ، كما كانت مقرونة بعلم واسع بهندسة البناء وحساب الضغط ومقاومة الأجسام وغير ذلك من أصول العمارة ٠

وكانت الأعمدة التى أقاموها فى معابدهم غاية فى البساطة أيضا ، فكانت فى أول الأمر على هيئة منشور رباعى كما هو واضح فى معبد أبى الهول السابق الذكر • ثم تطورت الى شكل اسطوانى أملس أو مضلع يتراوح عدد جوانبه بين ثمانية وستة عشر ضلعا ، كما عمل لها تيجان فى أعلاها وقواعد فى أسفلها • وعندما عثر العالم الفرنسى الشهير شبليون على العمود أسماه العمود الدرويكى الأول ، وذلك بعـــد ما تبين له أنه أصل العمود الاغريقى المعروف بهذا الاسم ، كما سيأتى الكلام عنه فيما بعد • ونرى هذا العمود فى معبد آمون بالدير البحرى •

ومنذ عهد الأسرة الخامسة اتجه الفن المصرى اتجاها جديدا ، ورغب الفنانون فى تذوق الطبيعة وولوج باب الحياة والحركة ، واننا لنلمس دلائل هذا الاتجاه الجديد فى مبانيهم وتماثيلهم •

ولقد كان المصريون أول من أقاموا الابهاء الفسيحة ذات الأعمدة الشاهقة • وكانوا يلجأون فى اضاءتها الى جعل الأعمدة الوسطى أعلى كثيرا من الأعمدة الجانبية، وكان من نتيجة ذلك أن السقف عند الجانبين يكون أكثر انخفاضا عنه فى الوسط ، وبذلك يدخل الضوء من خلال ما بين السقفين من فتحات • وهذا الضوء يكون شديد السطوع عند الفتحات ، ثم ينتشر فى البهو متضائلا قليلا حتى ليكاد يختفى تماما فى أطراف البهو النائية شكل ٤٢ •

وتتكون المعابد المصرية عادة من عدة قاعات تتتابع واحدة تلو الأخرى ، وكان من عادتهم لكى يزيدوا جو المكان رهبة وروعة وسحرا أن يجعلوا ارتفاع هذه القاعات يتناقص كلما أوغلنا فى المعبد ، فكانوا لذلك يرفعون الأرض تدريجا ويخفضون الأسقف تدريجا أيضا • وهذا النظام من شأنه أن يجعل الضوء فى الحجرات الداخلية خافتا ضعيفا مما يحقق رغبتهم فى جعل المكان رهيبا رائعا كما تقدم • كذلك كان المصريون أول من أقاموا المداخل الضخمة الهائلة التى تشبه القلاع ، والتى تعتبر من أهم المميزات التى انفردت بها العمارة الفرعونية •

واذا تتبعنا التطورات المختلفة التى أصابت فن العمارة عند قدماء المصريين خلال العصور المختلفة التى تقـدم ذكرها (الدولة القديمة ــ الدولة المتوســـطة ــ الدولة الحديثة) لتبين لنا فى جلاء أن هذا الفن قد بلغ فى عهد الدولة القديمة مبلغا لم يبلغه فى أى عهد آخر • أما عهد الدولة الوسطى فلا يوجد من آثاره فى العمارة المصرية ما يمكننا من الحكم عليه ، فقد كانت المعابد والقصور التى يقيمهـــا ملك من الملوك يهدمها ملك بعده ، كما أنه قد ظهر تطور فى فكرة بناء القبور فلم يعد القوم يعنون

بنحتها فى الصخر واقامة هرم عليها من الأحجار الشديدة الصلابة ، بل اكتفوا باقامة تلك الأهرامات من الطين المجفف ، ولعلهم رجحوا الفكرة الاقتصادية على فكرة البقاء على أن حالة الضعف هذه قد زالت بقيام حكومة صالحة أعادت الى الفن شأنه القديم • واننا لنجد فىقبر أمنحوتب بالدير البحرى بوادر ذلك الانعاش الجديد ، فقد نحت من حجر فى بطن الجبل •

أما عهد الدولة الحديثة فقد كان عهد رخاء وانتعاش نمت فيه بوادر النشاط التى ظهرت فى أواخر عصر الدولة الوسطى • ولقد بلغ هذا النشاط وذلك الرخاء حدا كبيراً فى عهود الملوك تحتمس الثالث ، وسيتى الأول ، ورمسيس الثانى ، ورمسيس الثالث ممثلا فى أعمالهم التى سيأتى شرحها فيما بعد •

● العمـــارة : Architecture :

احتفظت العمارة المصرية القديمة طوال مدة ازدهارها ما يقرب من خمسين قرنا بأشكالها ومميزاتها التى نشأت عليها • تشابهت أكبر المعابد فى عناصرها وتكوينها وتفاصيلها المعمارية تشابها كبيرا فى جميع العهود التى مرت بها • وهذا لم يمنع بعض المعماريين والفنانين القدماء من التصرف والابتـكار فى الوصـــول الى أمثلة فريدة ، ونلاحظ ذلك فى ظاهرها عن غيرها من حيث النسب والتفاصيل وطرق صنعها وبنائها • ونلاحظ أيضا قليل من التجديد والتغيير فى مبانى عصر البطالسة •

ومن أهم مميزات وخصائص العمارة المصرية القديمة هى الضخامة وزيادة سمك الحوائط الخارجية وميلها الى الداخل من أعلا ، حيث كانت الحوائط تبنى بسمك يقل فى العرض كلما ارتفع البناء بحيث يبقى سطح الحائط من الداخل عموديا فيصبح السطح الخارجى مائلا مما يزيد فى قوة الحـــائط وثباته • • • • • ويقـــول بعض المؤرخون أن سبب ذلك يرجع الى أن الزلازل كانت فى مصر أكثر وقوعا وأشد هولا فى أيام الفراعنة منها الآن • وأن فى قصة سيدنا موسى وخروجه ببنى اسرائيل من مصر حتى دخلوا فلسطين ، ليدل دلالة واضحة على حدوث الزلازل المتعاقبة بشكل شديد • ولذلك تمسك المصريون القدماء بهذه الطريقة وهى ـ زيادة سمك الحوائط الخارجية وميلها الى الداخل من أعلا ـ واحتفظوا بها وأصبحت صفة مميزة للعمارة الفرعونية :

ومن مميزات التصميم المعمارى فى العمارة المصرية القديمة استعمال الأشكال المستطيلة أو المربعة المتجاورة أو المتداخلة • فنجد مثلا شكل المبنى العام عبارة عن مستطيل رئيسى يتكون من عدة مستطيلات صغيرة ، كل منها يتجزأ الى مســتطيلات

صغر ، فيصبح المبنى منظما تنظيما سليما • وتنتشر أجزاء المبنى يمينا ويسارا والى الداخل ، وبتعدد هذه الأجزاء أو هذه الوحدات واتساعها تتحدد مساحة المبنى أو المعبد • أما من حيث الارتفاع فكان يحكمه الفخامة والمظهر وعدد الطوابق وارتفاعها ان وجدت ، بل كانت هذه الطوابق تخلق وتفصل داخل ارتفاع المبنى الذى اختاره المهندس المعمارى الفنان ورآه مناسبا لرونق وعظمة المبنى •

أما من حيث الفتحات فنظرا لطبيعة الجو فى مصر الفرعونية فقد تعمد المهندس المصرى الى تصغير الفتحات ، لأقصى حد ممكن ، فأصبحت الحوائط ذات مسطحات كبيرة سليمة سوى فتحات الأبواب وفتحات صغيرة علوية ، ينبعث منها الضوء بمقدار مما يزيد الجو رهبة وروعة •

●● التخطيط : Planning

يختلف تخطيط المبانى تبعا لغرض المبنى وموقعه واحتياجاته ومحتوياته • ولكن نلاحظ أن معظم المعابد المصرية القديمة تتشـــابه فى تخطيطها وأجزائها • فالطريق المؤدي الى المعبد أقيم على جانبيه صف من التماثيل على شكل أبى الهول Sphinx الى أن يصل المدخل وفى مواجهة المعبد تماما • والمدخل عبارة عن بوابة بين برجين عاليين Pylon أقيم أمامها مسلتين أو تمثالين للملك • وتتصل هذه البوابة مباشرة بصحن سماوى أو فناء داخلى Open Court محاط من ثلاث جهات بأروقة مسقوفة على عمد ، وتتكون من مجاز وسط على جانبيه أروقة سقفها على منسوب أقل من سقف المجاز ، يأتى اليها الضوء من فتحات تترك فى المسافة التى بين السقفين ، ثم يتلو هذا « قدس الأقداس » وهو المكان أو الحجرة التى يوضع بها تمثـــال الآلهة ، ويحيط بهذا المكان الحجرات والمخازن والأجزاء التى لا بد من وجودها بالمعبد • وقد يحتوى المعبد على أكثر من صحن واحد ، وقد تكرر فيه الأجزاء أو الملحقات الأخرى • ومما يجدر الاشارة اليه أن للمعبد محورا رئيسيا تتماثل على جانبيه أجزاء المعبد ، وأن الأبواب التى تتصل بين جزء وآخر تقع على هذا المحور تماما • فالتماثل الأكيد الواضــــح Symmetry يميز هذه المعابد المصرية القديمة ويضفى عليها الثنائية Daulity • وان كانت بعض المعابد لا يتضح فيها هذه الظاهرة الآن ، الا لأنها استمرت لعدة عصور ، واضيف اليها الكثير من الاضافات ، أو استبدال أجزاء قديمة بغيرها مما جعلها تخرج عن هذه القاعدة •

ومما يلاحظ أيضا أن الصحن يشغل مساحة أكبر من مساحة بهو الأعمدة ، وهكذا تتدرج أجزاء المعبد فى الصغر كلما تعمق الانســـان الى الداخل ، فتنكمش أحجامها ، وتقل ارتفاعاتها بتخفيض الأسقف ورفع الأرضيات الى أن تصل الى قدس

الأقداس ، حيث يحفظ تمثال الآلهة أو المعبود فيكون أقـــل الأجزاء حجما وأخفتها ضوءا مما يبعث فى النفس الرهبة ويدعو الى الخشوع أمام هذه الاله • وزيادة فى تكامل الجمال فى التخطيط والعمارة لبعض المعابد الرئيسية الكبرى ، أقيمت بعض الملحقات حول المعبد كالبحيرات المقدسة وأماكن الولادة Mammisi وهى التى يمثل فيها ولادة ابن الاله • وكذلك وجود التماثيل والمسلات فى الأفنية •

وتختلف هذه المعابد الفرعونية اختلافا كبيرا عن الكنائس والمساجد والأديرة ، حيث لا نجد لها محرابا ولا مكانا مخصصا للصلاة • فالمعابد كانت مخصصة لسكن الآلهة فالصحن كان يجتمع فيه الوفود لزيارة الاله ، والبهو لعلية القوم ، والأجنحة لسكن الاله لا يلجأ اليها الا الكهنة والمقربون (يرجى أن تنظر المســـاقط الأفقية فى الباب المخصص لشرح الأمثلة الهامة للمعابد المصرية) •

أهم المراجع التاريخية الهامة والمصادر والوثائق الفرعونية المرئية المجسدة التى كشفت لنا التاريخ المصرى القديم هى : —

● ١ — **الهرم الأكبر وأبو الهول بالجيزة :** يمثل حجمها وما بلغاه من الاتقان الفنى الاتساع الشامل للسلطة فى المرحلة الأولى من مراحل التجميع الحضرى •

لقد احتفظت المقابر المصرية بصفة عامة بمدخلها الضـــيق الملتوى المؤدى الى الداخل • وكان فى نظر قدماء المصريين أن الجبل المرتفع فوق مستوى الفيضان يعبر عن قدرة الاهية خلاقة ، وكذلك رمزا للخلود • وقد صور المصريون القدماء هذا الشكل المقدس على هيئة هرم شيدته يد الانسان لاثبات مقدرة فرعون • فالهرم المدرج والمعبد والبرج والقبة والمسلة كلها مفعمة بالمعانى الدينية ، كونت النواة المقدسة للمدينة طوال الشطر الأكبر من عصور التاريخ • والقبر والهيكل ومركز الطقوس والاحتفالات سبقت السوق والحانوت والقلعة ، ولما كان هدفها جميعا دعم معنى الحياة وقيمتها ، فانها وفرت أسباب المشاركة الجماعية طواعية واستمرار التقدم •

● **٢ — هرم زوسر المدرج أو الملك نترخت — ٢٧٠٠ ق•م / سقارة**

أقدم الأطلال التى يمكن اعتبارها مدنا لا تتكشف عادة الا عن العناصر الأصلية البارزة ، أى المعبد والقصر ، وأحيانا مخازن الغلال داخل القلعة المسورة أو الحرم المقدس • وقد كان مرآة النشاط فى التجمع الحضرى • والمدن الوحيدة الكاملة المبنية بمواد صلبة تعيش طويلا ، هى مدن الموتى ، مثل تلك التى بنيت فى سقارة حول هرم زوسر المدرج حوالى ٢٧٠٠ — ٢٦٥٠ ق•م • ولما كان المصريون قد اعتادوا بأن يمثلوا

فى مقابرهم بشكل مصغر كل ضروريات الحياة اليومية ، فان الكثير من علماء دراسة الآثار يعتقدون أنه من المعقول الافتراض أن مدينة الموتى هذه ، مثلث بقدر مساو من الأمانة ، مدينة الأحيـاء التى تناظرها فى تخطيطها وفى مبانيها • مما يؤيد هــذا الافتراض زيادة على ذلك أن قصر الملك الذى يحتمل أنه شيد فى مدينة الاحياء بمادة أقل صلابة من الحجر ، أقيم مثله فى مدينة الموتى بالحجر • يرجى أن تنظر اللوحات والصور والرسومات أشكال ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ •

ومما يجدر ذكره هنا أن كان التخطيط فى مصر الفرعونية على هيئة مستطيلات يتبع هذا الشكل على السواء فى الحرم المقدس المحـــاط بالأسوار وفى حى الـكهنة وقرى العمال •

٣ - لوحة نارمر - ملوك بناءون ومدمرون

تسجل لوحة نارمر Narmer شــــكل ٥٣ ، نجـــاح الأسرة الأولى فى توحيد مصر العليا ومصر السفلى وان كان من المحتمل وجود بلدان ريفية ونظام حكم ملكى قبل ذلك منذ آلاف السنين فى جهات أخرى ، ان لم يكن فى وادى النيل نفســـــه •

وتبين النقوش التى على لوحة نارمر ، كما هى الحال على مقبض صولجان « العقرب » أن حل الملك مكان الجماعة المتعاونة ، فالملك وحده هو الذى يشق القناة أو يفتح مدينة • وعلى ظهر اللوحة نرى الملك يمسك صولجانا يؤدب به خصمه ، وعلى وجه اللوحة يتمثل بأس الملك وشجاعته فى صورة ضحاياه • وقد أطيحت رؤسهم ، ولعلهم كانوا ملوك الأقاليم التى هزمت • واذا لم يكن الملوك وحدهم هم بناة المدن ، فان الجزء الأسفل من لوحة نارمر لا يدع مجالا للشك فى أنهم نصبوا أنفسهم لتدمير المدن • اذ نرى الملك هنا على هيئة ثور يقتحم مدينة محاطة بأسوار ويطؤها بأقدامه• يرجى أن تنظر اللوحة شكل ٥٣ •

الأســـقف :

عبارة عن بلاطات ضخمة من الحجر ، محملة على أعتاب ترتكز على الحوائط والأعمدة • كانت الأسطح أفقية نظرا لقلة الأمطـــار فى مصر ، ولو أن سطح بعض المعابد كان لها مجار وميازيب منظمة لمنع تراكم المياه وسهولة صرفها • ومن المرجح أن أسطح بعض المعابد كانت تستعمل فى الحفلات الدينية ، كما تدل بعض الرسومات والنقوش الموجودة على جانبى سلالم معبد دندرة المؤدى الى السطح • حيث نرى

الملكة تحتشبسوت والكهنة يسيرون على شكل موكب رهيب ، صاعدين الى السطح ، ثم نراهم فى الجهة الأخرى وهم هابطين بعد انتهاء حفلتهم ٠

ولا بد وأن المصريين القدماء قد استفادوا واستغلوا أسطح مساكنهم ، كما يفعل أحفادهم الآن ، فاتخذوها مجلسا للعائلة يتسامرون فيه عند غروب الشمس يتقربون الى معبودهم ويستمتعون برؤيته قبل الرحيل وحينما يهب نسيم المساء ، وربما ينامون على الأسطح أثناء الليل فى فصل الصيف ٠

لم يجهل المصريون القدماء طريقة التسقيف بالقبو والقبوات ، فقد تركوا الكثير من بقاياها ، ولكنها جميعا كانت تستخدم فى المبانى الطوب ، وقد اختاروا لهـــذه الأسقف المعقودة أو القباب منحنى من قطاع مخروطى Parabolic لموافقته مـــادة الطوب ، وكانوا يفضلونه عن منحنى العقود الدائرية ٠ لأن الضغط الداخلى فى هذه الحـــــالة Internal Pressure يكون أقل منه فى حالة استعمال العقد الدائرى ٠ وهذا يدل دلالة واضحة على أن المصريين القدماء كانوا على علم تام بخواص المـادة التى يستعملونها ودراية تامة لقوة مقاومتها ٠ فاتبعوا أصلح الطرق الانشائية للوصول الى أحسن النتائج ٠ عكس ما أثاره كثير من المؤرخين الذين جانبهم التوفيق فى عدم ثبات هذه الحقيقة التاريخية ، ونسبوا نظرية القبو والقباب الى عصور أخرى بعـــد ذلك مثل عصر الرومان ،ولكن الاكتشافات الأخيرة وخاصة فى الهرم وغيره أثبتت عكس ذلك ٠

الحليات والكرانيش : NOULOINCS & CORNICES

تكاد الحليات تكون معدومة فى العمارة المصرية القديمة ، ولا يوجـــد منهـا الا الشغل المجوف Gorge والحزام الاسطوانى Roll وهو الذى يكون جزءا من الكورنيش الذى يدور حول المبنى ٠ وقـــد يعتبر الشريط البســـيط Fillet الذى يفصل صفوف النقوش على الحوائط داخل المقابر والحجرات هو كل ما احتاجه المصريون القدماء من الحليات ٠ وواضح أن المساحات الكبيرة من الحوائط ومسطحاتها الضـــخمة الخالية من الفتحات ، وعدم تعدد الأسطح البـــارزة ، والخارجات فى الواجهات ، أدى الى عدم استعمال الحليات فى المبانى ٠

أما فيما يتعلق بالكرانيش ، فاستعمل الجزء المجوف والحزام الاسطوانى أيضا ، وكان قطاع الكورنيش الذى يتوج أعلا الحوائط مكون من قوس دائرة ، بينما الكورنيش أعلا الفتحات للأبواب والشبابيك فمكون من قوس دائرة يمتد من أسفل بخط مستقيم الى أن يلتقى بالحزام الاسطوانى ٠ وهذا الشكل مأخوذ من أطراف البردى ، وأقدم

الأمثلة للكورنيش الفرعونى هو ما نراه أعلا حوائط آثار زوسر بسقارة ، أشكال ٦٠ ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ • وقد أضيف بعد ذلك الى الكورنيش من أعلاه فى عصر العمارنة صف من الحيات Cobras متلاصقة وتحمل كل منها على رأسها قرص الشمس • وقد كثر استعمال هذا الشكل فى عصر البطالسة • ويرجع أن أصل هذه الفكرة بدأ أيضا فى آثار زوسر حيث يرى أعلا أحد الحوائط المطلة على فناء الهرم صـــفا من الحيات غير متلاصقة ولا تحمل قرص الشمس •

أما الفتحات فكانت دائما ذات عقد مستقيم ، ولم يعرف العقد فى ذلك الوقت ، أى على الأقل لم يظهر فى معابدهم • اللهم الا ما اكتشف أخيرا فى هرم الجيزة الثالث (منقرع) ما يشير الى أنهم عرفوا نظرية العقد وطبقوها ، والذى كان معروف ومشهور عنهم هو القبو المستمر الذى اســتعمل فى أسقف بعض المقـــابر أو فى المبـــانى الملحقة بالمعابد •

ولقد اتخذ المصريون القدماء من قرص الشمس والجعران المصرى والحلزون والنسر مادة لاتنفذ للزخارف والنقوش والحليات البديعة ، وكذلك تلك الكتابات والرموز والنقوش الهيروغليفية التى كانت تغطى جميع الأسطح الظاهرة من الحوائط والأسقف والأعمدة ، وغير ذلك من التفاصيل والأجزاء والحليات المعمارية •

الأعمـــــدة : COLUMNS

كانت الأعمدة فيما مضى هندسية صرفة ليس فيها من العناصر الطبيعية شىء ، ولكنها بعد ذلك بدأت تتصل بالوحدات الطبيعية كسعف النخيل وأزهار البردى واللوتس على النحو الآتى ـ يرجى أن تنظر الصور والرسومات الموضحة الخاصة بالأعمدة المصرية القديمة أشكال من ٣١ الى ٤٦ : ص ١٥٠ الى ١٥٦ •

١ ـ **عمود سعف النخل :** تاجه محلى بسعف النخل ومفصول عن بدنة بأربعة أشرطة أو خمسة ونراه فى معبد ادفو •

٢ ـ **عمود اللوتس :** مشتق كما ترى من اللوتس الذى كان شائعا وجميلا • ويتركب جسم هذا العمود من حزمة مكونة من أربعة سيقان أو ستة مربوطة بعضها ببعض برباط مكون من خمسة شرائط ، ويدخل فى الحزمة بين السيقان الكبيرة سيقان أخرى صغيرة •

٣ ـ **عمود البردى :** يشبه كثيرا عمود اللوتس ، الا أنه مشتق من نبات البردى

وسيقانه بيضاوية وليست مستديرة ، وقد بدأ استعمال هذا العمود فى الأسرة الخامسة واستمر مدة طويلة • ونراه فى معبد الأقصر ، كما نراه فى مقابر تل العمارنة •

٤ ـ **عمود البردى المفتوح** : وكما كان المصريون يقلدون البردى المقفل كانوا فى هذا العمود يأخذون عن البردى المفتوح تاجه يشبه مظلة أو ناقوسا مقلوبا ، وأسفله محلى بوحدات زخرفية مثلثة الشكل ، وهذا النوع نشاهده فى بهو الأعمدة بالكرنك • وهناك عمود آخر يسمى عمود البردى الأملس ، نراه أيضا فى معبد الكرنك •

٥ ـ **العمود الهاتورى** : يشبه فى شكله أحدى الآلات الموسيقية المصرية القديمة التى كانت متوجه الآلهة هاتور • وتاج هذا العمود على نوعين بسيط ومركب ، وكلاهما محلى من جهاته الأربعة بتمثال لوجه الآلهة هاتور يعلوه تاج على شكل المنشور الرباعى محفور على كل وجه من أوجهه شكل لمدخل معبد من معابدهم • ونجد البسـيط منه فى معبد دندره •

٦ ـ **العمود المركب** : هذا العمود من أحسن ما أخرجته عبقرية الفراعنة ، ويرجع تاريخه الى عصر البطالسة • يتكون تاجه من طبقتين من البردى على شـكل مضلع بعضها فوق بعض يتكون من مجموعها حزمة كبيرة ، ونرى هذا العمود فى معبد أنس الوجود (يرجى أن ينظر شرح الأعمدة المصرية القديمة تفصيلا •

لمحة تاريخية عن الفن المصرى القديم : OLD EGYPTIAN ART :

الفن المصرى القديم :

كان للشعب الذى استقر فى وادى النيل قبل الميلاد بحوالى ٥٠٠٠ سـنة فن أولى بدائى يشبه من جميع الوجوه فن الشعوب التى وصـلت الى نفس المرحلة من مراحل الحضارة والذى ترك فى مختلف أنحاء العالم آثارا تشهد بحضارتها • فكان هذا الشعب يصنع الأسلحة والآلات من حجر الصوان ، وكان يزخرف أوانيه الأولى بأشكال مقتبسة من النبات والحيوان ، وكان ينحت على أوجهها رسوما على شكل حيوانات متوحشة • وحوالى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد تكونت فى وادى النيل مملكتان احداهما مملكة مصر العليا وحاضرتها Hira Compolis واتخـذ ملوكها التاج الأبيض ، ومملكة مصر السفلى وحاضرتها Bouto وتاجها التاج الأحمر • وكانت هذه المملكة الأخيرة أكثر حضارة واليها يرجع الفضل فى منح مصر أساطير الآلهة وفى ادخال التقويم • واستمرت مصر منقسمة الى دولتين حتى حوالى سنة ٣٣٠٠

قبل الميلاد ، اذ قام الملك Mina بضم المملكتين وتوحيد وادى النيل واتخذ لنفسه تاج الفراعنة المزدوج واسمه سنت Pskent وهو يجمع بين تاج مصر العليا وتاج مصر السفلى ، وأصبح ذلك التاج شعارا لتلك الدولتين · وكان استعمال النحاس أول اتجاه فى الفن المصرى القـــديم فـكان فى ذلك النحت البـــارز Bar Relif الذى ذاع فيما بعد ذيوعا عظيما · وقد اشتق النحت البارز من فن التصوير ونشأ حين أراد الفنانأن يستبدل الألوان فى الزخارف المنقوشة على الحجر بمختلف وسائل النحت بالأزميل · ولم يبق من أعمال النحت فى هذا العصر الا بعض لوحات من حجر الشيس ، وهو حجر أسود اللون ينقسم الى صفائح · وأحدث هذه اللوحات هى التى وجدت فى مقابر الأمراء ، وهى لوحة تمثل بعض الأحداث التاريخية مشهورة بلوحة الملك شكل ٥٣ وموجودة الآن بالمتحف المصرى ، وقد ظهر الملك Narmer على أحـــد وجهيها يتقدمه رؤساء القبائل وهو يتفقد ساحة القتال ، وعلى الوجه الآخر ظهر نفس الملك يشرع فى ذبح أسير يقدمه قربانا للاله · Horas هو اله أسرته · ونستطيع بهذه اللوحات أن نتتبع طور ثم أستقرار أهم الأسس لهذا الاتجاه للنحت البارز الذى أصبح الأصل النموذجى لذلك الفن فى العصور الفرعونية الى نهايته · ويمتاز هـــذا التطور النموذجى بصراحة خطوطه وتقشف نحته ورشاقة التوزيع فى أشكاله · ففى عهد ما قبل التاريخ المتخبط فى الاتجاهات المختلفة نشأ لأول مرة طراز حقيقى كان من شأنه التناسق فى أسلوبه الفنى أن طبع بطابع نهائى · وأصبح هذا الأســـلوب الفنى من أهم مميزات النحت البارز وحين تطور فن العمارة واستبدل البناء بالطوب بالبناء بالحجر ، انتقل هذا الفن من اللوحات الى جدران المعابد ، واستمر هـــذا الأسلوب الفنى فى نجاح وتطور بتطور الأجيال يلائم بيئته وبين ما يستجد من ذوق ، ولكنه يحتفظ دائما بشخصيته ·

الفن فى الدولة القديمة ٣٣٣٠ ــ ٢٣٦٠ ق·م :

لم يبقى للفن المصرى حتى يصبح مالكا لزمام كل وسائل التعبير الفنى الا أن يخترع فن البناء بالحجر ، وهو ما وصل اليه فن الدولة القديمة حين خرج عصر من عصور ما قبل التاريخ وابتدأت الدولة حياتها التاريخية حوالى ٣٣٠٠ قبل الميلاد · غزى الملك نارمر وهو من ملوك مدينة تانيس أراضى الدلتا ، وانشأ المملكة المصرية التى أصبحت موحدة حاضرة جديدة على حدود الدولتين بمدينة أبيدوس ، هؤلاء الملوك الذين استمروا بها حتى عهد الملك Mina أول الملوك الثلاثة الذى أنتقل الى ممفيس وجعلها هى وضواحيها المقر الرسمى الذى أستقر بها ، أبتداء من الأسرة الثالثة حتى الأسرة الثامنة · وينتسب قدماء المصريين الى عصر الملك Zoser استعمال الحجر فى فن العمارة من مواد البناء ، وقد بلغ سلطات أمراء ممفيس ذروتها فى عهد الأسرة

الرابعة · وقد أرسل الملك سنفرو Snefro أول ملوك هذه الأسرة حملة حربية الى بلاد النوبة · وابتدأ الاضمحلال السياسى فى عهد الأسرة السادسة ، ووصل فى عهد الأسرتين السابعة والثامنة الى انهيار الملك على أثر انقسام مصر الى عدة ممالك متعادية ويعتبر الفن المصرى فى العهد القديم أول مرحلة من مراحل الفن الناضج فى مصر الى المرحلة التى أمتازت بالشباب والنضارة ·

العمارة والنحت فى الدولة القديمة :

لم يبقى أثر من المعابد التى شيدت فى الدولة القديمة فى وادى النيل ، والاثار الباقية منها هى المقابر العديدة لملوك الدولة القديمة وهى تمتد على ضفة النيل الغربية من مدينة أبو رواش شمالا الى الفيوم جنوبا ، ومن أهمهـــا مقابر (Didonfriel) فى أبو رواش ، وأهرامات خوفو وخفرع ومنقرع فى الجيزة ، ومقابر ملوك الأسرة الخامسة فى أبى صير والأسرة السادسة فى صقارة ·

عثر المنقبون فى معابد الأهرام والمصاطب على عدة تماثيل كانت موضوعة فى بعض الأحوال فى سراديب ، وهذه السراديب مصنوعة من الحجر الديوريت Diorite أو الحجر الجيرى أو الجرانيت ، وأحيانا تصنع من الخشب · ونستطيع بواسطة النحت البارز والتماثيل أن نكون فكرة صحيحة لما كان عليه فن الدولة القديمة ومن أهم صفاته الواقعية القوية التى تظهر بوضوح فى النحت البارز وتظهر لنا بوضوح أيضا فى هذه الآثار التى تصور العامل فى الحقل والمصنع ، والتى أستطاع الفنانون المصريون فى الدولة القديمة أن يبثوا فيها انسانية نابضة بالحياة وتظهر هذه الواقعية أشد روعة فى تماثيل هذا العصر وأهمها على سبيل المثال وليس الحصر ما يأتى :

تمثال رع حتب وزوجته :

يظهر رع حتب Raouteb وزوجته نفرت Nafret جالسين فى وضع طبيعى يملأه الوقار ، فهو عار الصدر وهى ملتفة فى ملبس من الكتان الأبيض وهى تريد أن تظهر نفسها وعيناها بارزتان بالمادة وكلا من التمثالين موضوعان فى المتحف المصرى بالقاهرة ·

تمثال شيخ البلد :

هو تمثال من الخشب أسمه الحقيقى Kaipar ولقب بشيخ البلد لشدة الشبه بينه وبين عمدة البلد المجاورة التى عثر فيه هذا التمثال يرجى أن ينظر شكل ٥٤ ، ٥٥ ·

تمثال الكاتب الجالس : متحف اللوفر ـ فرنسا

يصل الى نفس الدرجة من الجمال والكمال العجيب وقد جلس القرفصاء ليكتب فى وضع قديم ويوجه نظرة الحياة نحو عينى سبت ليدرك معنى الألفاظ التى يدونها على ورق البردى فتمثال الدولة القديمة تظهر فيه البساطة أشد وضوحا ، يرجى أن ينظر شكل ٥٦ ، ٩٣ ٠

تمثال سفنكس (أبو الهول) :

ظل مغمور تحت رمال الصحراء آلاف السنين واكتشف عام ١٨١٦ ومن المعروف أنه اقيم فى عهد الملك خوفو ٣٧٠٠ ق٠م واصلح أيام خفرع أو أعاد ترميمه وهو جسد أسد ورأس رجل ويحتمل أنه يرمز الى حورس اله الشمس المشرقة ٠ ويبلغ أرتفاعه ٦٥ قدما وطوله ١٥٠ قدما وعرض وجهه فقط ١٣ قدم و ٦ بوصات وفمه ٨ أقـــدام و ٦ بوصات شكل ٦٦ ، ٦٩ ٠

الفن المصرى القديم : نشأ فنا مستقلا بذاته عن باقى الفنون الأخرى فى العالم ٠ فن نشأ فى أمة عريقة متمدينة بطبعها شقت طريقها بحكمة فائقة وعزيمة قوية وأخذت تخلد عقائدها بالفن ، وتقرب الى الأذهان طريقها فى فهم الحياة والبعث ، وعودة الروح والحساب والعقاب ، والخير والشر وما يصلح للنفوس ويهدى القلوب بطريقة الرسم ٠ فقد نقشوا على حوائط معابدهم كل ما يتعلق بحياة الانسان الاجتماعية ، والأدوات التى كان يستعملها فى حياته الدنيوية القصيرة من حلى ومتاع ٠ ومن هنا نشأ استقلال الفن المصرى عن بقية الفنون الأخرى فى العالم ٠

● وقد شرحنا تقسيم الأسرات الى عصورها المختلفة فيما سبق ، حيث بدأ العصر الأول وهو عصر الدولة القديمة بالأسرات الثالثة التى ارتفع فيها الفن الى مرتبة رفيعة ٠ ويرجع الفضل فى ذلك الى المهندس الفنان « أمحتب » الذى شـــجعه مليكه « زوسر » وأطلق له حرية الفكر والعمل والابتكار ٠

وبلغت هذه النهضة الفنية عظمتها فى عهد الأسرة الرابعة « عصر بناة الأهرام » ولكنها اتجهت بكل قوتها الى العمارة والهندسة أكثر مما اتجهت الى الفن الزخرفى ٠

● وفى عصر الدولة الوسطى وخاصة ملوك الأسرة ١٢ وجهوا اهتمامهم بالفن ، وظهر أثر ذلك فى المعابد والآثار فى « بنى حسن » وغيرها ٠ وفى عهد الدولة الحديثة من تاريخ مصر القديم عادت للبلاد عزتها بعد ضعف الملوك الذين أتوا بعــد الأسرة ١٢ ، حيث تعاقب ملوك الأسرة ١٨ ، وكان لكل منهم ولع خاص بالمبانى والعمارة

الفن أعظم عناصر الحضارة

في مصر القديمة

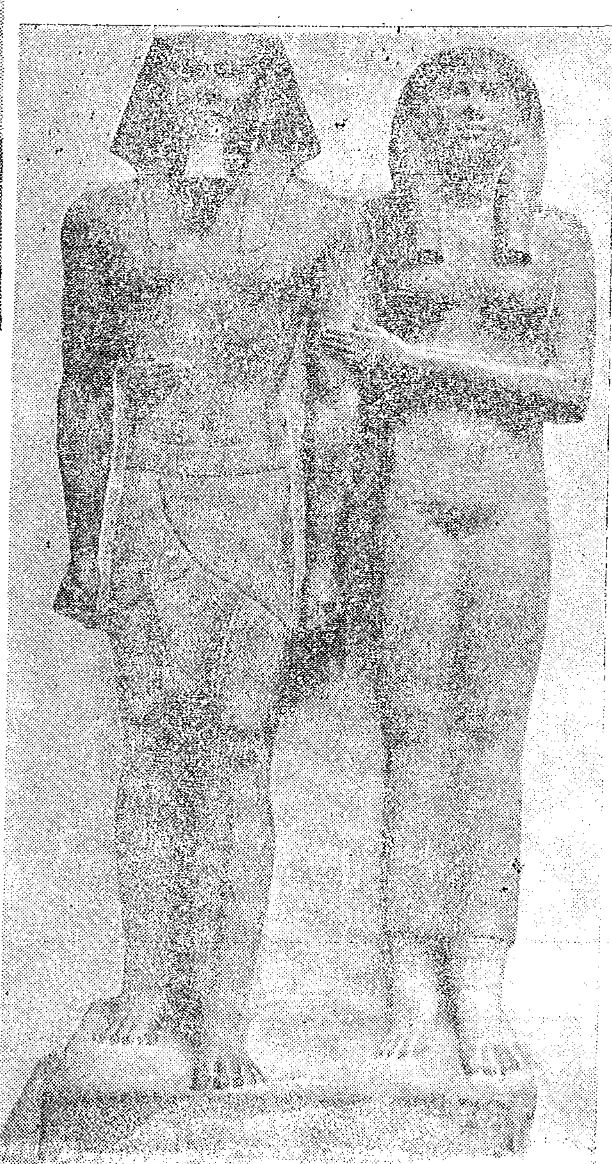
٤٦ ـ تمثال الملك خفرع Chefron ٢٥٢٠ ق٠م٠ من حجر الديوريت بارتفاع نحو ١٫٦٥ م٠ ويقول النقاد أنه لاشىء فى تاريخ النحت فى العالم يعدل هذا التمثال ، ويعتبر واحـــدا من أعظم عملية فى تاريخ النحت ـ والعمل الثانى هو تمثال المســيح المحفوظ فى كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان واســـمه « بيتا » ٠ التمثال بالمتحف المصرى بالقاهرة ٠

٤٧ ـ تمثال الملك منقرع وزوجته الملكة بارتفاع ١٫٤٠ م Mycerinus — Queen ٢٥٠٠ ق٠م٠ التمثال موجود الآن بمتحف بوستون للفنون الجميلة ٠

● كان الفن أعظم عناصر الحضارة المصرية القديمة، ومن المستحيل أن نجد فى مكان غير مصر وخلال عهد هو بداية التاريخ فنا قويا ناضجا كذلك الذى أنشأه قدماء المصريين ٠



٤٦



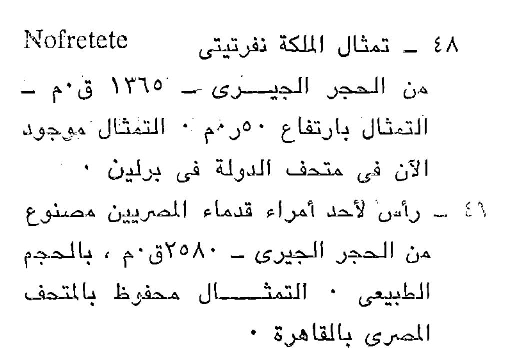
٤٧

لقد تمكنوا من فن العمارة الى الحد الذى يصح لنا أن نقول معه : أن المصريين القدماء كانوا أعظم البنائين فى التاريخ كله ٠٠ وتمكنوا من فن النحت حتى يمكن القول : أن هذا الفن لم يكن فى بلد من البلاد أكثر حيوية مما كان فى مصر القديمة ٠

ان التمثال المسمى بشيخ البلد شكل ٥٤ ، ٥٥ يكاد يخرج بنا عن كل تصور ٠٠ وان تمثال الكاتب المصرى يكاد يهم بالكتابة شكل ٥٦ ، وما من عمل فى تاريخ النحت كله يمكن أن يعدل تمثال خفرع المصـــنوع من حجر الديوريت الأسود الذى يستعصى على الانسان ٠

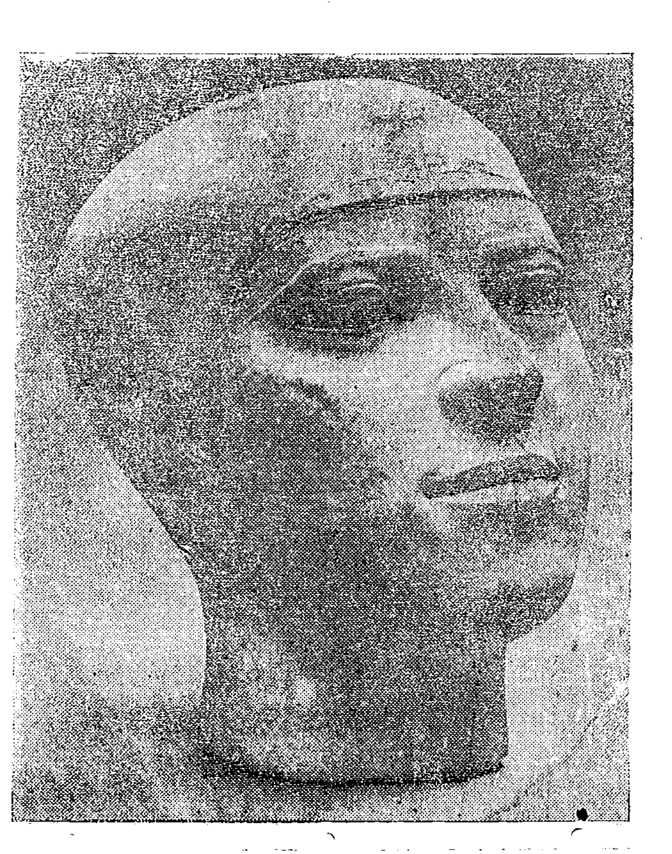
واذا كان الفن لأى شعب هو المـــرآة الحقيقية التى تنعكس عليها الصورة الكاملة لحضارته ٠٠ واذا كان هو الوسيط الذى يعبر عما يجيش فى صدور الناس من أحاسيس مختلفة نشأت فى ظل تقاليد مختلفة ومعتقدات معينة ٠٠ واذا كان الفن كذلك ٠٠ فان المصريين القدماء أنشأوا دون شك فنا صادقا غذته البيئة المصرية ، وتعهده العقل المصرى المرهف الحس، ٠ وطورته الأحداث المصرية السياسية منها والاجتماعية ، وفرضت عليه العقـــائد الدينية طابعها ٠





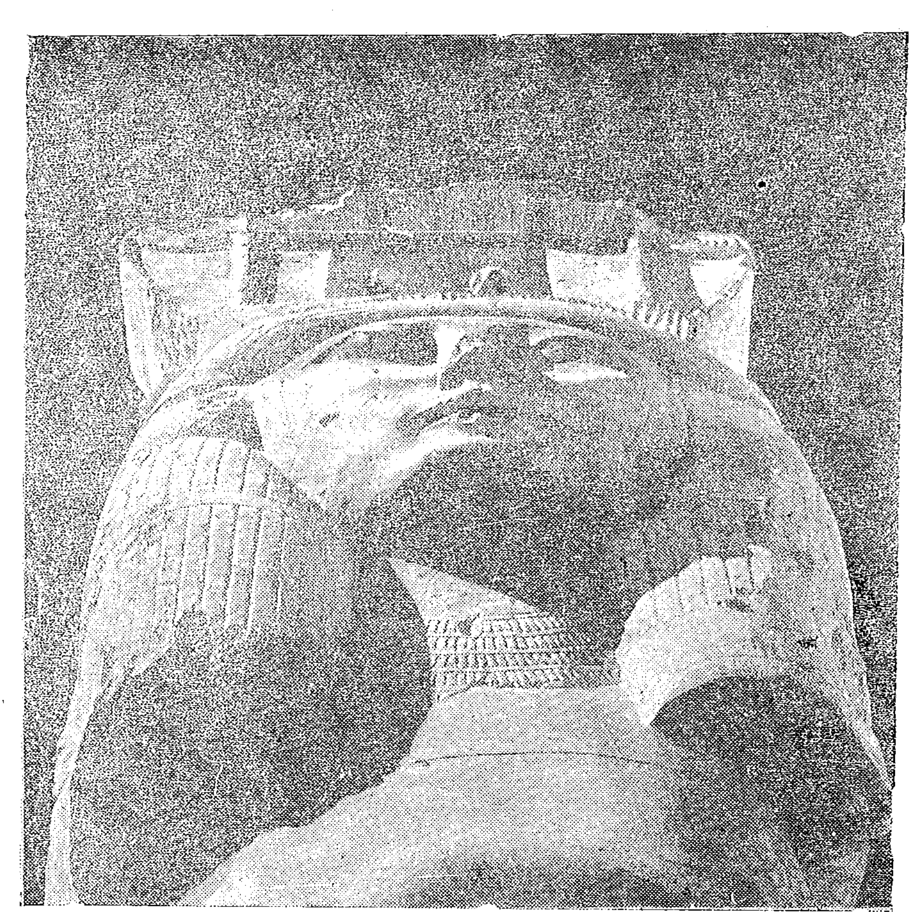
٤٨ ـ تمثال الملكة نفرتيتى Nofretete
من الحجر الجيرى ـ ١٣٦٥ ق٠م ـ
التمثال بارتفاع ٥٠ر٠م ٠ التمثال موجود
الآن فى متحف الدولة فى برلين ٠

٤٩ ـ رأس لأحد أمراء قدماء المصريين مصنوع
من الحجر الجيرى ـ ٢٥٨٠ق٠م ، بالحجم
الطبيعى ٠ التمثـــال محفوظ بالمتحف
المصرى بالقاهرة ٠

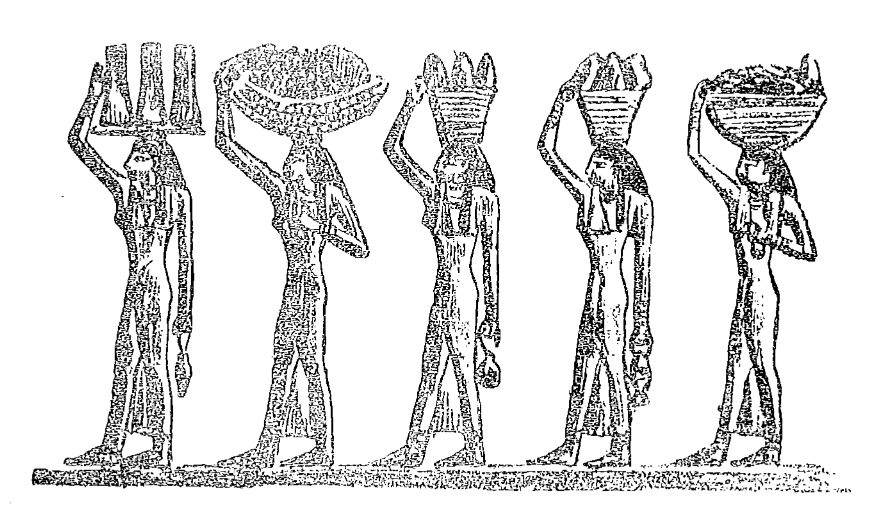


● كان أخناتون يسمى زوجته الملكة نفرتيتى بأسماء وصفات متعددة لفرط جمالها ولشدة حبه لها ـ كان يسميها « سيدة سعادته » ، « سيدة الأناقة » ، « زوجة الملك العظيمة المحبوبة منه » ٠٠٠ وعلى هدى هذه الفلســفة نحت الفنان تحوتمس رأس الملكة نفرتيتى ، الموجودة الآن فى متحف برلين، والذى يعتبر أحد روائع فن النحت فى العالم حتى الآن ٠

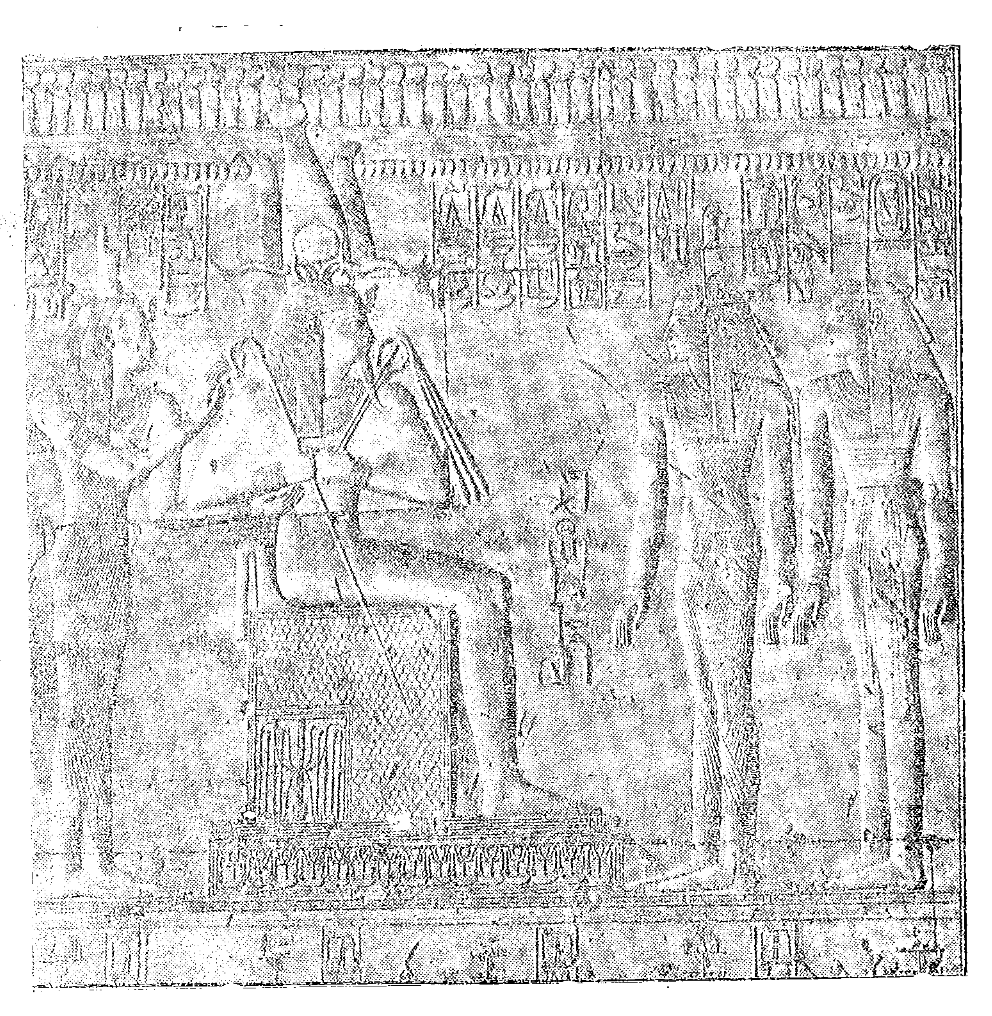
● الصورة هى نوع من الخلق يمكن أن تدب فيهـــا الحياة ، ويمكن أن تلعب دورا أساسيا فى حياة الخلق ٠٠٠ الصورة ليست مجرد خطوط يتدخل فى خلقها عامل الانسجام الفنى وحده ، وانما هى خلق يمكن أن يتحول بفضل التراتيل الى حقيقة واقعة ٠ وهكذا أسرف المصرى فى نحت تماثيله التى أودعها معابده ومقابره ٠ فهى تجسد لأصحابها سوف تتقمصها الروح كلما هبطت من عالمها السماوى البعيد ، تلك هى عقيدة قدماء المصريين فى عودة الروح ٠



٥٠ ـ رأس تمثال هاتور بمعهد حتشبسوت بالدير البحرى ـ ويعتبر من أروع الأمثلة فى فن النحت فى العمارة المصرية القديمة ٠



● لماذا لم يهتد الفنان المصرى الى قوانين الفن وأساليبه فى النحت والتصوير ٠٠٠ هذه القوانين التى استطاع الفنان الأغريقى أن يصل اليها منذ القرن الخامس قبل الميلاد٠؟



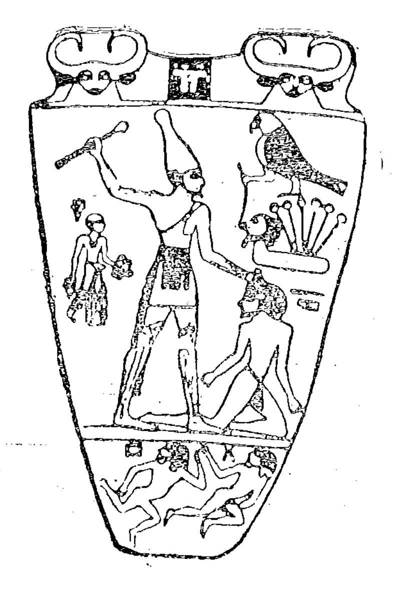
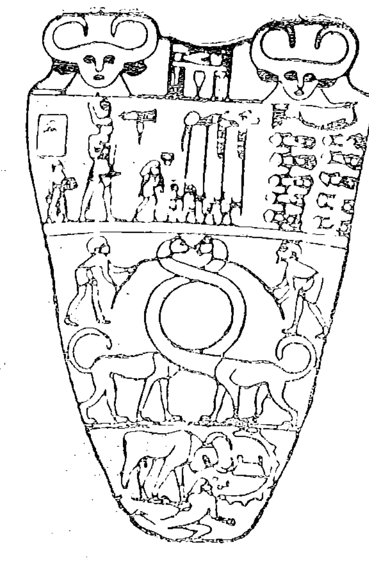
٥١

٥٢



٥١ ـ معبد الملك سيتى الأول فى أبيدوس ، زخارف من الصالة الثانية للمعبد تمثل اللوحة ٤ ملكات ٠آلهات يؤدين فروض الولاء الى أوزوريس ٠ ويلاحظ الى اليسار أمه وايزيس والهة نكروبوليس ٠ والى اليسار الهة Maat والهة السنوات ٠ وترمز اللوحة الى التعبير عن المزايا والهبات المكتسبة والتى حققها سيتى الأول ـ الملك أوزوريس ٠

٥٢ ـ عازفات الهارب المقدس : الأسرة الثانية عشرة٠
الموسيقى الفرعونية لغة الالهة صوت السماء تسمع القلب والعقل والأذن هى مشاركة القدرة الالهية فى خلق الجمال ، والفنان هو الخالق الصغير الذى ينقل رسالة الاله الخالق الى البشر ٠ رسالة الجمال فى صورة من صوره ٠ ان الاله الذى خلق العالم وحده يحب الجمال الذى أودعه فيه ، وجمال الأصوات صوت الموسيقى ـ هدية السماء للارض ـ اخناتون ٠


٥٣ ـ لوحة الملك نارمر ·

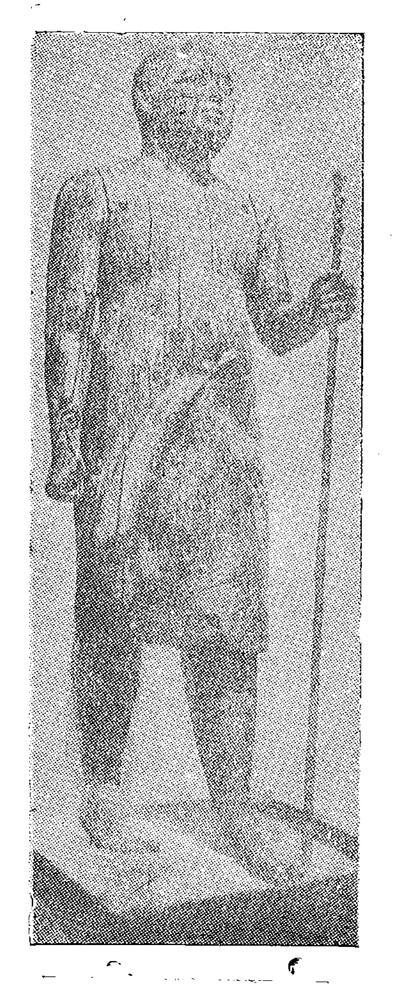
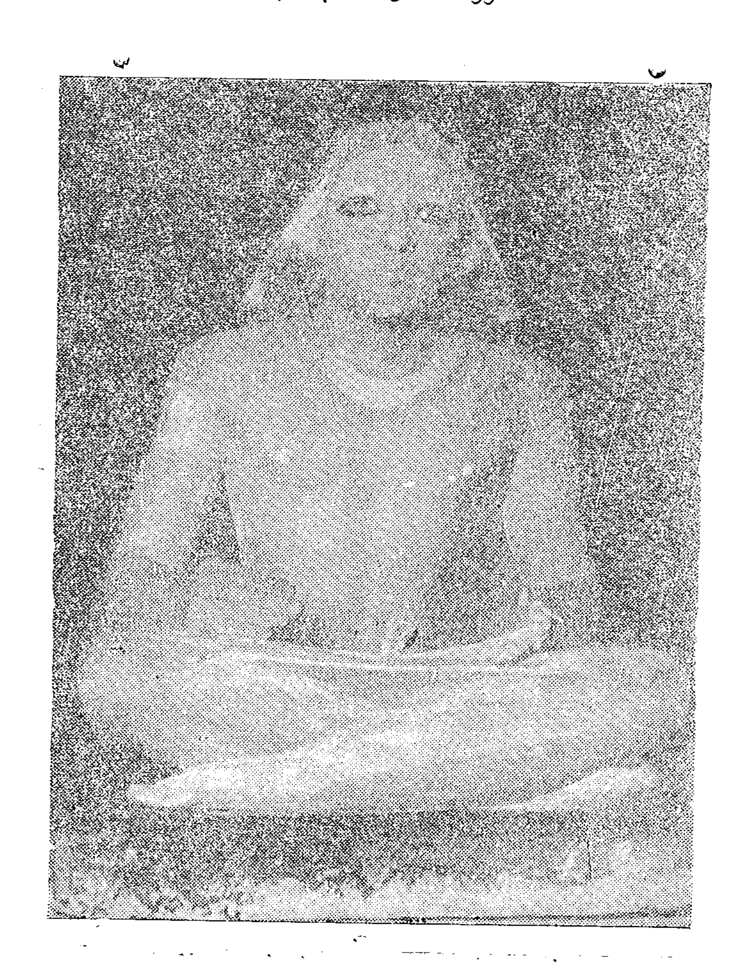
تسجل لوحة الملك نارمر Narmer نجاح الأسرة الأولى في توحيد القطرين ، مصر العليا ومصر السفلى · وتوضح النقوش التى على لوحة نارمر أحد وجهى اللوحة يصور الملك وهو يغزو الدلتا وعلى رأسه تاج الجنوب ممسكا صولجانا يؤدب به خصمه ـ والوجه الثانى ، يحتفل بانتصاره على الدلتا وعلى رأسه تاج الشمال · وفى الجزء الأسفل من اللوحة نرى الملك على هيئة ثور يقتحم مدينة محاطة بأسوار يطؤها بأقدامه ·

٥٣ ـ وجهى لوحة الملك نارمر ·

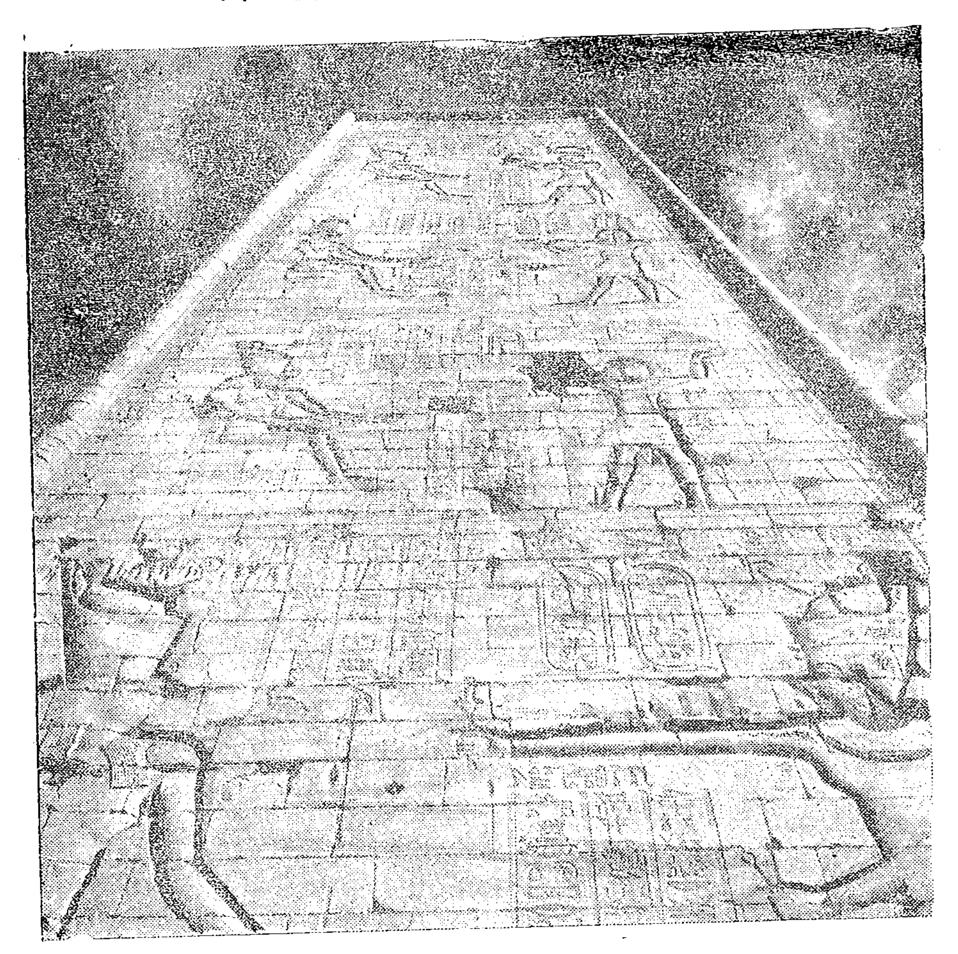
٥٤ ـ صورة جانبية لتمثال شيخ البلد ·

٥٥ ـ صورة أمامية لتمثال شيخ البلد ·

٥٦ ـ صورة لتمثال الكاتب الجالس ·

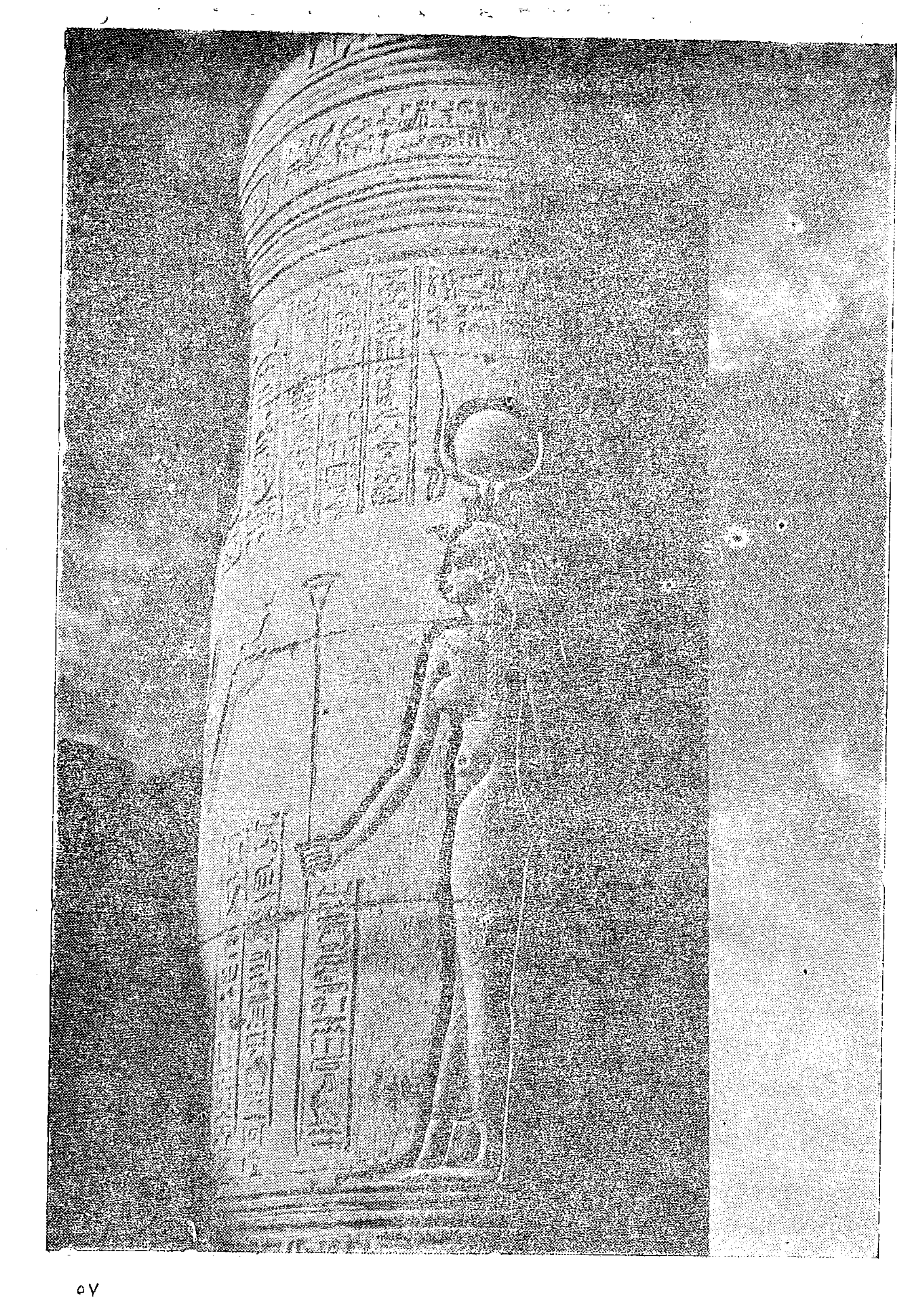



● اذا كان الفن لأى شعب هو المرآة الصادقة التى تنعكس عليها الصورة الكاملة لحضارته ·· واذا كان الفن هو الوسيط الذى يعبر عما يجيش فى صدور الناس من أحاسيس مختلفة ··· اذا كان كذلك ــ فان المصريين القدماء قد أنشأوا فنا صادقا غذته البيئة المصرية، وتعهده العقل المصرى المرهف الحس ، وطورته الأحــداث السياسية والاجتماعية ، وفرضت عليه العقائد الدينية طابعها ·



٥٦

● تعتبر آثار قدماء المصريين المصدر الأول الذى يجد فيــه المؤرخ أو الباحث أصــدق العناصر وأغناها التى تســاعده على دراسة التاريخ وعلى تصوير الحضارة المصرية القديمة · وتشمل هذه الآثار المعابد والأهرامات والمقابر والمســلات والتماثيل واللوحات والأوانى وغيرها والتى عبرت أصدق تعبير عن معتقداتهم وعباداتهم وأعمــالهم وحضاراتهم · وتتميز العمارة القديمة فى أقــدم عهودها بالبساطة والضخامة والعظمة التى تشعر بالقوة والاستقرار ، على أن هذه البساطة كانت مقرونة بالجمال والانسجام وعلم واسع بهندســـة البناء وحساب الضغط ومقاومة الأجسام الى غير ذلك من العــوامل المؤثرة التى تتعلق بمواد البناء وطرق الانشاء · والصورة شكل ٥٧ للوجه الغربى للبايلون معبد ادفو ــ ويرى الملك بطلميوس الثامن يقدم العطايا والقرابين لآلهة المعبد ·



٥٧

● رياليزم الفن المصرى القديم :

فيما يتعلق بالفن المصرى القديم ، فقد كان المصريون القدماء يعتقدون فى عودة الروح ، أى فى استمرار الحياة بعد الموت • فريالزم الفن المصرى القديم يرجع أصلا الى نفعية دينية ، ولكن هذا الريالزم أدى بفن النحت الى نتائج تبعث حقا على الدهشة لا يمكن تفسيرها الا بأن الفنانين القدماء أهملوا هذا الغرض الدينى وقت انشاء المبنى ونحت هذه الروائع الخالدة • والصور والرسومات الموضحة تعبر أصدق تعبير عن دقة وروعة الفن المصرى القديم ، والصورة شكل ٥٨ لأحد أعمدة الصالة الثالثة بمعبد كوم أمبوم •

● الفن أعظم وأروع عناصر الحضارة فى مصر الفرعونية .





٥٩ ـ الأميرة نفرت : تحفة فنية رائعة تبدو وكانها ملكة من ملكات الجمال فى العصر الحديث .
٦٠ ـ رع حتب وزوجته نفرت بالمتحف المصرى ـ القاهرة الأسرة الثانية ٢٨٠٠ ق.م.

● **الفن المصرى القـــديم :**

نشأ فنا مستقلا بذاته عن الفنون الأخرى التى ظهرت بعده فى جميع أرجاء العالم عبر العصور المختلفة ـ الفنون الاغريقية والرومانية والبيزنطية وفنون العصور المتوسطة فن نشأ فى أمة عريقة متحضرة متمدينة بطبعها شقت طريقها الى المجد بحكمة نادرة فائقة وعزيمة قوية لتخليد عقائدها بالفن وتقرب الى الاذهان طريقها فى فهم الحياة بمختلف صورها ـ الاجتماعية والروحية ـ والايمان والعقيدة ، والبعث وعودة الروح ، والثوب والعقاب ، والخير والشر وما يصلح النفوس ويهدى القلوب ... بالرسم والحفر والنقش البارز والنحت فى معابدهم ومقابرهم وسجلوه على حوائط المبانى التذكارية . فن صادق رائع نبع من الحياة ، من البيئة والمناخ والمجتمع .

- الحضارة المصرية الفرعونية مهد حضـــارات الشرق ، وأم حضارات الغرب ·
- الانســـان يولد ويموت ، وبين مولده وموته يصنع الحضارة ·

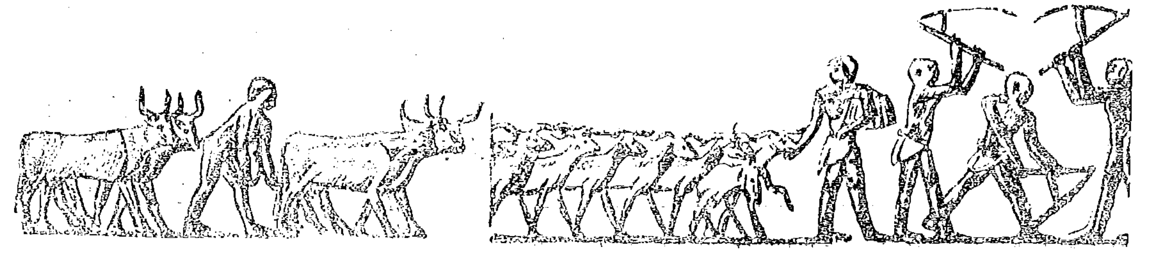




٦١ ـ أعلا ـ تمثال الملك خفرع ـ الأسرة الرابعة ، ويعتبر أروع عمل فنى فى العالم حتى العصر الحديث ـ التمثال بالمتحف المصرى ·

٦٢ ـ يمين : تمثال لأحد ملوك الفراعنة ـ معبد الأقصر ·

٦٣ ـ أسفل : العودة قبل الغروب · عودة الفلاح المصرى القديم من الحقل · تســجيل رائع لصورة من صور الحياة اليومية على جوائط المعابد والمبانى التذكارية الفرعونية ·

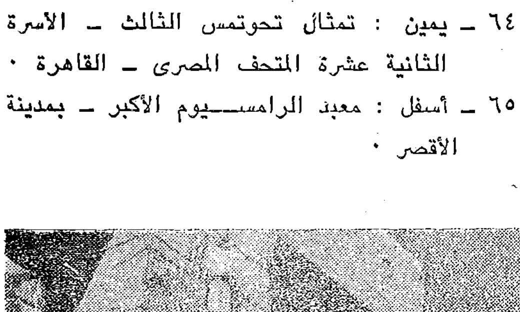




● فن النحت فى مصر القديمة

● الفن ·· مرآة للتعبير عن البيئـــة وانعكاس لصورة المجتمع ·

● المصريون القدماء هم أول من كتبوا التاريخ وأول من صنعوا الحضارة ، وهناك فرق كبير بين الذين يصنعون الحضارة والذين تصنعهم الحضارة ، أو الذين يكتبون التاريخ والذين يكتبهم التاريخ ·



٦٤ ـ يمين : تمثال تحوتمس الثالث ـ الأسرة الثانية عشرة المتحف المصرى ـ القاهرة ·

٦٥ ـ أسفل : معبد الرامســـيوم الأكبر ـ بمدينة الأقصر ·



٦٦ ـ تمثال رمسيس الثانى ـ معبد الكرنك

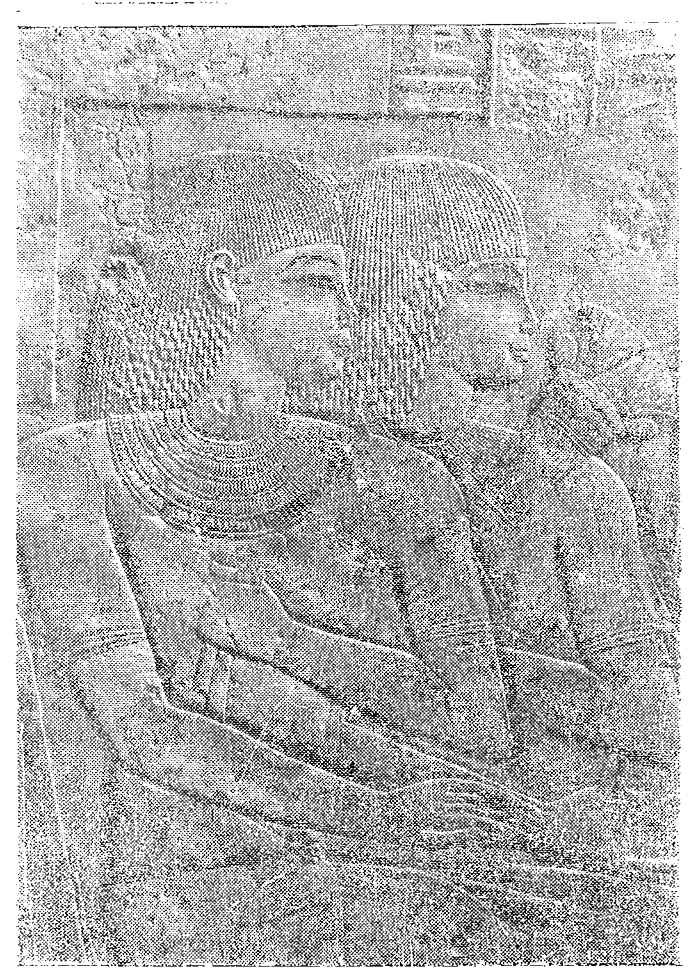
٦٧ ـ الحيـــاة الاجتماعية وسـيدات المجتمع فى العصر الفرعونى ـ طيبة ٠



٦٨ ـ يمين : الغطـــاء الذهبى لتابوت الملك توت عنخ أمون قمة روعة الفن وجماله والتعبير الدقيق لجلال الموتى ٠

٦٩ ـ أسفل : أدب الحب هو أدب الحياة الاجتماعية فى انبل صورها الانسانية وعلاقة الرجـــل بالمرأة ، ووضع تلك العلاقة فى المجتمع ـ تلك العلاقة التى كان المصريون القدماء أول من وضع الأسس التى نشأت عليها ، مع نشأة الحضارة نفسها ٠



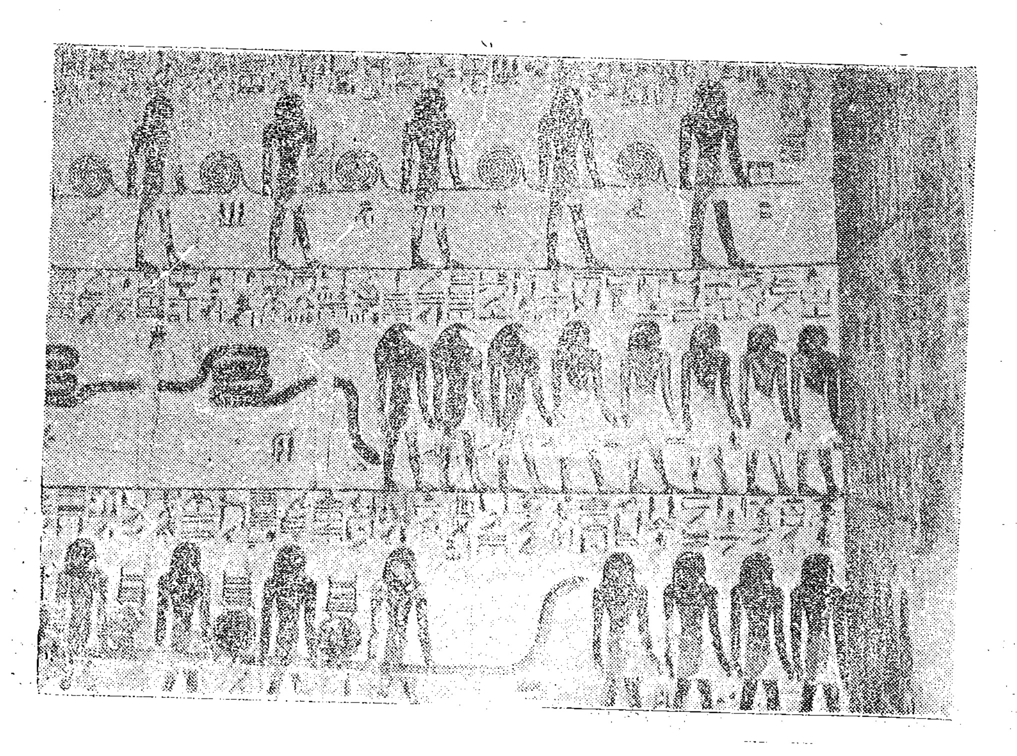


● الفن ٠٠٠ هو التعبير الدقيق عن سمو العقـل والوجدان والضمير ، ومعناه سمو الروح ، وقد عبر الفن عن صور الحياة فى المجتمع الفرعونى ٠٠٠ قمة الحضارة والتقدم والرقى فى مختلف صورها ٠



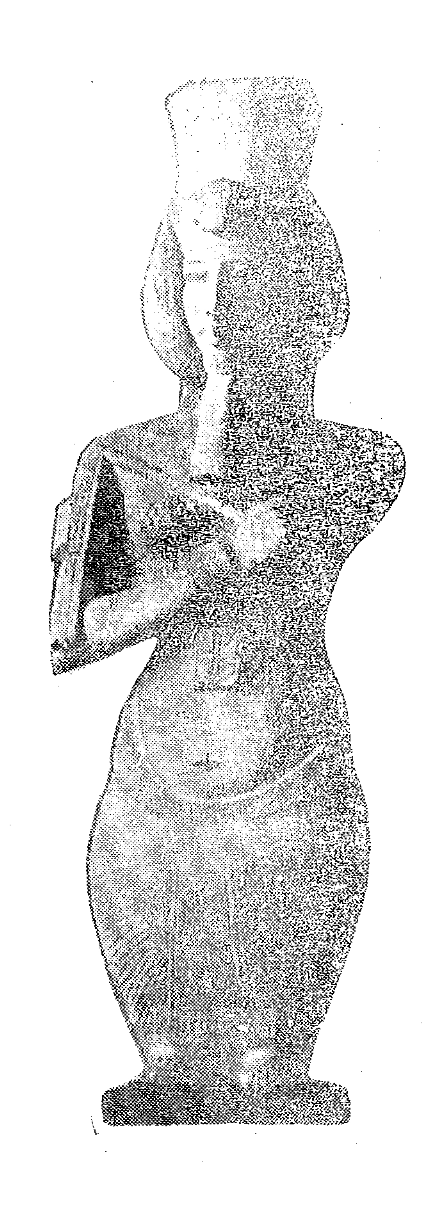
٧٠ ـ قائمة بأسماء الملوك ـ معبد أبيدوس ·

٧١ ـ الفن مرآة تنعكس عليها صورة البيئة والمجتمع · سجل قدماء المصريين صور حياتهم على حوائط والمعابد والمبانى التذكارية للتعبير عنها ·



● الفن المصرى الفرعونى ...
وجه الحضارة







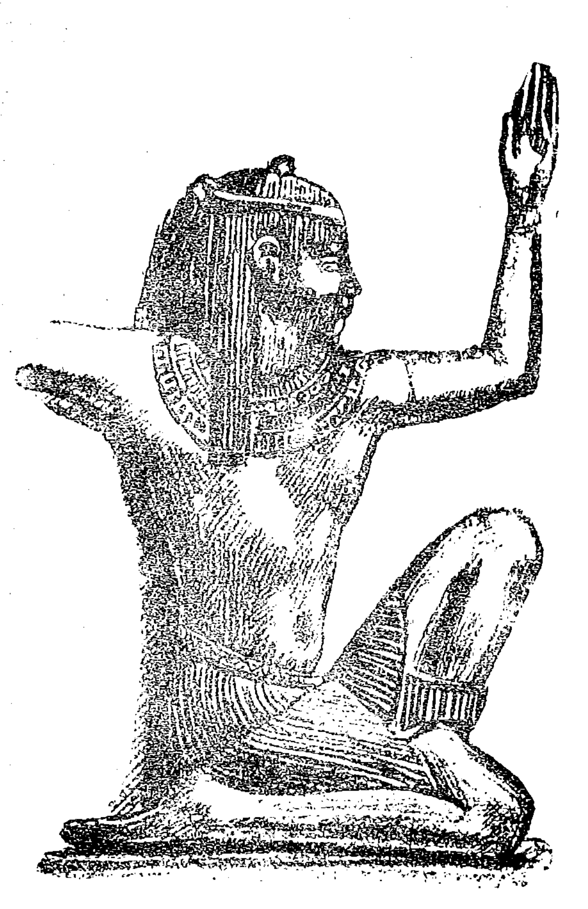
٧٢ ـ اخناتون وعقيدة التوحيد .. أول من آمن بأن الله أحد أحد . لا شريك له ... له الملك ...

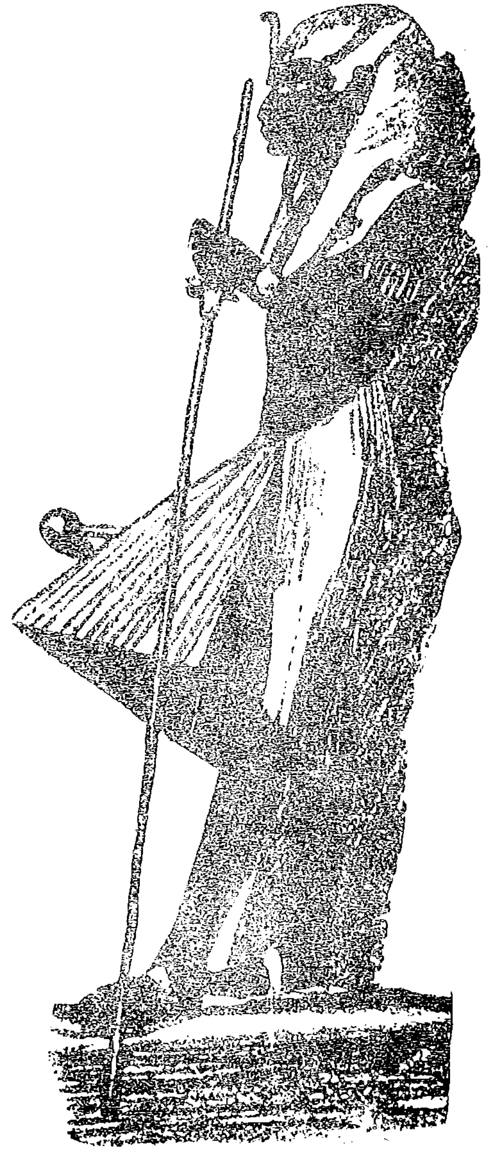
٧٣ ـ أعلا اليسار : قناع الملك توت عنخ أمون .

٧٤ ـ يسار : تمثال من الذهب للملك توت عنخ أمون بالمتحف المصرى / القاهرة .



٧٥ ـ أعلا : الملك رمسيس الثانى •
٧٦ ـ يمين : تمثال من العاج لأحد وزراء الملك توت عنخ أمون بمقبرته بوادى الملوك •
٧٧ ـ أسفل : أمـيرة فرعونية فى وضـع جالس تستقبل أحد القواد المنتصرين العائدين من المعـركة •



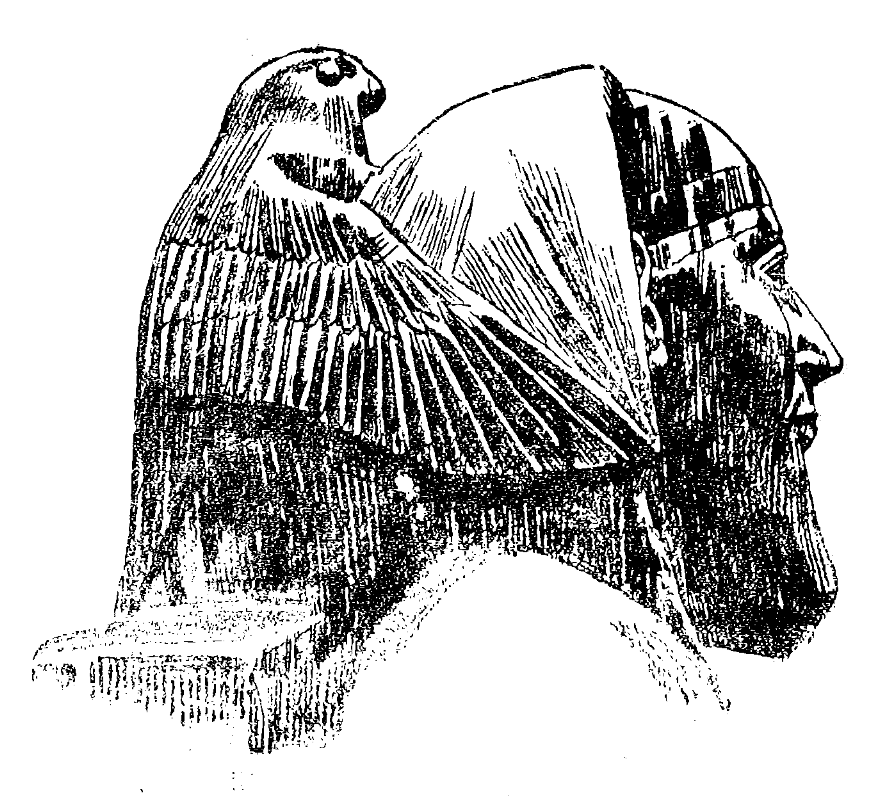


٧٨ ــ أسفل واجهة معبد أبو سنبل ــ حلفا

التماثيل الأربعة منحوتة فى الصـــخر يعلوها صف من القرود المقدسة ترقب شروق الشمس ــ الاله هارختى ــ أمون رع • أقيم المعبد ــ قبل نقله الى مكانه الجديد أعلا الجبل ــ بطريقة هندسية بارعة دقيقة بحيث تدخل أشعة الشمس عبر الممرات الطويلة الى قاعة قدس الأقداس التى بها تمثال أمون رع جالسا ومعه بتاح والملك رمسيس الثانى يستقبلون شروق الشمس •



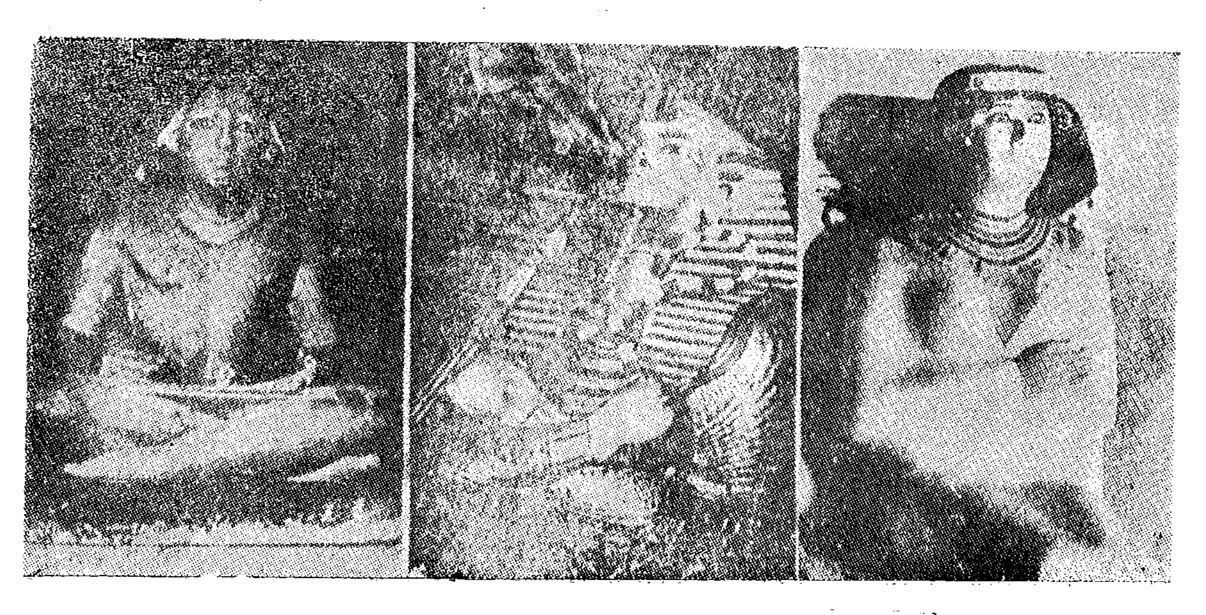
٧٩ ــ تمثال من الجرانيت للالهة سخمت بمعبد الكرنك • SEKHMET



● الفن الفرعونى ··· يشع من خلاله الأدب والحب والوقار والاحترام والاعتزاز بالشخصية · أدب الحب هو أدب الحياة الاجتماعية فى أنبل علاقتها الانسانية ، تلك العلاقة التى كان المصريون القدماء أول من وضع الأسس التى نشأت مع الحياة نفسها ·

٨٠ ـ تمثال الملك خفرع وعلى كتفه الصقر المقدس · ويعتبر أروع عمل فنى حتى الان فى العالم أجمع ·

٨١ ـ من اليسار الى اليمين : تمثـــال الكاتب الجالس ، القناع الذهبى لتابوت الملك الفرعونى الشاب توت عنخ امون ، ، الأميرة الفنانة نفرت زوجة الأمير المهندس المعمارى رع حتب ·



والفن • وأشهر من اهتم بالفنانين وشجع الفن واحتضنه هم تحتمس الثالث وأمنحتب الثالث والرابع ثم اخناتون وتوت عنخ آمون وحتشبسوت • وكان للفنان الملهم « أمنحتب بن هابو » أثر كبير فى رقى العمارة والفن فى ذلك العصر •

● وجاء عهد الأسرة ١٩ ، حيث قام رمسيس الأول بأكبر عمل خلده التاريخ وهو بهو الأعمدة بالكرنك وأنشأ سيتى الأول معبد أبيدوس وزينه بالنقوش الجميلة البديعة ، ثم رمسيس الثانى الذى كان مولعا بحب العظمة ، ثم رمسيس الثالث والذى بلغت مصر فى عهدهما أقصى مداها فى جميع النواحى السياسية والانشائية والفنية •

● ثم دخلت مصر بعد ذلك فى فترة ضعف وركود نتيجة لحكم أجنبى ، ولكن استطاع « أبسمتيك الأول » من الأسرة ٢٦ أن ينقذها من الدخلاء وأعاد لها سـابق مجدها وبلغت الفنون فى عهده درجة رفيعة من القوة والاتقان والدقة • وفى الأسرة ٢٧ دخلت مصر ثانية تحت حكم أجنبى وهو الحكم الفارسى ، ثم توالى عليها ملوك ضعفاء • ثم فى الأسرة ٣٠ استطاع ملك مصرى هو « نقطايب » أن يعيد لمصر سابق مجدها الفنى القديم ، وبانتهاء هذه الأسرة تدخل مصر مرة أخرى تحت نفوذ أجنبى من « الفرس والأغريق » ولم يكن للفرس شأن كبير يذكر ، الا أن الأغريق اهتموا بالفن ونهضوا بالبلاد وسميت دولتهم بدولة البطالسة التى انتهت بوفاة الملكة كيلوباترة • وجاء الرومان عام ٣٠ ق•م حيث حكموا البلاد فترة طويلة من عمر الزمن كانت كلها بؤسا وشقاء وانتشرت أثناءها المجاعات والقرصنة والعصـابات • وقد ظهر الفن البيزنطى فى عصر البطالمة والرومان ، وان شـابته بعض مظاهر الفن الفرعونى والاغريق • وفى الحقيقة يعتبر الفن المصرى الفرعونى منتهيا بانتهاء الأسرة الثلاثين •

ان العوامل التى تفاعلت فى المجتمع الأغريقى وفى نفوس فنانيه كانت تختلف تماما عن العوامل التى تفاعلت فى المجتمع المصرى وفى نفوس فنانيه ، ولذلك جاءت أصول الفن الأغريقى مختلفة تماما عن أصول الفن المصرى • فبينما كان الدين دافعا أساسيا وراء عمل الفنان المصرى ، الا أنه كان قيدا عليه ـ قيد الزمه استخدام أسلوب محدد من ناحية الشكل ، والتزام جوهر من طبقة خاصة تجاه الموضوع الذى يعالجه • لقد كان الفنان المصرى يرى أن الحقيقة هى جوهر فنه ،وكان يحس أن هذه الخطوط التى كان يرسمها ليس حافزها الوحيد هو الابداع الفنى ، وانما حافزها الأكبر فكرة الخلود • سوف يأتى يوم تهبط فيه الروح من علياء سمائها الى هذه الرسوم فتتحول الى حياة • ان تمثال الملك سيظل داخل مقبرته حتى تحييه الروح فيعاود الملك حياته الثـانية •

كان الفنان المصرى صانعا قيدته العديد من القوانين الصارمة ‥ ولأنه كان صانعا فلقد بقى مجهول الشخصية ٠ لم يحاول أن يوقع باسمه على أعماله الفنية ‥ لا ينجز بالأزميل مجرد عمل فنى ، انما يخلق فى الصورة جزءا من شخصية صاحبه ٠ هذا الالتزام بالحقيقة هو الذى حاد به عن استخدام قواعد المنظور وربما أضفى نوعا من الجمود على تماثيله ، انه يصور الأشياء كمال ،وليس كما تراها العين ٠ ومع ذلك استطاع الفنان المصرى داخل هذا الاطار العام أن يطور ببراعة فائقة الاتجاهات الفنية حتى أمكن التمييز بين الأسلوب الفنى الذى اتبع فى عهد كل أسرة من الأسرات ٠

● الريالزم فى الفن المصرى القديم : Realism in the Old Egyptian Art

أن فن النحت المصرى القديم قد تأثر فى بدء نشأته بفكرة المنفعة الدينية التى قصدها قدماء المصريين من وراء هذا الفن ، وهى أن تكون تماثيلهم مأوى لروح الميت بعد وفاته مما جعل لتماثيلهم صفة خاصة ٠ ومن المؤكد أيضا أن أثر هذا الباعث الدينى امتــد الى فن العمارة والرسم ٠

لم يكن الغرض الذى يرمى اليه الفنان المصرى القديم من ايجاد أكبر شبه ممكن بين الصورة والأصل البشرى ، غرضا فنيا محضا كما هو الحال بالنسبة للفن الحديث، بل كان غرضا دينيا ٠ فقد كان قدماء المصريين يعتقدون بالبعث أو بمعنى أصح باستمرار الحياة بعد الموت ، وكان الشرط الأساسى لذلك هو أن يبقى جسد الميت ســـليما حتى تستطيع الروح KA تتقمصـــــه مرة أخرى ٠ وكان من الضرورى لامكان هذا التقمص أن تتعرف الروح على الجسد ، ورغم الاحتياطات التى كانت تتخذ للاحتفاظ بالمومياء سليمة أطول مدة ممكنة ، كان من المتصور أن يصيبها التلف وبالتالى الى عدم استطاعها القيام بدورها ٠

فضمانا لراحة الميت الأبدية فكر قدماء المصريين فى وضع تماثيل وصور تطابق شكل الميت بجانب المومياء ٠ فاذا ما عادت الروح ولم تتمكن من المومياء للدخول فيها لسبب أو لآخر استطاعت أن تتقمص أحد هذه التماثيل ٠ ولامكان تسهيل عملية هذا التقمص كانوا يلجأون الى تعاويذ سحرية تحضر على جدران القبر أو التابوت يمكن بواسطتها أن تبعث الحياة الى التمثال ٠ وحتى لا تخطىء الروح وتحــل فى تمثال لشخص آخر ، كان اذن من الضرورى تحقيق الشبه التام بين التمثال وأصله البشرى ٠ فريالزم الفن المصرى القديم يرجع أصلا الىنفعية دينية ٠ ولكن هذا الريالزم أدى بفن النحت المصرى القديم الى نتائج تبعث حقا على الدهشة لا يمكن تفســيرها الا بأن الفنانين المصريين قد أهملوا وقت انشاء هذه الروائع التى تركوها لنا الغرض الدينى الذى كانوا يرمزون اليه فتمثال شيخ البلد بمتحف القاهرة ، وتمثال الكاتب الجالس

القرفصاء بمتحف اللوفر وغيرها يؤكد تماما بأن الفنان المصرى القديم الذى أنتج هذه الروائع كان فنانا أصيلا مطبوعا · ومن الظلم حقا أن يتهم مثل هؤلاء الفنانين بأنهم لم يقصدوا الا تحقيق غرض نفعى دون تفكير فى الفن للفن ذاته ·

هذا فضلا عن أن قدماء المصريين تركوا لنا تحفا فنية بعيدة كل البعد عن أى منفعة دينية كالنقوش والرسـومات والحلى وأدوات الزينة للتجميـل وارضـاء الذوق الفنى ·

● الفن فى مصر القديمة

أعظم عناصر الحضارة :

كان الفن أعظم عناصر الحضارة القديمة ـ ولم يوجد فى العالم أجمع غير مصر وخلال عهد هو بداية التاريخ فنا قويا ناضجا معبرا كالفن الذى أنشأه قدماء المصريين ـ لقد تمكنوا من فن العمارة بالدرجة التى أمكن القول فيها أن المصريين القدماء كانوا أعظم البنائين فى التاريخ كله · وتمكنوا من فن النحت حتى يحقق لنا أن نقول ـ ان هذا الفن لم يكن فى بلد من البلاد أكثر حيوية مما كان فى مصر القديمة ·

ان تمثال شيخ البلد شكل ٥٤ ، ٥٥ يكاد يخرج بنا عن كل تصور ·· وان تمثال الكاتب المصرى الجالس يكاد يهم بالكتابة شـكل ٥٦ · وما من عمـل فى تاريخ فن النحت يمكن أن يعدل تمثال خفرع المصنوع من حجر الديوريت الأسود شكل ٤٦ والذى يستعصى على الانسـان حيث يعتبر أعظم عملين فى تاريخ النحت والعمـل الثانى هو تمثال المسيح عليه السلام المحفوظ فى كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان ·

واذا كان الفن لأى شعب هو المرآة الصادقة التى تنعكس عليها الصورة الحقيقية الكاملة لحضارته · واذا كان الفن الوسيط الذى يعبر عما يجيش فى صدور الناس من أحاسيس مختلفة ، نشأت فى ظل تقاليد ومعتقدات معينة ـ اذا كان كذلك ·· فان المصريين القدماء قد انشأوا دون شك فنا صادقا غذته البيئة المصرية ، وتعهده العقل المصرى المرهف الحس ، وطورته الأحـداث المصرية السياسية منها والاجتماعية ، وفرضت عليه العقائد الدينية طابعها ·

يحدثنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر فى دراسته عن الفن المصرى القديم بقوله ·· ما من شك فى أن لوحة الملك نامر الموجودة بالمتحف المصرى تعتبر نقطة البدء التى حددت الاتجاهات العامة لأسلوب الفن المصرى · فمنذ لوحة نامر ، أصبح الفن هو الوسيلة الفعالة لتسجيل الدور الذى تلعبهشخصية الملك فى المجتمع المصرى ·· ومن

هنا جاء التزامه أن يوضح فى صوره ورسومه أهمية المشتركين فى الحديث ، ومن هنا جاء اضطراره الى أن يبرز بشكل خاص أهمية الملك ، يبرزها باعتبار الملك هو الممثل الأرض لحورس ، رب السماء ٠

ان ارتباط الفنان المصرى بالحقيقة جعله يعتمد فى توضيح حقيقة المشتركين فى الحدث على أحجامهم ، لذلك جعل صورة الاله أكبر من صورة الملك ، بينما تكبر صورة الملك صورة الوزير ، وتتضاءل فى الصور أحجام معارضيه وأعدائه ٠ كذلك اضطر الفنان المصرى الى توضيح حقيقة الجهد البشرى فى الحدث على أساس ملموس من الحقيقـــة ٠

وما من شك فى أن هذا الارتباط بالحقيقة كان العامل الأساسى فى ارساء قواعد الفن المصرى ليس فقط بالنسبة الى حق الآدميين ، بل أيضا بالنسبة الى الصور التى تمثل الأشياء الأخرى ٠ ان نهجه فى تصوير الأشياء كان يحكمه رغبته فى أن يجعل الأشياء تبدو كما هى فى الحقيقة وليس كما يراها الناظر ٠

لم تكن تلك هى كل الظروف التى أحاطت بنشأة الفن المصرى القديم ، وانما كانت هناك طيلة هذا المجتمع الذى عرف الاستقرار فى الألف السادس قبل الميلاد ، عندما تعرف على الزراعة ٠٠٠ هذا الابتكار الحضارى العظيم ، وعندما أصبح له مجتمع تنظمه له علاقات اجتماعية متقدمة ، وعندما اتحدت بلاده فى ظل مملـــكة يحكمها ملك مقـــدس ٠

هذه الحياة المستقرة التى يكفل لها الفيضان المنتظم فرص الزراعة المنتظمة ، قد خلعت على المجتمع المصرى مظاهر الاحساس بالأمن الكامل ، والتعاقب المستمر الرتيب وانبعاث الحياة المزدهرة بعد فترة الجدب والخمول ، والشعور الكامل بالخلود ٠ وليس من شك فى أن هذه المظاهر الأربعة قد أثرت فى عقيدة المصريين الدينية وفى تصوراتهم عن الحياة بعد الموت ٠

وكان الفن هو الأداة التى عبرت عن ذلك كله ٠ ومنذ أوائل عصر الدولة القديمة حيث انطلق الفنان المصرى انطلاقة هامة ارتقت بفنه فى خطى سريعة نحو الكمال كان واضحا ٠ ان العقيدة المصرية هى أوضح الحوافز أثرا فى دفع الفن والفنان المصرى تجاه التقدم ٠ وكانت عقيدة البعث والخلود هى التى أرهفت الفن ووسعت من نطاق مجاله ٠ لقد تعاون الدين المصرى مع الثروة المصرية على الايحـاء بالفن وأنمائه ٠ فاهتم المصريون كما لم يهتم أى شعب آخر بعمارة المقابر باعتبارها بيوت الأبدية ،

وعملوا بجهد على تطور عمارة المعابد الجنائزية ، واهتموا بتشكيل مقاصير المقابر وزخرفة حدائقها باعتبارها وسيلة من وسائل الخلود ٠

فالصورة هى نوع من الخلق يمكن أن تدب فيها الحياة ، ويمكن أن تلعب دورا رئيسيا فى حياة الخلود ٠٠٠ الصورة ليست مجرد خطوط يتدخل فى خلقها عامل الانسجام الفنى وحده ، وانما هى خلق يمكن أن تتحول بفضل التراتيل الى حقيقة واقعة ٠٠٠ وهكذا أسرف المصرى فى نحت تماثيله التى أودعها معابده ومقابره ٠ ولقد حرص المصرى على تزويد مقبرته بأفخر الأثاث وأدوات الزينـــة والحلى حتى لا ينقصه شىء منه فى حياته الأخرى ٠

هذا الايمان بالبعث والخلود ، ما كان يمكن أن يكون حافزا على هذه الدرجة من القوة مالم تكن روح التدين العام قد استطاعت أن تربط بين المصريين وآلهتهم برباط وثيق ، ولقد عبر الفراعنة عن هذه الروح بانشائهم المعابد المتعددة والاهتمام بنقوشها وزخرفتها ونحت تماثيلها ٠

● امنحتب الرابع « اخناتون » ١٣٨٨ ـ ١٣٥٨ ق٠م :

هذا الملك الشاب ، ذو الوجه الحالم فى رقته ، الشاعر الأحاسيس يقود من أجل الرب الواحد فى مصر الفرعونية ثورة فكرية لعلها الثورة الأولى فى التاريخ ٠ ولد فى العام الخامس والعشرين من حكم أبيه أمنحتب الثالث من الملكة « تى » الذى أحاط نفسه بالجوارى والغيد الحســـان رغم حبه العميق لزوجته ، وســـمى عند مولده « امنحتب » تيمنا باسم أبيه وتقربا الىالاله « آمون » ٠ كانت حياة الأمير الصغير فى هذا الجو شبه مقفلة ، بعيدة عن حقائق الأمور ، وربما يكون هذا الجو قد ساعده على رقة عواطفه ونقاوة تفكيره ٠٠٠ وقد شب أخناتون ذو التقاطيع الرقيقة ، والوجه الجميل ، والعينين المتأملتين والجفون الحالمة هادىء الطبع ، رقيق المشاعر ٠

اشترك فى الحكم مع أبيه وهو فى ريعان الشباب حوالى عام ١٣٧٥ ق٠م وكانت أمه الملكة « تى » وصية عليه تعاونه فى السنوات الأولى من حكمه ولم يبلغ الثالثة عشر ٠ تزوج أخناتون من أخته من أبيه الملكة الجميلة « نفرتيتى » ، ومنذ العام الرابع من حكمه شغل نفسه بالتعبد لاله جديد غير « آمون » وهو قرص الشمس « آتون » ٠ وبدلا من أن يقيم معبدا لآمون فى طيبة ، بنى معبدا لآتون فى الكرنك عكف فيه على عبادته هو وأتباعه ٠

ولكن كهنة آمون كانوا يتمتعون بنفوذ قوى دينى واجتماعى ، وكانت مفاتيح

السماء فى أيديهم فاستغلوا ثقة الناس بهم ، واستخدموا هذا النفوذ فى السيطرة على مفاهيمهم ٠ حتى أنهم كانوا وليســـت تجربة معقـــدة تجرى فى الخفاء ٠٠٠ وفى رسومات القصر الملكى يتضح لأول مرة فى التاريخ الفن المتحرر من كل قيد ٠٠٠ الفن ذو الحركة السريعة ٠ فقد رسم فنانوا تل العمارنة الطبيعة بكل يبيعون لهم التعاويذ وكل ما له صلة بالدين تماما مثلما كان رجال الكنيسة فى العصور الوسطى يبيعون صكوك الغفران ٠ كان كهنة آمون يحصلون على أكبر قسط من غنائم الحروب وترصدها وقفا على معابد آمون ، وتفرض الضرائب وتقيم الاحتفالات الدينية التى تكلف خزانة الدولة الشيء الكثير ٠ بل وحرموا النقد الدينى وقيدوا الفكر الحر ، لأنهم بدأوا ينظرون بعين الشك نحو تلك الدلائل التى بدت فى عهد أمنحتب الثالث نفسه ، حين سمى البحيرة الكبيرة التى حفرها لزوجته قرب قصره غربى طيبة « بهاء آتون » ٠ وازدادت مخاوفهم حين بنى أمنحتب الرابع معبد آتون فى الكرنك ، وسماه وماحوله « بهاء آتون العظيم » وسمى طيبة نفسها « مدينة بهاء آتون » ٠ ولم تكد نفرتيتى تلد له أولى بناته حتى سماها « مريت آتون » ، وأعلن فى صراحة تامة ثورته الدينية ضد عبادة « آمون » وغيره من الآلهة ٠ وهنا غير الملك اسمه من أمنحتب الى اخناتون بعد أن أيقن أنه لا يستطيع أن يحمل اسم اله لا يؤمن به ٠

لم يكن الاله الجديد عند أخناتون يمثل كالآلهة الأخرى فى صورة انسان أو حيوان أو طير ، بل كان يمثل بقرص الشمس تمتد منه خطوط تنتهى بأيد بشرية تقبض على علامة الحياة ٠

لم يكن الاله الجديد هو قرص الشمس ، بل هو القوة الكامنة فى قرص الشمس ، هو الحرارة التى تشع منه ٠ لم يجد أخناتون بدا أمام العاصفة التى هبت فى وجهه من كهنة آمون الا أن يهاجر من طيبة الىمدينة يستطيعأن يعيش فيها آمنا وأن يبثتعاليمه وينشر ديانته ٠ وذهب الى موقع يعرف الآن بتل العمارنة شـــمال طيبة مركز ملوى محافظة أسيوط ، وبنى مدينته التى سماها « آخت آتون » أى أفق آتون ، وانتقل اليها هو وعائلته وفنانوه ورجال قصره ومن تبعه ، وأقسم أن لا يغادرها طالما كان حيا ٠٠٠٠ وكانت هذه المدينة هى حلم أخناتون ٠٠٠ فيها أقام المعابد والقصـــور الملكية وبيت الحياة ــ المدرسة ــ والحدائق والمبانى الحكومية ومراسى السفن وثكنات الجيش ٠٠٠ كان معبد آتون خاليا من التماثيل للاله ، لأن آتون لا شكل له ، كان فناء المعبد الداخلى مكشوف كى يتيح العبادة تحت أشعة الشمس ، وكان قدس الأقـــداس بهيجا يملؤه الضوء ، والعبادة تخلو من الشعائر الغامضة والطقوس الخفية ٠

● اخناتون ودعوته الى الوحدانية :

كان أخناتون يؤمن بالعبادة البسيطة الخالية من الابهام والتكلف ، فالحيـــاة عنده تجربة جمالية ما فيها من جمال زرع ونبات وزهور على حـوائط القصر ، كما زخرفوا أرضياته برسومات زاهية الألوان تمثل الأحراش وبها الماشية تقفز بين سيقان البردى والبط على وشك أن يطير ·

وعلى غير العادة فى طيبة نحت أخناتون المقابر الملكية ومقابر الكهنة والأشراف فى الجبل الشرقى ، لا الجبل الغربى، وزينها برسومات الحياة اليومية والطبيعية ، وليس برسومات تمكن الموتى من الانتصار على أعداء الآخرة ·

ـــ الفن الآتونى :

ويشرح لنا الأستاذ الدكتور شحاته آدم محمد فى دراســـته عن الفن الآتونى بقوله ··· أن ثورة أخناتون الدينية تتمثل فيها البساطة والواقعية ··· فمثلا نجـــد منظرا يمثل أخناتون ونفرتيتى وهما يجلسان فى اســـترخاء والملكة تقرب من أنف زوجها زهرة اللوتس ليستنشقها ، ونلاحظ عدم التكلف ونجد فيها فلسفة الفن الواقعى· وكانت فلسفة أخناتون كما جاء فى تعاليمه « الحياة فى الحقيقة » أى تصوير الواقع لأن فى هذا اخلاصا للعالم الواقعى والحياة الانسانية ··· ومن هنا كانت ثورته فى الفن تطبيقيا لعقيدته الدينية فى ايمانه بالحقيقة · أن فن تل العمارنة هو تصوير الشىء كما هو ـ أما قبل ذلك فقد كان الفن مقيدا بتصـوير الشىء حســـب أهميته وعلاقته بالتقاليد وتصوره فى الذهن ·

ومن آيات هذا الفن الواقعى نجد الملك والملكة يركبان المركبة والملكة تقبل الملك بينما تميل الأميرات على مقدمة العربة تحث بالعصــــا الجواد على الســـير · ونجد فى المأدبة التى أقامها أخناتون لوالدته الملكة « تى » الملك يتناول الطعام وتمسك نفرتيتى ببطة فى يدها تلتهمها ، والملكة « تى » تحاول أن تقرر ما اذا كانت تأخذ شيئا من المائدة ، أم تتناول احدى الكعكات التى تقدمها الأميرة الصغيرة الجالسة تحت قدميها ·· وبنات الملك الأخريات يجلسن على الأرض لتسلية أنفسهن باللعب ·

هذا هو فن تل العمارنة ··· أنها ثورة جديدة فى الفن ، وصرخة بعيدة كل البعد من أى شىء فى الفن المصرى القديم من قبل ··

لم يخجل أخناتون أن يعرف الناس عنه حبه للملكة نفرتيتى ·· كان يسـميها « سيدة سعادته » ، و « سيدة الأناقة » ، « وزوجة الملك العظيمة المحبوبة منه » ··

وعلى هدى هذه الفلسفة نحت الفنان « تحوتمس » رأس الملكة نفرتيتى ، الموجود الآن فى متحف برلين ، والذى يعتبر أحد روائع فن النحت فى العـــالم أجمع حتى الآن ــ يرجى أن ينظر شكل ٤٨ ٠

لم تنضب تعاليم أخناتون على عالمية الله فحسب ، بل على خلوده الأبدى ٠٠ أن اتون الذى خلق نفسه هو الخالد بدون بدء ولا نهاية ٠٠٠ ومن هنا يجب أن ننظر بعين التقدير لأخناتون الملك الشاب ، الذى حطم العقائد الراسخة والتقاليد الموروثة منذ آلاف السنين فى عقول الناس ، فى وقت كان الخروج عليهـــا يعتبر لعنـــة من السماء ٠٠ ومن هنا استحق أخناتون فى رأى البعض أن يكون فى مصاف الأنبياء ٠

فى العام السادس من حكمه جهر أخناتون بعقيدته ، وأعلن التوحيد خالصا ، فنادى باله واحد لا شريك له ٠ وخرجت أناشيد الدين الجـــديد تناجى ربها بالود والحب والتبجيل ، وقالت هذه الأناشيد ٠٠ **تجليلك فى أفق السماء بديع ، اتون الحى أصل الحياة ٠٠٠ انت البهى ، أنت الجليل ، أنت المنير ، أنت العلى فوق كل أرض ٠٠ »**٠

« **وقالت أيضا الزهر ونبت الأرض يتفتح لمرآك ، وتتملكه النشـــــوة لمحياك والانعام تتراقص على أقدامها ، والطيور فى أوكارها ، تطـــوى أجنحتها ٠ تنشرها تسبيحا للحى خالقها ٠٠٠ ، الأرض بأسرها عامرة بحبك ، والعشب والشجر يتمايل اطلع وجهك ، وأسماك الماء تتراقص لمرآك »** ٠

وحينما يسبح أخناتون ربه يقول : **رب أحد لا شريك لك ، خلقت البشر والأنعام كل ما يسعى على الأرض بقدم ، ويحلق بجناح فى الفضاء وجهت كل فرد فى أقطار سوريا والسودان وأرض مصر على موطنه ٠ ودبرت للجميع شئونهم ٠ فأصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد أجله ، وظلت الألسنة بينهم فى المنطق متباينة ، والهيئات والألوان متميزة** ٠

اتون ياضوء النهار ، يا عظيم المجد ، بلدنا نائية تهبها الحياة وترسل الغيث من أجلها ، يموج الغيث فوق الجبال كالبحر الخضـــم ويسقى الحقول بين القرى ٠ ما أجمل تدبيرك رب الخلود ، فيضان فى السماء لأهل القفار وحيوان الغلا وما يدب على قدم ، وفيضان سواء لأرض مصر يأتى اليها من دنيا العدم » ٠

مات أخناتون فى سن الثلاثين ، تاركا وراءه الصراع فى الداخل والاضطراب فى الخارج بعد أن حكم سبعة عشر عاما ٠ وبموته عام ١٣٥٨ ق٠م تولى الملك من بعد « توت عنخ آمون » حيث ترك تل العمارنة الى طيبة وخضع لسيطرة كهنة آمون بعد أن غير اسمه ٠

ـــ الدعوة الى التوحيد :

من المعروف أن الدين المصرى القديم كان ـ كما ـ ظل طـــوال أكثر من ألف وستمائة عام ثمرة تداخل عدد كبير من العبادات القبلية الأصلية ، ولعل مرجع ذلك أن الدوافع التى ألجأته الى التعبد كانت بدورها متعددة ٠ فهناك قوى الطبيعة الكبرى مثل الشمس والقمر والسماء والأرض ، وهى مظاهر عديدة بهرته ، وتعجب من أمرها ولم يفهم كنهها ولم يستطع الا أن يجعل منها الهة مختلفة ، بل كانت لديه هى الالهة الكبرى ٠

ولكن المصرى فى عصوره البدائية تساءل فى حيرة عن علاقته بهذه الالهة : هل كانت تهتم بأمره وتسعى الى معونته اذا حلت به الأزمات ؟ هل كانت هذه الالهة تسرع الى أغاثته اذا حلت به المصائب مثل مرض الماشية أو حلت به مجاعة بسبب نقص المحصول ؟ لقد عرف بغريزته أن هذا أمر بعيد التحقيق ٠ فحاول أن يجد معبودات أخرى قريبة منه تساعده وتكون سنده وتخفف من ويلاته ! ٠٠ ووجد فى بيئته الكثير من المخلوقات التى كانت تثير دهشته وتملؤه اعجابا ، كما وجد منها ما كان يرعبه ويقض مضجعه ، فعبد المصرى ، كل فى بيئته ، احدى مظاهر الطبيعة ، التى أنتشرت وهيمنت على هذه البيئة !

وهكذا تكونت بجانب الآلهة الكبرى اعداد لا حصر لها من الهة محلية ، تعددت بتعدد أسباب وجودها ، والمناطق التى عبدت فيها ٠٠٠ وتعلق المصرى الأول بهذه الآلهة الصغرى ، وتأثرت بها حياة الأسرة سواء فى القرية أو فى الاقليم ، حتى أصبح لكل أسرة ولكل قبيلة ولكل اقليم الهته المتعددة ٠

أستمر الحال هكذا آلاف السنين ، ثم جاء العصر الذى تكونت فيه مصر سياسيا ، فاندمجت أولا الأسرة فى القبيلة ثم القبيلة فى الجماعة وتكونت المقاطعات ، ثم اندمجت هذه المقاطعات وتكونت مصر من قسمين شاملين ، هما الوجه البحرى والوجه القبلى ، ثم اتحدت مصر وأصبحت دولة على رأسها ملك واحد ٠

وهنا ظهر نوع ثالث من الالهة سموه « الهة الدولة » وهى الهة كانت فى الأصل محلية ثم تمكن حاكم أقليمها أن يبسط سلطانه على الأقاليم المجاورة ، ويفرض فى نفس الوقت على الناس أن يتعبدوا الى الهة واذا قدر له أن يحكم مصر بأسرها ويصبح فرعونا ، فان آلهه هذا يصبح الها لكل المصريين ٠ ومن أهم الالهة التى كانت لهـــا الصدارة فى العبادة هى « حوريس » و « رع » و « آمون » ٠

لقد ساعدت الظروف السياسية « آمون » اله طيبة أن يغدو الها للدولة منذ عصر الدولة الوسطى (٢٠٠٠ ق٠م) ولكن منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة (حوالى ١٦٠٠ ق٠م) أصبح هذا الاله هو اله الامبراطورية التى شيدها ملوك هذه الأسرة بعد نجاح الملك أحمس فى طرد الهكسوس وتحرير البلاد تماما من تعسفهم ثم طاردهم الى سوريا وتبعه ملوك محاربون أتموا رسالته وهيمنوا على معظم مناطق آسيا الغربية واستطاع كهان آمون أن يدخلوا فى روع هؤلاء الملوك أن آمون هو الذى يوحى اليهم بالفتوحات وهو الذى يكتب للجيوش المصرية النصر ٠ ولعل هذا المعنى يبدو واضحا فى الكلمات سجلها « تحوتمس الثالث » (أعظم الملوك المحاربين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة) علىجدران معبد الكرنك ، على أنه تلقاها من « آمون العظيم » ٠

« ان قلبى منشرح بقدومك الى معبـدى ، أن يدى تمنحان أعضـاءك الحماية والحياة ، ما أجمل التقوى التى تظهرها نحوى ٠٠ ولهذا سأهبك معجزة ، سأمنحك القوة والنصر على كل البلاد ، وسوف أمهد لك المجد وابث الخوف منك فى كل البلاد ، وسأجعل الرعب منك يمتد الى عمد السماء الأربعة ، سأجعل الاحترام لك يهيمن على كل الاجسام ونداءك الحربى يتردد بين جميع الشعوب ٠٠ سأجعل عظماء البـلاد الأجنبية فى قبضتك ، وسأمد يدى بنفسى واصيدهم لك ، وسأربط اليد بعشرات الالوف ، وأهل الشمال بمئات الالوف انى سأمنحك الأرض طولا وعرضا واجعل اهالى المغرب والمشرق تحت سلطتك هذا هو حديث « آمون » الى ابنه فرعون مصر ، ويتضـح منه مدى فضل الاله عليه ، وان فرعون كان يحب أن يرد الجميل الى الاله ٠ وهكذا نرى كيف تسابق الملوك لارضاء الاله ، فشيد كل منهم لآمون المعابد الضخمة فى كل مكان سواء فى داخل مصر أو فى خارجها وأغدقوا عليها الهبات ومنحوها النصيب الأكبر من الاسرى والمغانم التى كانوا يعودون بها من فتوحاتهم المتعددة بآسيا ٠ ولم يكن هناك من نتيجة لذلك الا أن يزداد سيطرة سدنة هذا الاله ، فهم العـارفون بعظمته المقربون اليه ، وهم أيضا من يتوجهون اليه بالدعاء ليمنح الملك النصر ، فيستجيب الى دعائهم أو لا يستجيب !

هكذا أخذ كهنة آمون يسيطرون على كل شىء فى مصر ، ونراهم يذهبون الى أبعد من ذلك فقد ادمجوا جميع الالهة الكبرى فى مصر فى معبودهم ، فأصبح « آمون » هو « آمون ــ رع » و « آمون ــ مين » و « آمون ــ خنوم » هلم جرا ٠

هذا الوضع أخذ يثير الحقد والحسد بين كهنة الالهة الكبرى ، فلـم يكن من صالحهم مطلقا أن يتناسى الناس ، وعلى رأسهم الملوك ، الهتهم ، ويولوا وجوهم نحو « آمون » ، وكان على رأس هؤلاء المتذمرين كهنة « رع » العظيم الذى سادت ديانته البلاد من قبل وهيمنت تعاليمه على التفكير المصرى القديم ٠ أستمر الحال هكذا ،

يزداد آمون شهرة وثراء يوما بعد يوم ، بينما الالهة الاخرى وعلى رأسها « رع » ينزوون فى ظلمات الماضى فتقل موارد معابدهم ، وتزداد أسباب الفاقة والعوز بين كهانهـــم ٠

استمر الحال هكذا حتى تولى عرش مصر « امنحوتب الثانى » (سادس ملوك الأسرة ١٨ وكان قد أنجب خمسة ابناء بعث بهم الى مدينة « منف » العاصمة القديمة ومقر قيادة الجيش فى ذلك الحين وكان العرف قد جرى فى عصر الأسرة ١٨ على ايفاد أمرائها الى هذه المدينة ليتلقوا ثقافتهم العسكرية فيها ، ويتعلموا المعرفة والعلوم المختلفة فى جامعة هيليوبوليس القريبة منها ٠ ويبدو أن الكهنة من المبشرين بمذهب « رع » كانوا يحاولون التأثير على قلوب من كان يفد عليهم من الأمراء ، ولكن جهودهم كانت تضيع وتتبخر أمام تلك القوة الطاغية التى استأثر بها رجال « آمون » فىطيبة ٠

حانت الفرصة أمام كهنة « رع » مع أحد أبناء « امنحوتب الثانى ٠ ولم يكن صاحب الحق الأول فى تولى عرش أبيه ، ذلك هو الذى جلس على عرش مصر تحت اسم « تحوتمس الرابع » ٠ والدليل على ذلك تلك اللوحة الجرانيتية الكبيرة التى لاتزال قائمة فى مكانها الأصلى بين ذراعى « أبى الهول » بمنطقة أهرام الجيزة ٠ ويقول النص المنقوش على اللوحة : « ان الأمير تحوتمس كان قد أستقل عربته عند الظهيرة وأخذ يطارد قطيعا من حيوان الصحراء مع اثنين من اتباعه ووصل فى مطاردته الى منطقة الجيزة وكان التعب قد غلب عليه فأوى الى الظل بجوار تمثال « أبى الهول » وهو احدى صور الاله « رع » فأخذته سنة من النوم رأى فيها الآله المبجل يتكلم بفمه كما يتكلم والد مع ولده قائلا :

« والدى تحوتمس ! ٠٠ تأملنى جيدا فأنا أبوك « حور ٠ أم أخت ٠ خبر رع ٠ أتوم » أنى واهبك ملكى على الأرض لتكون سيدا على الاحياء ، ولسوف تتوج بالتاجين الأبيض والأحمر لتجلس على عرش « جب » وستكون لك الأرض كلها ، وكل ما تضيئه عين رب الجميع ٠٠٠ وستكون لك خيرات القطرين وجزى البلاد جميعا ٠٠٠ أنى موليك وجهى فكن حفيظا على شئونى ٠٠٠ وأعلم أن الاعياء قد دب فى أعضائى كلها ، أن رمال الأرض التى اعتليها قد غمرتنى فأرفعها عنى وأنى أعلم أنك ستنفذ رغبتى ، أنك ولدى وانى معك ومرشدك » ٠

ونجحت المحاولة وتربع « تحوتمس » على عرش البلاد وأخذ يشيد بمناقب « رع » متغاضيا عن آمون ، وسار على نفس السياسة ابنه « امنحوتب الثالث » الذى بدأ حياته من أكثر المؤيدين « لرع » ولكنه ما لبث أن اضطر الى مهادنة كهنة « آمون » ٠

ولد « أخناتون » من « أب ملكى هو « امنحوتب الثالث » ومن أم تنتمى الى الشعب وهى « تى » ، وكان ذلك فى أحد أيام عام ١٣٨٠ قبل الميلاد • ولد وقد تسمى باسم « أمنحوتب » يعنى « آمون راضى » وهو الرابع من ملوك الأسرة ١٨ الذين حملوا هذا الاسم • ولد « أخناتون » وكان قد مر على زواج « تى » من « امنحوتب » ٣ أعوام طويلة ، تربى وشب عن طوقه فى بلاط صاخب كله مجون وعبث ــ وكان أبوه قد ناء كاهله تحت أعباء حياة الترف التى عاشها ، ولد « أخناتون » طفلا هزيلا ، ضعيفا وتراكمت عليه الأمراض ولازمته طوال حياته يدل على ذلك تركيب جسمه الغريب • فوجهه كان نحيفا الى درجة الهزال ، طويلا برزت عظامه وتدلت ذقنه ، واتسعت مقلتا عينيه ، وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خفيفة أن دلت على شىء فهى تدل على طيبة قلب وحب للسلام ، وحمـــــل رأسه الكبير عنق طويل فوق كتفين ضيقين منحدرين ، وتميز جسمه ببطن كبيرة متهدلة ، كما كانت فخذاه متضخمتين أما الساقان فكانتا رفيعتين بشكل ملحوظ • واذا كانت هذه هى الصفات العضوية لأخناتون فقد كان ولا شك أيضا شديد الذكاء مرهف الحس ، ذا عقل راجح ونفس صافية ، يمقت الكذب وينشد الصدق فى كل شىء ، فقد كان يميل الى معرفة الحقيقة فى أدق مظاهرها •• وتعلق بشدة فيما سماه المصريون « ماعث » وقصدوا بهذا التعبير « الحقيقة ــ الصدق ــ العدالة » فى أعلى مراتبها ، وكان أخناتون يؤكد أنه يعيش على « الماعث » وان الهه كان قانعا بتقديم الماعث كقربان له ، بل اختار من بين القابه : « العائش على الماعث » وسمى عاصمته الجديدة « مقر الماعث » •

يبدو أن « امنحوتب الرابع » « أخناتون » نشأ فى أرمنت القريبة من طيبة (وهى التى عرفت باسم هيليوبوليس مصر العليا) وان كهنـــة من اتباع مدرســـــة لاهوت هيليوبوليس قاموا على تعليمه وجعلوه يتعمق فى دين « رع » ، ونحن نعتقد أن سنه الصغيرة لم تسمح له بالتوجه الى « منف » لاستكمال تعليمه الدينى والقيام بالتدريبات العسكرية وذلك حسب التقليد الرسمى منذ أول الأسرة ١٨ ، وأقول سنه الصغيرة لأننا نعلم أنه حكم ست سنوات مشتركا مع والده ، ثم ما يزيد قليلا عن ثلاثة عشر عاما بمفرده وانه مات غير متجاوز سن الثلاثين ويعنى هذا أنه أخذ يتحمل اعباء الحكم وهو فى سن لا تزيد على الاثنتى عشرة سنة •

ولعل هذا يجعلنا نتساءل : هل لصبى فى مثل هذه السن المبكرة أن يتحمل اعباء ثورة عاتية يقف فيها بمفرده أمام أكبر قوة عرفتها مصر وهى قوة كهان آمون ؟ ليس من شك فى ان اخناتون لم يقف بمفرده فى ميدان المعركة وبخاصة فى السنين الأولى من حكمه ، ونحن نحس بأصابع أمه « تى تتولى توجيهه نحو الطريق الذى اختارته له ، وهو الطريق الذى يضمن تنفيذ سياستها التى تهـــدف الى ايجاد موازنة بين

سلطان الملك وقوة وجبروت كهان « آمون » الذين لا يقنعون بشىء ولا يفتأون يطالبون بالمزيد ، خاصة ولان الجالس على العرش صبى ضعيف الجسم معتل الصحة اعتقدوا أنه لن يستطيع الثبات أمام مطالبهم التى لا نهاية لها ٠ لم تكن «تى » ترغب فى القضاء على « آمون » كما أنها لم تفكر مطلقا فى ابراز عقيدة « رع » فى اطار يخالف ما عرفه المصريون عن هذا الآله منذ أقدم العصور ٠

وفى الواقع كان الاتجاه فى عصر الفترة الأولى من حكم « أخناتون » ينحصر فى الاعتراف بالآله « رع » بجانب « آمون » على أساس الصورة الجديدة له تحت اسم « أتون » ، وان يدخل هذا الآله ــ حاله فى ذلك حال كثير من الآلهة ــ فى معبد ويعبد فيه بجانب « آمون » ٠ ورضى كهنة « آمون » وسمحوا للملك ان يبنى معبدا كبيرا لآتون فى حرم الكرنك ، ومن الواضح أن الملك كان فى ذلك الوقت يتسمى باسم يدخل فى تركيبه اسم « آمون » أو « امنحوتب » ، كما أنه حدد القابه الرسمية على أسس التقاليد القديمة المتوارثة وهى : ــ « الفحل القوى ، المحبوب من الآلهتين ، الصقر الذهبى ، صاحب التيجان الملكية ، ملك الصعيد والدلتا ، ابن الشمس ، امنحوتب الحاكم المقدس لطيبة الابدى ، المحبوب من « آمون رع » ٠

● الملكة نفرتيتى زوجة وملهمة اخناتون :

تزوج « امنحوتب الرابع : بشابة جميلة اسمها « نفرتيتى » ويعنى اســـــمها « الجميلة تتهادى » ، وكانت زيجة حب وهيام ، فقل ان نجد منظرا (فى مقبرة أو فى معبد) الا الملك والملكة يقفان أو يجلسان متجاوران ٠ ونحن لا نستطيع حتى الآن البت فى نسبة نفرتيتى الى الأسرة المالكة ، فهناك من يؤكد أنها ابنة « امنحوتب الثالث» من زوجة غير شرعية ، وهناك من يؤكد قرابتها من رجل لعب دورا رئيسيا فى هذه الفترة ٠ نقصد به « آى » الذى حمل ألقابا متعددة ٠ لقد بدأ ولا شك رجلا عاديا ينتمى الى البلاط ثم تزوج من سيدة رفيعة الشأن فى البلاط الملكى ، نقصد بها « تى » (وهى غير الملكة تى زوجة امنحوتب ٣) التى اعتزت اعتزازا كبير بلقبها « مرضعة نفرتيتى »٠ نحن لا نشـــك أن « نفرتيتى » لم تقف وراء زوجها وتســـاعده فى دعوته الجريئة (بالنسبة الى العصر الذى نحن بصدده) وهى دعوة الوحدانية ، بل نســـتطيع أن نقول أنها كانت الملهمة له فى هذه الدعوة وذلك للاسباب الآتية :

أولا : بقى الملك باسمه « امنحوتب الرابع » فترة طويلة يعيش فى عاصمة البلاد طيبة وهى الحصن المنيع لعقيدة آمون ٠

ثانيا : فى مقبرة الوزير « راموزه » بطيبة يوجد منظر يمثـــل الملك مع زوجته

نفرتيتى وهما يقلدان الوزير بعض الهدايا ويقوم بعد ذلك الوزير بتقديم بعض الرؤساء الأجانب للملك · وفوق هذا المنظر نجد نصا مكتوبا يقول : « هذه كلمات « رع » القيها عليك ، ان الاله علمنى معناها ،وكشف لى عن خباياها ، وهذه الكلمات عرفها قلبى وانشرح لها صدرى ·

فأجابه الوزير : « انك الوحيد الذى اختاره « آتون » لكى يلقى اليه بتعاليمه ، والخوف منك يملأ قلوب الناس ، والجبال تستمع اليك كما يستمع الناس » ·

وهذا الحديث يعتبر ولا شك المرة الأولى التى بدأ الملك يفصح عن نواياه ، وحدث هذا وكان قد تزوج من نفرتيتى وانجب منها طفلته الأولى ·

ثالثا : من المعروف أن المعبد الكبير الذى بناه « اخناتون » فى حرم الكرنك ، قد هدمه الملك « حور محب » أول ملوك الأسرة ١٩ ليمحو كل أثر من اثار الآتونية وعثر على أحجار هذا المعبد ، وقامت بعثة بمحاولة دراسة هذه الكتل الحجرية (بلغ عددها أكثر من ٤٠ ألف كتلة صغيرة من النوع المعروف باسم (الثلاثات) واستطاعت هذه البعثة أن تصل الى كشف هام وهو أن هذا المعبد الكبير كان يحوى فناء واسعا أنتشرت فيه صفوف أعمدة عالية نقش على الواجهات الأربع لكل عامود مناظر تمثل « نفرتيتى » بمفردها ، أى بدون زوجها ، تقوم بتقديم القرابين تحت أشعة آتون التى تمتد وكل شعاع منها ينتهى بيد بشرية تقبض على علامة « الحياة » أو « الصحة » أو « السؤدد » ·

ومن الغريب حقا أن هذه الاعمدة كانت مخصصة فقط للملكة وبناتها ولم يعثر على أى أثر « لاخناتون » الذى قل ان وجد له منظرا دون أن تكن زوجته معه · من هنا يمكن أن نعتقد مدى استقرار عقيدة آتون فى نفس الملكة · بل ومدى الحماس الكبير الذى كان يهيمن عليها بالنسبة لها ·

رابعا : ذكرت سابقا أن مرضعة الملكة « نفرتيتى » وكان اسمها « تى » تزوجت من رجل اسمه « آى » لعب دورا رئسيا فى نشر عقيدة التوحيد ، ووصل الأمر به أنه يسجل الأنشودة الكبرى التى تمجد « آتون » والتى اعتبرت بمثابة الأساس الذى قامت عليه هذه العقيدة الجديدة · وهى الأنشودة التى قال عنها المؤمنون بهذا الدين أن اخناتون لم يحاول مرة أن يطلعهم على نصها · سجل « آى » هذه الأنشـــودة على جدار مقبرته فى جبانة « تل العمارنة » (المقر الجديد للديانة فى مصر الوسطى) ·

لا شك أن علاقة « نفرتيتي » بهذه الشخصية الهامة كانت واضحة ولا شك أيضا

انها ساعدت « آى » لكى يفوز بلقب هام هو « الاب المقدس » ولم يحدث هذا الا على اساس تفانيها فى نشر هذه العقيدة ٠

خامسا : من المعروف أن عداء كهنة آمون لاخناتون بلغ حدا جعل الملك يخشى على حياته ولذلك نراه يسارع بعد العام السادس من حكمه الى ترك عاصمته طيبة وان يلجأ الى عاصمة جديدة أطلق عليها اسم « آخيتاتون » (أى أفق آتون) وهى التى تعرف حاليا باسم « تل العمارنة » ٠ وكانت حياة اخناتون مع زوجته الحبيبة الى نفسه « نفرتيتى » وأطفالهما هادئة وتغمرها السعادة وتمر سنوها فى التعبد لآتون والتنزه فى حديقة القصر ،وامتلأت المناظرالتى سجلها عظماء هذه الفترة ورجالات الدولة الذين هاجروا مع الملك الى العاصمة الجديدة ، على جدران مقابرهم ، باخبار الأسرة المالكة ويبرزون فيها مدى السعادة والهناء اللذين يهيمنان على هذه الأسرة ٠

وفجأة وفى العام الثانى عشر من هجرة الملك ونفرتيتى الى العاصمة الجديدة نقرأ « أخبار زيارة الأم الملكية « تى » لابنها فى عاصمته « اخيتاتون » مسجلة على جدران مقبرة أحد عظماء الدولة وهو المدعو « حوى » ويبدو من هذه « التسجيلات » أن الأمور كانت تسير من حيث المظهر الخارجى فى اطار ودى الا أن هـــذه الزيارة حملت بين طياتها أهدافا أخرى ، اذ لا يمكن أن تحدث هذه الزيارة فى العام ذاته الذى بدأ فيه « أخناتون » يغير سياسته نحو « آمون » ومهادنة كهنته فأوفد « سمنخ كارع » الذى زوجه من ابنته « مريت آتون » الى طيبة ، لكى يبدأ المفاوضات ولتهدئة الحالة ، وليس من شك أنهما توجها اليها تحت ضغط شديد من الأم الملكية « تى » وبعد أن أوضحت سوء الحالة الى ابنها ٠٠ ولم يكمن الخطر فقط فى الانقسامات المذهبية ، بل فى الثورات التى تفشت فى مستعمرات مصر بآسيا ٠

كذلك حدث فى أعقاب هذه الزيارة للام الملكية « أخناتون » أن حدث شقاق كبير بين الملك وزوجته « نفرتيتى » واتسعت الهوة بين الزوجين الحبيبين الى درجة أن الملكة تركت القصر ولجأت الى منزل يقع فى أقصى الشمال من المدينة ، ثم أخذ أخناتون فى معاقبتها ، ولعل أشد عقوبة منيت بها أنه حرمها من لقبها التى اعتزت به وهو « نفر ــ نفرو ــ آتون » أى « جمالها من جمال « آتون » امعانا فى ايذائها اسبغ هذا اللقب على زوج ابنته المدعو « سمنخ ٠ كا رع » واشركه معه فى الحكم ٠

فترة عصيبة ولا شك ، لا بد وانها جعلت الملك الفيلسوف العاشق لآتون والمحب للسلام ، الذى كره الحرب وحاول جهد استطاعته أن يمجد الحق ويرفع من شـــأن « الماعت » جعلته يئن تحت عبء ثقيل من المسئوليات ويجسم على صدره شعور بخيبة الأمل لا حد له ٠٠ ينظر حوله فيرى حبيبته المفضلة نفرتيتى لا تستطيع أن تتفهم ما

يجرى فى البلاد وترفض أن تتخلى عن العقيدة الجديدة التى وقفت بجانب زوجهـــا لسنين عديدة لنشرها واقناع العالم المتحضر باتباعها ثم تصل فى معارضتها له الى درجة أن تهجره وتذهب الى دار صغيرة فى شمال العمارنة تشاركها الحياة فيهـــا ابنتها « عنخ · اس · با · آتون » وأمير صغير هو « توت عنخ آتون » الذى تزوج ابنتها فيما بعد ·

لابد أن هذه المشاعر كانت تطحن جسمه العليل طحنا ولابد أيضا أنه قد مات فى أعاقب هذه السنة مباشرة · مات اخناتون واختفى دون أن نعلم ما حدث له فى نهاية عمره ، ولو أننا نرجع أن موته حدث نتيجة لمؤامرة دبرت لقتله ·

اختفى اخناتون واختفى معه شريكه فى الحكم « سمنخ · كا · رع » ولعل أهل طيبة أعتدوا عليه وقتلوه بعد أن تخلصوا من اخناتون ونحن لا ندرى مصير الزوجة الملكية « نفرتيتى » ولا بد أن هذا المصير كان على غرار مصير زوجها وزوج ابنتها فاختفت هى الاخرى بعدهما بفترة قصيرة ·

ليس من شك أن « اخناتون أراد أن يقدم للبشرية دينا يعتنقه كل الناس فى كل البلاد ، ويجعل هذا الدين يحل محل القومية المصرية التى التزمها واعتز بها أهل مصر منذ أول العصور ، وليس من شك أيضا أن « نفرتيتى » قد كانت من أهم العناصر التى الهبت حماس الملك المصرى ليستمر فى دعوته ، ولعلها كانت أيضا الملهمة له ، وقـد وصلت فى عقيدتها الجديدة حدا من الاقتناع جعلها تضرب بكل حبها ومشاعرها نحو زوجها ، عرض الحائط ، وتهجره · ولعلها كانت تعتقد أنها قادرة بذلك على اجبار زوجها أن يستمر فى دعوته ولا يتخاذل أمام جبروت آمون وكهنته ···· ان أخناتون ولا شك قد سبق العصر الملائم لظهوره بعدة قرون ،فلا غرابة اذا كان المواطن فى ذلك العصر لم يفهم مغزى ديانته ولم يستطيع التعرف على كنهها ·

● **معبد أبو سمبل** : رمزا لحضارة مصر القديمة والحديثة ·

معبد أبو سمبل أهم وأروع وأجمل آثار رمسيس الثانى فى بلاد النوبة · رمزا لحضارة مصر القديمة والحديثة · فى الصخرة المشرفة على مياه النيل من الشاطىء الغربى ٢٨٠ كم جنوبى أسوان توجد أكبر معجزة عرفها التاريخ القديم والحديث ·

مدخل المعبد المنحوت فى الصخرة تحرسه تماثيل أربعة للفرعون ، ارتفاع كل منها ٢٠ م ، نحتها الفنان المصرى نحتا بارعا فأبرز فيها معالم الوجه المشرق وجعل على رؤوسها تاج فرعون وأبرز الحية المقدسة من جبهته فى وضع متحفز فى وجه كل من يمد يده للفرعون بالسوء ·

فى الوسط تمثال لمعبود الدار ــ رع حور آختى ــ رب المشرق فى شكل آدمى يزدان معرفة بقرص الشمس ، وتطل أيضا من جبينه الحية المقدسة ، وقد ولى وجهه قبل المشرق ، ووقف عن يمينه ويساره يقدم اليه « رمز العدل » نحت الفنان المصرى بعض الظواهر الطبيعية التى تصاحب شروق الشمس ، فنجد فى أعلا واجهة المدخل مجموعة من القرود تهلل لطلعة الشمس ·· واستكمل الفنان المصرى الصورة الرائعة بتلك التماثيل التى وضعها فى اطار جميل لأسرة فرعون تجمع بين الأم والولد والأميرات ·

ومن أمام المدخل رحبة واسعة على جانبيها عدد من التماثيل ، منها ما يصور معبود الدار ومنها ما يصور رمسيس · وفى الطرف الشمالى من الرحبة مقصورة للمعبود ، رع ــ رمز الشمس عند المشرق كان بها مذبحان ومسلتان وتماثيل لأربعة قرود نقلت كلها الى متحف القاهرة · وفي الطرف الجنوبى من الرحبة مقصورة للمعبود « تحوت » رمز المعرفة والحكمة ·

ومن وراء المدخل نحت البناء المصرى قاعة الأعمدة الكبرى مربعة الشكل بهـا ثمانية عمد ، وعلى وجه كل منها تمثالا لفرعون بهيئة المعبود أوزوريس · ويزدان سقف هذه القاعة بصور الرجمة وكأنها تحمى القاعة وتحمى اسم فرعون المنقوش فى سمائها · وعلى جدران هذه القاعة صفحات تصور مناظر مختلفة لمعركة « قادش » وكيف انتصر فيها جيش مصر بقيادة رمسيس الثانى · وفى جوانب هذه القاعة نحت البناء المصرى ثمانى غرف لحفظ القرابين ، وتلى قاعدة الأعمدة الكبرى قاعة أصغر لا يدخلها الا الكهنة بها ، أعمدة غطيت حوائطها بصور دينية تمثل الفرعون فى حضرة المعبودات يقدم اليها القرابين وينال منها جزاء ما قدمت يداه ·

ثم ينتهى المعبد بآخر تنتهى قاعاته بقدس الأقداس وفيه تمثال صـــاحب الدار ومعبودها الأول ــ رع حور أختى ، وقد استضاف معه معبودتين من معبودات الوادى أحدهما آمون ــ رع صاحب طيبة ، والثانى بتاح صاحب منف ·

والى الشمال نحت الفرعون معبدا آخر للمعبودة ــ حاتحور ، وجعـــل معها زوجته الأولى نفرتارى · والمعبد منحوت كله فى الصخر ، تزين واجهته تماثيل ستة منها أربعة للملك ، واثنان للملكة فى هيئة المعبودة ــ حاتحور يعلوها تاج على هيئة قرص الشمس · ويؤدى المدخل الى قاعة فسيحة يرتفع سقفها فوق ستة أعمـــدة ضخمة يتوجانها رأس المعبودة حاتحور ، وتزدان حوائط هذه الصالة بمناظر تمثل فرعون وهو يضرب أعداءه ، وأخرى تمثله وزوجته يحمـــلان القرابين للمعبودات ويسألانها كل ما يتمناه ·

وفى منتصف الحائط الغربى باب زين جبهته بقرص الشمس وحيتين وجناحى طائر ٠ فالشمس كوكب مقدس مصدر النور والنار ، والحية فى فمها سم قاتل تنفثه موتا فى وجه المعتدين والجناحان للحفظ والحماية يحمى بهما الطائر فراخه ٠ ويؤدى هذا الباب الى صالة توصل الى قدس الأقداس حيث يوجد تمثال المعبودة حاتحور ٠ هذا هو المعبد وهذا هو التاريخ ، وتلك هى **المعجزة الأولى ٠**

أما معجزة العصر الحديث فانه حينما بدء انشاء السد العالى عام ١٩٥٩ وجد أن مياه التخزين بعد انشاء السد ستغمر المعبدين ، فوجهت مصر نداء الى دول العالم وشعوبه وهيئاته لتشارك فى اتخاذ الوسائل لانقاذ آثار النوبة والابقاء على آثار المعبد ٠ وفى عام ١٩٦٠ وجهت اليونسكو نداءها التاريخى ناشدت فيه العالم أن يشارك فى هذا العمل الخالد ٠٠٠ وقد كان ذلك الشعور العميق بصلة الانسان بتاريخه ٠ وتم وضع حجر الأساس لمعبدى أبو سنبل فى موقعهما الجديد فى ١٩٦٦/١/٢٦ ٠ ويتلخص المشروع فى نقل المعبدين الى أعلا الهضبة مرتدين الى الخلف حوالى ٢٠٠ م وبنفس الوضع القديم دون احداث أى تغيير فى بناء المعبدين ، وقد قام بتنفيذ هذه المعجزة الهندسية ــ جوينت فنشر أبو سنبل ــ وهى ٦ شركات اتحادية عالمية ٠ وساهمت وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة بمجهود كبير للعمل على تنفيذ المشروع ، حيث بدأت الشركة العمل فى نوفمبر ١٩٦٣ وانتهى فى أغسطس ١٩٦٨ ٠

● الألوان والوحدات الزخرفية فى الفن المصرى القديم :

اتخذ المصريون القدماء الوحدات الزخرفية من العناصر النباتية كزهرة البشنين والنخيل والبردى والاكوحان والزنبق والعنب والفاكهة والخضر ٠ كما اتخذوا فى زخارفهم صور المعبودات وأنواع الحيوان والطيور التى عبدها المصريون ومنها ٠ العجل والثعبان والحية والصقر القط والأرنب والحصان والبط وقطعان الغنم والحمير، كذلك استعملوا مناظر من الحوادث التاريخية ومناظر الحياة اليومية والطقوس الدينية وغيرها كما اتخذوا الزخارف من الرموز كقرص الشمس والنجوم والصولجان ومفتاح الحياة وشارات الملك ٠ واستعملوا الأشكال الهندسية وأضافوا اليها الشرح والبيان باللغة الهيروغليفية التى كان لظهورها أثر بالغ فى الجمال ٠

وقد استعمل قـــــدماء المصريون فى زخارفهم الألوان التى تمتاز بصـــفائها ووضوحها ، فاستعملوا اللون الأحمر والأصفر الزاهى والأســـود والأبيض والبنى والأزرق فى عهد الدولة القديمة ٠ كما اســـتعملوا اللون الأحمر الغامق والأزرق الفيروزى والأخضر النحاسى والأزرق السماوى وتزينها بنجوم بيضاء أو ذهبية ٠ واستمر استعماله حتى أدخل البطالسة اللون الأخضر بدلا من اللون السماوى فى

تلوينها · ثم أدخل الرومان الألوان الوردى والرمادى والبنفسجى · وكان للتهذيب أهمية كبرى فى صناعة الأثاث والتوابيت والعربات الملكية والعروش وفى زخارف المعابد والمقابر وكانت الفنون بصفة عامة تقوى بقوة الملوك وتضعف بضعفهم ·

● المقابر : Tombs

تنقسم الى ثلاثة أنواع · الأهرامات الملكية ـ المصاطب المقــابر :

الأهرامات : Pyramids

أهرامات الجيزة ـ أنشئت فى عهد الأسرة الرابعــة ٢٧٣٣ ـ ٢٥٦٦ ق·م· أنشئت هذه الأهرامات كمقابر للملوك للاحتفاظ بأجسادهم فيها لاعتقادهم فى عودة الروح اليهم ·

فى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد بدأت فترة جديدة فى تاريخ مصر تعرف بعصر بناة الأهرام وتشمل الدولة القديمة التى تبدأ بالأسرة الثالثة الفرعونية التى بدأت صفحة خالدة فى تاريخ العمارة المصرية ، فقد كانت فترة الأسرتين الأولى والثانية فترة للاستقرار وتدعيم الأسس الحضارية التى قامت عليها نهضة الأسرة الثالثة · وظهر فى هذه الأسرة رجل من كبار موظفى الملك « زوسر » ، كبير كهنة عين شمس هو المهندس العبقرى « ايمحتب » استخدم الحجر لأول مرة بدلا من الطوب النىء الذى كان يستخدم فى عصر الأسرتين الأولى والثانية وعلى نطاق واسع فى بناء المقبرة الملكية للملك « زوسر » على شكل هرم مدرج فى منطقة سقارة ·

وبعد ذلك نرى تطورا جديدا فى بناء الأهرام ، اذ حاول مهندسوا « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة أن يشيدوا له قبرا فى منطقة دهشور ـ ٨ كم جنوب سقارة فى صورته الهرمية ، وكانت النتيجة ذلك الهرم المنكسر الأضلاع المعروف باسم الهرم المنحنى ، حيث يعتبر من الناحية المعمارية تحفة فنية · والى شمال هذا الهرم على مسافة تقل عن ٢ كم نجد الهرم الثانى لسنفرو الذى يعتبر أول هرم فى تاريخ العمارة المصرية ، وارتفاعه ٩٩ م وطول ضلع قاعدته ١٢٠ م وزاوية ميل أضلاعه ٤٣ درجة ·

تقع جميع الأهرامات التى بنيت فى عصر الدولة القديمة والدولة المتوسطة فى الصحراء الغربية ، بين أبى رواش بمديرية الجيزة شمالا ومديرية الفيوم جنوبا : وقد كانت مجموعة كل هرم من الدولة القديمة تتكون من عدة أبنية ، لكل مبنى وظيفة خاصة به وأهمها الهرم نفسه ، حيث يدفن الملك (يرجى أن تنظر اللوحة رقم ٦٧ ·

وبالدراسة وجد أن الهرم يتبعه من الجهة الشرقية معبـــد جنائزى ، تقام فيه الصلوات على روح الملك وتقدم القرابين · ولما كانت الأهرامات تقام على ربوة عالية فى الصحراء ، فللوصول اليها كان يشيد على حافة المزارع المجاورة للصحراء معبدا آخر يسمى معبد الوادى « Vailey Temple » يتصل هذا المعبد بالنيل بواسطة قناة تعبرها المراكب ، ينزل منها الزوار الى مراس أعدت أمام المعبد ، فيتجمعون فيه ويتطهرون ، ثم يسلكون طريقا مرصوفا ومبنيا على شكل نفق مقفول من جانبيه بحوائط تحمل سقفا يدخل الضوء منه عبر فتحات فيه ، شكل ٦٨ ·

يجاور هرم الملك أهرامات صغيرة تدفن فيها الملكات ، وكان الأمراء وكبار رجال الدولة يبنون مقابرهم حول أهرامات ملوكهم ، وقد أطلق علماء الآثار على هذا النوع من المقابر اسم « مصطبة » حيث تشبه المصاطب التى تبنى فى الريف حاليا ·

وأهم ما يلاحظ فى أهرامات الأسرة الرابعة المراكب المقدسة ، منقوشـــة فى الصخر قرب الهرم على شكل مركب الاله رع · فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن الاله رع ، وهو اله الشمس ، يجوب السماء ليلا ونهارا فى مركب يرافقه فيها بعض الآلهة ، وان الملك عندما ينتقل الى الدار الآخرة ينضم الى مركب الاله رع فى تجواله ، فنقشت هذه المراكب بجوار الأهرامات رمز لذلك ·

ومن الطريف أن هذا الاعتقاد استمر لفترة طويلة بعـــد ذلك ، فأخذ المصريون يضعون فى القبور مع موتاهم مراكب صغيرة ترمز لهذه الفكرة ، ونجـــد فى أيامنا هذه مراكبا تصنع فى الموالد من ورق ملون ، وتعلق داخل أضرحة الأولية والمشايخ بالريف ، ابقاء لعادة قديمة بعد أن نسى الناس معناها ·

لقد تضاربت النظريات عن طريقة رفع الأحجار الى هذه الارتفاعات الكبيرة فى بناء الأهرامات ، ولكن من الأرجح أن المصريين استعملوا جسورا من الخشب منحدرة الأسطح ، تنزلق عليها الأحجار الى أعلى بواسطة زلاقات من الخشب تجرها الدواب أو الرجال ·

بنيت جميع أهرامات الدولة القديمة من أحجار المنطقة الجيرية ، وهى ليست أجود أنواع الحجر فى مصر ، وذلك استعمل الجرانيت فى الأماكن المهمة من حجرة الدفن وفى الأجزاء السفلى من الكساء الخارجى ، واستعمل حجر الألبستر لرصف الأرضيات فى المعابد ولصنع موائد القرابين · ومما يستحق الذكر أن منظر الأهرامات والشكل الخارجى الآن غير منتظم السطح · والواقع أن جميع أوجه الأهرامات كانت

مكسوة بالحجر الجيرى الأبيض ، المستخرج من طره فى البر الشرقى للنيل ، وقــد أزيلت هذه الأحجار فى القرون الوسطى وأستعملت فى أعمال البناء ، ويقال أن مسجد السلطان حسن بالقاهرة نقلت أحجاره من كسوة الهرم الأكبر ٠

أقيمت الأهرامات بصفة عامة على مصطبة من أحجار ثابتة ، وأشهرها أهرام الجيزة وأعلى هذه الأهرامات هرم خوفو ويبلغ ارتفاعه ١٤٦ مترا ، وعندما شيدت الأهرامات لم تكن منعزلة كما تبدو الآن ، بل كانت جزءا من مجموعة تتألف من ممر واسع فى الوادى وممر مسقوف يصعد الى النجد الصحراوى ، وامتازت أهرامات الأسرة الرابعة بضخامة نسبها وأشكالها الهندسية وتخلو جدرانها من النقوش ، وتجد مثلا نموذجا لهذا الفن المعمارى ولهذه البساطة فى مدخل هرم خفرع الذى أطلق عليه لقب معبد أبو الهول بسبب قربه من أبى الهول وهو عبارة عن صخرة منحوتة تمثل الملك خفرع ٠ وقد صغرت أحجام الأهرام فى الأسرة التالية ولكن ذلك الطراز الذى أنشىء فى المبانى الضخمة بقى مع ظهور بعض التعديلات ، فالجدران الداخلية التى كانت عليها زخرفة بالنحت البارز وفى المدخل ، كما أن جدران الممرات الداخلية وحجرة التابوت مزينة بنقوش هيروغليفية ٠ وكان من شأن استعمال الحجر بأحجام ضخمة فى البناء أن نشأ طراز خاص لم يتحلى فى مظاهره الأولى الا بجمال المادة المحلاة سواء فيها الأحجار أو الجرانيت الأحمر أو المرمر الأســـــود ٠ ولم تظهر الزخرفة الا متأخرة وظهرت فى أول الأمر على المسطحات من الداخل الى أن وصلت خارجيا وحملت معها النقوش والألوان المختلفة ٠ وقد يكون من المناسب شرح هــرم الجيزة الأكبر بالتفصيل حتى يمكن معرفة الغرض الذى أقيم من أجله ٠

العمارة والفن فى المملكة القديمة : Art & Architecture of the Old Kingdom

ان أسلوب الطراز Style وجماله الذى ظهر لأول مرة على لوحة الملك نامر ٣١٠٠ ق٠م شكل ٥٣ ٠ يوضح لنا الخطوط الأساسية التى سار عليها الفنان المصرى القديم فى العصور الأولى للمملكة القديمة ٠ فالأشــكال التى ظهرت على وجهى اللوحة ، والتى شرحها بالتفصيل ، تحدد دقة النسب والتوزيع السليم ، وارتباط وانسجام الحوادث بعضها ببعض بلمسات فنية بارعة وتشريح دقيق للاجسام الآدمية ٠

ظهر هذا الأسلوب المسمى « بالطراز » أكثر وضوحا وجمــالا بظهور الأسرة الثالثة وخاصة أيام حكم الملك زوسر ــ ٢٦٥٠ ق٠م٠ ظهر لأول مرة ذلك الأســلوب التكوينى الانشائى للمقبرة الملكية والمسمى « بالمصطبة » ، وهى عبارة عن أكمة مربعة الشكل أوجهها الخارجية بالطوب أو الحجر تعلو حجرة الدفن العميقة فى باطن الأرض

لها مجرى أو ممر هوائى يصلها بالخارج مارا بجسم المصطبة . وداخل المصطبة معبد صغير يقدم فيه العطايا والقرابين للروح وسرداب سرى ، للتمثال . ثم تطورت هذه المصاطب فى عهد الأسرة الثالثة الى الأهرامات المدرجة . وأوضح مثل هو هرم زوسر المدرج شكل ٥٩ الى ٦٣ وكذلك المعابد الجنائزية والقصور الملكية التى أنشئت حول الهرم من تصميم المهندس الأول ايمحتب ، وهو أول مهنـــدس معمارى فنان عرفـــه التاريخ .

وصل هذا التطور أقصى مداه فى عهد الأسرة الرابعة ، عصر بناة الأهرامات ، خوفو ، خفرع ومنقرع ٢٥٧٠ ـ ٢٥٠٠ ق.م. يرجى أن ينظر شرح الأهرامات بالتفصيل والصور والرسومات الخاصة بها . وترمز هذه المنشآت الضـــخمة الى قوة هؤلاء الفراعنة فى هذا العهد من مجد وسؤدد ، كما تعبر عن مبلغ التقدم الفنى وتصوره ، كما صورها البعض بأنها ترمز الى عهد التحكم والسلطة فى تســـخير آلاف العمال بقسوة وغلظة ، ولكن فى الواقع وحقيقة الأمر أن هناك بعض الوثائق التى توضح أن هؤلاء العمال كانوا يتقاضون أجورهم بسخاء ، وكانوا يقومون بمثل هذه الأعمال عن رضى ورغبة فى التقرب الى الفرعون الذى يشفع لهم فى الحياة الأخرى .

وخلال عصر الأسرتين الخامسة والسادسة شهدت أســـاليب العمارة تطورا وانقلابا هاما حيث لم تعد تعتمد على الاحجام الهائلة الضخمة ، انما صار اعتمادها الأساسى على عنصر الزخرفة . وهنا ظهرت الأعمدة المشكلة على هيئة زهرة اللوتس أو براعمها المقفلة أو زهرة البردى أو أفرع قمم النخيل .

ومنذ أن استقرت القواعد الفنية للطرز المصرية .. أخذ المهندسون يضيفون على مبانيهم ذوقا وفنا ووضوحا باستقامة الخطوط والاتجاهات والتقليل من الانجناءات والتعقيدات وتأكيد المحورية .

هذا فيما يتعلق بالأعمال والمنشآت المعمارية ، أو فيما يتعلق بالفن المصرى فى عصر المملكة القديمة فبلغ من السمو والرقى مالا يمكن وصفه تفصيلا .

وتعتبر لوحة نارمر أيضا نقطة البداية التى حدت الاتجاهات العامة للاسلوب الفنى المصرى القديم . وأصبح الفن هو الوسيلة لتسجيل الدور الذى تلعبه شخصية الملك فى المجتمع . ومن هنا جاء التزام الفنان بأن يوضح فى صوره ورسوماته أهمية المشتركين فى الحدث ، فيبرز مثلا أهمية الملك بشكل خاص يجعل الفارق بينه وبين أتباعه حقيقة ملموسة ، ويبرزها باعتبار الملك هو الممثل الأرضى للاله « حورس » رب

السماء · جعل صورة الاله أكبر من صورة الملك ، وتكبر صورة الملك صورة الوزير وتتضائل فى الصور أحجام معارضيه وأعدائه وهكذا ··

كذلك اضطر الفنان (*) أن يوضح حقيقة الجهد البشرى فى الحدث على أساس ملموس من الحقيقة ، بمعنى أن الجزء الأعلى من الجسم بما فى ذلك الصدر والذراعان هما العنصر الفعال ·· انه فى هذا الجزء تكمن القوة التى تباشر انجاز الحدث ·· بل من أجل ذلك رسم الفنان هذا الجزء من الأمام موضحا كل صـــفاته التشريحية ، مظهرا قوة عضلاته ·

واذا كان الفنان المصرى قد اضطر أن يرسم الجزء العلوى من جسم الانسان من منظور أمامى كمحاولة لابراز القوة التى أنجزت الحدث ، فهو أيضا رسم الجزء الأسفل من الجسم بما فى ذلك الساقان والقدمان من منظورهما الجانبى ليدلان على اتجاه الحـــدث ·

ومما لا شك فيه أن هذا الارتباط بالحقيقة كان العامل الأساس فى ارساء قواعد الفن المصرى ليس فقط بالنسبة الى صور الآدميين ، بل أيضا بالنسبة الى الصورة التى تمثل مختلف الأشياء الأخرى · ان نهجه فى تصوير الأشياء كان يحكمه رغبته فى أن يجعل الأشياء تبدو كما هى فى الحقيقة ، وليس كما يراها الناظر اليها وعندما يرسم الفنان صندوقا يحوى الأوانى فهو يرسمه كما لو كان شفافا يظهر محتوياته ، أو يرسمه وفوقه هذه المحتويات فى خطوط وأشكال وتكوينات وألوان يشع من خلالها الفن بكل ما يحمل من لهب فى توافق تام ·

نشير هنا الى **تمثال خفرع** ـ ٢٥٣٠ ق·م شكل ٤٦ الجالس على العرش ورمز الاله حورس على شكل طير خلفرأسه · ويدل هذا التمثال على أن الفنان المصرىالقديم أدرك بأحاسيسه التكعيبية فى التكوين والشكل للجسم الانسانى · وواضح أن النحات بدأ فى نحت هذا التمثال بالرسم على الوجه الأمامى ، والوجهين الجانبيين لقطعـــة مستطيلة من الحجر ، ثم بدأ يعمل بأزميله الى الداخل حتى تقابلت هـذه الأشـــكال المرسومة · وكانت النتيجة تلك القطعة الفنية الرائعة ذات البعد الثالث والتى لا يعادلها أى عمل فنى حتى عصرنا هذا · عمل ضخم يرمز الى القوة والثبات وتجسيد رائع للروح · وكذلك بالنسبة الى تمثال **الملك خفرع وملكته** ٢٥٠٠ ق·م شـــكل ٤٧ حيث تتجلى روعة هذا التمثال وجماله فى مقدرة النحات فى التمييز بين تفاصيل أجزاء جسم كل من الملك والملكة ، والتأكيد على جسم الملكة من خلال ذلك الرداء الشفاف ، بينما

(*) الفن أعظم عناصر الحضارة : بحث للدكتور
عبد المنعم أبو بكر ـ الاهرام ١٩٦٩/٨/١١

نرى أن النحات الذى نحت تمثال « رع حتب » وزوجته « نفرت » ٢٦١٠ ق٠م الموجودة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة ، اعتمد على استخدام الألوان الزاهية ، فصبغ جسم الأمير بلون غامق لتأكيد قوة الرجل ، كما استعمل حجر الكوارتز اللامع للعيون لكى تبدو طبيعية فيها تعبير وحيوية ٠

وتوضح لنا هذه الأمثلة ـ قدرة الفنان المصرى فى التعبير عن الشخصية ، وفى اظهار العناصر التشريحية لجسم الانسان بنسب بلغت حد الكمال ٠ هذا فيما يتعلق بالوضع الواقف والجالس للتمثال ، بعد ذلك نرى أنه قد أضيف وضع ثالث فى نهاية الأسرة الرابعة ، وهو الوضع الجالس القرفصاء على الأرض ، حيث نجد تمثالا لشخص غير معروف الاسم وهو المسمى **بالكاتب الجالس** ، ولكنه فى فى الحقيقة يرمز الى سيد مسئول من كبار الموظفين ، حامل للاختام وأسرار ومقدسات وخطابات الدولة ـ شكل ٥٦ ، وكانت هذه الوظيفة تسند فى بادىء الأمر الى أولاد الفراعنة ٠

● العمارة والفن فى المملكة الوسطى والحديثة :

Art & Architecture of the Middle & New Kingdoms

وتمثل الخمسمائة سنة التى تلت طرد الهكسوس من مصر ،والتى تشمل عهد الأسرات الـ ١٨ و ١٩ و ٢٠ العصر الثالث الذهبى لمصر الفرعونية ٠ حيث تم توحيد القطر مرة ثانية ، تحت قيادة وزعامة ملوك أقوياء ذو مقدرة فائقة فى تصريف الأمور ٠ وامتدت حدود الدولة الى أقصى الشرق الى سوريا وفلسطين حيث سميت الدولة فى هذا العصر الامبراطورية ٠ وأثناء هذه السنوات التى تميزت بالقوة والرخاء فيما بين سنة ١٥٠٠ ق٠م ونهاية حكم رمسيس الثالث ١١٦٦ ق٠م ظهرت مشروعات معمارية على جانب كبير من الأهمية تركزت كلها حول العاصمة الجديدة « طيبة » بينما وصلت المقابر الملكية الى درجة رفيعة عالية فى مجال الزخرفة والنحت والألوان والمواد الغنية للبناء ٠

اتخذ الحكم الملكى الالهى للفراعنة اتجاها جديدا وذلك باتحاد الاله آمون الذى انصهرت ذاتيته مع ذاتية اله الشمس رع ، وأصبح الأخير الاله الأعظم ، والذى يرعى جميع الآلهة الأخرى مثل ما ارتقى الفرعون على جميع نبلاء البلاد بالمحافظات الأخرى٠ ولكن هذا التطور الجديد هدد الحكم فى البلاد فجأة والهيئات الحاكمة المسئولة ٠ وغدت كهنة آمون تملك من الثروة والجاه والجبروت وأصبحت فى مركز القوة بحيث

لا يمكن للملك أن يستعيد ملكه أو يجلس على العرش بغير رضائهم أو قبولهم ٠

وحاول الملك أمنحتب الرابع أكبر شخصية عرفها التاريخ فى الأسرة الثـامنة عشر أن يهزم قوة الكهنة ويقوض أركانها بنشر دعوته الكبرى للدين الجديد ، اله واحد لا شريك له « آتون » قرص الشمس ، وغير اسمه من أمنحتب الذى ينتسب الى آمون الى أخناتون الذى ينتسب الى آتون ، وأغلق معابد آمون ، ونقل عاصمة الملك الى وسط مصر فى منطقة تل العمارنة ٠

ولم تدم محاولته لزعامته للدين الجديد غير فترة حكمه الوجيزة فى عمر الزمن ١٣٧٢ ــ ١٣٥٨ ق٠م وقويت سلطة الكهنة حتى بعد من تبع أخناتون فى الحكم ١٠٠٠ ق٠م ، وأصبحت البلاد تحت سيطرة رجال الدين وحدد الحكم الاغريقى والرومانى بعد ذلك نهاية مدينة مصر الفرعونية ٠

شمل كل المملكة الحديثة New Kingdom مجال واسع فى الطرز الفرعونية ، من الجمود والتحفظ الى التحرر والتجديد ، من الكتل الضخمة التى تعبر عن التظاهر الى الأعمال المهذبة الرقيقة التى تنم عن الحساسية والتذوق الفنى ٠ وقد يكون من الصعب تبويب مثل هذه الأعمال وتجميعها لتحديد نوعيتها ، ولكن يكفى هنا الاشارة الى بعضها وتذوق بعض النواحى الفنية فيها ٠

من أهم المنشآت التى كافحت أعاصير الزمن طوال هذه المدة حتى الآن **معبـــد الملكة حتشبسوت** الجنائزى ــ ١٤٨٥ ق٠م المتاخم للهضبة الصخرية بالدير البحرى الذى خصص لعبادة الاله آمون وبعض الآلهة الأخـــرى ٠ يتجه المتعبد الى قـــدس الأقداس ، وهى حجرة صغيرة نحتت فى باطن الجبل بعمق ، بالمرور فى ثلاث صالات كبرى متصلة بعضها ببعض بواسطة منحدارت وبوائك مغطاة ، طريق الموكب الجنائزى مشابه لنفس الطريق الذى استعمل فى الجيزة ، ولكن فى هذه الحالة يحتضن الجبل المعبد بدلا من الهرم ٠ عمل فنى ضخم فيه وحدة وتآلف وتجانس بين الطبيعة من صنع الخالق وبين العمارة التى هى من صنع الانسان ، يلاحظ أن البوائك Colonades والمنحدرات التى صممت بطريقة فنية رائعة ، نشعر بأنها ترديد لنغمات أصيلة طبيعية يبعثها الجبل ٠ ولذا فان معبد حتشبسوت ينافس أى أثر من آثار المملكة القديمة ٠

استمر حكام المملكة المصرية الحديثة بعد ذلك فى بناء المعابد الجنائزية ، ولكن نلاحظ أن **معابد آمون** كان لها الاهتمام الأكبر ٠ وحظى بنصيب ضـــخم من الطاقات الفنية والمعمارية معبدالأقصر عبر النيل من طيبة الذى كرس « لآمون » وزوجته « موت » وابنهما « خنسو » ٠ بدأ أمنحتب الثالث فى بنائه سنة ١٣٥٠ ق٠م ، وأضيفت عليه

الكثير من الاضافات وتم بناؤه بعد قرن من الزمن · ففيما يتعلق بالمسقط الأفقى للمعبد شكل ـ نلاحظ أنه النموذج العام للمعبد المصرى ، واجهة المعبد مكونة من بوابة مدخل رئيسية ضخمة تميل حوائطها الى الداخل حيث تؤدى الى صالة بهو الأعمدة التى بناها رمسيس الثانى وتنحرف قليلا عن المحور الرئيسى للمعبد ، رغبة من رمسيس الثانى فى جعلها موازية تماما لنهر النيل · ومنها الى صالة بهو الأعمدة الثانية التى بناها امنحتب الثالث ، ثم يلى ذلك حجرات المعبد نفسه · هـــذه المجموعة من الحجرات والصالات وأماكن العبادة صممت على شكل محورى متماثل حول قدس الأقداس وهى حجرة مربعة بها أربعة عمد · أحيط المعبد بحوائط مرتفعة لعزله تماما عن الخارج ولتأكيد الخصوصية فى تأدية شعائر العبادة حيث خصصت الصالاتذات غابات الأعمدة للمتعبدين من الشعب · تلك الأعمدة التى بذل فيها المهندس الفنان قصارى جهده أن تكون معبرة تتناسب مع ذلك الارتفاع الضـــخم وتتحمل تلك الأثقال التى عليها من الأعتاب الحجرية المحددة الطول وبلاطات الأسقف ·

لم يترك لنا اخناتون من الآثار ما يمكن تسجيله ، ولكن مما لا شك فيه أن آثاره كانت تحمل الطابع الثورى الجديد والذوق الفنى السليم الذى يتمشى مع دينه الجديد · وربما آثار اخناتون قد دمرها الكهنة بعد وفاته ، ولكن الذى أنقذ منها خير دليل على ثوريتها وتحررها من القواعد التقليدية · فالصورة المعروضة الآن فى متحف برلين لوجه اخناتون ، وتمثال رأس **نفرتيتى** ، ثم اللوحة التذكارية لبنات اخناتون ـ تـــل العمارنة والمعروضة الآنبمتحف أشموليان فى أكسفورد ، حيث أن جميعها ترجع الى سنة ١٣٦٥ ق·م كلها تعبير دقيق عن احساس جديد بالشكل وتطوير للاوضاع التقليدية التى كانت مرسومة بالاضـــافة الى حرية التعبير · حتى أن وجـــه خليفة اخناتون « **توت عنخ آمون** » كما يظهر على غطاء تابوته الذهبى يعكس صدا لطابع اخناتون الجديد ، روعة وجمال هذا الغطاء المصنوع من الذهب والذى يصل وزنه نحو ٢٥٠ رطل يثبت ثورية التطور وحرية التعبير الفنى ·

● هرم الجيزة الأكبر : THE GREAT PYRAMID OF CHEOPS

تولى الملك « خوفو » بعد أبيه « سنفرو » الحكم ٢٦٥٦ ـ ٢٦٣٢ ق·م ، اختار خوفو منطقة تقع على حافة الصحراء على مسافة خمسة أميال غرب الجيزة وأنشأ فى ركنها الشمالى أعظم عمل عرفه التاريخ من حيث الحجم والضخامة ودقة الهندسة · تتجه واجهات الهرم الى الجهات الأربع الأصلية ، وارتفاعه ١٤٦ متر م ويقع المدخل الرئيسى فى الواجهة الشمالية على ارتفاع ٢٠ مترا مواجها للنجم القطبى · ويتصل

بممر منحدر ، ومنه الى ممر أفقى يصل الى حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر تحت سطح الأرض ٠

ويشرح لنا الدكتور سيد توفيق أحمد أستاذ الآثار المصرية بجامعة القاهرة ، أنه لم يتم انشاء هذه الحجرة وذلك عندما عزم الملك خوفو على تغيير التصميم الأول للهرم وفضل تشييد حجرة الدفن فى قلب الهرم ٠ ولهذا اضطر البناءون لعمل فتحة فى سقف الممر المنحدر على مسافة ١٨ م من المدخل وبدأ منها ممر مساعد يبلغ طوله ٣٦ م وارتفاعه يزيد قليلا عن المتر ، وبعد هذا الممر يوجد ممر أفقى طوله ٣٥ م توجد فى نهايته الحجرة المعروفة خطأ باسم حجرة الملكة ، وهى الحجرة الثانية للدفن لها سقف جملونى الشكل ٠ وفى الجدران الشمالى والجنوبى لهـــذه الحجرة فتحتين توصلان الى حجرتين ضيقتين اصطلح على تسميتهما بالقنوات الهوائية ، ربما كان الغرض منها التهوية أو الهدف دينى له اتصال بروح الملك٠وعند تقاطع الممرين الصاعد والأفقى توجد فوهة لبئر تنزل عمودية أحيانا ومنحدرة أحيانا مسافة ٦٠ متر الى أن تصل الى الجزء السفلى من الممرالهابط والتى ربما استعملها العمال كمخرجلهم بعد ملء الممر الصاعد بالحجارة لسده بعد عملية الدفن ٠ ومرة أخرى عزم الملك خوفو على تغيير حجرة الدفن وأن يزيد من حجم الهرم ، وقد أدى هذا التغيير وهو بناء حجرة دفن ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين الى تشييد أروع بناءين عملا بيد انسانية فى العالم القديم وهما الممر الكبير وحجرة الدفن ٠

● ومما يستحق الذكر أن المؤرخ هيرودوتس ذكر أنه استخدم فى بناء هرم الجيزة الأكبر ١٠٠ ألف عامل لمدة عشرين عاما ولمدة ثلاثة أشهر فقط فى السنة ، وهى الشهور التى كانت فيها تغطى مياه الفيضان الأرض ولا يمكن زراعتها ٠

وقد وجهت الاتهامات الى خوفو بأنه كان ملكا ظالما وأنه سخر شعبه للقيام بهذا العمل الضخم ٠ والواقع أن هذا الافتراء غير صحيح ، فقد كان خوفو ملكا مقدســا معبودا من شعبه ، وكان يسعدهم أن يقوموا بخدمته فى الدنيا لكى يكون لهم نصيب فى خدمته فى العالم الآخر ، اذ أن أقصى ما يطمع فيه الفرد أن يكون قبره بالقرب من قبر ملكه لكى يكون فى رحابه فى العــالم الثانى ٠ ثم ان السخرة والكرباج لا تنتج المعجزات ، بل أن الحب والاحترام والتقديس هو منبع هذا العمل الخالد ٠

هذا فضلا عن ان حالة البلاد الاقتصادية فى عهد خوفو كانت مستقرة تماما ، وكان الفن مزدهرا والعمارة فى أوج عظمتها ، ولو كان صحيحا أنه كان ظالما قاسيا لانهار كل هذا المجد بموته ولكننا نرى عكس ذلك ٠ فقد أتى من بعده خفرع وشيد هرمه

الذى لا يقل عظمة عن هرم خوفو . الأمر الذى يدل على قوة الاقتصاد المصرى ويدل على حب الشعب لملكه . وظلت ذكرى خوفو طيبة مقدسة ، وكان الكهنة يقومون بالشعائر الدينية له بعد وفاته بأكثر من ألفى عام .

● مات خوفو وأتى من بعده ابنه خفرع وأقام هرما له بجانب هرم أبيه بلغ ارتفاعه ١٤٣٫٥ م أقيم على مساحة مربعة طول ضلعها ٢١٥٫٥ م . أما فيما يتعلق بأبى الهول فهو مكان منخفض على الحافة الشرقية عبارة عن ربوة من الصخر فى قلب هضبة الجيزة متجه نحو الشرق تركها عمال خوفو لعدم صلاحيتها ، ففكر مهندسوا الملك خفرع فى استغلال هذه الكتلة الضخمة فشكلوها على شكل أسد رابض له رأس انسان تمثل الملك خفرع نفسه . ويبلغ طول التمثال ٧٣و٥٠ م وارتفاعه ٢٠ م ومتوسط عرض الوجه ٤و١٥ م ، والأنف ١و٧٠ م ، والفم ٢و٣٢ م ، والأذن ١و٢٧ م ، ويبدو أن كلمة أبوالهول اشتقت من الاصطلاح المصرى القديم « برحول » أى بيت الأسد .

لقد تعددت وتنوعت الآراء والاستنتاجات التى تتصل بهرم الجيزة الأكبر من حيث هندسة بنائه والغرض منه ، فمن قائل أنه لم يكن قط مقبرة ، الى قائل أنه كان يحتوى على جواهر ملكية ذات قيمة لا يدركها العقل ، الى مدع أن الهرم كان بناءا رمزيا ذا صبغة تنبئية ، وغير ذلك من النظريات المختلفة . غير أن أعظم ما سبق من النظريات قبولا وثقة فيما يتعلق بشكل الهرم الأكبر وبالغرض من تشييده ، هو أنه دليل على أن قدماء المصريين لابد أن كانوا من كبار المتضلعين فى الرياضيات والهندسة والفلك عندما شرعوا فى بنائه .

● والهرم هو البناء الوحيد من نوعه فى العالم ، وهو من العجائب السبع فى العالم القديم وهو أدق بناء فى العالم من حيث توجيه زواياه نحو الجهات الأصلية. ومما يزيد فى شأنه من هذه الناحية أن زوايا قاعدته تواجه بالضبط الشمال والشرق والجنوب والغرب . وليس بين جميع أهرامات العالم الأخرى ، ما هو مبنى ، أو كان مبنيا ، على هذا التوجيه . وقد أثبتت الاستكشافات الحفرية أن الهرم الأكبر كان مغطى بحجر الجير ، وأن جوانبه ليست مسطحة باستواء تام كما هو الرأى الشائع ، بل هى منبعجة قليلا نحو المركز وسيتضح سبب هذا الانبعاج اذ نشرح النظرية .

وليس ثمة شك فى أن أهم الأغراض التى بنيت لها الأهرام فى مصر القديمة الدلالة بطريقة آلية ، فى جميع أنحاء البلاد ، على التكرار السنوى للنقط الرئيسية للسنة الفلكية والسنة الزراعية . وكان من الجلى ألا يتحقق هذا الغرض فى بناء ما الا اذا اجتمعت فيه شروط هى أن يكون بناؤه ذا أوجه متقابلة متساوية ، وأن يكون

مضبوطا ، وأن يكون على نسب صحيحة من الجهات الأربع الأصلية • ولكى تكون هذه المزولة الدالة على الفصول ذات فائدة عامة كان لابد لها أن تـــكون ذات هيكل ضخم ، يمنحها أسطحا خارجية كبيرة ، وأن يكون صنعها فى منتهى الدقة ، وأن تبنى بأدق مواد البناء • وتتحقق كل هذه الشروط فى هرم الجيزة الأكبر ، بحجمه الهائل ، وتوجيهه المضبوط للجهات الأصلية ، ودقة صنعه وموقعه الذى أقيم عليه — وهو سهل مرتفع فى غربى الأراضى الزراعية المتاخمة له — مما جعله عظيم الملائمة لاستخدامه خير استخدام فى الغرض الذى بنى من أجله على تلك الأوضاع •

● ويرمى التصميم الذى بنى عليه الهـــرم الأكبر الى تحقيق الغرض منه بوسيلتين : احدهما أساسية وهى انعكاس أشعة الشمس ، والأخرى ثانوية وهى سقوط الظلال • وكانت مواد الهرم الأكبر من الحجر الجيرى المعروف بنصاعة بياضه وقدرة عناصره — ذلك الحجر الذى يوجد فى المحاجر القريبة فى طره والمعصرة اللتين تقعان مقابل الهرم على ضفة النيل •

كانت انعكاسات الشمس عن أوجه الهرم تشير بالدقة الى الأيام التى يحدث فيها الانقلاب الشتوى ، والاعتدال الربيعى ، والانقلاب الصيفى ، والاعتدال الخريفى ، ومن هذه الفصول تحددت السنة الشمسية الفلكية •

كذلك كانت السنة الشمسية الزراعية معروفة تمام المعرفة ، فقد كان من أقوى ظواهر الهرم دلالته على السنة الزراعية • فبينما كان انعكاس وقت الظهر من الوجه الجنوبى للهرم يشير عن الدوام الى الجنوب نصا فى لحظة الظهر — أى عندما تكون الشمس فى كبد السماء ، وفى أثناء الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف — كان مع ذلك يتجلى فى هذه الصورة العجيبة • وهى أنه كان يرتفع فوق الخط الأفقى فى كل يوم من أيام الخريف والشتاء والربيع ، على حين كان ينخفض تحت الخط الأفقى طول مدة الصيف كلها • وكان ذلك الشعاع المنعكس وقت الظهر من الوجه الجنوبى للهرم يقع على الخط الأفقى بالضبط فى منتصف الوقت الذى بين الاعتدال الربيعى والانقلاب الصيفى ، ثم مرة ثانية فى منتصف الوقت الذى بين الانقلاب الصـــيفى والاعتدال والانقلاب الخريفى ، فكان هذا الشعاع يحدد أول ظهر وآخر ظهر لفصل الصيف ، ومما يسترعى النظر بين هذين التاريخين — أى أول ظهر وآخر ظهر فى فصل الصيف — أن نجد الشعاع من الوجه الجنوبى للهرم ينعكس على الأرض فى شـــكل مثلثى ، وهى ظاهرة لم تكن تحدث فى أية مدة أخرى من السنة • ومن ثم يستنتج أن الانعكاس المثلثى الشكل ، بحدوثه على ذلك النظام ، كان يحدد أيام الصيف •

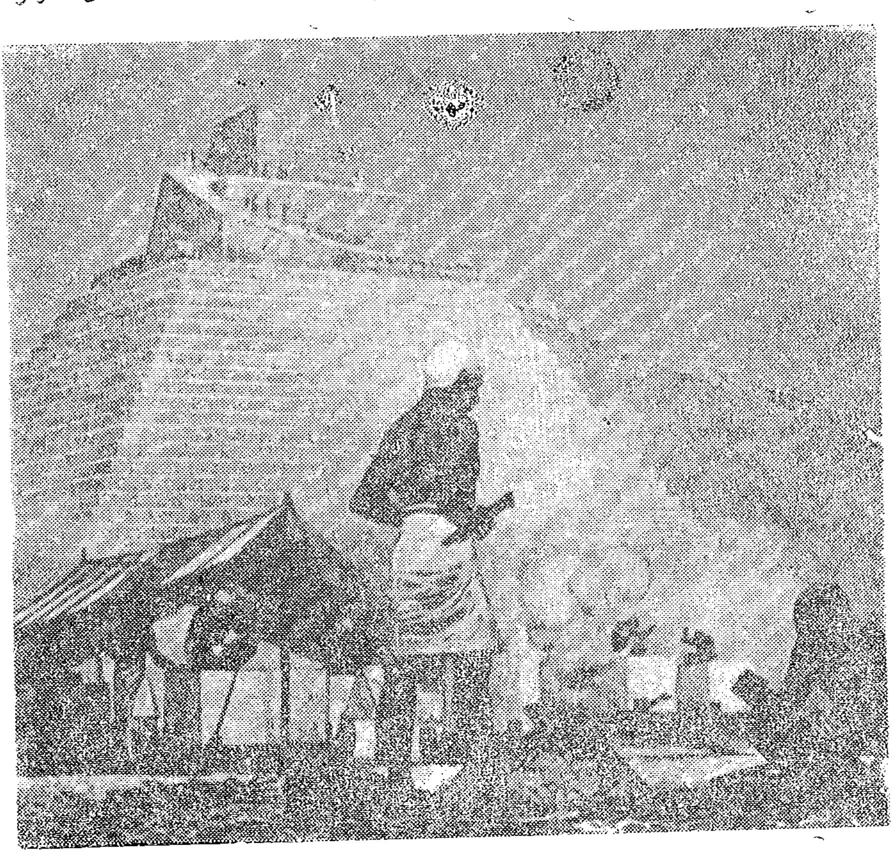
وفى ظهر الاعتدال الربيعى كان ينعكس من الجانب الشرقى للهرم شعاع فى اتجاه

شمالى شرقى ، كذلك فى ظهر الاعتدال الخريفى كان ينعكس من الجانب الغربى للهرم شعاع فى اتجاه شمالى ، ومن الواضح أن كان هذان الشعاعان ، اللذين كانا مرئيين فى كل منطقة الدلتا ، هما علامتى التقويم للربيع والخريف • وكان لهذه الأشعة خاصية أخرى عجيبة ، وهى تحديد الشتاء من حيث هو فصل متميز عن الربيع ، والصيف ، والخريف • ففى أثناء الشتاء كان انعكاس الشمس عن الوجه الجنوبى للهرم عموديا تماما وكان مرئيا من جميع أنحاء الدلتا • كذلك كان فى أثناء الربيع والصيف والخريف يظهر انعكاس من الوجه الشمالى للهرم ، غير أنه بمجرد حلول الظل كان انعكاس الظهر يختفى ، ويبدو أول ظل للظهر على الوجه الشمالى • وبتوالى الأيام كان الظل يزداد طولا ويبرز فوق وجه الهرم ممتدا الى رصيف القاعدة التى تحيط بالهرم • وكان الظل يبلغ أقصى مداه عند الظهر الانقلاب الشتوى • وبعد انقضاء الانقلاب الشتوى كان الظل يأخذ فى التناقص بالتدريج حتى حلول الربيع ، اذ كان يختفى حينئذ ولا يعود للظهور الا عندما يحل الشتاء مرة أخرى • فنقط الابتداء والانتهاء لظاهرة ظل الظهر على الوجه الشمالى كان يعينان بدء الزراعة البدرية ، وبدء موسم الحصاد للشعير والكتان ، فى منطقة الدلتا •

وأسطح وجه الهرم منبعجة قليلا نحو الخط المركزى لمنحرف كل وجه ، ولهذا الانبعاج أثر عام فى الانعكاسات والأشعة الصادرة عن كل وجه ؛ اذ أنه يؤدى الى توازنها وتحديدها تحديدا أدق مما لو لم يكن هناك انبعاج •وهو ليس انبعاجا مقوسا،بل يتكون من سطحين مستويين يلتقيان على الخط المركزى لمنحرف كل وجه • ولا يعقل أن يكون هذا التكوين فكرة متأخرة قد طرأت لبناء الهرم أثناء تشييده ، وانما هو تكوين منطقى رياضى فى الدرجة الأولى من الأهمية فان أثر الانبعاج القليل لا يؤدى فقط الى تصحيح الخداع القصرى الذى يجعل الأسطح الكبيرة المستوية تبدو مقببة ، بل انه ــ كما قلنا من قبل ــ يحدث توازنا فى أشعة الضوء المنعكس وهذا الانبعاج فى حقيقته ضئيل بالنسبة الى كتلة الهرم وضخامة حجمه حتى أن العين المجردة لا تستطيع رؤيته •

● ويقوم الهرم فى موقع يحتل نقطة الوسط من ربع دائرة يشمل منطقة الدلتا عامة ، ويحدد ربع الدائرة نصفا قطر يمتد أحدهما الى الشمال الشرقى والآخر الى الشمال الغربى ، مكونين زاوية قدرها ٩٠ درجة • وفى داخل ربع الدائرة هذا تقع دلتا النيل كلها هى وشاطئها البحرى من نقطة بالقرب من شرقى بورسعيد الى نقطة بالقرب من غربى الاسكندرية • ومن ذلك يتضح أن اختيار موقع الهرم الأكبر لم يكن اعتباطا أو مصادفة ، بل كان نتيجة لحساب دقيق ودراسة عميقة وتفكير جدى •

هـــرم الجيـزة الأكبر ٢٦٦٥ ق٠م ٠ وثيقة مرئية للكشف عن أسرار الكون



٥ ـ كيفية بناء الهرم الاكبر ٠٠ ما تصورة الفنـان المعاصر

ان الحقائق التاريخية المفصلة تدلنا على أن الهرم لم يكن وضعا من الأوضاع الدينية المصرية ، وعلى أنه كذلك لم يكن بنـــاؤه لغرض الاحتفالات بطقوس عبـادة السلف ، أو لطقوس أوزيريس التى كانت تقام فى أول يوم من شهر نوفمبر كل عام ٠

● أهرامى خفرع ومنقرع – الجيزة :

CHEPHREN & MYCERINUS PYRAMIDS

أنشىء أهـــرام خفرع عام ٢٦٦٦ ق٠م ومنقرع عام ٢٥٥٦ ق٠م ولا يزال الآن يحتفظا بشكلهما وطبقة الحجر الجيرى ، كما يوجد كثير من الأهرامات الأخرى موجودة فى أبو رواش وزاوية العريان وأبو صير وسقارة ودهشور ٠

أما فيما يتعلق بالهرم الثالث « منكاو – رع » أو ما يسمى بهرم « منقرع » رفيق رحلة التاريخ لهرمى خوفو وخفرع ، فيمتاز بممراته وسراديبه وحجراته وأناقته عن باقى أهرامات مصر وعددها ٧٠ هرما ٠ بنى فى ٢٥٥٦ ق٠م ، شيد من الحجر الجيرى المحلى ، مكون من ٧٥٠ ألف حجر وبعض كتل أحجاره أضخم بكثير من أحجار هرمى خوفو وخفرع ، وغطى جسم الهرم ١٦ طبقة من حجر الجرانيت ، أما الخمسون طبقة الثانية فهى من أحجار طره ذات البياض الناصع الجميل ٠

طول ضلع قاعدته ٥٠و١٠٨ م وارتفـــاعه حينما كان كاملا ٥٠و٦٦ م ومدخله كباقى الأهرامات الأخرى من الجهة الشمالية ٠ وهو يختلف عن الأهرامات الأخرى بأن سقف حجرة الدفن على هيئة قبو ، حيث لأول مرة فى التاريخ المصرى القـــديم تستعمل القباب فى بناء الأسقف لحجرات الدفن ٠ ويجاورها توجد حجرة كبيرة تضم ٦ حجرات صغيرة كمخازن لحفظ القرابين والعطايا والأثاث الجنائزى وكلها منحوتة فى الصخر الطبيعى ٠

وقيل أنه كانت هناك محاولات مضنية لأخذ أحجار الكساء الخارجية وهى من الجرانيت لبناء القناطر الخيرة وميناء الاسكندرية ٠ ومن المؤسف أن الأثرى البريطانى الذى اكتشف الهرم الثالث منذ ١٣٠ عاما ويدعى « فيز » استولى على تابوت الملك وهو من أجمل التوابيت البازلتية ، وحمل التابوت الجميل فى ســـفينة الى المتحف البريطانى ، كما كان شائعا فى ذلك الحين ، ولكن لعنة الفراعنة حلت بالباخرة فغرقت بمن فيها وما عليها أمام شواطىء أسبانيا واستقر التابوت الجميل فى قاع البحر حتى الآن وحيدا وبعيدا عن هرمه ٠

● أبى الهول الفنان ــ رأس الملك خفرع :

لقـــد اختلف المؤرخون فى أصـــل كلمة « أبو الهول » ٠٠٠ نسبها البعض الى الاسم الفرعونى جوحون أى مبعث الرعب بينما نسبها البعض الاخر بوهول Pehol أى مكان المعبود ستيلات الأسرة الثامنة عشرة التى وجدت ضمن حفريات أبى الهول ، كما وجد فى بعضها اسم هو ــ حورام أخت ــ وفى الدولة القديمة فى متون الأهرام وجد أقدم اسم أطلق على أبى الهول وهو رونى Ronye وهو مرتبط بآله الشمس كما رمز له بصورة أسد رابض ٠

كما كان يطلق على أبى الهول فى الدولة الوسطى اسم شسب عنخ ، أى التمثال الحى ، وهو مانقله هيرودوت الى اليونانية وحرفه الى اسم سفنكس الذى اشتهر به فيما بعد فى جميع اللغات ٠

أما تاريخ أبو الهول الحقيقى الذى كشفته حفرياته واسراره التى كانت مدفونة ، فتسجل أن الذى اقامه هو الملك خفرع (٢٦٢٥ ــ ٢٦٠٠ ق٠م) ليتحدى به كهنة عين شمس الذين أشاعوا عن طريق السحرة أن عرش مصر سيجلس عليه حاكم من سلالة الآلهة تحمل به سيدة من عين شمس ويولد فى المعبد ٠

صنع تمثال أبى الهول الذى يحمل رأس خفرع وجسمه جسم أسد ويتجه بوجهه نحو شروق الشمس ومعبد هيليوبوليس ليؤكد به الملك للشعب أن « منبع الحكمة فى رأسه والقوة فى جسده والايمان فى قلبه » لقد تحققت نبوءة كهنة (كيش شمس) أو حققوها بأن زوجوا خنت كاوس (الملكة نيوتكريس ــ من أوسركاف أحد تلاميذ المعبد الذى تجرى فى دمائه روح الاله ، وبذلك انتهى حكم الأسرة الرابعة وانتقل الحكم من أسرة خوفو الى سلطان المعبد ٠ وقد عمل أوسركاف على أهمال أبى الهول حتى غمرته رمال الصحراء بأكمله ولم يبق ظاهر منه سوى جبهته وعينيه وانفه ٠

● لقد ابتعد أبو الهول عن مسيرة التاريخ واحداثه منذ بداية الأسرة الخامسة عام ٢٥٦٠ ق٠م ولم يرد ذكره أو يسترجع مكانته الا فى الأسرة الثامنة عشرة عام ١٤٢٠ ق٠م عندما تولى تحتمس الرابع الحكم ، فقام بأزالة الرمال عن جسمه وأعاد رونقه واصلح معبده الجنائزى ، وخلد أعماله منقوشة على اللوحات الجرانيتية التى تركها بالمعبد وبين يدى أبى الهول ٠ كما أعاد لأبى الهول شعائره الدينية ٠

وقد تتابع أهتمام ملوك الأسرة الثامنة عشرة مع العودة الى عبادة الاله حورس واعتبروا أبى الهول رمزا للاله ٠ وأطلقوا عليه اسم (حورام اخت) أو حورس الساكن فى أفق الشروق (حورماخيس) وأقاموا له أعيادا مقدسة ، كما اعتبر الحج الى أبى

الهول ومواسمه ، من التقاليد المقدسة التى اتبعها أكثر ملوك الفراعنة حتى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ٠

ثم ترك لتغمره الرمال مرة أخرى ولا يبقى منه ظاهرا سوى رأسه ونظرته الساخرة لتتابع مسيرة التاريخ مرة أخرى حتى عصرنا الحديث ٠

ولقد كشفت أعمال التنقيب والحفريات الأخيرة مجموعة من اللوحات التذكارية وألواح النذور وبراءات الحج الدينى تحمل أسماء الكثير من الملوك والعظماء الذين قاموا بزيارة أبو الهول - كما كان الكثير من القواد العسكريين يقومون بزيارته للتبرك به والاستخارة قبل القيام بمعاركهم المشهورة ، أو لتقديم القرابين والنذور للشكر بعد التقليد فى عهد البطالسة كما قام به الكثير من أباطرة الرومان وانتقل الى العصر الحديث ليسجل زيارة نابليون المشهورة مع الحملة الفرنسية ٠

● ولقد سجل على الكثير من اللوحات تاريخ الزيارة والاعمال العظيمة والبطولية التى قام بها الزائر سواء ما يختص منها بالفروسية أو الصيد أو الانتصارات فى المعارك والتى نسبوا الفضل فيها الى الاله حورس كما ذكر فى بعضها القرابين والنذور التى قدمت للاله فى حجة المقدس ومن بين اللوحات التى كشفتها الحفريات لوحة للملكة تى زوجة امنحتب الثالث ووالدة اخناتون وقد صنعت لنفسها تمثالا على شكل أبى الهول يجمع بين رأسها وجسم الأسد ٠

كما صنع اخناتون لنفسه لوحة تذكارية مثل نفسه فيها على شكل أبى الهول وهو يرفع يده بالدعاء وتقبل البركات والنعم من الاله آتون ٠ وقام توت عنخ آمون بعدة زيارات لأبى الهول وسجل عليها رحلات الصيد والفروسية التى قام بها فى وادى الغزال كما وصف الوحوش المفترسة التى اصطادها وحده وكانت عين أبى الهول تحرسه وذكر تحتمس الثالث أنه قتل سبعة أسود ضارية فى « لمحة عين » وشرح كيف اصطاد مائة وعشرين فيلا فى بلاد «ناى» عند عودته من النهرين كما أسر خرتيتافى بلاد النوبة - وسجل فى لوحات أخرى فضل أبى الهول فى قهر الاعداء والمغيرين ٠

وسجلت الملكة حتشبسوت زيارتها لأبى الهول كما صنعت لنفسها تمثالا على شكل أبى الهول نقله الرومان الى معبد أيزيس فى روما وكان الامبراطور سيتموس من المؤمنين بأبى الهول فأقام له محرابا أمام تمثاله ٠

لقد صنع معظم ملوك الدولة الحديثة تماثيل لأنفسهم على شكل أبى الهول وضعوها أمام معابدهم لحراستها وكانوا يعتبروها نوعا من تماثيل النذور التى تعبر عن انتمائهم الى عقيدة أبى الهول الذى أصبح آلها يقدسونه ٠

وقد انتقلت فكرة أو عقيدة أبى الهـــول ورمزه الى مختلف البلاد الاســـيوية واليونان وروما مع فتوحات امبراطورية الدولة الحديثة أو فى كل من عصور الهكسوس وبابل واشور وقد أصبح لكل منها طابع مميز ـ كما اختلف الرأس الادمى فيها فعبر كهنة آمون فى طيبة برأس الكبش والذى انتقل بدوره الى البابليين والاشوريين ـ أو رأس المرأة كما ظهر فى اليونان وروما بعد ما ظهر فى تماثيل ملكات مصر أمثال تاى وحتشبسوت ونفرتارى ٠

أبو الهول وجسم الأسد :

● ان فكرة اتخاذ الأسد كعنصر أساسى فى تكوين شكل أبى الهول للتعبير عن القوة ، بدأت عند قدماء المصريين من أقدم العصور قبل عهـــد الأسرات ٠ بدأت بنظرتهم اليه ووصفهم له بأنه يمتاز عن بقية الحيوانات بأنه يجمع بين القوة والشجاعة وعزة النفس وجمال الشكل ، فكانوا أول من أطلق عليه اللقب الذى عرف به عبـــر التاريخ وهو « ملك الحيوانات » ، فقد اتخذه ملوك وحكام المقاطعات ورؤساء القبائل رمزا للتعبير عن الحاكم القوى ، فظهر فى كثير من الخراطيش واللوحات التى تحمل اسم الملك أو الحاكم ، وقد رسمت صورة الأسد فوق الاسم كما ظهرت منقوشة فى أقدام الجعارين والاختام ٠

كما وصف الفرعون فى كثير من متون ونقوش كل من الدولة القديمة والدولة الوسطى وأسرات الدولة الحديثة ـ وصف بأنه الأسد الشجاع ـ والأسد المنتصر ـ والأسد قاهر الاعداء ـ والأسد فى ساحة القتال ـ والأسد المقدس ٠

كان الملك امنحوتب الثالث مغرما بأن يرمز له بالأسد وقد صنع لنفسه أسدين من الجرانيت نقش على كل منهما ٠

« تب ما عث رع » امنحوتب الثالث الأســـد القوى ، محبوب رع » ويعتبران من أجمل تماثيل الحيوانات فى فن النحت المصرى القديم (المتحف البريطانى) ٠

لقد انتقل لقب الأسد من ملوك الفراعنة لأكثر من دولة من دول العصور القديمة فانتقل الى الحبشة وبلاد بونت واتخذه الملوك شعارا لهم ، وقد انتقل هذا اللقب الى العصر الحديث حيث أطلق على امبراطور الحبشة لقب « أسد يهوذا » كما أطلق على أكثر من امبراطور من أباطرة الرومان ، وانتقل الى الكثير من البلاد الاسيوية وقد نقلت جميع تلك الدول شكل أبى الهول أو الأسد الرابض مع التغيير فى شكل الرأس ٠

أن يقظة الأسد بجانب قوته وشجاعته اضافت الى اسمائه اسما جديدا وهو

« الحارس القوى » فاتخذ كثير من ملوك الدولة الحديثة أسدا أو أكثر لحماية الملك فكان الأسد المدرب يتبع الملك فى ميدان القتال ويشترك معه فى المعارك عند الهجوم على الاعداء ، وفى السلم كانت الأسود الاليفة تربى فى القصور وتلازم الملك فى حفلات الاستقبال ومواكبه كما تربض بجواره أثناء جلوسه على العرش كما ظهرت فى كثير من نقوش رمسيس الثانى · كما ظهر الأسد الحارس وهو يسير بجانب رمسيس الثالث فى احتفالاته الدينية ·

وقد ظهر الأسد الحارس فى تمائم السحر لغرض الحماية من الارواح الشريرة ، والحراسة من الغدر ، ولتكسب حاملها القوة والشجاعة · وقد انتقلت عقيدة القوة السحرية للاسد الحارس الى أكثر من نواحى الحياة عند ملوك الفراعنة ، فصنعت مساند كرسى العرش وهى تمثل رءوس الاسود ، وقوائم الكرسى تمثل أرجلها ومخالبها ، ومن أمثلتها كرسى عرش الملك خفرع صانع أبى الهول فى الدولة القديمة وكرسى عرش الملك توت عنخ آمون فى الدولة الحديثة ، كما كانت المنصة التى يوضع فوقها كرسى العرش تزخرف بالأسود وأعضاء جسمها · أن استطالة شكل جسم الأسد بأكمله صنع هيكل المضجع أو سرير الملك حتى يقوم الأسد بحماية النائم من قوى الشر الخفية أو الخونة والاعداء ·

كما كانت مقابض الأبواب سواء فى القصور أو المعابد تصنع على شكل رأس الأسد ـ كما كانت تنقش رسوم الأسود على أبواب المعابد أو يوضع تمثالان من تماثيل أبى الهول على جانبى بوابة المدخل لحمايته وحراسته · كما اختار قدماء المصريين الأسـد كرمز لأحـد أبراجهم السـماوية وهو « برج الأسـد » وقد اختاروا الأسد الحارس بالذات لهذا البرج لأنه موسم فيضان النيل المقـدس الذى ينبع من الجنة ويجلب معه الخير والخصب والحياة لمصر ، فأختاروا الأسد ليحمى النهـر ويحرس فيضـانه ·

نابليون وأنف أبى الهول :

● من أهم الزيارات التاريخية التى شاهدها أبو الهول فى العصر الحديث تلك الزيارة التى قام بها نابليون بونابارت أثناء الحملة الفرنسية وزيارته لأبى الهول مع كبار قواد جيشه مخاطبا جنوده بقوله المشهور : « أن أربعين قرنا تنظر اليكم من خلف أبى الهول » ·

واتهمه أكثر من كاتب من كتاب الغرب بأنه أطلق مدافعه على رأس أبى الهول ،

وحطم أنفه وهو ما يتعارض مع ما عرف عن نابليون من اهتمامه بتاريخ مصر وآثارها بصفة خاصة ، وقيامه بارسال بعثات الآثار المشهورة التى أشرفت على جمع تاريخ مصر وتسجيله كما أشرفت على ترميم الآثار وصيانتها ٠

أما قصة تحطيم أنف أبى الهول ، فقد ورد ذكرها فيما دونه مؤرخو العرب الذين كتبوا تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية بعدة قرون ، فذكر المقريزى « أن صوفيا يدعى صائم الدهر وهو الذى حطم أنف أبى الهول لأنه رمز للوثنية ، وكانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور ٠ ويقال أن عاصفة رملية زحفت على الأراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول الى النيل فأتلفت المزروعات وأهلكتها ونسب الناس ذلك الى غضب أبى الهول لتشويه أنفه » ٠

كما ذكر البغدادى نفس الواقعة وقال أن ذلك الحادث كان سببا فى زيادة اعتقاد العامة فى كرامات أبى الهول ٠ كما يصفه القضاعى بأنه رأس ضخم يبرز من رمال الصحراء حتى عنقه ويعتقد الناس بأن جسمه مدفون تحت الأرض ، ويطلق عليه المصريون اسم « أبى الهول » وانه يحرس أرض مصر ويحميها من زحف رمال الصحراء ٠

ويحكى الرحالة فانسليب أنه سمع أن أحد مشايخ المغاربة الصوفيين هو الذى حطم تماثيل الأسود التى أقامها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ليزين بها قناطر القاهرة وحدائقها ، والتى تحاكى رأس أبى الهول الرمز الوثنى الذى كان العامة يعتقدون فى كراماته وخرافاته وقام بعد تحطيمها بتحطيم وجه أبى الهول ٠ وقد ذكر البغدادى نفس القصة وذكر أن اسم الذى حطمها وحطم أنف أبى الهول شيخ من شيوخ الصوفية يدعى الشيخ محمد صائم الدهر ٠ وهكذا أصبح نابليون بريئا من أنف أبى الهول ٠٠٠

عندما نطق أبو الهول :

أن أبا الهول الذى حير المؤرخين والاثريين بصمته وغموضه عندما غمروا جسمه بالرمال ولم يكن يظهر منه سوى عينيه وجبهته وبقى فمه مدفونا وبقى سره مدفونا معه ٠٠ اعتبروه رمزا للصمت حتى أصبحت كلمة « صمت أبى الهول » من الأمثال الشائعة لقد لاذ بالصمت ليحتفظ بسره ولكنه نطق ثلاث مرات خلال تلك القرون الاربعين من مسيرة الصمت ٠

نطق أول مرة سجلها له التاريخ فى احدى لوحات متونه عام ١٤٢٠ ق٠م عندما تحول الوادى المهجور الذى يحيط به الى منطقة للصيد والفروسية أطلق عليها اسم

وادى الغزال • فكان الأمراء والقواد والفرسان يقضون أوقات لهوهم فى رياضة الصيد التدريب على الرماية بالأقواس والسهام فى ذلك الوادى •

لقد وصفت النقوش التى وجدت على احدى لوحات المتون القـديمة كيف كان أصغر ابناء الملك امنحوتب الثانى يتدرب على الفروسية بجوار أبى الهول فلما نال منه التعب ما جعله يأوى الى ظل رأس أبى الهول فأخذته سنة من النوم رأى فيها حلما ورؤيا وسمع أبا الهول يخاطبه قائلا :

« اسمعنى : أنا أبوك صقر الافق المتجسد فى الأرض • ساعطيك ملـكى على الأرض لتكون على رأس الكائنات الحية • ستحمل على رأسك التاج الأبيض والتاج الأحمرلتكون على عرش وارثا للملك • ستكون لك الأرض التى تضيئها عين الرب بطولها وعرضها • ستكون خيرات الأرضين ملكا لك طوال سنى عمرك – وجهى متجه اليك وقلبى معك •• ستكون راعيا لشئونى جميعها •

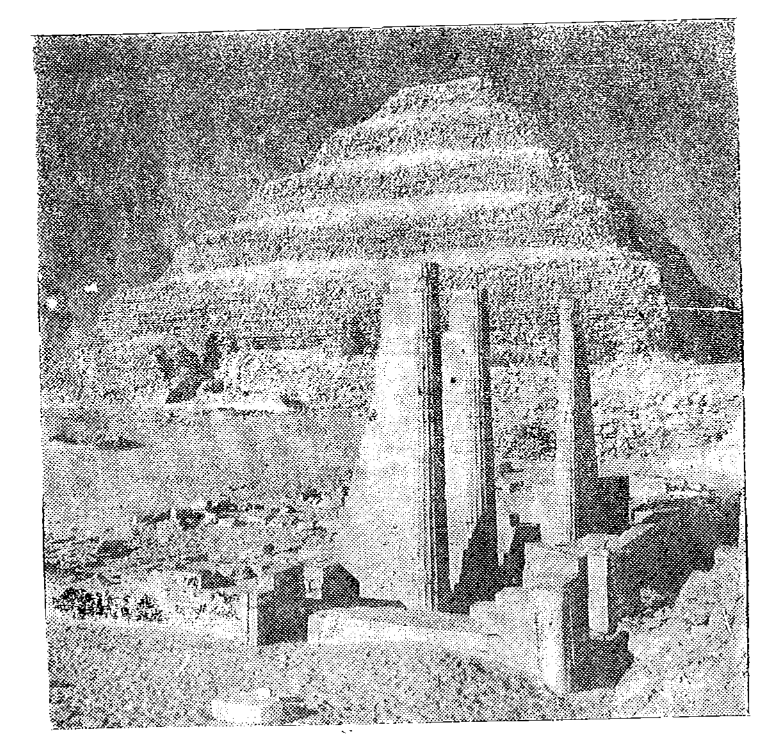
ان جميع أعضاء جسمى تتألم من الرمال التى غطت محرابى حتى غطت جسدى ولم يبق ظاهرا منى غير جبهتى وعينى • التفت لما أقول لك ولما أريد أن تعمله لتحقيق رغبتى أنك ابنى وحارسى •• وانا معك ومرشدك » •

لقد تحققت تلك النبوءة التى نطق بها أبو الهول فعين الأميـــر تحتمس الرابع فرعونا على عرش مصر مع أنه لم يكن وارثا للعرش فقد كان له أربعة أخوة يكبرونه •

● نطق أبو الهول للمرة الثانية عام ١٩٣٥ عندما خرج عن صمته الذى استمر هذه المرة ٢٣٥٠ عاما ، أبى خلالها أن يبوح بسره لعشرات المؤرخين وعلماء الاثار والباحثين الاجانب فباح به لأحد أحفاده المصريين وهو عالمنا الاثرى الكبير بعد أن قام عام ١٩٣٦ م بأزالة الرمال عن جسم أبى الهول وحرر يديه ليستقبل بوجهه وصدره وقبضتيه شـــعاع الشـــمس ••• رمز اله الوجود وهو يشرق من أفق الخلود • كشـــفوا هيكله ومقدســـاته المدفونة فى الرمال • فكشف لهم عن سره الذى كان مدفونا معه – كشف عما اكتنف تاريخه من غموض فعبر عن أصله وأصالته ، وأصالة التراث •

● ثم نطق أبو الهول للمرة الثالثة والأخيرة عام ١٩٦٢ بفضل تكنولوجيا الصوت والضوء – نطق ليستعرض أو ليعرض تاريخ مصر خلال الأربعين قرنا التى تتبع أحداثها بفلسفة صمته •

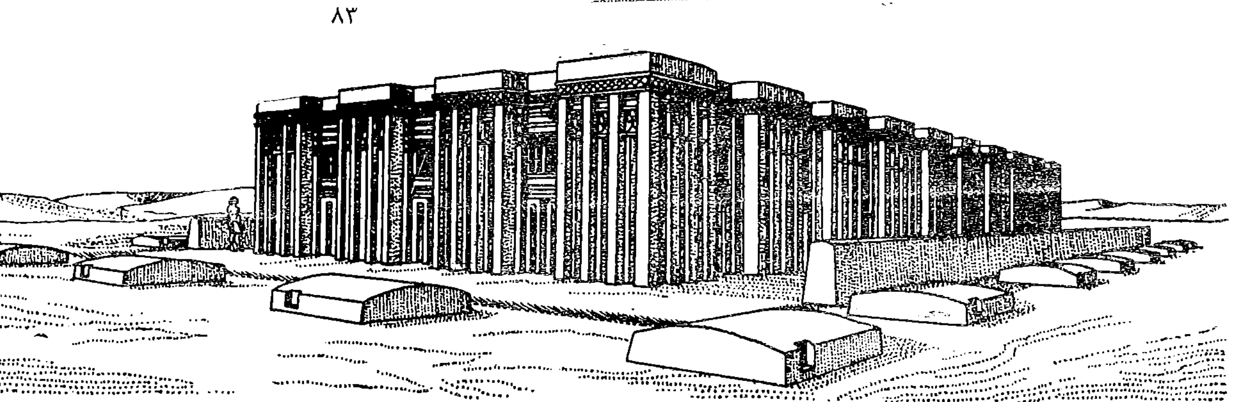
تحدث ليذكر مصر بامجادها القديمة وتراثها الحضارى الخالد • ليعيـــد الى ذاكرتها معنى الرمز – الذى تعبر عنه فلسفته – فى بناء الامة ، والتاريخ ، ممثلا فى القوة والعقل والايمان التى تبنى الحضارة بتعاونها •• لا بتصارعها •

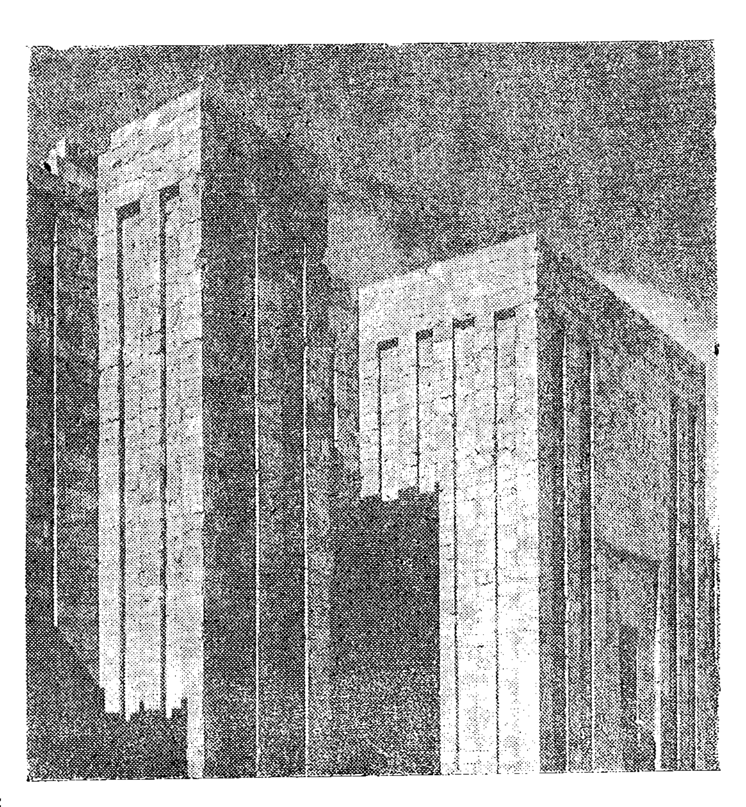


مقبرة الملك زوسر ومجموعة المبانى الملكيه
الأسرة الأولى ـ ٣١٠٠ ق٠م

٨٢

٨٣





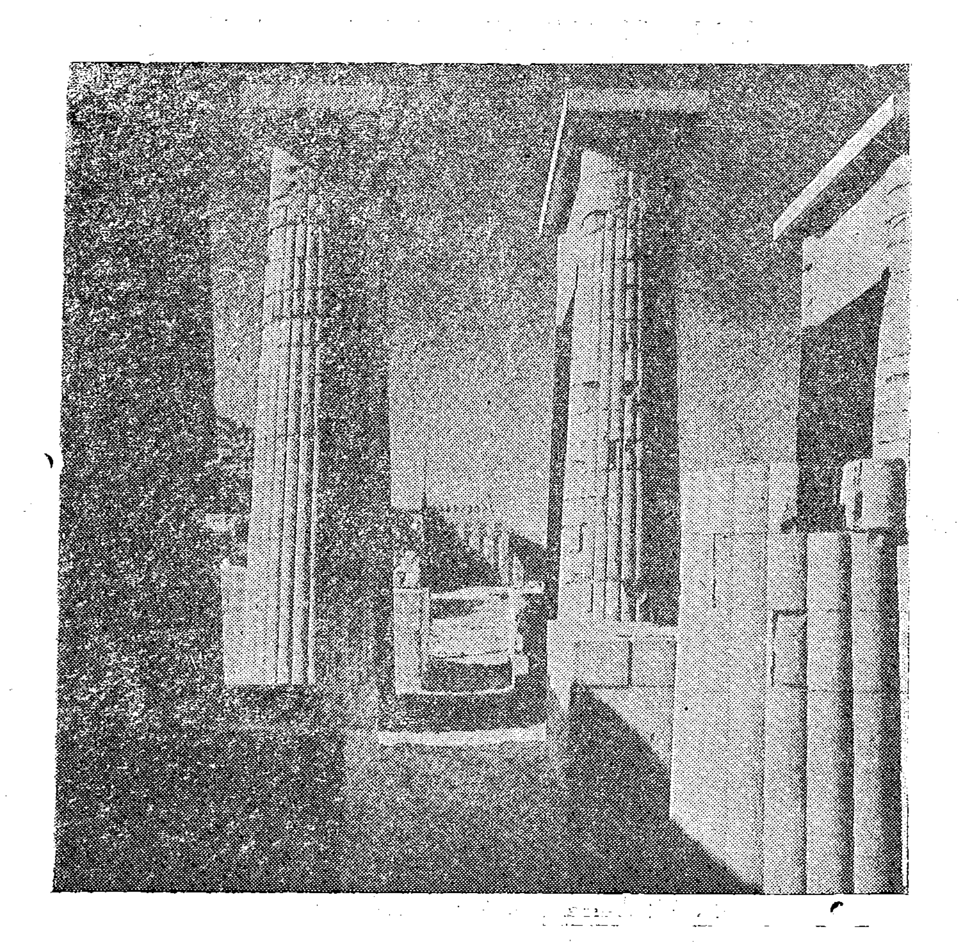
● هرم سقارة المدرج

الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق٠م

يعتبر هرم الملك زوسر أو ما يسمى بهرم سقارة المدرج أول هرم فى التاريخ ، الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق٠م ويتكون من ٦ مصاطب ضخمة يصل ارتفاعه الى ٢٠٠ قدم ٠ والقاعدة مستطيلة الشكل طول ضلعها من الشمال للجنوب ٣٥٨ قدم والضلع الآخر من الشرق الى الغرب ٣٩٧ قدم ويرى فى مقدمة الهرم بقايا معبد الملكة تى ـ شكل ٨٢ ٠

ومما يذكر أن مصمم هرم سقارة المدرج هو المهندس الفنان « ايمحتب » الذى عينه الملك زوسر رئيسا للوزراء ، ثم أصبح الها للطب فيما بعد ٠

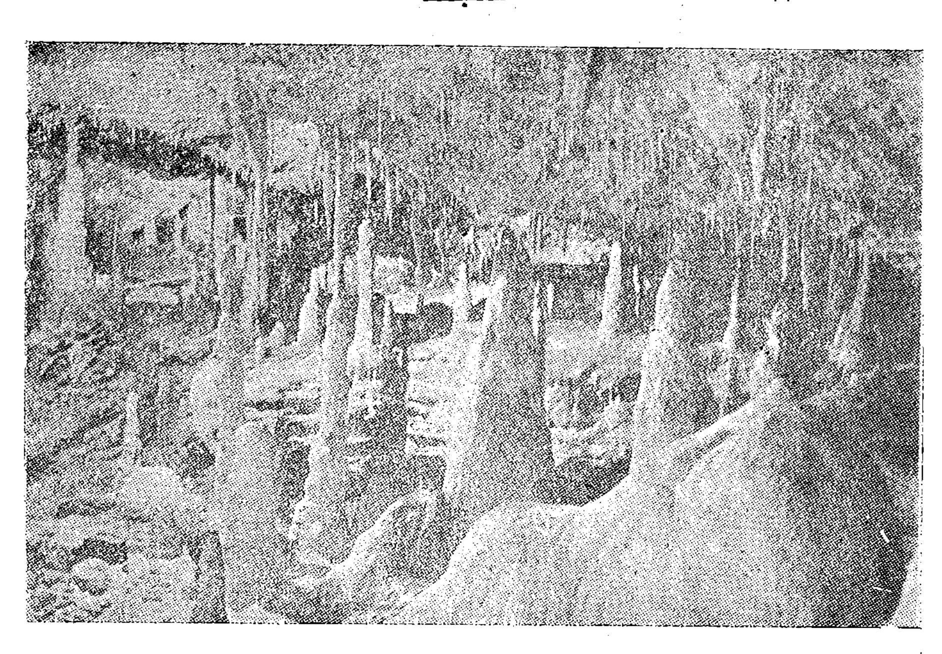
٨٤

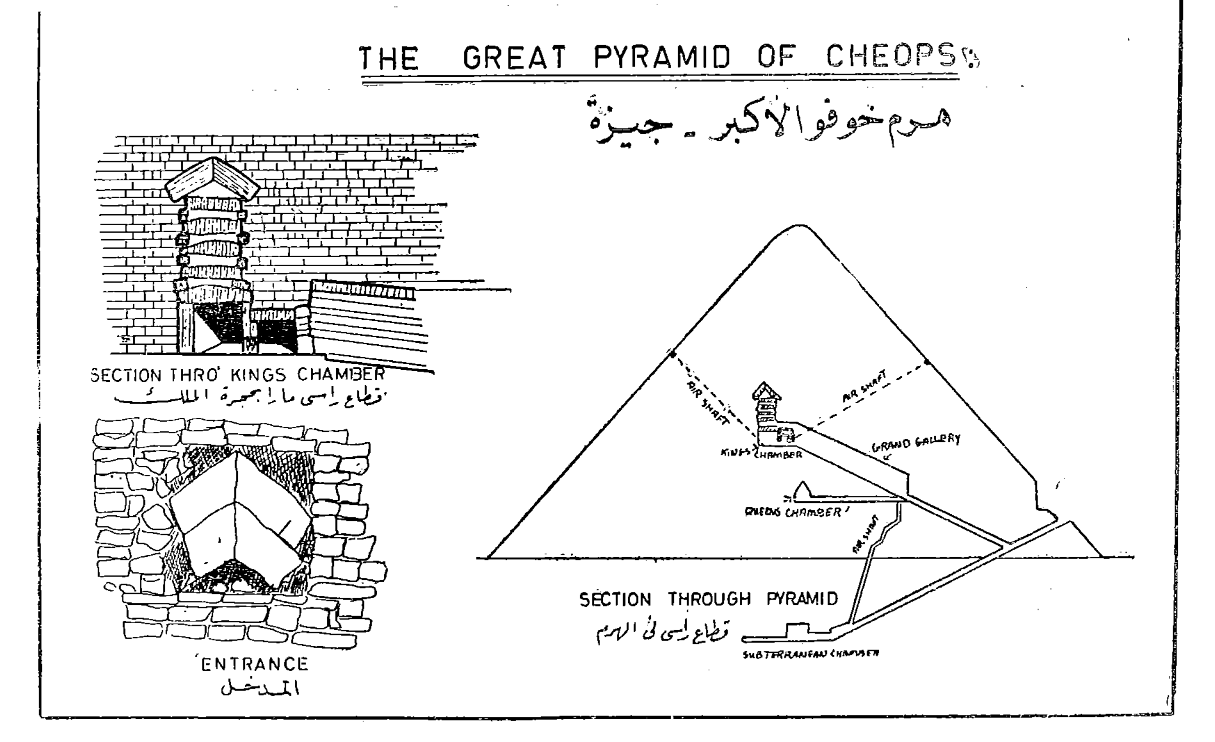


٨٥

٨٢ ـ هرم الملك زوسر ـ سقارة .
الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م
٨٣ ـ اعادة بناء المقبرة الملكية ـ سقارة
٨٤ ـ الحوائط الخارجية لمجموعة مبانى المقبرة الملكية للملك زوسر ، ويبلغ ارتفاع الحوائط ٣٣ قدم
٨٥ ـ نهاية مدخل مجموعة مبانى المقبرة الملكيه
٨٦ ـ تفاصيل معمارية للحوائط الخارجية للمعبد .

٨٦

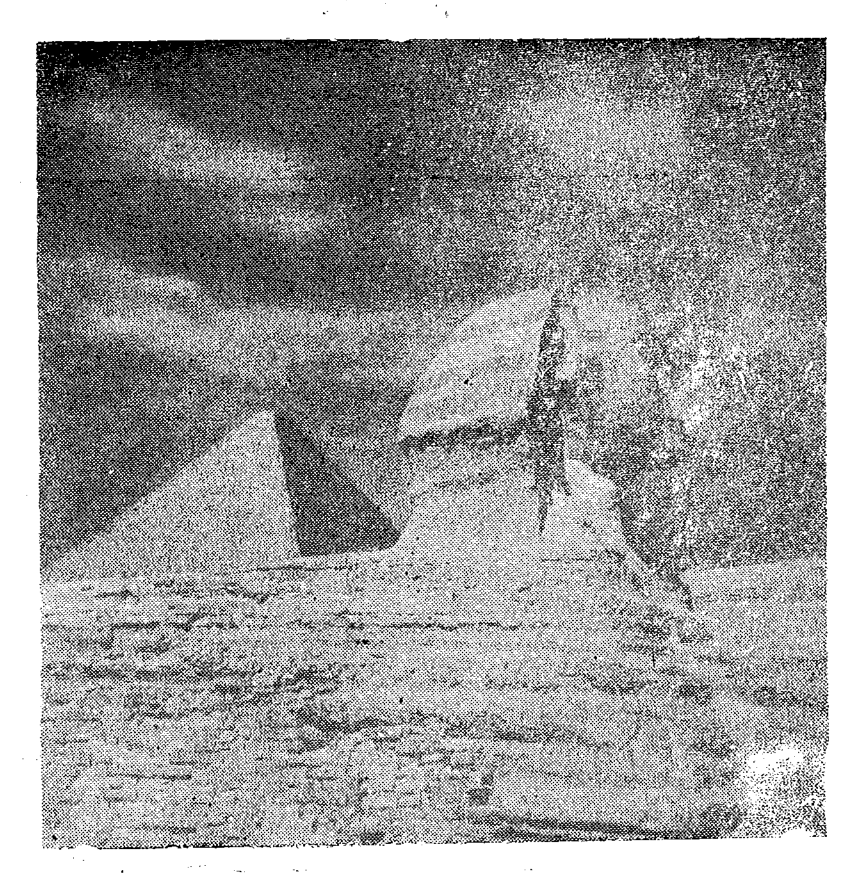


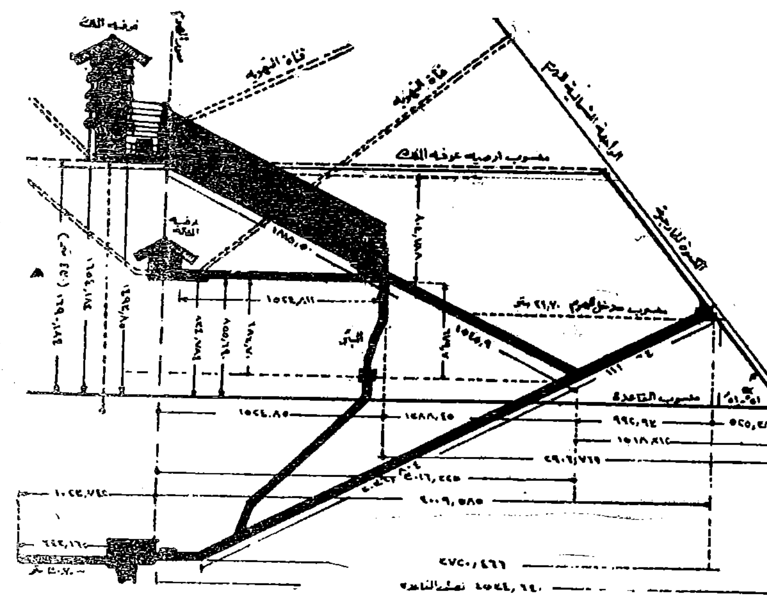


٨٧ _ PYRAMIDS الأهرامات

● تم بناء جميع الأهرامات فى عصر الدولة القديمة المتوسطة ، وتقع فى الصحراء الغربية فيما بين أبى رواش بالجيزة شمالا والفيوم جنوبا · وكانت مجموعة كل هرم تتكون من عدة أبنية لكل منها وظيفة خاصة · فالهرم حيث يدفن الملك والمعبد الجنائزى تقام فيه الصلوات على روح الملك وتقدم القرابين ، ومعبد الوادى يتصل بالنيل بواسطة قناة تعبرها المراكب ينزل منها الناس الى المعبد فيجتمعون ويتطهرون ويسلكون طريقا مرصوفا شكل٦٨،٧٠ ويجاور الهرم المخصص للملك أهرامات صغيرة تدفن فيها الملكات

● هرم الجيزة الأكبر يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع ، وهو أدق بناء فى العالم من حيث توجيه زواياه نحو الجهات الأصلية · استعملت الأحجار الجيرية لكسوة أسطح الهرم ، والجرانيت فى حجرة الدفن وفى الأجزاء السفلى من الكساء الخارجى ، وحجر الألبستر فى أرضيات المعابد موائد القرابين ·   ٨٨





الابعاد الداخلية للهرم الأكبر موضحة بالبوصة الهرمية (وحدة الق

٨٩

● كان الهرم يتبعه من الجهة الشرقية ـ معبد جنائزى تقام فيه الصلوات على روح الملك وتقدم القرابين ، وكان يشيد معبد آخر على حافة الوادى متصل بالنيل يسمى معبد الوادى ومتصل بالمعبد الآخر بواسطة طريق مرصوف مسقوف على شكل نفق مغلق وفتحات صغيرة بالسقف لدخول الضوء ، كما موضح بالمنظور والمسقط الأفقى والقطاع شكل ٨٩ ، ٩٠ ٠

٨٧ ـ قطاعات تفصيلية فى هرم الجيزة الأكبر ٠

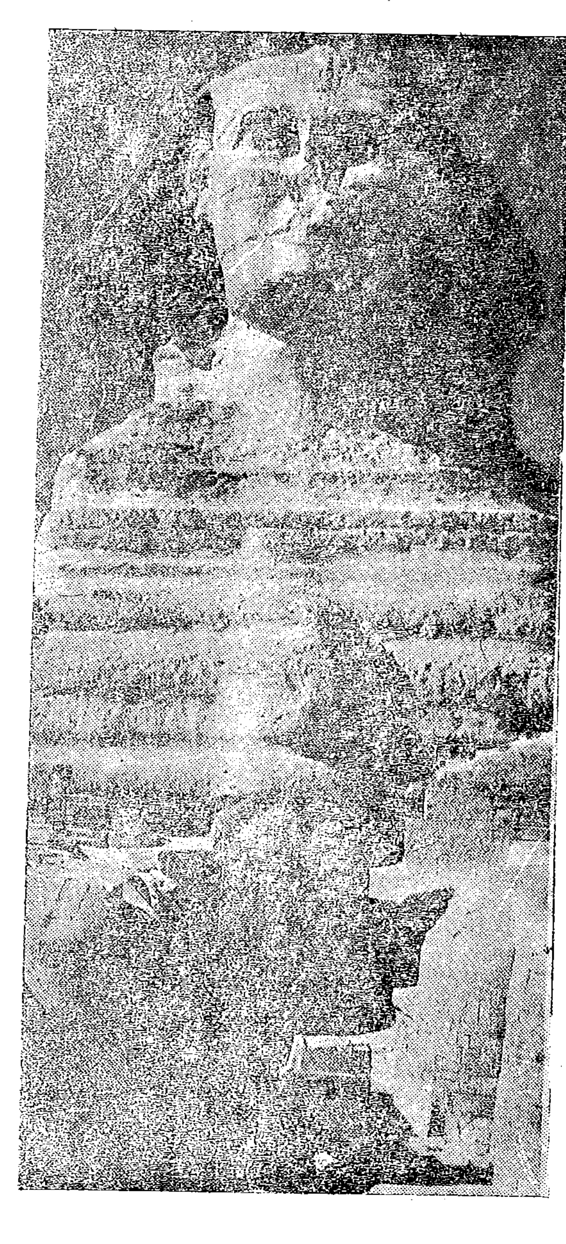
٨٨ ـ هرمى خوفو وخفرع وتمثال أبى الهول

٨٩ ـ قطاعات توضح طرق الانشاء

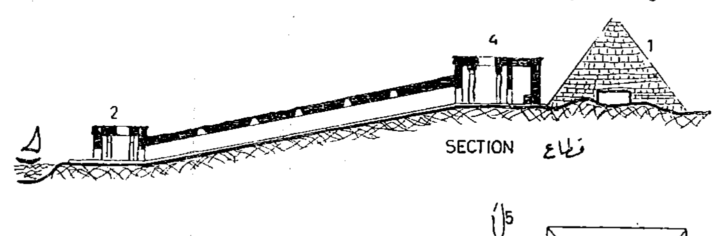
٩٠ ـ الهرم وعلاقته بمعبد الوادى

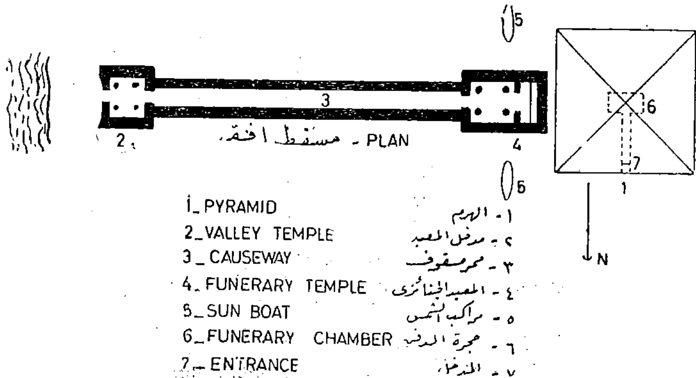
٩١ ـ تمثال أبى الهول ـ الملك خفرع

٩٢ ـ مسقط أفقى وقطاع توضيحى للهرم وعلاقته بالمعبد الجنائزى ومعبد الوادى

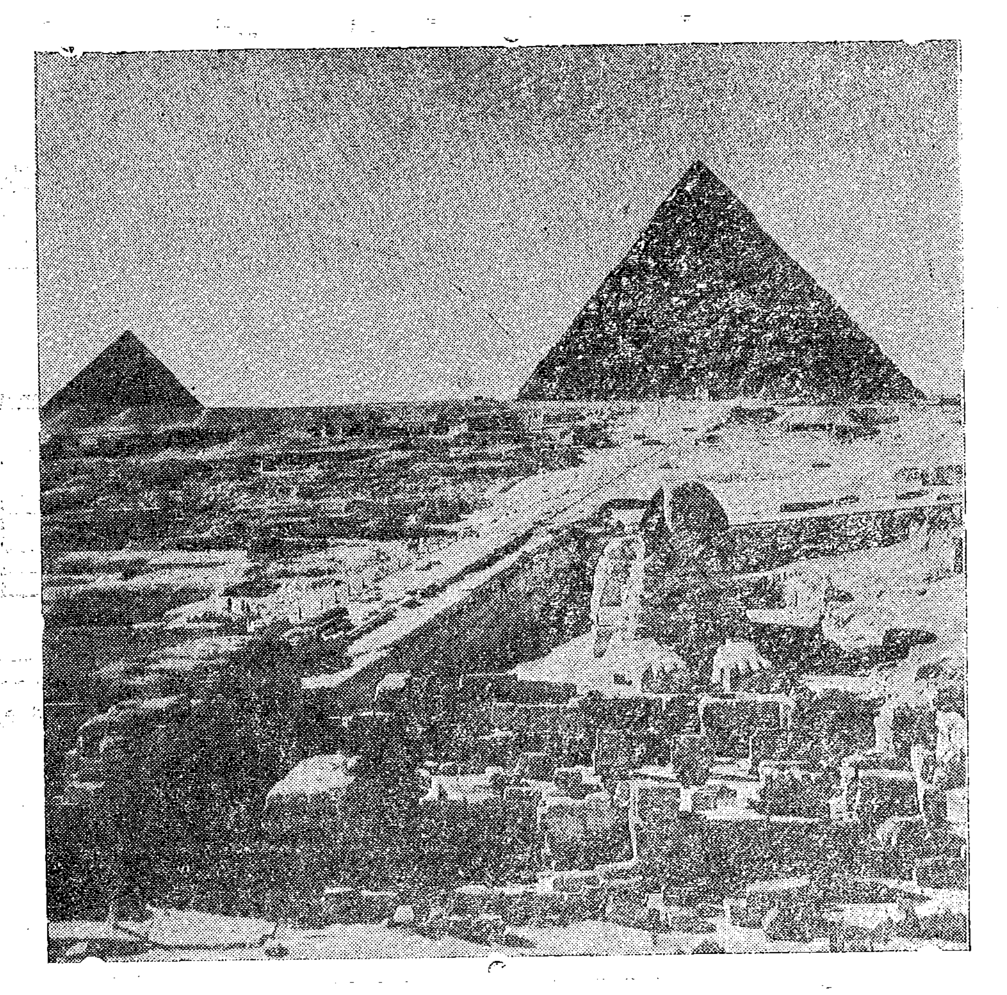


٩٠

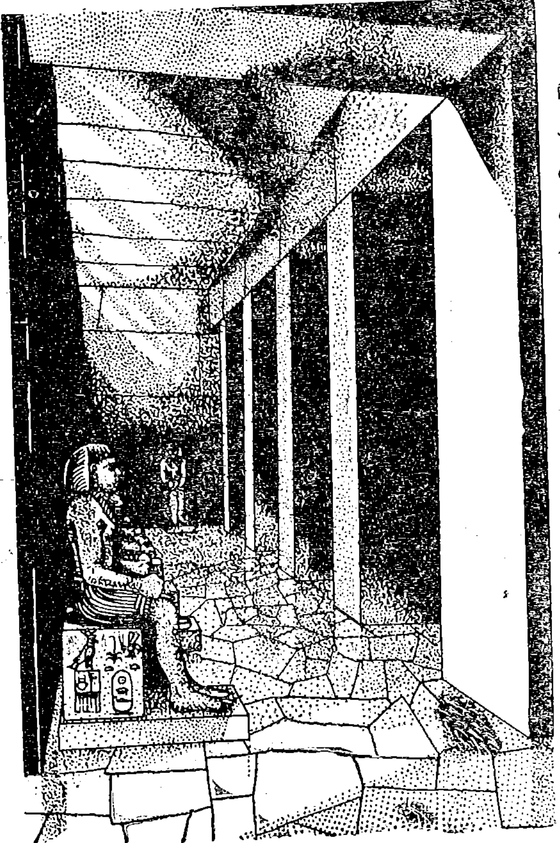




1_ PYRAMID ١ - الهرم
2_ VALLEY TEMPLE ٢ - مرفئ المعبد
3_ CAUSEWAY ٣ - ممر مسقوف
4_ FUNERARY TEMPLE ٤ - المعبد الجنائزى
5_ SUN BOAT ٥ - مراكب الشمس
6_ FUNERARY CHAMBER ٦ - حجرة الدفن
7_ ENTRANCE ٧ - المدخل



٩٣



● أبى الهول ــ تمثال الملك خفرع ٢٦٧٥ ق٠م منبع الحكمة فى رأسه ، رأس انسان ، ومصدر القوة فى جسمه جسم أسد ، عقيدة الايمان فى نظرته الى السماء والفلسفة والسخرية فى ابتسامته ــ أنه أبو الهول الفيلسوف الساخط الرابض فى رمال صحراء الجيزة ٠

٩٣ ــ أبى الهول ــ الجيزة ــ تمثال الملك خفرع

٩٤ ــ معبد الوادى ــ خفرع ، الأعمدة من الجرانيت الوردى ، والأرضيات من الألباستر الأصفر ، التمثال من حجر الديوريت الأخضر ٠

٩٥ ــ مقبرة سارنبوت الثانى ــ أسوان ، ويلاحظ عمق التأثير المعمارى والفنى وكيفية دخول الضوء الطبيعى وتأثيره الى أبعد الحدود

٩٤

هرم أوناس بسقارة ـ ٢٣٥٠ ق٠م ONAS PYRAMID

الفرعون أوناس آخر الملوك التسعة للأسرة الخامسة من الدولة المصرية القديمة ويبلغ ارتفاعه نحو ٢١ مترا وطول ضلع قاعدته ٧٠ مترا ويقع جنوب غرب الهرم المدرج لزوسر على ربى سقارة ٢٥ ك ٠ جنوب القاهرة ٠

ويمتاز هذا الهرم الصغير بنقوش خاصة ـ متون الأهرام ـ وهى صيغ روحية تتلى أو تنقش من أجل روح الموتى ،وهى النقوش التى ظهرت ابتداء من أوناس فى النصف الثانى من الدولة القديمة ، ثم تحولت الى نصوص توابيت فى الدولة المتوسطة وكانت النبع الفكرى الدينى لكتاب الموتى فى الدولة الحديثة ٠

وتحتوى النقوش الداخلية لهرم أوناس على ٢٢٨ تعويذة من مجموعة الرقى السحرية ، وهى ٧٠٠ تعويذة وكانت تنقش من أجل روح المدفون حيث كان الاعتقاد أنه فى حالة ـ فرعون ـ سيبعث حيا ولم يمت ، وهى تؤكد أنه سيتحد مع الشمس ويستشرق كل صباح ثم يستريح عند الغروب ٠ والطريق الصاعد لهرم أوناس هو طريق يصل ما بين المعبد الجنائزى لأوناس ومعبد الوادى ، طوله نحو ٧٢٥ مترا لا يتبع خطا مستقيما ولكن يتغير اتجاهه مرتين وترتفع حوائطه يمينا ويسارا فى أربع أمتـار وهو مسقوف تزينه نجوم السماء الذهبية ، بينما تركت فى وسطه فتحة بطول الطريق عرضها ٢٠ سم ٠ والحوائط من الداخل تحوى نقوشا تصور الحياة المصرية اليومية من زرع وحصاد ومجاعة أثر القحط ، وصيد ورحلات وحرب ٠٠٠ كما تصور أيضا الحياة الدينية كما ظهرت فى بعض نقوشه حيوانات افريقية مختلفة مثل الزرافة والأسد والفهد والذئاب والثعالب والضباع ٠٠٠ وهى بصفة عامة أشبه بكتاب مفتوح يصور حياة المصرى القديم فى الأسرة الخامسة التى أسسها كهنة الشمس عندما أنهوا الأسرة الرابعـــة ٠

المصــاطب : MASTABA

هى مقابر رجال الجيش من حاشية الملك ٠ والمصطبة هى مبنى متوازى السطح يبنى بالحجر أو بالطوب يكسوه الحجر الجيرى، وهو تقليد لمقابر ملوك الأسرة الأولى ، وسمح للافراد باستعماله عندما استعمل الملوك الأهرام فانفردوا بذلك على باقى أفراد الحاشية ٠ وتحتوى المصطبة فى الدولة القديمة على هيكل خارجى تطور فى أوائل

الدولة القديمة حتى أصبح مجموعة من الغرف المتعددة ويخترق السطح بئر عمودى تظهر فتحة على سطح المصطبة ويمر الى المقبرة التى تحتوى على تابوت وتزين الجدران بالنحت البارز ، أما القاعة العليا (قاعة القرابين) فكان يقصدها أقارب المتوفى وكانت مزينة بالنحت البارز ، ومن أشهر النحت البارز الصيد فى المستنقعات ، ومن أجمل هذه المصاطب مصطبة Rac Hoteb فى سقارة ٠

وتتكون المصطبة عادة من جزئين : جزء تحت منسوب سطح الأرض منحوت فى الصخر تصل اليه اما عن طريق بئر رأسية أو نفق منحدر ينتهى عند حجرة للدفن يوضع بها التابوت والجزء الآخر يبنى فوق سطح الأرض ويحتوى على حجرة بها باب وهمى فى جهته الغربية أمامه توضع منضدة أو طبلية تقدم عليها القرابين ، وحجرة أخرى ليس لها منفذ يوضع فيها تمثال صاحب المقبرة بفتحة ضيقة جدا أمام التمثال لكى يدخل منها البخور الذى يحرقه الكاهن – يرجى أن تنظر اللوحات والرسومات أشكال ٢٧ ، ٢٨ ٠

وكانت أغلب المصاطب تحتوى على أفنية مفتوحة ودهاليز وحجرات ، وصالات جميع حوائطها منقوشة تمثل صاحب المقبرة فى حياته اليومية وتمثل حيـــاة الريف الزراعية فى الحقول من زرع وحرث ، وجميع ما يتبع ذلك من درس الحبوب وتشوينها بالأجران ، وتربية المواشى والدواجن ٠ ونرى الصناع يصنعون المراكب ، والنجارين يقطعون الأخشاب ، ويشرف على ذلك ويهيمن عليه صاحب المقبرة ٠

لقد كان لهذه الرسومات البديعة والنقوش الفنية الرائعة المنقوشة على هـــذه الحوائط التى كانت تعبر أصدق تعبير عن الحياة اليومية فضل كبير فى اكتشاف الكثير عن تفصيل ودقائق حياة قدماء المصرين وأعمالهم وصناعاتهم وألعابهم الرياضية ٠

وبصفة عامة كانت المصاطب مستطيلة الشكل ، وسقف مستوى ، وحوائط مائلة زاوية ٧٥ درجة ٠ وعادة ما تحتوى المصطبة على حجرة خارجية توضع فيها هدايا الروح ومغطاة حوائطها بالنقوش الأثرية التى تروى التاريخ ، وحجرة سرية أخرى داخلية تسمى بالسرداب وتحتوى على تماثيل مختلفة لأعضاء الأسرة ، وحجرة ثالثة تحتوى على الجثة ولا يمكن الوصول اليها الا عن طريق ممر سفلى ٠ والأمثلة على ذلك مصاطب تهى THI وسقارة وبنى حسن ومصاطب وادى الملوك بطيبة ٠

المقـــــابر : TOMBS

كره المصريون القدماء الموت أشد الكره وتحايلوا على نكرانه بشـــتى الأمور والوسائل · كان ايمانهم عميق بوحدانية الاله ··· أحد أحد لا شريك له · ويؤكد ذلك ما نقرأه عن اخناتون ورسالته، وان الحياة الدنيوية موقوتة بفترة زمنية محدودة حددها الرب الخالق العظيم ، وأن الحياة بعد الموت هى الحياة الباقية بعد الحساب بالثواب والعقاب عن الحسنات والسيئات عن ما قدمه الانسان فى حياته الدنيوية · لذلك كان ايمانهم عميق فى عودة الروح الى الجسد بعد خروجها منه فى الحياة الدنيا وانتقالها الحياة الأبدية ·

وعلى ذلك حرصوا أشد الحرص على ضرورة بقاء الجسد سليما وبالصورة والهيأة التى كان عليها ، ومن هنا برعوا فى التحنيط لضمان بقاء الجسد سليما · وعلى الضفة الغربية النيل وفى مستقر الشمس عند غروبها كان اختيار المقابر للملوك والملكات والوزراء وكبار رجال الدولة وغيرهم من الأمراء والأميرات وقادة الجيش والمقربين اليهم · كان ولا بد من اختيار المواقع الآمنة الحصينة لبناء المقابر التى تضم أجسادهم ومعها أغلى وأثمن ممتلكاتهم من حلى وأثاث وثياب وأدوات الزينة ، بعيدة عن أعين اللصوص أو الأعداء ·

● كيف كان يتم عمل المقبرة :

فى سفح جبل القرنة على الضفة الغربية للنيل أمام مدينة الأقصر التى تقع على الضفة الشرقية ، وفى هذا الوادى توجد مقابر الملوك والملكات وتتكون المقبرة من صالة متسعة أو عدة صالات ملحق بها حجرات كل منها مخصصة لغرض محدد · الحجرة الرئيسية مخصصة للتابوت وبداخله الجثة ، والثانية للثياب والحلى وأدوات الزينة والأخرى للممتلكات والمقتنيات الثمينة وهكذا ·

وتقع هذه الحجرات أو تلك المقبرة على أعماق أسفل الجبل تصـــل الى مئات الأمتار متصلة بممر ينحدر الى أعلا اما فى خط مستقيم حتى يصل الى سطح الأرض أو فى خط ينحرف فجأة الى اليمين أو اليسار ثم يتجه بعد ذلك الى السطح · هذا الممر هو فى الواقع وحقيقة نفق يبلغ عرضه حوالى ٤ر١ م وارتفاعه نحو ٨٠ر١ م وسقف على شكل قبو · وجميع الحوائط والأسقف سواء للممر أو الحجرات مزينة بنقوش ورسومات وكتابات بالحفر ومصبوغة بألوان بديعة منسجمة زاهية تحكى تاريخ حياة الملك أو الأسرة التى تضمها المقبرة ·

المقبرة اذن محفورة ومقطوعة فى باطن الجبل على عمق كبير من سطح الأرض فى مأمن وحماية من العوامل الطبيعية والتقلبات والتغيرات الجوية والهزات الأرضية ، حيث كانت مصر فى هذه الفترة الزمنية معرضة للزلازل ، من جهة أخرى فهى بعيدة عن أعين المغيرين والأعداء واللصوص • وفضلا عن ذلك فقد اهتم الفراعنة بمقابر الملوك والملكات والتى تحتوى على ثروة ضخمة من التحف والممتلكات والحلى والمجوهرات الثمينة للمحافظة عليها وبقائها الى عودة الروح ويوم البعث • فقد حفروا بئرا عميقا فى نهاية المنحدر الأول عند تقابله ببداية المنحدر أو النفق الثانى المنحرف الى اليمين أو اليسار ، وبعد غلق مدخل النفق الثانى بالحجر يغطى فوهة البئر بورق البردى أو بنسيج من القماش وأخيرا يغلق مدخل المنحدر الأول بالحجر واخفاء معالمه تماما •

كان الغرض من البئر العميق الذى بلغ عمقه أكثر من ١٥ مترا جعله فخا أو مصيدة لاصطياد الدخلاء اللصوص المندفعين فى الظلام على هذا الممر الشديد الانحدار يسقطون فجأة فى هذا البئر الى غير رجعه •واذا قدر لمن خلفهم النجاة من السقوط يهرولون مذعورين بالعودة الى الخارج للنجاة بأنفسهم من لعنة الفراعنة •

لم يثبت علميا حتى اليوم كيف كان الفراعنة من المصريين القدماء يحفرون تلك الانفاق ذات الميل الشديد الانحدار أسفل الجبل وعمق كبير لم يتضح أيضا نوعية الأدوات أو الآلات والمعدات التى استخدموها فى عمليات حفر الانفاق فى الصخر على تلك الأعماق البعيدة عن سطح الأرض • وهل كانوا يستعملون تلك الأدوات التقليدية البدائية فى مثل هذه الأعمال الهندسية الفنية الجبارة التى تحتاج الى دقة الصنع وحسابات رياضية وعلوم هندسية وفنية ٠٠ ؟ هل مثل هذه الأعمال الفنية الهندسية التى هى فعلا على أعلى مستوى علمى وفنى كان يؤديه عمال مأجورين أو عبيد ٠٠؟ وكم كان عددهم ٠٠؟ وهل يمكن العامل الأجير أو العبد المسخر أن يؤدى عملا فنيا ٠٠؟

هناك تساؤلات أخرى تبحث عن الاجابة الصحيحة حتى اليوم ولكنها لا تجد جوابا • مئات الأمتار المربعة للحوائط على جانبى المنحدرات والأسقف ذات القبو المعقود وكذا الصالات وحجرات المومياء والحلى وغيرها ٠٠ جميعها مزينة بنقوش ورسومات وكتابات باللغة الهيلوغرافية مصبوغة بألوان زاهية متناسقة جميلة ٠٠ والسؤال هنا هو على أى نوع من الضوء تمت هذه الأعمال الفنية الدقيقة التى لا يقوم بها الا كل فنان متخصص فى الرسم والنحت والحفر والتلوين ٠٠ ؟ هل كان الضوء المستخدم ضوء المشاعل ٠٠ مئات المشاعل التى ينبعث منها ثانى أكسيد الكربون الخانق ويحرق أكسوجين الهواء ؟ واذا كان الأمر كذلك فأين اذن آثار الهباب •

الدخان المنبعث من تلك المشاعل ٠٠ ؟ هل كانوا يستعملون الكهرباء ٠٠ ؟ بالطبع لا ٠٠ والا اين التوصيلات والمعدات والأدوات التى استخدمت ٠٠٠ ؟ هل كانوا حقا يستخدمون الألواح العاكسة لأشعة الشمس بتطبيق نظرية زاوية السقوط تساوى زاوية الانعكاس ٠ فاستخدموا ألواح من حجر الكوارتز اللامع لهذا الغرض ، وهذا قول ضعيف لا يقبله الا صغار طلبة المدارس ٠٠ ؟

اذن ما هو مصدر الضوء الذى كان يستعين به قدماء المصريين فى انارة مقابرهم أثناء العمل فيها الذى احتاج الى عدة شهور متواصلة وربما الى سنوات ٠٠ ؟ هؤلاء الفراعنة الذين برعوا فى جميع المجالات العلمية والفنية والهندسية والرياضية كالطب والهندسة والكيمياء والفلك وغيرها ٠ فهل كانوا يعجزون عن استخدام الطاقة الشمسية التى تتحدث عنها فى العصر الحديث الذى عجزنا نحن فيه عن الوصول الى ما وصلوا اليه من تقدم فى التحنيط ٠ مثلا أو علاج مرض السرطان أو علوم الفلك ٠٠٠ وغيرها ؟

لماذا اذن لا يستعينوا بالشمس التى عبدوا الاله الواحد الأحـــــد فى صورتها وتمثلوه فى قرصها وأشعتها الذهبية ٠٠ فهى مصدر الحياة وسر الوجود فى هذا الكون ٠٠ ؟ من هذا المنطلق اعتقدوا أن الأمر كان سهلا وبسيطا بالنسبة لهم ، فقد أمكنهم تخزين أشعة الشمس على شكل بطاريات شمسية استخدموها داخل مقابرهم ومعابدهم ومساكنهم للاضاءة أثناء الليل وفى الأماكن المظلمة ٠ والسؤال هنا هو ٠٠٠ أين اذن هذه الأدوات أو هذه البطاريات الشمسية ٠٠ وأين اماكنها ؟ الجواب هـو أن قدماء المصريين لا يتركون أى أثر يكشف عن سر تقدمهم وأعتقدوا أنها تعتبر من الأسرار الكونية التى حباهم الاله بها ولابد من المحافظة عليها ٠ أما فيما يتعلق بالأماكن التى كانت هذه البطاريات موجودة بها فقد لوحظ فى كثير من المقابر والمعابد مسطحات فى أعلا الحوائط عند تقابلها بالأسقف غاطسة قليلا مقاس حوالى ٣٥ × ٤٠ سم ملساء خالية من النقوش أو الزخارف ٠ وفيما يلى وصف تاريخى لأهم مقبرة فى وادى الملكات :

● مقبرة نفرتارى ٠٠٠ التى ضاعت فى وادى الملكات ؟

أغلى ما تملكه مصر من كنوز وآثار ٠٠٠

ليس فى التاريخ كله من نساء الأرض من نالت كل هذا الاهتمام من زوجها مثل نفرتارى !

أقام لها فى حياتها رمسيس الثانى أعظم ملوك مصر قاطبة ٠٠ معبدا هائلا هو

أبو سمبل الصغير ٠٠ وأقام لها مع كل تمثال له تمثالا آخر لها الى جواره تماما تشاركه الحياة الدنيا والخلود من بعد الرحيل ٠٠

وعندما رحلت عنه أقام لها أعظم المقابر الملكية فى وادى الملكات ٠٠ وهى بحق وبشهادة المؤرخين والاثريين ورواة التاريخ المصرى وشهود العيان أجمل مقبرة ملكية على الاطلاق برسومها وألوانها التى ما زالت تنطق بالحياة كأنما الفنانون والرسامون قد انتهوا لتوهم من رسمها ! هذه المقبرة الجميلة التى تعد آية فى الفن والجمال مهددة الآن ٠٠ بل الساعة بالانهيار والضياع ٠٠ بعد أن أكلت الأملاح رسومها ونقوشها من فرق الجدران أو كادت ٠٠ فى الوقت الذى تهددها المياه الجوفية بالغرق اذا لم نسارع بالجهود كله والاهتمام كله بمد طوق النجاة اليها !

لقد دخلت مقبرة نفرتارى دائرة الدمار بالفعل منذ نحو ٤٠ سنة بعد أن اقتحمتها مياه السيول مع كل مقابر وادى الملوك والملكات ٠٠ وبعد أن بدأت رسومها تتساقط واحدا بعد الآخر ٠٠ وعقدت لجان كثيرة ودخلتها وفود مصرية وأجنبية منكل أنحاء العالم ٠٠ وأعدت تقارير ٠٠ مئات التقارير كلها ـ بكل أسف ـ نامت سنوات طويلة داخل الأدراج وفوق الرفوف حتى أكلتهـــا ـ عن آخـــرها ـ الفئران المرحة ! بل ان مليونا من الدولارات تبرعت بهـــا قرينة رئيس جمهورية الفلبين قبل ثلاثة أعوام بعد أن زارت المقبرة وهالها ما وصلت اليه حالتها ولكن حتى الآن لا أحد يعرف أين ذهب المليون دولار وفيم أنفق ! !

والآن وكل العيون معلقة بأبو الهول والكرنك العظيم وهما يعيشان فى ظل محنة حقيقة تهددهما بالمصير الغامض ٠٠ لتعبر العيون نهر النيـل الى الضفة الغربية حيث مقبرة نفرتارى أجمل الجميلات فى التاريخ لا للتحية وقراءة الفاتحة واطلاق البخور وتوزيع الصدقات ٠٠ وانما لانتشالها هى الاخرى من الاحزان التى تلفها وتكاد تحولها الى مجرد البوم للذكرى ليس أكثر ! ونفرتارى : يعنى بالفرعونية القديمة (أحلاهم أو حلاوتهم) كما نطلقها الآن على بنات القرية !

والطريق اليها عبر النيل دائما يبدأ بالباخرة وينتهى بقارب صغير يعلوه شراع أبيض٠ الباخرة الكبيرة التى تحمل زوارا عبروا البحر والمحيط تقترب من مرساتها عند أبو سمبل ٠٠ هذا التمثال الهائل على باب المعبد أنه رمسيس الثانى ملك مصر العظيم ظل يحكم من فوق كرسى العرش ٦٧ عاما وعاش عمرا تجاوز التسعين أما تلك التى تقف الى جواره أنها نفرتارى ملكة مصر وزوجته الأثيرة الى قلبه ٠٠

واتطلع الى وجه نفرتارى الذى يعنى بالهيروغليفية الرقيقة (الجميلة تتهادى) وأتذكر !

نفس المكان الذى تقف فيه الان ولكن لا وجود للمعبد الفخم ٠٠ الزمان عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ٠٠ وترسو على شاطىء النهر مركب فرعوني ملكى كبير ٠٠ يهبط الملك ممسكا فى يده اليمنى اجمل جميلات عصرها ٠٠ أنهما رمسيس الثانى ونفرتارى زوجته التى تتهادى فوق حبات الرمل كأنها النسيم ٠٠ ويهبط من الزورق الملكى كبار رجال الدولة والمهندسون والنحاتون الرسامون ٠٠ طابور طويل يقف فى صمت فى انتظار كلام الملك ٠٠ يدور حوار هامس بين رمسيس ونفرتارى لا أحد يسمعه من الواقفين ٠٠ ولكننا نسمعه بوضوح ٠٠

الملك : سوف أقيم هنا معبدا عظيما يجمعنا معا أبد الدهر ٠٠ وقد طلبت من كبير المهندسين أن يقيم لك تمثالا ضخما ارتفاعه ١٠ أمتار الى جوار تمثالى ٠٠

الملكة : بشرط أن يظهر وجهه على هيئة الالهة حتحور آلهة الحب والجمال ٠٠

الملك باسما هامسا : أنت أجمل بكثير ياعزيزتى من الالهة حتحور نفسها والا ما جلست معى على عرش مصر فى أول سنة أعتلى فيها العرش !

وهنا يعلو صوت الملكة دون أن تدرى : لا تقل ذلك ياسيدى ٠٠ حتى لا تغضب الهة الحب والجمال ٠٠ فتفرق بيننا ٠٠

الملك وهو يضحك ضحكة عالية شدت أنتباه الحاضرين : لن يفرق بيننا أحد يا نفرتارى !

وقد كان فلم يفرق أحد بين رمسيس ونفرتارى ــ رغم كثرة زيجات رمسيس وكثرة أولاده ــ ١٠٠ ولد وبنت ــ الا أن نفرتارى كانت أثيرة لديه ، وقد حزن كثيرا لفراقهـا وبعد أن عاشا معا زمانا طويلا ٠٠

والطريق الثانى الى نفرتارى يبدأ من يوم رحيلها الى العالم الاخر ٠٠ زورق صغير شراعه الأبيض يدفعه الهواء الى الضفة الغربية لنهر النيل عند طيبة ــ أقصد الأقصر الآن ــ على الأقدام صعد بنا الدليل أو هبط الى وادى الملكات :

هنا ترقد ملكات مصر داخل ٧٠ مقبرة جميلة منحوتة فى الصخر ٠٠ لندخل مباشرة الى مقبرة نفرتارى ٠

(درجات من سلم حجرى نهبطها ·· الرسوم هنا بالنقش البارز أول ما يقع عليه عيناك صورة الملكة الجميلة تلبس رداء شفافا وتتعبد للاله أوزوريس ومن خلفه الاله أنوبيس وأمامه أولاد حورس الأربعة ·· وسقف المقبرة كقطعة من السماء فى ليلة هادئة أزدانت بالنجوم ·· لتظلل الملكة الجميلة فى حياتها الاخرة !

الى يسار المدخل نجد الملكة تعيش حياتها كما عاشتها على الدنيا فى قصرها الملكى أنها فوق الجدران تلعب (الدومينو) أو لعبة شبيهة بها ·· وفوق حائط ثالث نجد الملكة أمام الاله نيت والاله جحوتى اله الحكمة · ونخرج الآن من الحجرة الأولى ونهبط سلما اخر ·· الى اليسار ·· نفرتارى وهى تقدم الى الالهة أيزيس كاسين واحدة من النبيذ والأخرى من اللبن ·· ومن خلفها تجلس الالهة نفتيس ·· بينما تفرد الالهة ماتى الهة الصلاة جناحيها فوق الملكة ··

وندخل الآن حجرة الدفن وبها أربعة أعمدة تتوسطها حفرة عميقة لوضع التابوت الخالى من صاحبته ·· وهناك حجرتان جانبيتان ·· والمناظر هنا تصور الحياة الآخرة ورحلة نفرتارى فى العالم الاخر تحرسها المردة والتعاويذ السحرية التى تسمح الملكة أن تمر خلالها فى طريقها الى مقرها الأبدى المختار) · وبكل أسف فقد أصاب الدمار كل شىء هنا !

والمقبرة الجميلة ـ كما يقول تقرير خاص أعده د· عبد الحليم نور الدين و د· أحمد الصاوى ـ حالها يستحق الشفقة أو الرثاء ·· أو الاثنين معا ·

١ ـ تساقطت رسوم ونقوش كثيرة من فوق الجدران والأبواب والأسقف ·
٢ ـ تسللت المياه الجوفية من أسفل وأخذت تصنع من الحجر الطفلى الذى نحتت منه المقبرة مزيجا يهدد المقبرة كلها بل وباقى مقابر وادى الملكات ووادى الملوك بالانهيار المفاجىء !
٣ ـ بدأت الأملاح تظهر على جدران المقبرة التى أكلت بالفعل أجزاء كثيرة من المناظر والرسوم ·
٤ ـ حدثت تشققات كثيرة فى جدران المقبرة تهددها كلها بالسقوط !

ذلك هو حال مقبرة من نالت فى حياتها أكبر أهتمام يمكن أن تناله واحدة من بنات حواء فى التاريخ كله وحتى تكتمل جوانب الصورة تعالوا نفتح ملف مقبـــــرة نفرتارى ·· وصفحاته تضم محاولات مخلصة لانقاذ المقبرة من الضياع ·· ومحاولات أخرى يائسة لم تصنع شيئا ·· ومحاولات ثالثة غير جادة وهى مخلصة !

والمحاولات كلها انتهت بالمقبرة الى حالة (الغلق الكامل) لا أحد يزورها لا أحد

يفتحها ٠٠ وان كان ذلك كما قال لى أعظم مرممى الآثار فى مصر أحمــد يوسف ـ يجعلها نهبا للصوص من الخفراء ومن يعملون لحسابهم دون أن يدرى أو يكتشف أحد ما جرى الا بعد فوات الأوان ! والمحاولات المخلصة ـ مازال أحمد يوسف يتكلم ـ بدأت منذ نحو ٤٠ عاما كاملة ٠٠ عندما راحت الرسوم والنقوش والكتابات داخل المقبرة تتساقط ٠

وعبر مشوار طوله نحو ٤٠ عاما جرت لانقاذ المقبرة ٠٠ محاولات قام بها ٠٠ د٠ زكى اسكندر قبل أن يرحل عنا وفهمى عبد الوهاب مدير الترميم و د٠ صالح أحمد صالح مدير مركز صيانة الآثار ٠٠ ولكن أحــدا لم يلتفت الى تقاريرهم وأبحاثهم ومقترحاتهم !

وجاءت وفود علمية من اليونسكو والجامعات من جميع عواصم العالم وقدمت أبحاثا طويلة حول طرق انقاذ المقبرة العظيمة ٠٠ ولكن ـ والكلام لابراهيم النواوى مدير عام مصلحة الآثار ـ لم يفتح أحد (دوسيها) واحد من هذه الدراسات !

وقبل ثلاثة أعوام جاءت حرم رئيس جمهورية الفلبين وزارت المقبرة وتبرعت بمليون دولار لانقاذها ٠٠ ولا أحد يعرف حتى الساعة أين ذهب هـــذا المليون من الدولارات ٠٠ بالقطع ليس لاصلاح حال المقبرة ! فى تصور محمود رشوان مراقب عام المتحف المصرى ٠٠ أنه من الصعب ترميمها الآن بعد أن استقرت الأملاح فوق الجدران فزادت الطين بلة !

طريقة خلاصة خبرة الخبراء الأجانب والمصريين عبر محاولات وتجارب أمتدت أربعين سنة كاملة ٠٠ يقولون : ٠

١ ـ تنزع النقوش مع طبقة الجبس الرقيقة وعلاج سطح الجدران كلها وغسلها وتخليصها من الأملاح ثم اعادة طبقة الجبس الرقيقة ـ ملليمتر واحد ! ـ الى مكانها وفوقها الرسوم والكتابات ٠

٢ ـ نضع طبقة عازلة بين الجدران والطبقة الحاملةللرسوم والنقوش ثم اعادتها الى مكانها مرة أخرى ٠

٣ ـ بل نحفر خندقا حول المقبرة كلها ٠٠ لعزلها عن كل ما حولها حتى لا تتأثر بالرطوبة والأملاح ٠٠

٤ ـ بل نبنى قبة خرسانية فوقها تعزل المقبرة عن الجبل تماما !

ولكن كل ما فعلته هيئة الآثار من عام ١٩٤١ وحتى الآن :

١ ـ تسجيل كل النقوش والكتابات والرسوم بالصور ٠

٢ ـ منع زيارة المقبرة كلية !

قال لى د٠ شحاته آدم رئيس هيئة الآثار : أن المياه الجوفية لا تشكل خطرا على الكرنك ٠٠ أو وادى الملوك والملكات ٠

قلت : ولكن كل التقارير تقول غير ذلك ٠٠ وأما فى تقرير للدكتور مصطفى الكروانى الذى جاء من الولايات المتحدة مع مجموعة من العلماء والجيولوجيين ، دفعت لهم احدى الشركات العالمية ٣٠٠ ألف دولار خصيصا ، من أجل انقاذ مدينة هابو كلها من مشكلة المياه الجوفية ٠٠ بعد أن تشبعت الصخور بالمياه الجوفية ٠٠ وأصبحت المقابر هنا مهددة بالسقوط !

قال : لقد حفرنا ٣٢ بئرا فى منطقة الكرنك ، ولم نجد أى خطورة من تسلل المياه الجوفية من باطن الأرض ٠٠ وكذلك فعلنا فى مدينة هابو ٠٠ أن المشكلة التى تؤرقنى هى مسألة البخر والأملاح القادمة من البحيرة المقدسة الى جوار الكرنك والتى تبدد الآثار بالفعل ٠ أما بالنسبة لنفرتارى ٠٠ فقد أكلت الرياح عند أبو سنبل وجه تمثالها الذى أصبح يحتاج الى علاج !

ماذا بقى بعد ذلك كله لنفرتارى الجميلة التى نالت فى حياتها ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها فى التاريخ ! ماذا بقى بعد رحيلها عن الدنيا قبل نحو ٣١٠٠ سنة ؟

● تزوج من بعدها رمسيس الثانى ابنة الملك خاتو سيل ٠٠ ملك الحيثيين ٠٠ ورغم أنه كان زواجا سياسيا ٠٠ ربما الا أنه من المؤكد أن نفرتارى لم تغفر له ذلك ٠٠ ولعل لسان حالها يقول : خداعون هم الرجال !

● أصبحت مقبرتها ـ أجمل مقابر الملكات على الاطلاق ـ مغلقة بالضبة والمفتاح ٠٠ تتساقط من فوق جدرانها الصور والرسوم ٠٠ وتتشقق جدرانها ويهددها السقوط بين ساعة وأخرى !

وتنضم مقبرة نفرتارى الى قائمة كنوز الاثار المصرية التى قد تتحول ـ اذا لم نخلصها مما هى فيه ـ الى مجرد البوم صور للذكرى والتاريخ ٠

وبعد آلام أبو الهول ، وأحزان الكرنك ، وهموم نفرتارى ٠٠ ترى ماذا تضم القائمة من أسماء جديدة ، وكلها تمثل صفحات حية من تاريخ مصر ٠٠ وتراث مصر للانسانية كلها ٠٠ واذا نحن فقدناها اليوم واحدا بعد الآخر ٠٠ ماذا يبقى بعد ذلك من حضارة مصر ٠٠٠ ؟

معابد دينية ـ معابد جنائزية

الأولى تكريما للآلهة على الشاطىء الشرقى ، والثانية لاقامة الحفلات الجنائزية بعد وفاته ولتقديم القرابين والعطايا على روحه على الشاطىء الغربى حيث مدافن الملوك لتكون قريبة من الروح التى تخرج من المقابر لحضور الحفلات وتتقبل الرحمة وزيارة الأهل والأقارب ·

وتختلف معابد قدماء المصريين عن المعابد التى أقيمت بعد ذلك التاريخ ، حيث أن هذه المعابد لا يدخلها الا الملوك ورجال الدين فقط ، ولا يسمح لطائفة الشعب الدخول اليها الا فى الفناء الخارجى البعيد · وعلى ضفتى النيل ، توجد الكثير من المعابد أهمها معبد طيبة وتغطى مساحة واسعة على ضفتى النيل ، فعلى الضفة الشرقية معبدى الكرنك والأقصر وعلى الضفة الغربية معابد الملوك والملكات · وعموما تختلف معابد قدماء المصريين عن المعابد الاغريقية والكنائس المسيحية والمساجد الاسلامية حيث أنها لم تكن تستعمل للصلاة العامة ولا لمزاولة شعائر الجماعات · وعلى ذلك كان المعبد عبارة عن فناء كبير تقام على جوانبه بهو الأعمدة وحجرات وممرات خاصة يشيده الملك ليهديه للآلهة رمزا عن تقواه ·

● رمزية المعابد وقدسية التكوين المعمارى :

لكى نتمكن من تلخيص معنى الرمزية Simbolism وتطبيقها فى تصميمات المعابد المصرية القديمة ، ولكى نفهم جيدا ما كان يقصده المهندس المعمارى من تحقيق برنامج المعبد ومطالبه ، وعلاقة تلك التكوينات وما تحتويها من عناصر مختلفة معمارية ووحدات بعضها ببعض ، وما كان يفرضه رجال الكهنة ومعلموا اللاهوت على المهندس من برنامج محدد لعناصر تكوين المعبد المطلوب تصميمه ، فقد يكون من المفيد أن نأخذ معبدا من هذه المعابد كمثل لنرى كيفية تحقيق ذلك · معبد ادفو مثلا حيث لا يوجد الآن أى أثر لهذا الحائط الكبير « البايلون » الذى يحجب الحياة العادية الطبيعية عن هذا العالم الآخر ، ولا يوجد الآن ما يسمى بالمنظر العام الدينى أو اللاهوتى ، ولا تلك الألوان الجميلة الزاهية التى أكدت الزخارف والحليات المحفورة فى الحجر ·

ومع ذلك فلا تزال أشكال المبانى التذكارية والمعالم الأساسية للاضاءة الداخلية قائمة • تلعب الحوائط الخارجية دورا أساسيا من حيث المظهر الخارجى للمعبد بحيث يظهر كأنه قلعة حصينة وخاصة ذلك البايلون الخارجى Rylan للمدخل الرئيسى للمعبد المكون من برجين بينهما الباب العمومى للمعبد حيث نرى الشمس المشرقة كل صباح • ومن هذا المدخل يجد الانسان نفسه وكأنه فى عالم آخر ، فناء داخلى مربع الشكل مسقوف من ثلاث جوانب فقط بصف من الأعمدة ، ذات تكنات مرتفعة شامخة ، وأما الجانب الرابع للبهو فيطل عليه واجهة المعبد ذات الثكنة والكورنيش ا لممتد أفقيا فى صراحة تامة تحدد خط السماء ، وهذه الثكنة محمولة على ٦ عمد وحوائط مائلة الى الداخل تحدد وتؤكد تيجان هذه الأعمدة لتبدو واضحة ظاهرة ورائها حائط صالة المعبد • ملئت المسافات التى بين الأعمدة بحوائط قليلة الارتفاع تصل الى نحو نصف ارتفاع الأعمدة • توحى تيجان هذه الأعمدة بنباتات مصر المختلفة ، كما يوحى هذا الفراغ الداخلى للمعبد بالروحانية الذى تغمره الشمس الدافئة ، المخصص للقاء الشعب فى الأعياد والاحتفالات الدينية لعبادة الاله « حورس » فى معبـــد ادفو ، بروحانية الاجتماع فى صالة البهو قبل اللقاء داخل المعبد وقبل الوصول الى قـــدس الأقداس ومواجهة المعبود •

هذه هى **الرمزية المصرية** : وهذه الرمزية بمعناها ومغزاها مكتوبة ومنقوشة على حوائط المعبد حيث يرى آلهة الأقاليم من مختلف البـــلاد المصرية وبترتيبهم الجغرافى قادمين الى الاله حورس ليؤدى فروض التكريم والتعظيم لرب الآلهة •

وعند مدخل الصالة الأولى للمعبد نرى تغير آخر ، حيث يقل ويخفت الضوء تدريجيا حتى يتلاشى ، تعود العين الى محور المعبد الأكثر اضاءة متجها النظر الى قدس الأقداس حيث الاله الذى يرقب الحرم المقدس وتتضاءل الاضاءة فى الصالات الأخرى المتتابعة نسبيا حيث يقل ارتفاع السقف وترتفع الأرضيات ، وحيث لا تسمح ضيق المسافات التى بين الأعمدة ولا فتحات الأبواب من الخروج • فترتيب الصالات وتتابعها حسب اتساعها والطريقة البارعة التى استخدمت فى التحكم فى دخول الشمس حتى تصل الى الحرم المقدس بواسطة استخدام مناسيب مختلفة للاسقف وعمل فتحات فى بعضها • يختص معبد ادفو وحده بهذه المعالم والخواص الداخلية بل كانت من صفات وخواص كل معبد مصرى • • •

ففيما يتعلق بالمعابد فقد أتاحت لنا جميع المراجع والآثار التاريخية فرصـــة الحصول على فكرة محددة لأنواع « الرمزية » وعلاقتها بتكوينات ووحـــدات مبانى المعابد • ولكن فيما يتعلق بالأهرامات فان الأمر ليس كذلك فقد يختلف تماما •

كانت الأراضى حول الأهرامات والمناطق المحيطة بها مقابر الفراعنة فى عصور المملكة القديمة والمتوسطة ، ومراكز المواكب الجنائزية والمراسيم الدينية ، ووسيلة التعبير عن تعظيم الفراعنة أثناء حياتهم وبعد مماتهم ٠ ولكن الذى نود أن نعرفه لماذا اختار القدماء هذا الشكل الهرمى وذلك التكوين الانشائى للتعبيرعن عظمتهم وسلطانهم، وخاصة أنهم بدأوا أولا بهرم زوسر المدرج ثم الأهرامات الحقيقية الكاملة سنفرو وخوفو وخفرع ومنقرع ٠٠٠ ؟ وأوضح أن المصريين القدماء باستخدامهم الحجر فى الانشاء أحسوا بشعور متزايد نحو الأشكال والتكوينات الهندسية البسيطة ٠ فنرى مثلا أعمدة من الجرانيت فى معبد الوادى للملك خفرع شـــكل ٦٨ على غرار الأعمـــدة التى تمت قبل ذلك بالطوب أو الخشب ، ثم مجموعة المبانى الرشيقة المقامة فى فلك هرم زوسر المدرج فتخضع فى تصميماتها الى قواعد الأشكال الهندسية ٠

وعلى ذلك فالشكل الحقيقى الذى أنتهى اليه هرم خوفو ما هو الا تبسيط هندسى لهرم زوسر المدرج ، فالتغير الشكلى حدث باضافة مغزى هام أو معنى رمزى للهرم ، وهذا نوع من الرمزية ٠

فالرمزية : اذن هى التى حددت اختيار التكوينات والأشـكال والكتل الداخلية للمعبد وترتيبها لخدمة القداس الكنائسى واللاهوتى ، كل وحدة من هذه الوحدات لها وظيفة وغرض فى هذا المجتمع الرهبانى ٠٠ سجلت على حوائط كل معبد شخص الفرعون نفسه يؤدى مراسيم الولاء للاله وحقوقه وواجبه نحوه ، وفى داخل الحجرات المخصصة للاشياء الثمينة نقشت على حوائطها محتوياتها ونوعها وعددها ٠ ولذلك تحدد ترتيب الحجرات المخصصة للعبادة بالنسبة الى تأدية القداس ، مما ساعد على التعبير عن مكان الاله ومكانته فى العالم الأسطورى للمصريين القدماء ٠

● الرسم المعمارى عند قدماء المصريين :

ان كان فيما خلفه لنا قدماء المصريين من الآثار والكنوز الثمينة ما أعجز العالم فى كافة العصور وأوقفه أمامها مأخوذا بالقوة والقدرة التى تتجلى فى آثارهم الى جانب الدقة والمهارة مع البساطة فى التعبير وسلامة الذوق ؛ ففى مخلفاتهم العلمية ما يوازى العلم الحديث أو يرده فى أسسه ومبادئه الى ما وضـــعوه هم من مقاييس وقوانين ٠ ففى تلك الرسوم العديدة الدقيقة التى خلفوها على حوائط مقابرهم ومعابدهم وأدوات معيشتهم كالأثاث والأوانى والأختام ، سجل شامل لتاريخهم المندثر مفسر

لأحوال معيشتهم ؛ عاداتهم وعوائدهم ، علومهم ومعارفهم • وبين تلك الرســــومات العديدة كثير من صور مبان دينية معاصرة أو قديمة بطل تشييدها واستمروا فى رسمها لأغراض دينية ، وبعض صور لمساكنهم التى اندثرت معالمها ولم يبق منها الا رسومها التى لا يمكن دراسة المساكن فى عهدهم الا عليها •

ولدينا آلاف من هذه الرسومات تمثل مبان دينية أو مدنية أو عسكرية أو تفاصيل انشائية ترجع الى أقدم العصور من عهد ما قبل الأسرات (سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد) •

والناظر الى هذه الرسومات بدون تفحصها ودراستها يصعب عليه تفهمها لغرابة توقيعها الغير مألوف لنا حيث كانوا يوقعون الرسم المعمارى بروح الفنان الذى تغلبه الحاسة المعمارية لا تناول المعمارى الذى تفيده القواعد الهندسية ، ولكن رغم ذلك انتهوا الى بعض مصطلحات فنية هى أسس الرسم المعمارى الحديث • فعرفوا الاسقاط الأفقى والقطاعات والمقاييس والقليل عن النسبة فى التعبير • وخرجوا من ذلك الى طريقتهم الفريدة فى توقيع الاسقاط الأفقى على الرأسى بدون تقيد فى مراعاة النسب كما سنشرحه فيما بعد •

طرق الرسم : تختلف الطرق باختلاف المواد التى سيرسم عليها وباختلاف حجم الرسومات واستعمالها لفائدة أو لزخرفة • فاذا كان الرسم على اسطوانة من العاج تستعمل كختم بلفها على الطين أو كان على لوحة حجرية صغيرة أو قطعة من الخشب أو الأبنوس كان الرسم بالحفر • أما على الأوانى الخزفية فبتلوين كل مساحة الواجهات بلون واحد أو لونين دون الاستعانة بخط لتحديد شكلها •

تطورت الطرق فتقدمت مع سائر الفنون • وكان لادخال الأحجار فى البناء أثر اذ ترتب على ذلك استعمال النحت على الجدران وتلوين الرسومات بألوان مختلفة مع تحديدها بخط أحمر أو أسود واظهار كل تفاصيل المبانى • واختلفت الألوان باختلافها فى الطبيعة وأصبحت تدل على مواد البناء : فالأبيض للجص أو الجبس والأصــــــفر الفاتح للاحجار الجيرية • والرملية والاصفر القاتم أو الأحمر للخشب والازرق المائل الى السواد للطوب النيىء والاخضر للاعشاب وألياف البردى والنخيل • أما الجرانيت الأحمر فكان يرسم أحمرا بنقط سوداء •

أدوات الرسم : كانت فى غاية البساطة تقتصر على فرشة من البوص ولوحــــة خشبية حاملة للألوان • وهذه على شكل أقراص من الحجر المسحوق المضــــــغوط • تستعمل مع محلول من الصمغ والماء أو بياض البيض • لم يعرف المصرى المسطرة لرسم خطوط بل للقياس فكان يلجأ الى حبل أو خيط يضعه فى مسحوق أحمر أو أصفر

ثم يشده حيث يريد رسم خط مستقيم على الطريقة المتبعة الآن عند البنائين والنقاشين ٠

وكان يغطى الحائط المزمع تلوينه بطبقة من الجص لتكون قاعدة ملساء بيضاء للألوان ٠

قواعد الرسم : من أهم قواعد الرسم المعمارى قاعدة الاســـقاط المتبعة فى كل رسوماتنا الهندسية الحديثة ، عرفها المصرى ولكنه لميتقيد بها الا نادرا لاقتصاره على رسم واحد لمبنى يكون أساسه مسقطا رأسيا أو أفقيا ولما كان غرض الفنان المصرى من رسمه اظهار كل ما أمكنه من النظام الخارجى أو الداخلى أو التفاصيل أو الأثاث سواء كانت ظاهرة للعيان أو غير ظاهرة التجأ الى طريقة خاصـــــة وهى الجمع بين الاسقاطين الرأسى والأفقى فى رسم واحد ٠ يرسم المصرى مسقطا أفقيا لحجرة ثم كل ما يهمه اظهاره من المساقط أو من التفاصيل الخارجية للجدران من أبواب ونوافذ أو زخارف أو الأثاث الذى فى داخل الحجرة ٠ وقد يضيف الى ذلك كله أشخاصا متبعا قواعد ثابتة يحصل بها على رسم شامل غنى بالمقاسات والتفاصيل ٠

(أ) الاسقاط الصحيح : من الرسومات ما يمكن تسميته مسقطا رأسيا أو أفقيا أو قطاعا يتبع قواعد الاسقاط الصحيح كما نفهمه الآن ٠ وتكون تصغيرا نسبيا صحيحا ٠

١ ــ المسقط الرأسى (Elevation) : يرسم المصرى مسقطا رأسيا لاظهار واجهة أمامية أو جانبية لمبنى ٠ كثرت هذه الطريقة فى الرموز الهيروغليفية المعمارية وجاءت نادرا فى بعض المناظر فى المقابر ٠ فمنها واجهة لمعبد الآله خنسو فى الكرنك من الدولة الحـــديثة ٠ وقـــــد رسمت دون خطأ اذ أن هذا المعبد شــــيد ويمكن مقارنة الرسم القديم بالبناء الحالى ٠

ويتجلى فى هذه المقارنة ما صنعه الدهر من تخريب فقد زالت تلك الصـــوارى الخشبية الشامخة حاملة الأعلام الملونة والمثبتة فى جدار الواجهة بواسطة أحجار بارزه وخوابير معدنية يحيط بقاعدتها حاجز معدنى ٠

وبين الأمثلة واجهة لمعبد جنائزى صـــــغير وســــط حديقة ظهر فيها نبات البردى خارجا من مسقى مسقطا اسقاطا أفقيا (Ptan) ٠ وهذا المبنى مكون من حجرة يحيط بها ممرا بأعمدة (Peripteral chapel) ٠ ٠

ندر الجمع بين واجهتين كما هو الحال فى بردية بها الوجهة الأمامية والجانبية لصندوق تمثـــــال (Naos) موثق بحبـــال ملتوية من الأعلى والأسفل الى مماثل له وأكبر منه حجما ٠ والرسم بالخط الأسود ظهرت فيه الشبكة ذات المربعات المستعملة لنقل أو تكبير الأصل من كراسة الرسام الى البردية ٠

٢ ـ المسقط الأفقى (Plan) : من الأمثلة الصريحة للمساقط الأفقية عند قدماء المصريين ما وجد فى أحد المحاجر وهو رسم بالمداد الأحمر على احدى الدعائم بين نظام معبد ذى مسقط منقسم الى ثلاث ٠

٣ ـ القطاع (Section) : لا أعرف غير مثل واحد لرسم القطاعات وهو لبيت ذى ثلاث طبقات يصل بينها سلم مستقل قد يكون من الخشب ٠ فالدور الأرضى وهو تحت مستوى الأرض بقليل يحوى المغاسل والمخابز والمطابخ ٠ والدور الأول المعد للاقامة نهارا أعلى بكثير من الدورين الآخرين ويظهر فى غرفته الكبرى الباب ملفوفا ٩٠ درجة (Rabatment) اذا أنه يفتح فى الحائط الرأسى على مستوى الرسم ٠ وفى الدور العلوى فرق فى مستوى أرضية الغرفتين يصل بينهما سلم ذو ٦ درجات ٠ وعلى السطح أكوام من الغلال ٠

(ب) **الاسقاط المصرى :**

مميزاته : بجانب هذه الأمثلة النادرة عدد هائل من الرسومات المعمارية عمد الرسام الى طريقته المبتكرة بجمع الاسقاطين الرأسى والأفقى أو الاسقاطية الرأسية للواجهتين الأمامية والجانبية مع تركيبها تركيبا سهلا مستعينا فى ذلك ببعض الطرق الهندسية ٠

١ ـ طريقة لف جزء من الرسم حول محور فى مستوى الاسقاط أو القطاع (Rabatment) .

٢ ـ الانزلاق لاظهار أجزاء تكون مختفية ففى حالة عمودية أحدهما وراء الآخر يرسم الواحد بجانب الآخر بكامله أو جزء منه ٠

٣ ـ رسم داخل المبنى فوق المسقط مباشرة أو بجانبه ٠

أما القواعد الخاصة بالمقاسات والنسب فكان خروج المصرى عنها سهلا كلما تراءى له أن ذلك ملائم لجمال تكوين الصورة (Composition) أو لاعطاء أهمية خاصة لجزء من المبنى أو لشخص ممثل فيه ٠

(أ) **الجمع بين الاسقاطين الرأسى والأفقى :** من الأمثلة العديدة اسقاط أفقى لمقبرة رعمسيس الرابع ويمكن مقارنته بالرسم الحديث مرفوعا من المقبرة ويظهر جليا عدم اكتراث الرسام المصرى بالنسب ورسمه الأبواب ملفوفة مع كتابة اسم ومقاس كل جزء ٠ ورمزه للقطاع فى صخر الجبل بالخطوط المتوازية ٠ وهو اصطلاح يستعمل الى الآن (Hatching) ٠

ومن ظريف الأمثلة رسمان لقصر الملك امن ـ حتب الرابع مؤسس مدينة تل العمارة وصاحب الانقلاب الدينى والسياسى المعروف (١٣٧٠ ـ ١٣٥٠) وهما اسقاطان أفقيان أظهر فيهما الرسام اجزاء المبنى بطريقة لفها · ورسم القطاع فى أحد الرسمين من الأمام وفى الثانى من الجانب وبين فى الاثنين نفس التفاصيل والنظام وهو مكون من :

١ ـ حوش مسور به بوابة وباب أو بابان ،وفى وسط واجهة القصر شرفة تحت مظلة ظهر عموداها بطريقة الانزلاق فى أحد الرسمين ·

٢ ـ ثلاث حجرات ·

٣ ـ الجزء الأوسط وبه حوش أو بهو محاط بحجر ذى أعمدة وغرف وهو للاقامة نهارا ·

٤ ـ الجزء الخلفى وبه ممر يصل بين مخازن وغرفة النوم الملكية ولها مدخل وبهو خاص وسقف مقبب به فتحة تستعمل كملقف للهواء ·

٥ ـ الجمع بين الأسقاط الرأسى للواجهتين الأمامية والجانبية رسم الواجهة الثانية لمبنى حريم الملكة فأظهر بجانبها الواجهة الأمامية ملفوفة ضيقة ·

وقد اختلف العلماء فى شرح المظلة التى تحيط بالمبنى والأعمدة الأربع فوق الطابق الأول ، على أننى أظن أن المظلة كانت مرفوعة أمام الواجهة الأمامية ترتكز على عمودين وأن الأعمدة الموجودة داخل الحجرة الكبرى فى الطابق الأول رسمها الفنان فوق الواجهة الجانبية ·

٦ ـ الجمع بين المسقطين الرأسى والأفقى والقطاع من الأمثلة النادرة رسم لحجرة مقبرة فوق سطح الأرض ينزل منها قطاع لبئر المقبرة بين فيها فواصل مداميك الأحجار وروح الميت على شكل طائر ، وفى أسفلها اسقاط أفقى لحجر الدفن الأربع بها تابوت وبعض قطع الأثاث الجنائزى وظهرت الأبواب ملفوفة ·

ومهما ظهر لنا من بساطة التوقيع والرسم عند قدماء المصريين بما يحاكى رسومات الأطفال التى يوقعونها على الفطرة بالسليقة فقد عرف المصريون القدماء قواعد الرسم الصحيحة وفى طريقة الاظهار التى اتبعوها فى رسوماتهم أكبر دليل على معرفتهم الأبعاد الثلاثة فى الرسم التى هى آخر ما وصل اليه علم الاسقاط الحديث وأدق الطرق المتبعة فى الرسومات الهندسية الصحيحة ·

● حتمية التصميم وواقعيته فى العمارة المصرية القديمة :

من ذلك نرى أنه قد فرض رجال الدين والكهنة على المهندس المعمارى برنامج معين لتصميم المعبد بل وحرموا من الحرية القليلة التى بقيت لهم من تعلقهم وتمسكهم بالتقاليد ٠ فقد بنيت معظم المعابد على أنقاض معابد أخرى قديمة ومن أطلالها ٠

وورث كل معبد يقام من جزء من كتاب الطقوس للمعبد القديم وأسطورته ، والتى على أساسها وضع البرنامج الرمزى للمعبد ٠ كان المهندس المعمارى محدودا ، ولذا فقد حاول أن يخرج هذا البرنامج فى اطار مؤثر ومعبر باستخدام جمال النسب فى المبنى مثل هذه النظرية ربما قد نسىء الفهم عن طبيعة وضع كل من الكاهن المصرى والمهندس المعمارى ومكانتهما فى المجتمع المصرى القديم ٠

وفى العصور المتوسطة فى أوربا ، كان المهندس المعمـــارى رجل علمى يضع التخطيط والتصميم ويناقش البرنامج مع عميله ودون سابق علم أو معرفة تخصصية فى اللاهوت أو القداس والمراسيم الدينية ٠ ولكن فى مصر الفرعونية لم يكن أساس تصميم المعبد هو البناء فقط ، ولكن أيضا تحديد الطريق للحياة داخل المعبد ، فقد كان من الضرورى ارساء قواعد الحياة المادية بالهدايا والعطايا بالأرض والماشية والرجال والأشياء الثمينة ٠ كان لابد من اختيار الصفوة من رجال الدين والكهنة ، والزعيم الدينى ٠ وطريقة العيش وخدمة القداس الجنائزى ، وكتاب الطقوس الدينية اليومية وتفاصيله ، وطبيعة ونوع الهدايا والعطايا التى تقدم للاله أو لكل اله ، والنظم التى تتبع فى الأعياد والمراسيم ٠٠٠ الى غير ذلك ٠

● ● ● مكان المهندس المعمارى ومكانته عند القدماء :

كان للمهندس المعمارى مكان ومكانته ممتازة فى العصور المصرية المختلفة ، حيث كان يختار من الصفوة المنتقاة من أعلى وأرقى المستويات الادارية فى المملكة ذات المسئوليات الضخمة فمثلا **ايمحتب** Imhoteb ، ذلك المهندس المعمارى الذى بنى مجموعة المعابد الجنائزية للملك زوسر كان مستشارا للملك ورئيس وزرائه ، ثم معبودا عبده الشـــعب بعد ذلك ٠ كما كان كذلك **آمون حتب** AmenHoteb ابن « هـــابو » Hapu الذى أقام تمثالى « ممنون » ٠ نجد أيضا الكثير من مقابر المهندســين المعماريين وقد أحاطت بالأهرامات وبنيت حولها أجساد الأمراء والوزراء من المعماريين، مما يثبت مكانتهم ودرجة قربهم من الملك أو الاله ٠

فقد كان **اينين** Inene ، الذى بنى معبـــد تحوتمس الأول والبايلون الرابع

والخامس لمعبد الكرنك فى عصر المملكة الحديثة ، محافظا لمدينة طيبة والحارس العام على محاصيل « آمون » كان **هابوسنب** Hapu Seneb ، الذى صمم معبد « تحتمس الثانى » رئيسا لكهنة آمون ، ثم سنموت Senmut مهندس معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى · وقد وجد على تمثاله المحفوظ بمتحف برلين نصوص هيروغليفية تدل على أنه كان كبير أوصياء ابنة الملكة ووريثة الأرضين ، وأمين معبد آمون ، وأمين مخازن حبوب الاله ، وكان الشخص المقرب الى الملكة بعد وفاة زوجها وقبل بلوغ أخيها سن الرشد · ثم **مريرع مربيتاح عنخ** مهنـــدس الملك « بيبى الأول » من الأسرة السادسة ، ذاعت شهرته بين الناس حتى أن الملك نفسه منحه لقب « الصديق الأوحد » والمهندس المعمارى الملكى لمصر العليا والسفلى · كما اشتهرت الأسرة المصرية فى عهد مماكة « ممفيس » بأن مهندسيها من الأمراء والنبلاء والمنتســبين الى الأسر المالكة وتزوجوا من بنات الفراعنة · وكان المهندس المعمارى لا يصل الى هذه الدرجة من المكانة والرفعة والتى تخول له القيام بالعمل الا بعد تهيئته وتثقيفه وتدريبه على التصميم والرسم والتنفيذ وادارة شئون هذه الأعمال ·

وسنبدأ شرح أهم المعابد المصرية القديمة من الوجهة التاريخية والدينية والمعمارية والفنية ويرجى أن تنظر الصور والرسومات والمساقط الأفقية للمعابد الملحقة بهــذا الباب ··· والأمثلة كثيرة أهمها ما يأتى :

١ ـ معبد الاله حورس : HORAS TEMPLE

شيد هذا المعبد الملك رمسيس الثالث ، ويمكن اعتباره النموذج العادى والمألوف بالمعابد المصرية قديمة · ومن خصائصه أنه يحتوى على مدخل وفناء وبهو الأعمدة وحجرات للكهنة ،وهذا كله تحيط به جدار مرتفع وعلى كلاجانبى المدخل تنحدر خطوطها الرئيسية ، وعلى جانبه مسلات ولابد من الوصول الى المدخـــل من اجتياز الطريق المحيط على جانبه تماثيل أبى الهول ، ثم يلى ذلك ساحة واسعة مكشوفة على ثلاثة جوانب مصطفاة بالأعمدة وهى تؤدى الى القاعة ويطلق عليها اسم بهو الاعمدة يصلها الضوء بواسطة الفتحات المرتفعة : وكانت تكونها ارتفاع أعمدة الجناح الأوسط ، ويلى هذا البهو الهيكلى ثم يلى الهيكل قاعة صغيرة ذات أعمدة تحيط بها ممرات وحجرات تستعمل لخدمات المعبد واحتياجاته ·

٢ ـ معبد آمون بالكرنك : AMON TEMPLE : KARNAK

يعتبر معبد آمون من أكبر واشهر المعابد المصرية القديمة وقد بدأ تنفيذه آمون الأول سنة ٢٧١٦ ق·م ولم يشيد هذا المعبد بناء على تصميم موضوع كامل ، ولكن

حجمه وأوضاعه وعظمته ترجع الى الزيادات التى أدخلها على أبنيته الفراعنة المصريين، وذلك من الأسرة السادسة حتى عصر البطالسة - يرجى أن تنظر الصور والرسومات الخاصة بالمعبد ٠

وتبلغ مساحته ١١٠٣٨٠ م٢ ، وكان وسطه سور عظيم يحيط به وبمعابد أخرى ، وكذا البحيرة المقدسة ويتصل بمعبد الأقصر وهو معبد متصل بالاله آمون بطريق يطلق عليه لقب طريق الكباش ٠ وكان لهذا المعبد ٦ أبراج شيدها الفراعنة فى عصور مختلفة ، وكان يحتوى على عدة أعمدة وقاعة تتصل بالهيكل ٠ ويتقدم بهو الأعمدة الكبيرة فناء واسع ، وكانت الأسقف مكونة من كمرات كبيرة من الحجر محملة على ١٣٤ عمود على شكل زهرة اللوتس ٠ وكان الجزء الأوسط يبلغ ارتفاعه ٢٦ م ويبلغ ارتفاع الأعمدة ٢٤ م ذات تيجان من طراز زهرة اللوتس ، بينما الأعمدة التى على الجانبين أقل ارتفاعا اذ تبلغ ١٤ م ، وذلك لامكان عمل الفتحات اللازمة للاضاءة ٠ وكانت تيجان هذه الأعمدة الجانبية من طراز برعم زهرة اللوتس وكانت النقوش الهيروغليفية المنقوشة على الأعمدة (المغمورة) والجدران والأفريز تروى تاريخ المعبد، كما أنها كانت تشير الى أسماء الآلهة الذين كان المعبد يخصص لعبادتهم والى أسماء الملوك الذين ساهموا فيه وكان لهم الفضل فى تشييد أبنيته العظيمة ٠

أما الهيكل الجنائزى فى معبد الكرنك فلقد خصص هذا الحرم المقدس للعمل الرئيسى فى الحياة ٠ وكان الاعداد للموت وضمان الخلود بكل وسيلة من وسائل التقليد والسحر ٠ ويلاحظ تلك المسلة التى يزيد ارتفاعها على ٩٧ قدما ٠ كانت احدى مسلتين، كل منهما قطعة واحدة من الجرانيت يرجى أن ينظر شرح المسلات فى نهاية هذا الباب) استغرق صنعهما سبعة أشهر ، ونقلتا بالنيل وأقيمتا بعد اتمام المبانى المحيطة ٠

واذا ما تحدثنا عن بهو الأعمدة بالكرنك الذى بدأ بناءه رمسيس الأول مؤسس الأسرة الـ ١٩ ، نجد أنه لابد من الحديث أولا عن رمسيس الثانى ١٢٩٨ - ١٢٢٢ ق٠م لكى ندرك السر فى روعه وعظمة هذا العمل الضخم ٠

تولى رمسيس الثانى الحكم سبعين عاما ، وهو ثالث ملوك الأسرة الـ ١٩ : ورث عن أبيه الاهتمام بالمبانى ٠ فكان له نشاطا معماريا ضخما ، ومكنته مدة حكمه الطويلة من اتمام المعابد والمنشئات التى بدأها أبوه ولم يتمها - وجدد الكثير من المعابد القديمة وأنشأ مدنا كثيرة جديدة أقام فيها المعابد والمسلات والتماثيل الضخمة - فنجد له آثارا فى جميع أنحاء القطر ، فى تانيس وغيرها من مدن الوجه البحرى ، فى ممفيس فى طيبة وفى بلاد النوبة ٠ فهو الذى أتم بهو الأعمدة بالكرنك ومعبد سيتى الأول فى ابيدوس ، ومعبد أبيه بالقرنة ، كما أضاف الجزء البحرى من معبد آمون بالأقصر وترك آثارا

عظيمة تفوق عدد آثار غيره من الملوك ، فاكتسب مكانة ممتازة فى تاريخ العمـــارة الفرعونية •

● وقد دلت أساسات واجهة الصرح التاسع فى معبد الكرنك ، والذى بناه حور محب أنه استعمل ٤٠ ألف حجر ، كل منها يحمل أجمل النقوش لفن العمارة الذى ابتدعه أخناتون الذى ارتد عن دين آمون رع • سيد معابد الكرنك والاهها الأكبر واعتنق الآتونية ـ القوة الواحدة الخفية من وراء مظهر قرص الشمس • وما أن اختفى أخناتون وزوجته نفرتيتى فى غموض بحيث لم يعثر لهما على جسد ، وتلاه الملك توت عنخ آمون « آى » زوج مرضعته حتى هب القائد الشاب يحرر مصر من الضعف والردة ، يعود بها الى الرفعة ، فما كان منه الا أن أزال ودفن ما استطاع من آثار اخناتون ومعابده •

وقد عثر على تمثال لفرعون الدولة الوسطى « سنوسرت » الثالث فى الكرنك من الجرانيت الوردى • ومما يذكر أن سنوسرت عنى بحفر قناة تربط ما بين البحر الأحمر عند تل القزم الى النيل قرب الزقازيق عند بابوست ليصل مياهه بالبحر الأبيض، كما ازدهرت الثقافة فى عهده •

● ● من المعلوم أن أى منشأ معمارى قديم أو حـــــديث لا يتأثر فى مميزاته وطابعه ونوعيته الا بعاملين أساسيين هما ، عامل الوظيفة أو الغرض Function الذى يؤديه المبنى ، وعامل المادة المستعملة فى البناء وطريقة الانشاء Method of Building Construction.

والمعبد المصرى بصفة عامة مبنى مقسم تقسيما تماثليا بالنسبة لمحور طولى ، وهو الخط الذى كان يتخذ اتجاهه المتعبد أو الجماعات المتعبدة ، كما كانت تدار حوله الطقوس الدينية وتتخذه المواكب فى الأعياد والمناسبات • فتقطع هذا المحور أجزاء المعبد على هذا التماثل من مرسى المراكب خارج المعبد حتى الهيكل فى داخله ، مارا فيما بين ذلك بطريق الكباش ، وبمدخل البايلون Pylon أو بالمداخل المتكررة ، وبالفناء المكشوف ثم الصالة وبقية الأجزاء الأخرى •

وبذلك تكون الصالة ذات العمد ، وهى قلب المعبد وأحد أجزائه الهامة ، مقسمة الى نفس هذا التقسيم التماثلى بالنسبة لهذا المحـــور الرئيسى Main Axis فهى والحالة هذه مكان فسيح معد لاقامة الحفلات الدينية الكبرى ، محدد بأربع حوائط مستـــمرة Continuous walls تحيطه من الجهات الأربع ، وقد يكون بعضها

من الصروح الضخمة Pylons • وقد قسم المسطح الواقع داخل محيط هـــذه الحوائط فى تماثل أيضا بالنسبة للمحور الى صفوف منتظمة من الأعمدة ، تتحد كل مجموعة منها متساوية الارتفاع فى الشكل وفى الطراز •

وقد تستبدل الأعمدة أحيانا بأكتاف أو بأى نوع من أنواع القوائم ، ويسمى كل صف من هذه الصفوف معماريا « بحائط منقطع » توضع فوق كل منها مجموعة من الأعتـــــــاب • Architraves جنبا الى جنب ، اما فى اتجاه عرض الصالة ومواز للمحور ، واما فى اتجاه متعامد مع هذا • ويرتكز كل عتبمن هذه الأعتابعلى عمودين أو ما يقوم مقامهما من العناصر الحاملة الرأسية •

ويلاحظ فى صالات المعابد المصرية الكبرى ، كصالة الكرنك ١٣٥٠ ق٠م ، وهى أول الأمثلة وأكبرها ، بل وتعتبر أكبر صالة لمعبد فى العالم أجمع ، أن العتب الواحد الذى يرتكز عليه قطع السقف Slabs مكون من قطعتين من الحجر لا من قطعة واحدة شـــكل ٤٢ الى ٤٥ • وفى هـــذا ما فيه من معنى عال فى دقة الانشاء وقدرته على فعل الزمن فيما لو تعرض المبنى لفعل قوات جانبية شديدة بسبب زلزال أو هبوط فى الأساسات ، مما يعرض العناصر الأفقية الى كسر يجعل انهيار المبنى فى حالة وضع العتب كتلة واحدة انهيارا كليا ، بينما يجعله فى حالة وضعه على كتلتين انهيارا جزئيا • اذ أن الكسر اذا كان لا مفر منه ، فانه غالبا يصيب احدى الكتلتين تاركا الأخرى سليمة فتقوم بعملها فى ربط المبنى وحفظه ، ولو جزئيا الى أن تمتد اليه يد التعميـــــر مرة ثانية • وهذا ما أثبتته الحوادث بالفعل فى صالة الكرنك التى تعرضت الى زلزال شديد سنة ١٩١٧ ، فلوحظ أن أعتاب الأعمدة الكبرى قد تأثر منها شق فى أغلب النواحى دون الشق الآخر •

مما تقدم نرى أن الوحدة البنائية البدائية التى بنيت الصالة المصرية بمقتضاها ، وهى عبارة عن الوحدة المعمارية المكونة من عنصرين رأسيين يحملان بينهما عنصرا أفقيا فيوقع هذا العنصر الأفقى بوضعه هذا وبفعل ثقله الذاتى أولا ، وثقل ما فوقه من قطع السقف ثانيا ، والثقل الحى live load الذى قد يتعرض اليه ثالثا ، يوقع بفعل هذه العوامل الثلاثة قوة رأسية متجهة من أعلى الى أسفل على كل من العنصرين الرأسيين فيقابلها كل منهما هذه القوة برد الفعل من أسفل الى أعلا مساو لها وفى اتجاه مضاد • وهذا النوع هو ما يعرف بطريقة الدفع الجانبى فى حالة اســـتعمال القباب والعقود والقبوات فى التسقيف •

● ● ● وعلى هذه القاعدة البنائية البسيطة أقيمت صالة المعبد بتقسيمها

المشار اليه وفى مسقطها الأفقى ، وعليها ارتفعت حوائطها المستمرة والمنقطعة ، فاذا ما تمت اقامة العناصر الرأسية جميعها وضعت العناصر الأفقية · الاعتاب أولا ، وعلى الأعتاب وضعت قطع السقف – يرجى أن ينظر الشكل رقم ٤٢ الى ٤٥ · الا أن هذا السقف لا يكون بمستوى واحد ، بل نجد أن الجانب الأوسط مرتفع عن مستوى الجانبين الآخرين ، ويقع هذا الجانب المرتفع فوق الثلاث ممرات الوسطى ، ذلك لأن صفى الأعمدة فى الوسط الواقعين مباشرة على جانبى المحور تتميزان فى الارتفاع وفى الطراز عن بقية أعمدة الصالة ، وذلك عن قصد فى رفع هذا الجانب الأوسط من المبنى من الجانبيين الآخرين ، فيحصر هذان الصفان بينهما الممر أو الدهليز الرئيسى Principal Naive كما يحصر كل منهما فى الجانبيين فيما بينه وبين أول صف من الأعمدة الصغرى دهليز آخر · فيكون بذلك مجموع الدهاليز الرئيسية التى يرتفع سقفها ثلاثة ، وعلى أن يستقل فوق الارتفاع بين الأعمدة الكبرى والصغرى بعمل كتف فوق كل عمود من الأعمدة الصغرى فى كل من الصفين المجاورين للاعمدة الكبرى ، وعلى أن تشغل كل مسافة بين كل كتفين بعمل فتحة مقسمة تقسيما رأسيا خاصا بالنحت فى الحجر ، فتتخلل أشعة الشمس والضوء هذه الفتحات متساقطة جانبيا ، فتنكسر متقطعة على جوانب الأعمدة الشامخة المنقوشة الملونة بالألوان الزاهية ، باعثة فى المكان مع نور الشمس المعبودة اذ ذاك وحرارتها روعة وبهجة وجلالا ·

ويعرف هذا النوع * من المشئات الذى مصدره صالة المعبد المصرى عند المعماريين بالنوع المسمى « بازيليك » Basilica الذى سيأتى شرحه فى العمارة الرومانية· وقد أجمع الباحثون على أن قدماء المصريين هم أول من ابتكروا هذه الطريقة وطبقوها على وجه لا يزال يثير الاعجاب سواء من الناحية الفنية أو من الناحية العملية · وقد تبعهم فى هذا النوع كل دولة جاءت بعدهم بمدينة خاصة بهم ·

٣ – معبد آمون بالأقصر : AMON TEMPLE : LUXOR

شيد هذا المعبد أمنحتب الثالث سنة ١٤٥٠ ق·م ، وخصص لثالوث مدينة طيبة وأضيفت اليه اجزاء فى عهد رمسيس الثانى · وينقسم الى قسمين ، قسم يخصص لأمينوفيس أو أمنحتب الثالث متصل بأعمدة يبلغ ارتفاعها ١٧ م ، والقســـم الثانى مخصص لرمسيس الثانى الذى يحتوى على تمثال عظيم للملك بالوضع الجالس ، وفيما يلى شرح تفصيلى لهذا المعبد الذى لا يزال آثاره باقية حتى الآن فى مدينة الأقصر (يرجى أن تنظر الصور والرسومات الخاصة بالمعبد) ·

(*) صالة المعبد المصرى وأثرها فى العمارة ·
للدكتور أبو النجا عبد الله · مجلة العمارة عدد ١٩٤٨/٩ ·

اعتلى أمنحتب الثالث عرش الامبراطورية المصرية وهى فى أوج عظمتها ومنتهى اتساعها نتيجة لجهود سبعة من فراعنة الأسرة الثامنة عشر مثل تحتمس الثالث . وكانت أم أمنحتب الثالث أميرة أجنبية ، وزوجته سيدة من الشـــعب ، ولم تكن من سلالة الفراعنة . فكان على هذا الفرعون أن يثبت حقه فى العرش . فلجأ الى الأسطورة الرائعة التى استنبطها من نبله جدته الملكة حتشبسوت ، ووهب هذا المعبد الفخم للاله آمون وزين أحدى صالاته بمناظر ترمز الى ولادته ، مدعيا أن أمه حملت فيه من الاله آمون ، الذى جاءها على صورة أبيه تحوتمس الرابع وبطبيعة الحال لم يتوان كهنة وقساوسة هذا الاله من قبول وتأكيد هذه التمثيلية ، وتوطيـــد شرعية وحق أمنحتب الثالث فى العرش بعد الحصول على هذه الهبة القيمة .

أتم أمنحتب الثالث المعبد ، ولكن زخرفته ونقوشه لم تكن قد تمت حيث ارتقى العرش ابنه أخناتون ، الذى عمد الى تشويه نقوشه ومحو اسم الاله آمون كما هـــو معروف عنه ،حيث بنى بجوار معبد أبيه معبدا للاله آتون ، الذى كان هذا الفرعون يبشر لعبادته دون غيره ، حيث لم يعمر كثيرا ،بل هدم هذا المعبد بعد موت أخناتون .

ان معبد آمون بالأقصر الذى أنشأه أمنحتب الثالث كان كاملا من حيث أجزائه ، وهى البايلون وصحن مكشوف وبهو الأعمدة وقدس الأقداس وما يتبعها من ملحقات . وأمام المدخل صفين من الأعمدة الضخمة على شكل زهرة البردى المفتوحة ، تحمل سقف ممر مقفول من الناحيتين بحوائط . ويلاحظ أن محور المعبد موازيا لضفة النيل ، ومدخله فى الجهة البحرية تجاه الطريق المؤدى الى معبد الكرنك . وكان يحوط بصحن المعبد من جهاته الثلاثة البحرية والشرقية والغربية رواق مسقوف سقفه على صفين من الأعمدة على شكل سيقان البردى المخرومة ، وعلى رأسها تيجان تشبه زهرة البردى المقفولة ، متقنة الصنع ذات نسب جميلة . ويلى هذا الصحن صالة الأعمدة يحمل سقفها أربعة صفوف من الأعمدة ، ويلى ذلك صالتين صغيرتين تؤدى الى قدس الأقداس يحيط بها باقى الملحقات الأخرى ، وأهمها صالة خصصت لنقوش ومناظر ولادة ونسب أمنحتب الثالث للاله آمون .

هذه هى الأجزاء التى أنشأها أمنحتب الثالث ، وهى كما ترى معبد كامل . أما الزيادات التى جاءت بعد ذلك ، فهى لرمسيس الثانى حيث أنشأ ضمن معبد فى الجهة البحرية يحيط جهاته الأربعة أروقة محمول أسقفها على أعمدة بردية . وأقام رمسيس تماثيل له ضخمة بين هذه منقوش عليها واقعة قادش المشهورة .

٤ ـ معبد أمون بالدير البحرى ١٥٢٠ ق٠م

HATSHIPSOTE TEMPLE — 1520 B.C.

شيدت هذا المعبد الملكة حتشبسوت ، ابنة تحتمس الأول على الضفة الغربية لنهر النيل ولم يتم بناؤه ٠ ويمتاز هذا المعبد باختلافه عن جميع المعابد المصرية القـــديمة اختلافا تاما ٠ وهو يحتوى على ثلاث ساحات تم تسويتها فى الصخر ومنحوتة فى باطن الجبل ، وحوائطه مائلة بالطريقة القديمة المتبعة وبجانب هذه الساحات العليا يوجد بهو الأعمدة بسقفه الحجرى ، وليس ذلك بمألوف فى المبانى المصرية القديمة ، بينما يوجد الهيكل المنحوت فى الصخر ، شكل ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ٠

تحتمس الثالث وزوجته حتشبسوت : أول امبراطور فى التاريخ وسع حـــدود بلاده اثر ١٧ حملة ناجحة فى أنحاء الدنيا ٠ ومع هذا فقد كانت زوجته حتشبسوت التى تكبره سنا ذات شخصية أقوى منه طغت على شخصيته وحكمه ٠ أحبت كبير مهندسيها « سنموت » الذى عبر عن وفائه واخلاصه لها بتصميمه الفريد لمعبدها الجنائزى بالدير البحرى فى حضن جبل القرنة مطلا على نيل الأقصر ، حيث جاء تحفة معمارية فريدة من نوعهـــا ٠

كان كل فرعون يتخذ لنفسه مقاما قرب الموقع الذى اختاره لقبره ، وفى خلال الجانب الأكبر من حياته كان العمل يستمر فى تشييد هرمه أو معبده ٠ وبعد وفاته كان المكان يترك للكهنة والموظفين لاقامة شعائر عبادته وادارة أملاكه الجنائزية ، اللهم الا اذا قرر الملك الجديد استمرار الاقامة فى ذلك المكان ، لأن الصحراء المجاورة كانت توفر مكانا مناسبا لقبره ٠ وحتى ١٥٠٠ ق٠م عندما أصبحت طيبة مدينة عظيمة لم يكن لمصر عاصمة دائمة بمعنى الكلمة ـ عن هنرى فرنكفورت ٠ وقد نعمت مراكز العبادة هذه بحياة مستمرة مثل منف وأبيدوس ومراكز المدافن الملكية مثـــل طيبة التى تكثر فيهـــا المقـــابر ٠

وقد شيد معبد الملكة حتشبسوت فى طيبة بالحجر الجيرى الأبيض ١٥٢٠ ـ ١٤٨٠ ق٠م بعد أن أصبح بناء الأهرامات منذ مدة طويلة أمر غير مألوف ، وهو يبدو كأنه أكروبول مقلوب أسفل الجبل ٠ وقد أضفى المهنـــدس المعمارى الملـــكى « سنموت » Senmout على شكل هذا المعبد وتخطيطه طابعا من الجد والصفاء يـكاد يكون اغريقيا ٠ والمعبد مشيد على عدد من المدرجات التى تعلو كل منهما الأخرى ، وتنبسط وراءها على نحو لا يبدو واضحا فى الصورة ، يرجى أن ينظر صورة المعبد ٠ وتؤلف المبانى أفنية مفتوحة تعتبر خروجا على الأفقية المكتظة بالمنشئات والمحاطة بالمبانى ، وهو النظام المألوف فى المعابد التقليدية ، ولكن يبدو أن هذه الفكرة الجديدة لم تقلد فيما بعد ٠ **يرجى أن تنظر الصور والرسومات أشكال من ٨٨ الى ٩١ ٠**

ABU SIMBLE TEMPLE

٥ ــ معبد أبو سنبل : وادى حلفا

شيد هذا المعبد رمسيس الثانى ، ويعتبر من أضخم المعابد المصرية القديمة التى نحتت فى الصخر فى الجبل ــ ويؤدى مدخل فنائه الأمامى الى واجهة رهيبة مهيبة يبلغ ارتفاعها ٣٠ متر وعرضها ٥ر١ مترا ، وهى على شكل برج نحتت فيها أربع تماثيل كبيرة الحجم يبلغ ارتفاع كل منها نحو ٢١ متر ، تمثل رمسيس الثانى الذى أنشأ هذا المعبد ٠ وفى الداخل عدد ٨ أعمدة أخرى صغيرة الحجم خلفها بهو الأعمدة يحتوى على عدد ٤ من الأعمدة مربعة الشكل ، ووراء هذا البهو الهيكل والمذبح تحتوى على أربعة تماثيل للاله آمون ٠ يرجى أن تنظر الصور والرسومات أشكال من ٩٣ الى ٩٦ ٠

واجهة المعبد على شكل بايلون كما سبق شرحها ، يعلوها كورنيش ويجلس أعلاه صف من القرود المقدسة ، ترتقب شروق الشمس اشارة للاله هاراختى (الشـــمس المشرقة) أحد الآلهة التى من أجلها أنشىء المعبـــد ٠ يرجى أن ينظر مزيد من شرح المعبـــــد ٠

ومما هو جدير بالذكر أن المعبد أقيم بطريقة هندسية بارعة ، وعلى زاوية معينة بحيث تدخل الشمس عبر الممرات الطويلة الى قاعة قدس الأقداس التى بها الاله « آمون رع » جالسا ومعه « بتاح وهاراختى والملك » باعتباره أحد الآلهة ينظرون نحو الشرق ٠ فاذا أشرقت الشمس فأرسلت أشعتها الأولى عبر أبواب الصالات فى اتجاه نحو المعبد الى الداخل فتضىء التماثيل الأربعة ، ويلامس ضوء أشعة الشمس أقدام تماثيل الآلهة مرتين فقط فى العام ، المرة الأولى موعد ميلاد الملك رمسيس الثانى ، والمرة الثانية موعد أو يوم جلوسه على عرش مصر ٠

وبالرغم من أنه لم تشر الكتابات المتعددة على حوائط المعبد الى هذه الظاهرة الفذة ، ولم تقدم تفسيرا لها ، الا أن علماء الفلك قدموا لنا هذا التفســـــير بأن وضع الشمس من خلال دوران الأرض فى رحلتها السنوية يسمح بدخول أشعة الشمس الى قاعة قدس الأقداس فى هذين الموعدين وهما موعدى ميلاد وجلوس الملك رمســـيس الثــــــانى ٠

أما المعبد الثانى فهو معبد جميل وأنيق ٠ بناه رمسيس لزوجته نفرتارى على بعد أمتار من معبده واستقرت تماثيله الجميلة البديعة الصنع على واجهة المعبد ، وبين المعبدين فناء يربطهما ٠

٦ ـ معبد الاله خنسو ـ الكرنك ١٢٠٠ ق٠م :

شيد هذا المعبد الملك رمسيس الثالث ، ويمكن أن يعتبر هذا المعبد بأنه النموذج العادى فى المعابد المصرية القديمة ٠ ومن خصائصه أنه يحتوى على مدخل ذات أبراج وفناء وساحة وأعمدة وبهو وحجرات للكهنة ، ويحيط بكل هذا جدار ضخم ومرتفع ٠ وعلى كل من جانبى المدخل برجين خطوطها الرئيسية محددة المعالم وعلى جانبيه أيضا مسلات ٠ وللوصول الى المدخل الرئيسى يوجد على جانبيه تماثيل لأبى الهول ، يلى ذلك ساحة مكشوفة على ثلاث من جوانبها صفان من الأعمدة يصلها الضوء وينعكس عليها بطريقة مدروسة هندسيا وفنيا ، ويلى هذا البهو الهيكل ، ثم يلى الهيكل قاعة بهـــا غرفة صغيرة يحيط بها ممرات وحجرات لخدمة المعبد شكل ٨٢ ، ٨٣ ٠

٧ ـ معبد الرمسيوم ـ طيبة :

المعبد الجنائزى لرمسيس الثانى ، يمتاز عن المعابد الأخرى من نوعه بما بقى من الملحقات التى تحيط به ، وهى مبنية بالطوب الأخضر (النىء) ٠ وهذه الملحقات عبارة عن مخزن وحجرات للموظفين ، أسقفها من الطوب أيضا على شكل قبوات لم يستعمل فى بنائها العبوات الخشبية بجعل طارات القبو وقوالب الطوب تميل نحو الحائط النهائى ومرتكزة عليه ٠ وهذه الطريقة لا تزال مستعملة حتى الآن فى بلاد النوبة وأسوان ٠

بقايا هذا المعبد الفريد فى نوعه قليلة ، ولكنها تفى لمعرفة التكوين المعمارى والمسقط الأفقى ، ومنها كثير من التفاصيل والعناصر المعمارية ٠ وقد كان له صفين من الأعمدة تحمل أسقف وأروقه وبهو أعمدة كبير واثنان صغيران تضـــاءان بمناور من أعلا المجاز الوسط ٠

أقام رمسيس الثانى فى صحن المعبد عدة تماثيل ضخمة ، أكبرها التمثال الذى كان مقاما فى الصحن الشرقى ، ويعتبر من أضخم تماثيل رمسيس حيث يبلغ ارتفاعه نحو ١٧ مترا ، منحوت من قطعة واحدة من الجرانيت الوردى ووزنه نحو ألف طن ٠ ثم وجدنا أن رمسيس الثالث أول ملوك الأسرة العشرين أخذ معبد الرمسيوم نموذجا بنى على غرارة معبد بمدينة هابو ، ولا يزال كثير من أجزاء هذا المعبد محتفظ برونقه وبهائه وبنقوشه الملونة الزاهية البديعة ٠ يحيط بالمعبد سور ضـــخم وله مدخل بين برجين مرتفعين على هيئة الحصون ، فريد من نوعه فى العمارة المصرية القديمة ٠

٨ ـ معبد الملك « منتوحتب » بالدير البحرى (الأسرة الثامنة عشر)

هو أقدم معابد طيبة ويختلف عنها بدقة وغرابة تنسيقه ٠ أزيلت الرمال عنه فى

سنة ١٩٠٥ وقد بدأ فى انشـــائه الملك « منتوحتب الثانى » ، وتلاه خليفته منتوحتب الثالث » باضافات أخرى تتكون من طابقين على هيئة تراس وفى النهاية هيكل للصلاة . وفى آخر المبنى مكان صغير منحوت فى الصخر كان يحتوى على تمثال . أما المواد التى استعملت فى بناء هذا المعبد فهى الحجـــر الجيرى والحجر الرملى والجرانيت والطوب النىء .

استعمل الحجر الجيرى فى أكثر الحوائط ، ما عدا بعض حوائط ساندة فقـــد بنيت بالطوب النىء . أما الحجر الرملى فقد استعمل فى تبليط الأرضيات وفى الأسقف وفى الأعمدة وأعتابها ، والجرانيت للبوابات . ويوجد بجوار هذا المعبد معبد آخر للملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشر يأتى وضعه بعد هذا المعبد . يرجى أن تنظر الصور والرسومات أشكال من ٨٨ الى ٩١ .

● ملاحظات عن المعبد بالدير البحرى :

أولا - يلاحظ أن البوابات على يمين ويسار الطريق المائل ليست متساوية العدد كما كان منتظرا فعددها ثلاثة عشر فى الجزء الأيمن ، واحدى عشر فى الأيسر .

ثانيا - أن محور المعبد لا يتوسط السورين الخارجين - الموازين للطريق المائل . فالسور الأيمن على بعد ٦٥ مترا من الحدود بينما الســـور الأيسر على بعدأربعين مترا فقط .

ثالثا - تدل الواجهة أن الدور العلوى والهرمى على مسافات متســـــاوية من المحور بينهما بوائك الدور الأسفل ممتدة الى اليمين أكثر منها الى اليسار . وقد أثبتت الأبحاث الدقيقة عدم وجود ما يبرر ذلك .

رابعا - أن الباب (فى الحائط خلف الهرم مباشرة) المؤدى الى بهو الأعمدة ليس فى المحور وعلى يساره خمسة هياكل صغيرة ، والظاهر أنها كانت موجودة قبل بناء المعبد أو اضيفت بعده مما أدى الى انحراف الباب عن المحور .

فاذا فرض وجود الهياكل سابقا ، فكان من السهل ترحيل المحور العمومى هذا القدر البسيط الى اليمين فيصبح الباب فى المحور . واذا فرض أنها ألحقت بالمبنى (وتدل طريقة بنائها أنها مستقلة عنه) فلا بد أن لها علاقة بالمقابر خلفها مباشرة . على أنه لا توجد دهاليز تصلها بالمقابر كما هى العادة .

خامسا - يلاحظ أن الموقع الجبلي أثر تأثيرا كبيرا فى التصميم العمومى لهذا

الخارج ، وقد أبطل تشييدها فى أرض الفراعنة بعد ذلك ٠

وقد نقل عدد كبير من مسلات مصر فى عهد الدولة الرومانية الى البلدان الأجنبية مثل روما والقسطنطينية وباريس ولندن ونيويورك ٠ ويوجد فى روما وحدها ما لايقل عن اثنى عشر مسلة من بينها مسلة « ميدان القديس يوحنا دى لاتران » وقد نقلت من معبد الشمس فى هليوبوليس حيث أنشأها الملك تحتمس الثانى ٠ وهى أكبر مسلة فى العالم وتتكون من كتلة واحدة من حجر الجرانيت الوردى ٠ ارتفاعها اثنان وثلاثون مترا بدون القاعدة المبنية حديثا ، وطول قطاعها ٧٠ر٢ مترا فى أسفل و ٨٥ر١ مترا فى أعلا ، ووزنها حوالى اربعمائة وخمسون طنا ٠

وفى لندن مسلة تسمى « مسلة كليوباترا » ، أنشئت فى هليوبوليس أيضا ، وارتفاعها عشرون مترا ، وطول ضلع قاعدتها ٤٠ر٢ مترا فى أسفل ، ووزنها ماية وثمانون طنا ٠ وفى ميدان الكونكورد فى باريس مسلة نقلت اليها فى سنة ١٨٣٦ق٠م من معبد الأقصر ، حيث فصلت عن قاعدتها وشيدت لها قاعدة جديدة ، نقشت فى صفحتها البحرية والقبلية قرود أربعة يعبدون الشمس المشرقة وفى الصفحتين الأخريين رموز لآلهة النيل تقدم العطايا للاله آمون ٠

لم يكن القصد من المسلات مجرد الزخرفة فقط ، بل كانت بمثابة الهة تحتاج الى عطايا وقرابين وأطعمة وهى رمز الاله « آمون » ويسمونها أحيانا « اصبع الاله » أو « شعاع الشمس » ٠

توضع المسلات أزواجا على جانبى بوابات المعابد ، وأحيانا فى المدافن ٠ وقد تكونان غير متساويتى الارتفاع ، على أن مسلات الكرنك جميعها أمام أبواب الأفنية الداخلية ٠ وسبب ذلك أنها كانت فى بادىء الأمر أمام بوابة المدخل ثم أضيفت أحواش أخرى فى عهود تالية فأصبحت فى الداخل ٠ أما مسلات المدافن فتوضع على جانبى الطريق المؤدى الى حجرة الموتى وكانت قليلة الارتفاع (٩٠ر٠ مترا فقط) ويرجع تاريخها الى عهد الأسرة الرابعة ٠ كانت مسلات المعابد من حجر الجرانيت وارتفاعاتها هائلة ٠ فمسلة هليوبوليس ارتفاعها عشرون مترا ، ومسلات الأقصر بلغ ارتفاعها أربعة وعشرون مترا ، أما أعلاها فمسلة الملكة حتشبسوت اذ يبلغ ارتفاعها ثلاثة وثلاثون مترا ٠ أما طريقة نقل هذه الكتل الضخمة وتثبيتها فى مواضعها باحكام واتزان فكانت بلا شك عملية شاقة تثير الدهشة والاعجاب بأولئك القوم الذين لم يستعملوا لنقلها الا الحبال وأكياس الرمل ٠ وقد حملوها على قوارب فى النيل بتركيز رأسها وقاعدتها وترك جزئها الأوسط خاليا مغمورا فى الماء جزئيا لتقليل وزنها ٠ وقد افتخرت الملكة

المعبد ، مما أدى الى ضرورة بناء الدور العلوى والطريق المائل الموصل اليه .

سادسا ـ يمكن اعتبار الهرم جزءا أساسيا للمعبد من الوجهة المعمارية ، وهذا نظام غريب غير مألوف فى المعابد المصرية .

● **تماثيل أمينوفيس بالأقصر :**

منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد سار تضخيم السلطة مع تضخيم الشخصية جنبا الى جنب ، وأفضيا الى نطاق واسع من الجهد فى أساليب الصناعة ، وكذلك الى قياس جديد لمبتكرات الفنون فالضخامة تنبع من ذات تركيز الجهود الاجتماعية والاقتصادية والدينية التى تمخضت عنها المدينة بوصفها وعاء لحضارة معقدة ، يختلف عن البلدة فى الريف التى أستمدت كيانها أساسا من حاجيات أهل الريف ،وكانت النموذج الأصلى البسيط للمدينة . ولا يبعد أن تكون صور كونية لقوة دينية سامية قد سـبقت اقامة الحكم المطلق . وكان يقصد بتلك المحاولات ، وهى تضخيم التماثيل اعطاء أجسـاما الاهية تكون خليقة باخفاء قصور الانسان وتعرضه للخطأ أو الفناء . هذا ومما يذكر أن رمسيس الثانى أزال تلك النقوش التى على هذه التماثيل ووضع مكانها نقوشا جديدة تسجل اسمه ، وبذلك أوجد سابقة اعادة كتابة التاريخ ، التى ما زالت تتبعها الدول الدكتاتورية فى عصرنا الحديث .

● **معابد عصر البطالسة** PTOLEMAIC TEMPLES

١ ـ معبد الاله حورس بمدينة ادفو : Horas Temple Edfo

شرع بطليموس الثالث فى بنائه سنة ٢٢٧ ق.م وهو الآن فى حالة جيدة نسبيا ، ويؤدى برجه الضخم المنحوت بالنحت البارز الى فناء كبير محاط بأعمدة ، ويليه بهو الأعمدة بوجهتيه المرتكزة على ٦ أعمدة وسط المدخل وعلى طرفيها بنيت حواجز منخفضة . ويحتوى بهو الأعمدة على ١٢ عمود تزيدها تيجان على شكل رأس الاله هاتور ، وخلف هذا البهو ممر وغرف صغيرة يليها الهيكل ، شكل ٨٤ ، ٨٥ .

٢ ـ معبد الآلهة ايزيس بجزيرة فيلة : Isis Temple Sealer

شيد سنة ٣٣٢ق.م وهو مثال لطراز من المعابد شائع فى مصر حيث نجد الأبنية الملحقة به والمضافة اليه لم تبنى على محور المعبد ، وعلى غرب الفناء المتقدم بين برجين

كبيرين الحجم نجد معبدا صغيرا يطلق عليه ، لفظ الولادة Mammisi وهو مخصص للالهة ايزيس ولابنها حورس وعلى شرق الفناء أبنية ذات أعمـــدة وكانت مخصصة للكهنة • والى الأمام برج آخر يوصل الى المعبد الأصلى الذى يحتوى على فناء وبهو الأعمدة وهيكل • وقد شيد الامبراطور أغسطس شرق المعبد الرئيسى الكشك الذى كان مشهورا بلقب سرير فرعون ، (لوحة رقم ٨١) •

٣ ـ معبد الالهة هاتور بمدينة دندرة : Hatour Temple Dandara

شيد أيضا فى عصر البطالسة ولم يتم بناؤه ، وليس له أبراج ولكنه يحتوى على مدخل كبير الحجم به ٢٤ عمود ، ١٦ منها تؤلف الواجهة بها جدران منخفضة • ويتبع ذلك بهو الأعمدة و ٦ أعمدة أخرى مزدانة بتيجان على شكل رأس الالهة هاتور ، والى جانب البهو حجرات جانبية يليها الهيكل ، تنظر الصورة •

● المســـلات الفرعونية : OBELISKS

المسلة عبارة عن عامود أو سارية قطعة واحدة من الجرانيت ذات قطاع مربع الشكل ومسلوبة الى أعلى تنتهى بشكل هرمى ، وتقام على قاعدة من الجرانيت أمام المعابد ومكتوب على أوجهها الأربع اسم الملك وتاريخه والمســلة عموما فى شـــكلها وهندستها تدل دلالة واضحة على دقة وروعة هندستها من حيث الشكل المربع لامكان استخدام أوجهها الأربعة فى الكتابة وشكلها المسلوب من أعلا يدل على نهاية الشكل • فسمو فكرتها ودقة صنعها وقطعها من الجبل قطعة واحدة ونقلها وتركيبها فى أماكن بعيدة يدل أيضا على مقدرة المعماريين القدماء وخاصة من حيث قطعها فى مكان خال من العيوب والشروخ فى الجبل واقامتها ، حيث كان يحفر بئر على شكل هرم ناقص قاعدته الكبرى من أعلا وقاعدته الصغرى من أسفل حيث توضع قاعدة الجرانيت التى تحمل المسلة ويوجد بقاع البئر باب لازالة الرمال وفكرة عمل بئر لضمان هبوط المسلة بهدوء على القاعدة وعدم ترنحها عند اقامتها •

وتوضع المسلات أحيانا على قاعدة حجرية مربعة من كتلة واحـــدة ، وعلى صفحاتها رموز هيروغليفية أو حليات بارزة تمثل قرودا يعبدون الشمس • أما أوجه المسلة فرموزها الهيروغليفية محفورة فى اتجاه رأسى وهى تعبر عن العطايا المختلفة المقدسة للالهة • توجد مسلات ذات شكل خاص كمسلة « بجيج » فى الفيـــوم قطاعها مستطيل الشكل ١٫٢٠ × ٢٫٠٠ مترا وقمتها ليست هرمية بل مستديرة ، فى سطحها العلوى ثقب كان يثبت فيه رمز معدنى يمثل نقرا • وأمثلة هذا عديدة فى بلدة « أكسيوم» بالحبشة من عهد القرن الرابع بعد الميلاد ، فى حين كانت المسلات تنقل من مصر الى

حاتشبسوت بأن مسلاتها نحتت من محاجرها ونقلت الى مواضعها فى بحر سبعة أشهر فقط ، ودونت ذلك بالرموز الهيروغليفية على جوانبها ٠

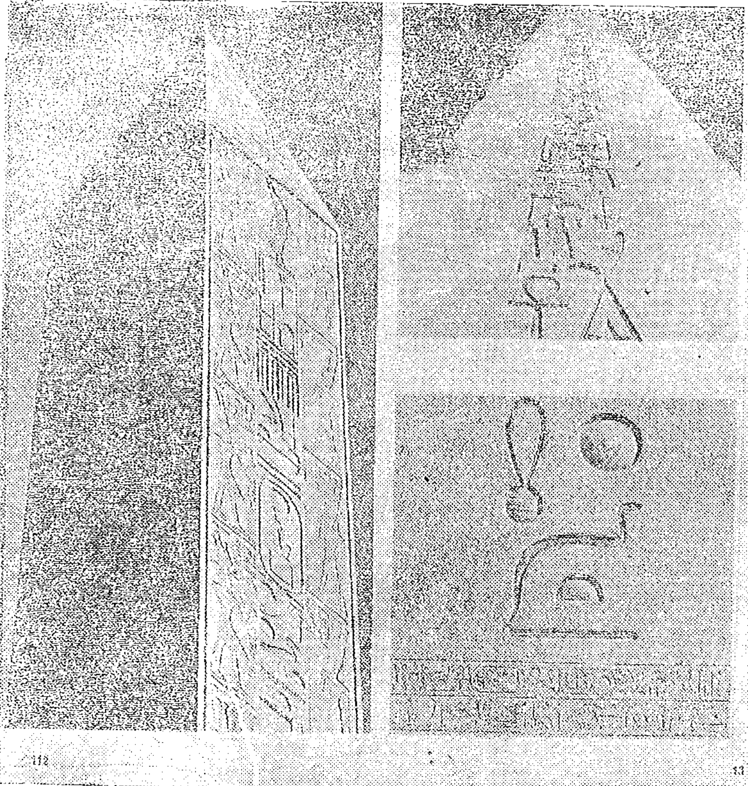
● ● المسلة رمز الشمس المشرقة :

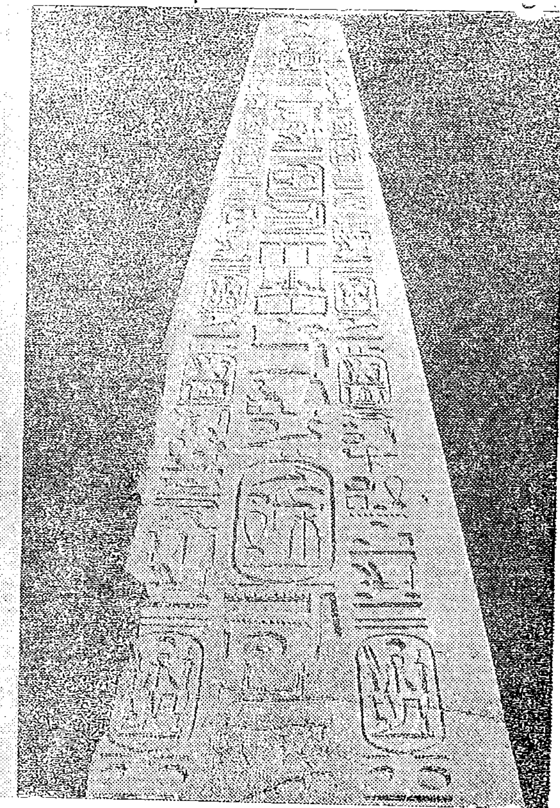
كانت مدينة عين شمس من المدن المقدسة عند المصريين القدماء ٠ وكان من بين الرموز المقدسة ذلك الحجر ذو القمة المدببة ، والمعروف فى اللغة المصرية القديمة باسم « بن بن » ، وهو الحجر الذى تطورت منه فكرة المسلة ٠ كذلك الطائر الخرافى المعروف باسم « بنو » العنقاء أو السمندل ، الذى يقال أنه كان دائم الطيران ولا يحط الا على قمم الأشجار العالية أو الجزء الأعلى المدبب لقمة حجر ٠ كان هناك عقيدة أخرى بأنه فى مدينة عين شمس شجرة عالية مدببة يحط عليها ذلك الطائر ٠ ولذلك ارتبط الطائر بالحجر بالشجرة وأصبح الثلاثة من الرموز المقدسة التى ترمز للشمس ٠

بدأت المسلة تقوم بدور هام فى معابد الشمس المصرية فى الأسرة الخامسة ــ القرن ٢٦ ق٠م وأصبحت الرمز الحقيقى لاله الشمس المصرية « رع » ، وكان معبد الشمس فى هذه الفترة من التاريخ عبارة عن فناء متسع مكشوف تقوم فى مؤخرته مسلة ترتفع فوق قاعدة هرمية ٠ وعندما تسقط أشعة الشمس المشرقة فوق هذه المسلة المغطاة برقائق الذهب تعكس أشعتها وتبدو من بعد كأنها قرص الشمس مما أدى الى الاعتقاد بأن المسلة نفسها هى سكن الاله ورمزه المقدس ٠

وفى الأسرة ١٢ ــ القرن ٢٠ ق٠م ــ أقام الملك « سنوسرت الأول » مسلتين من الجرانيت الوردى من مدينة أسوان أمام معبد الشمس للاله «رع» فى مدينة هيليوبوليس، يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ متر وتزن نحو ١٢١ طن ٠

وابتداء من الأسرة ١٨ ــ القرن ١٦ ق٠م ، أهتم الملوك بتشييد المسلات لتسجيل ذكرى الاحتفال بتتويجهم عليها ٠ أقام الملك تحوتمس الأول مســـلتين من الجرانيت الوردى فى الفناء الذى يتوسط الصرحين الرابع والثالث لمعابد الكرنك بالأقصر ، حيث يبلغ ارتفاع المسلة ٢١٫٧٥ م وتزن ١٤٣ طن ، شكل ١٠٢ ٠ أما الملكة حتشبسوت فقد أمرت بأقامة مسلتين من الحجر الوردى من محاجر أسوان للاله آمون فى فناء الأعمدة الذى يتوسط الصرحين الرابع والخامس من معابدالكرنك ويبلغ ارتفاع كل منها ٢٩٫٥٠م على قاعدة مربعة طول ضلعها ٢٫٦٠ م وتزن ٣٢٣ طن ، شكل ١٠١ ٠ ونقشـــت الملكة حتشبسوت على قاعدة المسلة قصة المسلتين بما يأتى :





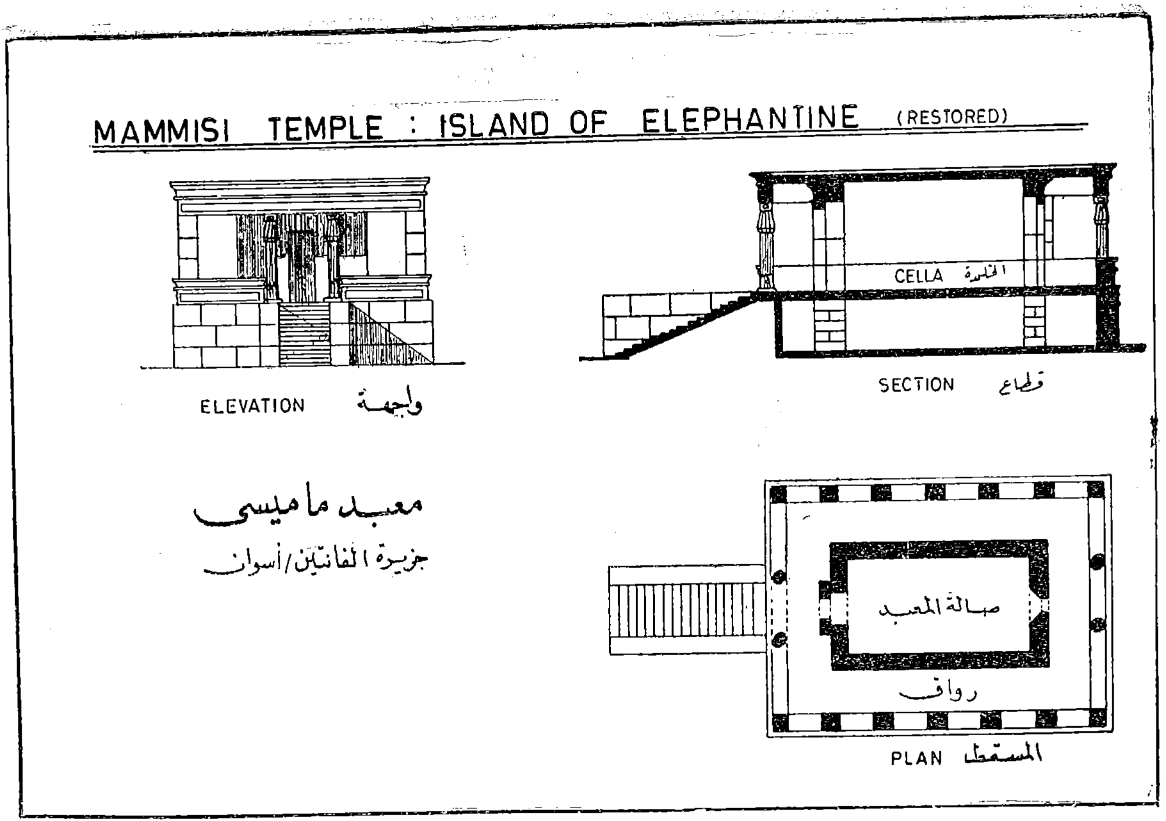
٩٥

● المســــلات :

المسلة عبارة عن سارية قطعة واحدة من الجرانيت ذات قطاع مربع مسلوبة من أعلى وتنتهى بشكل هرمى·تقام على قاعدة أمام المعبد مكتوب على أوجهها الأربع اسم الملك وتاريخه وحروبه وغزواته وانتصاراته فسمو فكرة المسلة ودقة صنعها وقطعها من الجبل قطعة واحدة ونقلها وتركيبها يدل على مقدرة المعماريين القدماء · لم يكن الغرض من اقامة المسلات الزخرفة وتحديد مداخل المعابد فقط بل كانت أيضا بمثابة آلهة تحتاج الى عطايا وقرابين وترمز للاله أمون ويسمونها أحيانا أصبع الاله :

٩٥ مسلة الملكة حتشبسوت بالكرنك ومما يذكر أن نهاية المسلة كانت مغطاة بالذهب ·

ـ مســـلة الملك تحلـــوتمس الأو بالــكرنك ·



● معبد الآلهة ايزيس (مامسى) بجزيرة اليفانتين أسوان ويعتبر من أجمل المعابد المصرية القديمة الصغيرة · زيادة فى تكامل الجمال فى التخطيط والعمارة لبعض المعابد الهامة الكبرى أقيمت بعض الملحقات حولها كالبحيرات المقدسة وأماكن الولادة ·

كره المصريون الموت أشد الكره ، وتحايلوا على نكرانه بشتى الوسائل ، وبنو معابدهم وكأنها قصور خالدة وزودوها بكل ما يجلب على نفوسهم الحياة والبهجة والمتعة والفرح والسعادة ، ورأينا حجرات موتاهم كانت تضارع أجمل حجرات الاستقبال من حيث الأناقة · ولم يهتموا بمنازلهم فى الحياة الدنيا ، ولذلك أزالتها أعاصير الزمن عبر آلاف السنين ، حيث نجد مقابرهم محفورة فى رمال الصحراء فى الحالة التى كانت عليها كأن لم يمسها الزمن · وقد تجلت قدرة المصريين وعظمتهم الفنية فى بناء مقابرهم حيث ألهمهم الايمان للوصول الى هذا التفوق · ونشهد هذه المعابد عما كان يتحلى به المصريون القدماء من ذوق رقيق وفن سليم معبر ، وعلم واسع غزير ·

وبنى المعبد المصرى القديم بطريقة تلائم الطبيعة المحيطة به ، فهو غير دخيل عليها · يحيط بالمعبد من الداخل جو من الغموض والرهبة وترتفع أرضية المبنى ويقل ارتفاع السقف ، ويحل الظلام بكل مكان ولا يمكن الدخول بسهولة الى أعماق المعبد الا بهدى بصيص من النور يبدو وكأنه الهالة التى تشع من الآلهة المقدسة وترمز الى خلودهم ·

وقد استعان المصريون القدماء بالأعمدة الضخمة التى تتحمل أعتابا سميكة فى اظهار معابدهم بمظهر يوحى لنا بفكرة الخلود وتبعث فيها روح الاستقرار والأمن · أما النحات المصرى فتوفرت فيه الفراسة ودقة الملاحظة ، وتشهد على ذلك تلك التحف والروائع الفنية الدقيقة التى تركوها لنا تظهر بوضوح هذه الحيوية ·

« أقيم هذا الأثر لأبى الاله « آمون رع » رب عروش الأرضين الكائن فى طيبة ٠ لقد قمت بهذا العمل من قلب مفعم بالحب لأبى الاله « آمون » ، لقد دخلت الى الطريق الذى قادنى اليه منذ البداية٠وكل أعمالى تمت كارادته٠وانى لأذكر ذلك للاجيال القادمة التى سوف تسأل عنه فى المستقبل ٠ لقد كنت أجلس فى هذا القصر وكنت أفكر فى خالقى حين حفزنى قلبى الى أن أقيم له مسلتان من الالكتروم ، رأسهما فى السماء فى بهو الأعمدة بين الصرحين اللذين أقامهما الملك تحوتمس الأول ٠ ان قلبى دفعنى أن أفكر فيما سيقوله الناس ٠ أنتم يا من سترون هذا الأثر على مر السنين وسوف تتحدثون عما فعلت ٠ احذروا أن تقولوا نحن لا نعرف لماذا أقيمت هـــذه الأشياء ، ان هاتين المسلتين هما لأبى « آمون » حتى يبقى اسمى مخلدا فى هذا المعبد للابد ٠ انها من حجر واحد من الجرانيت بدون وصلة أو انقسام ، وقد تم العمل فيهما فى المحجر فى سبعة شهور فقط » ٠

وقد أقام تحوتمس الثالث مسلتين أمام الصرح السابع جنوب الكرنك احتفالا بعيد تتويجه الأول ٠ وفى الذكرى الثانية أقام مسلتين اخريتين ، احداهما تعرف الآن بمسلة القسطنطينية – اسطنبول حاليا – وقد كان تحوتمس الرابع هو الملك الوحيد الذى أقام مسلة منفردة ، وهى المعروفة الآن بمسلة « اللاتيران » فى روما ، وتعتبر من أعلى المسلات المصرية ، حيث يصل ارتفاعها الى ٣٠ر٧٠ م وقد نقلها القيصر قسطنطين الى الاسكندرية عام ٣٣٠ م ومنها الى بيزنطة ٠ ولكن ابنه نقلها عام ١٥٧ م الى روما حيث استقرت فى مكانها الحالى أمام كنيسة القديس جيوفانى فى روما ٠ كما توجد مسلة رمسيس الثانى التى نقلت من معبد الأقصر عام ١٨٣٦ م فى ميدان الكونكورد فى باريس ، وقد سبق شرح ذلك بالتفصيل ٠

● ● ● كيف كان يتم عمل المســـلة :

لا يزال حتى الآن توجد مسلة ضخمة فى محجر أسوان تعتبر من أضخم المسلات فى العالم اذ يصل طولها الى ٤١ر٧٥ م وطول قاعدتها المربعة ٤ر٢٠ م وتزن ١١٦٨طن٠ تركت فى مكانها لشرخ أصابها بعد أن تم تخطيطها وتفريغ كل ما حولها من أحجار ليسهل تخليصها من سطح الجبل ٠

كان يبدأ عمل المسلة أولا باختيار المكان المناسب من المحجر بحيث لا يوجـــد بالمكان شقوق أو شوائب ، ثم يحدد حجم المسلة وأطوالها وأبعادها فوق المكان المطلوب٠ ثم تبدأ عملية اعداد ممر حول المسلة من جوانبها الأربعة بواسطة احداث فجوات فى أماكن متفرقة قريبة من بعضها ، توضع بها قطع مخروطية الشكل من الخشب ، تغرق

معبد أمون ـ الكرنك

A — منظور عام للمعبد بعد اصلاحه وترميمه ·

B — منظور يوضح المستويات المختلفة فى المعبد من حيث المستويات للحصول على التهوية المستمرة والاضاءة المنتظمة ودخول الشمس

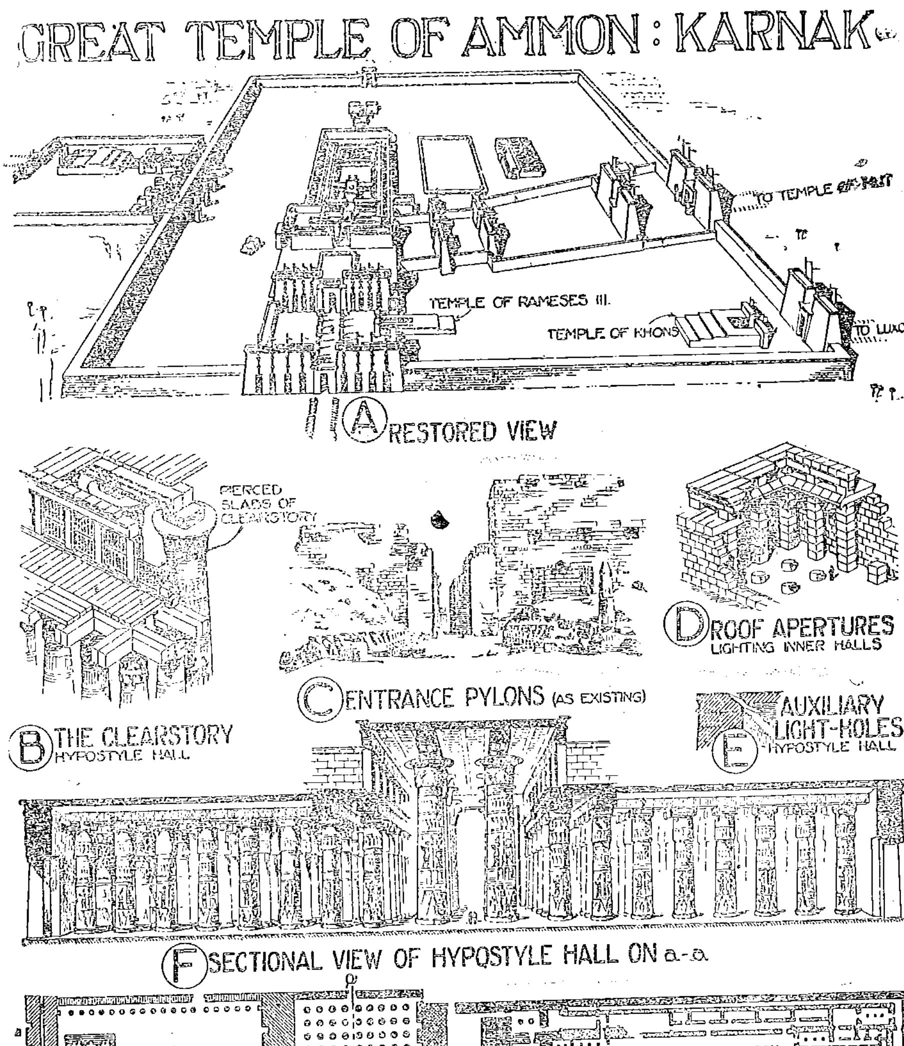
C — المعبد العام للمعبد ·

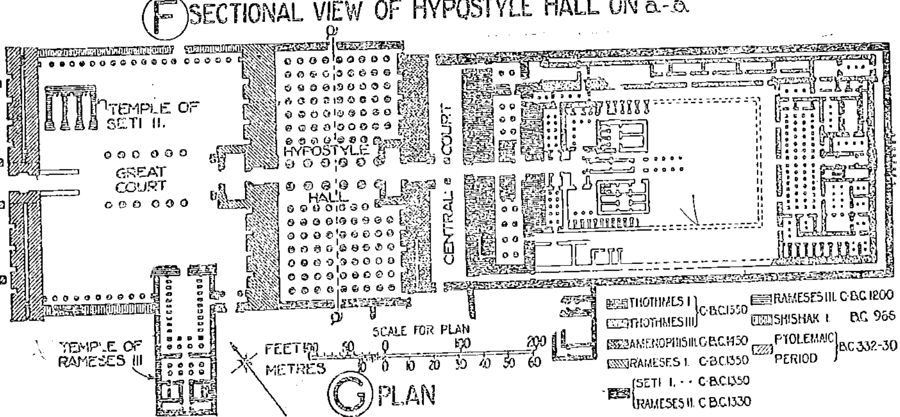
D — تفاصيل تقابل الأسقف ·

E — فتحات صغيرة مساعدة للاضاءة ·

F — قطاع ويرى بهو الأعمدة وفتحات الاضاءة والتهوية ونسب الأعمدة على الجانبين وعلاقتها بصف الأعمدة الرئيسية للجالارى ·

G — المسقط الأفقى العام للمعبد موضحا به جميع التفاصيل والملحقات ·





٩٧

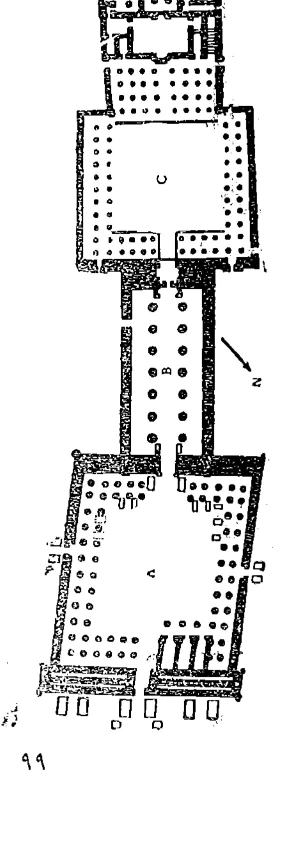
٩٧ ـ لوحة توضح تفاصيل معبد أمون بالكرنك / الأقصر ·

ـ المسقط الأفقى لمعبد رمسيس الثالث / مدينة هابو ـ الأقصر ·

ـ مدخل المعبد البايلون الرئيسى ·



٩٨



٩٩

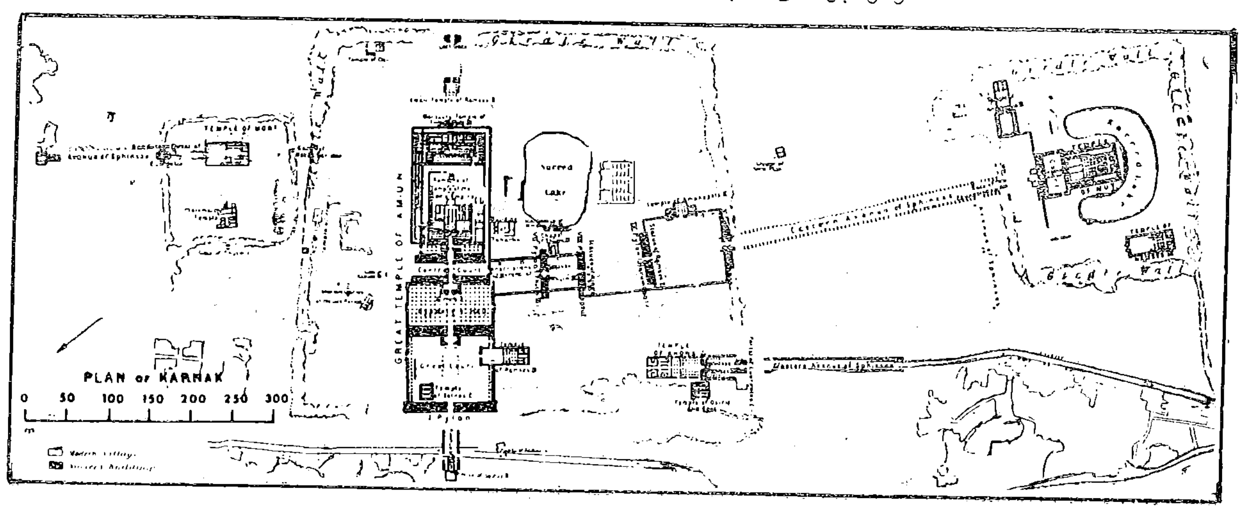


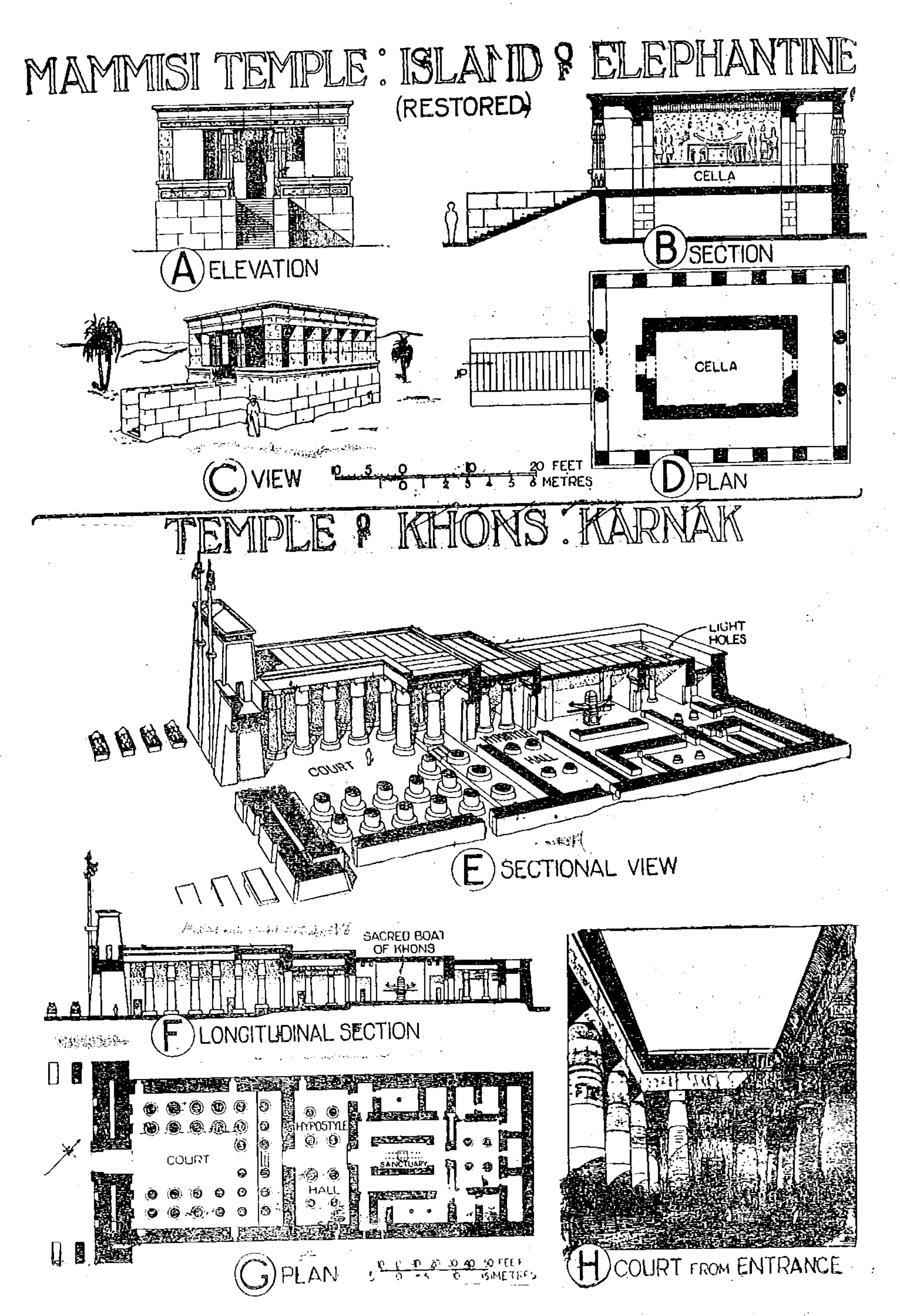
معبد آمون بالأقصر :

أنشأ معبد أمنحتب الثالث أو ما يسمى آمونفيس الثالث وأضاف رمسيس الثانى عدة أجزاء كبيرة ، وعلى ذلك انقسم المعبد الى قسمين : الأول مخصص لأمنحتب الثالث متصل بعدة أعمدة شاهقة يبلغ ارتفاعها ١٧ م ، والقسم الاخر مخصص لرمسيس الثانى ويضم تمثال كبير للملك فى وضع جالس كما يرى فى الصورة أعلاه وأعمدته على شكل زهرة البردى ·

أنظر المسقط الأفقى العام شكل ٩٧ · أجزاء هذا المعبد هى البايلون وصحن مكشوف وبهو الأعمدة وقدس الأقداس وما يتبعها من ملحقات ٩٩ : معبد آمون بالأقصر ١٠٠ : المسقط الأفقى لمعبد آمون موت خون بالأقصر بناه رمسيس الثانى ورمسيس الثالث والملك أمونفيس الثالث وهو جزء من المعبد الكبير ·

١٠٠



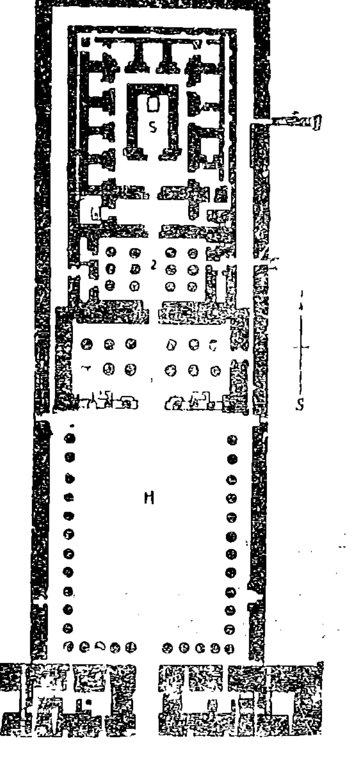


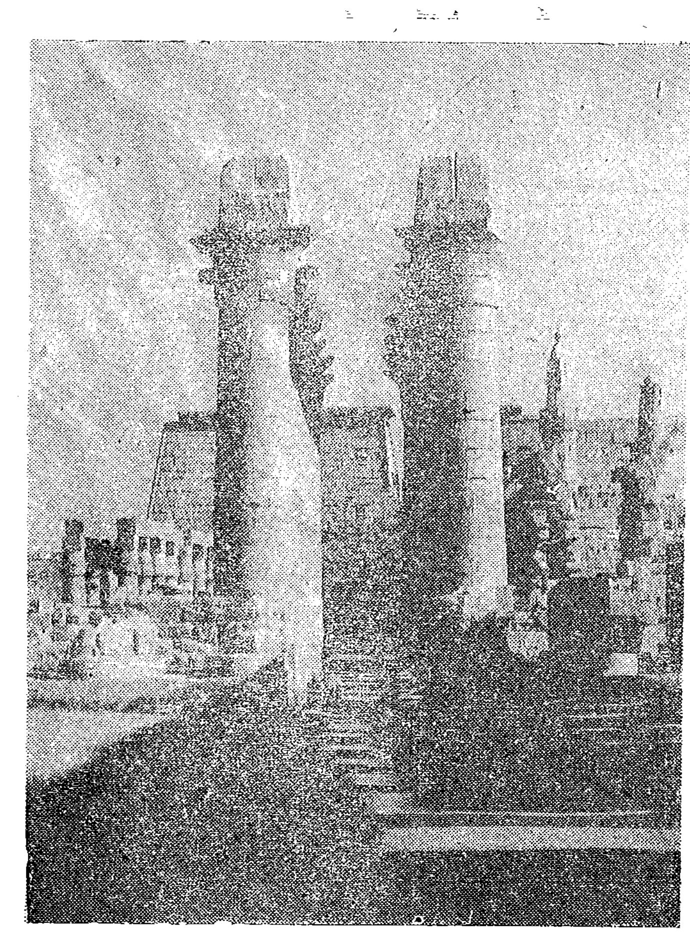
معبد كون ـ الكرنك

١٢٠٠ ق٠م

١٠١ ـ أعلا : معبد ماميسى أو ما يسـمى بمعبد الولادة المخصص للاميرات وهو المعبد المصرى القـديم المون من طابقين ٠

١٠٢ ـ أسفل : معبد كون بالكرنك وقطاع فى المعبد ومنظور داخلي لصالة المدخل ٠





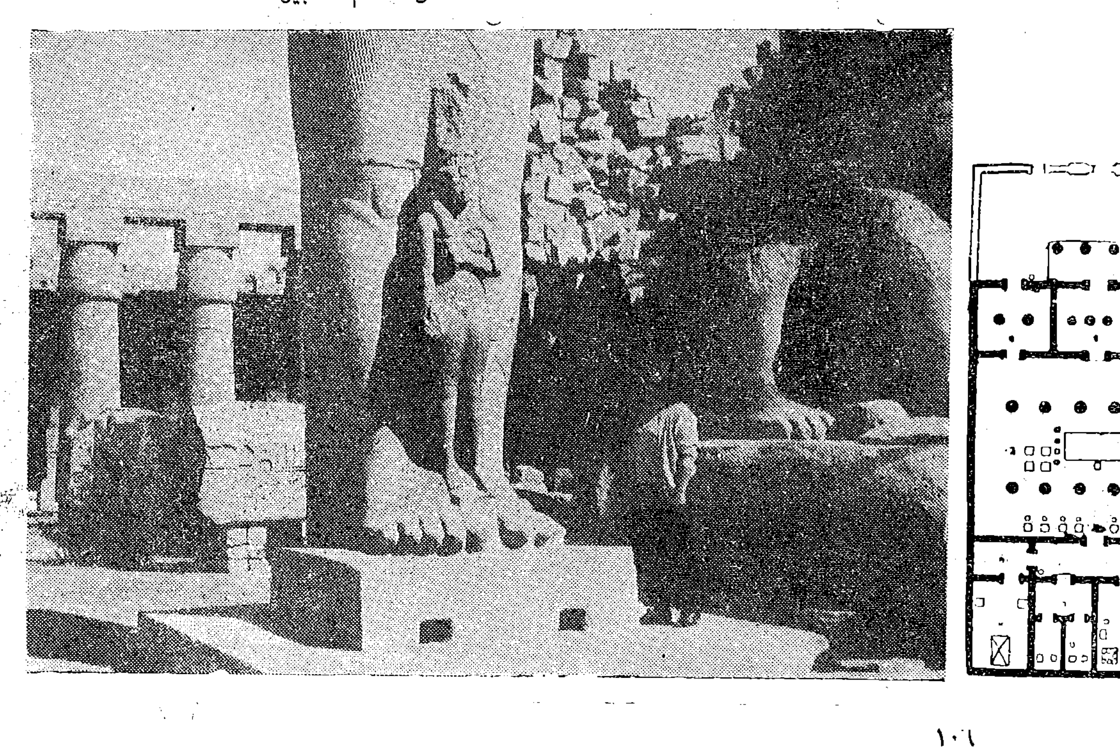
١٠٤

١٠٣ ــ معبد ادفو من الداخل ويرى الى الامام معبد حورس ٠

١٠٤ ــ المسقط الأفقى العام لمعبد ادفو ٠

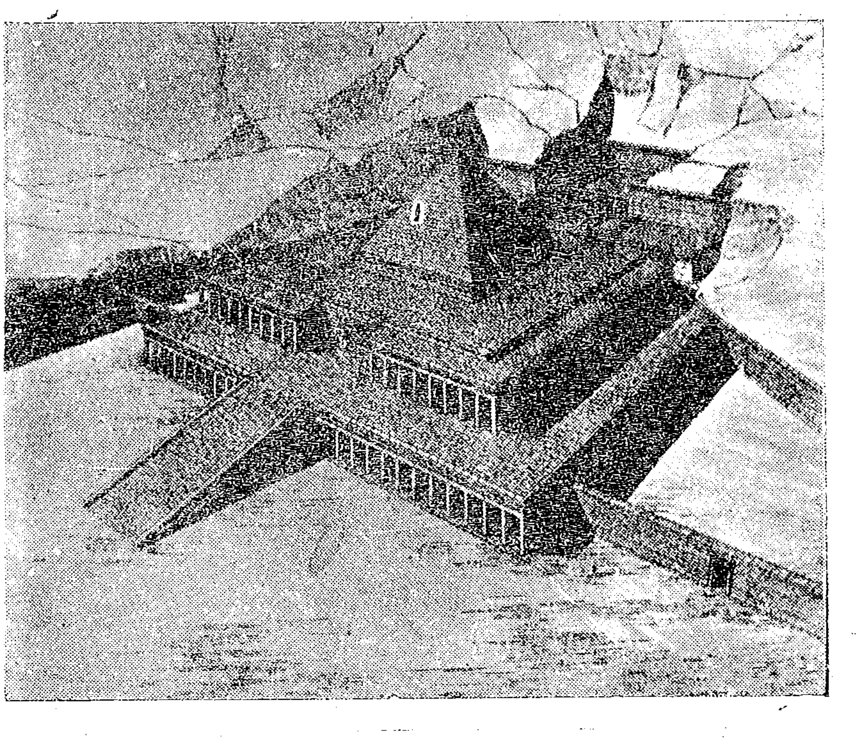
١٠٥ ــ المسقط الافقى العام لمعبد كوم أمبو ٠

١٠٦ ــ بقايا معبد كوم أمبو من الداخــل متجها الى المدخل العام الكبير ٠



١٠٦

١٠٥

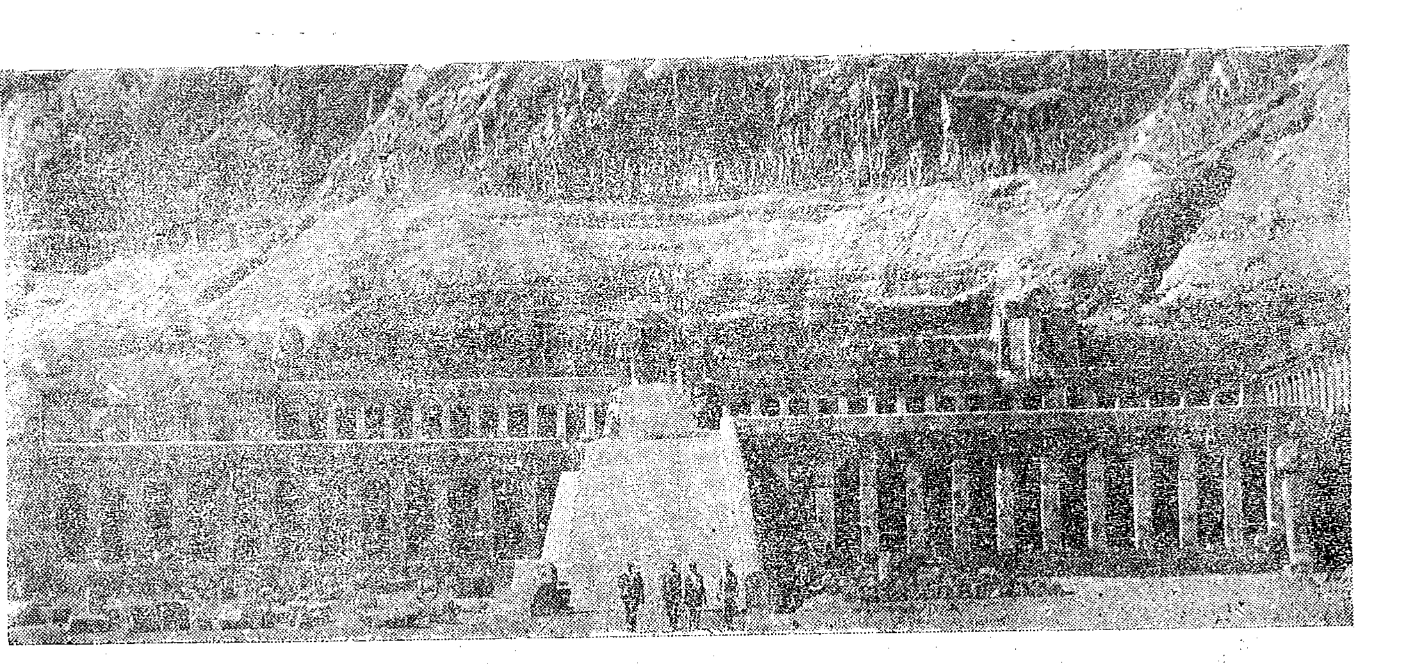


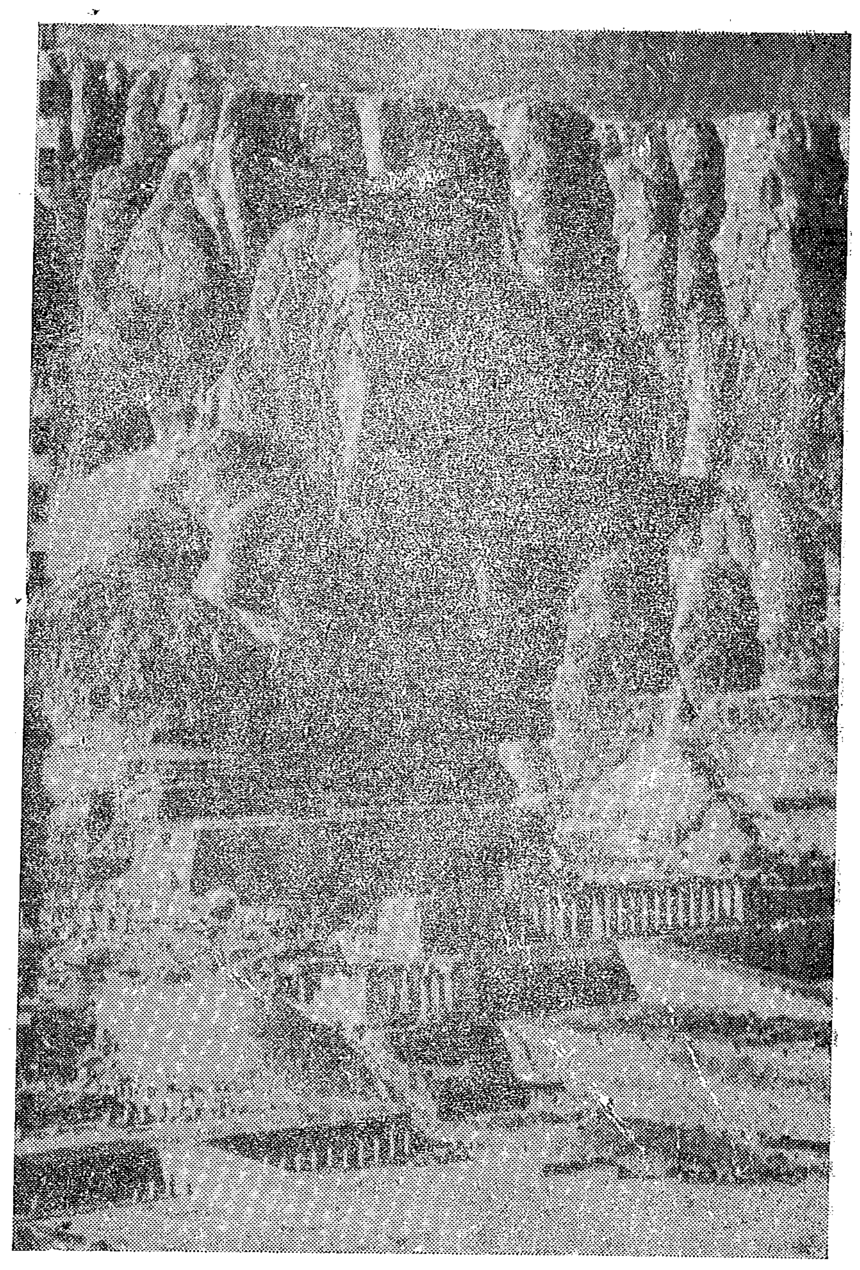
١٠٧ : المدرج الصخرى للدير البحـرى خلف معبد منتوحتب وأمام المعبد فى المقدمة معبد الملكة حتشبسوت ويرى الى اليسار بين المعبدين معبـــد تحوتمس الثالث ٠

١٠٨ : واجهة وقطاع فى معبد منتوحتب بالدير البحرى ٠

١٠٩ : منظور عام لمعبـــد منتوحتب بالدير البحرى / طيبة ٠

١١٠ : معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى/ طيبـــة ٠

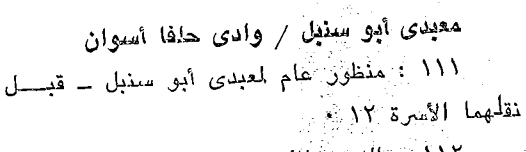




Temple of Hatshepsut
Deir el-Bahari

● معبد الملكة حتشبسوت
الدير البحرى – طيبة ١٥٢٠ ق.م

● معبد منتوحتب الثالث بالدير البحرى – طيبة يعتبر معبد منتوحتب بالدير البحرى بطيبة أقدم المعابد فيها ، ويختلف عن غيره من معابد المصريين القدماء بدقة وغرابة تنسيقه وتصميمه حيث يتكون من طابقين وتراس فسيح وهرم أعلاه . واستعمل فى بنائه مواد بناء مختلفة منها الحجر الجيرى والحجر الرملى والجرانيت والطوب النيىء . ومن المؤكد أن لموقع هذا المعبد وعلاقته بالجبل تأثير كبير فى التصميم المعمارى ومما أدى الى بنـــاء الطابق العلوى والطريق المائل الموصل اليه ، وأن الهرم كان جزءا أساسيا فى بناء وتصميم المعبد من الوجهة المعمارية ، وهو نظام غريب غير مألوف فى المعـــابد المصرية القديمة .



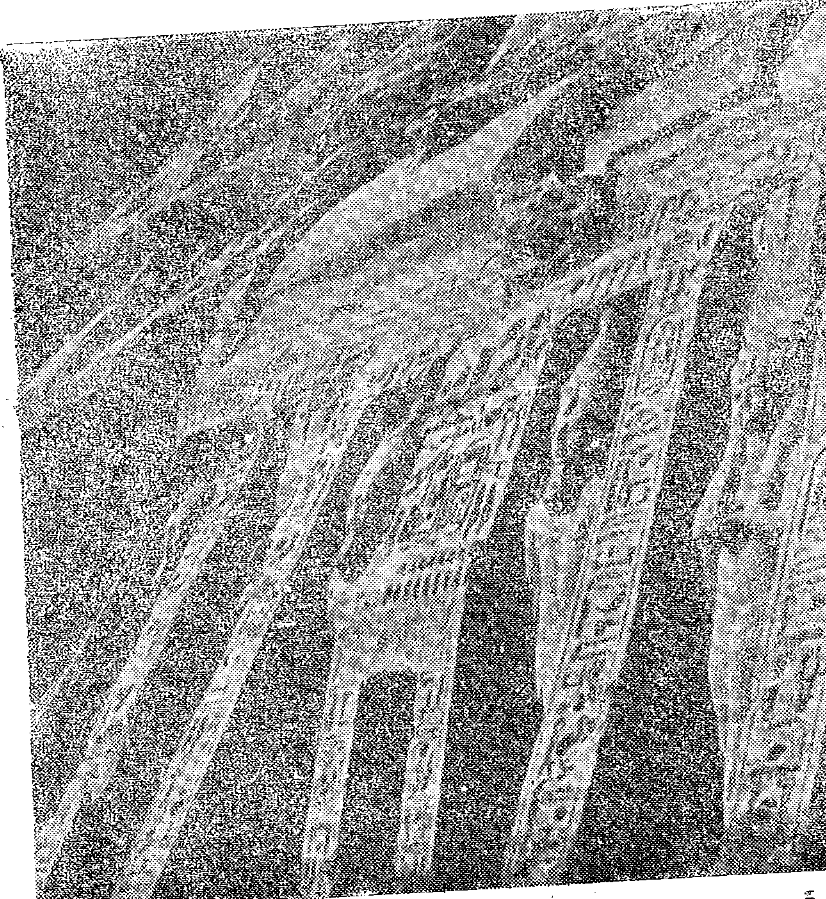
معبدى أبو سنبل / وادى حلفا أسوان

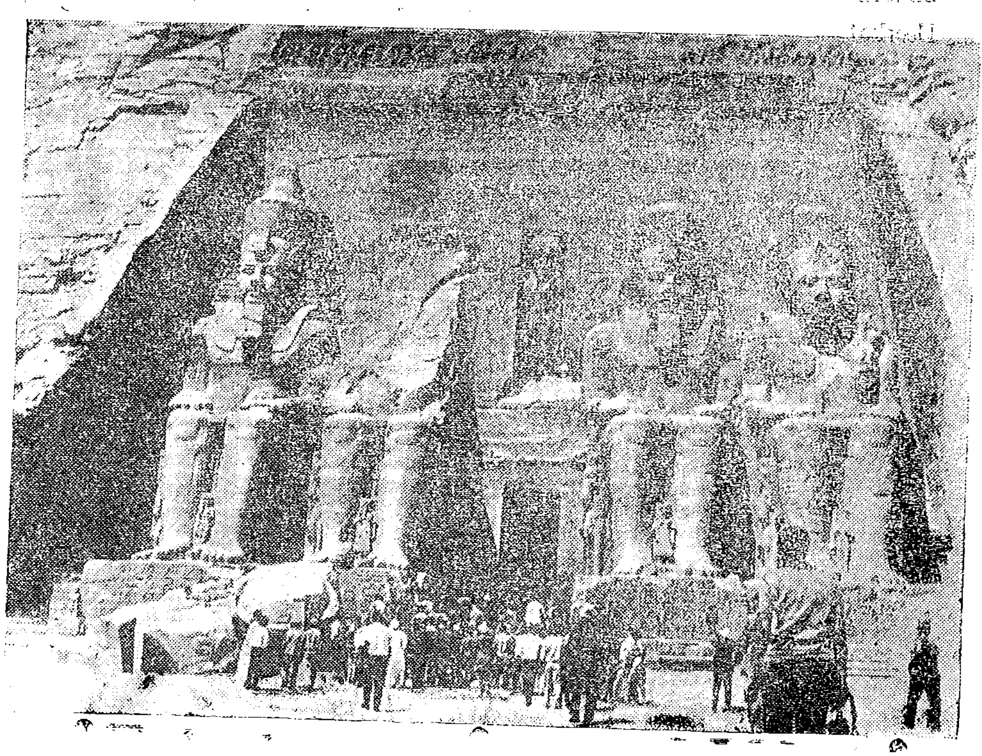
١١١ : منظور عام لمعبدى أبو سنبل ـ قبل نقلهما الأسرة ١٢ ·

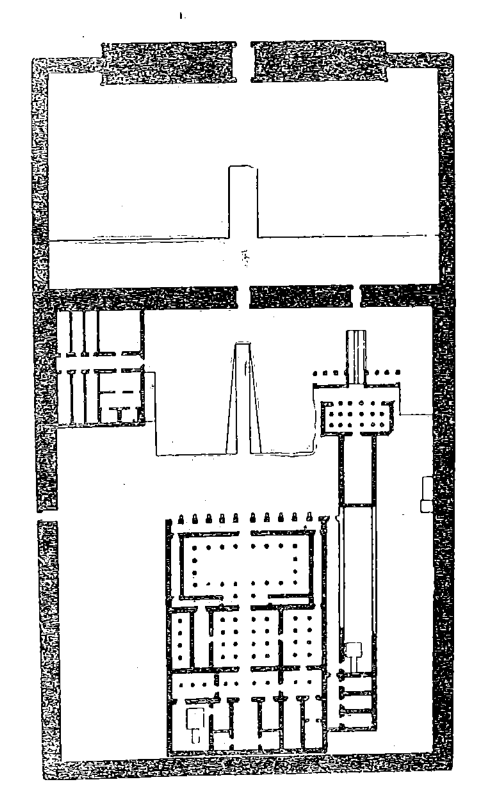
١١٢ : الجزء الأيمن من واجهة مدخل المعبد الكبير الملك رمسيس الثانى وزوجته الملكة نفرتارى ٦٥ قدم ارتفاع · منقوش على قاعدة التمثالين بعض أعضاء الأسرة المالكة بمقياس صغير ·

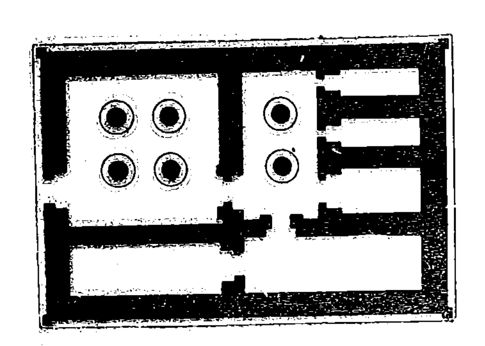
١١٣ : واجهة المعبد الصغير ـ الملك رمسيس الثانى والملكة نفرتارى ـ ٣٣ قدم ارتفاع ·

١١٤ واجهة المعبد ·





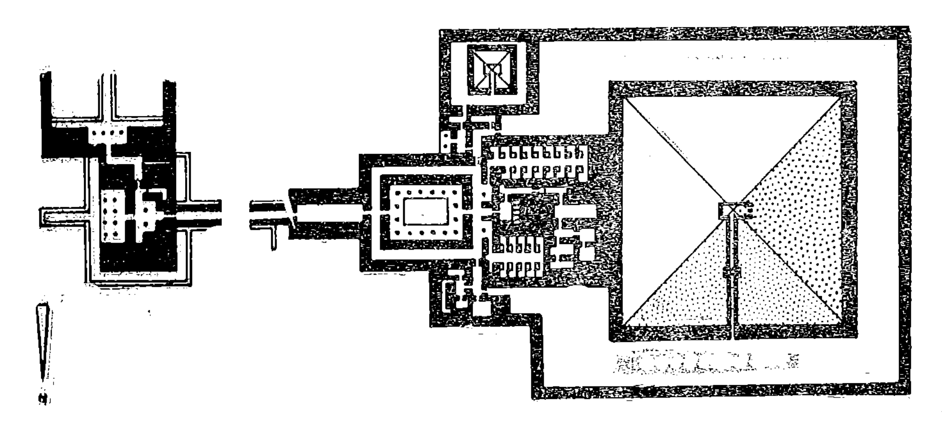




● تطور المساقط الأفقية للمعابد

Evolution of Temple Plaus

١١٥ ـ المعبد الجنائزى : تحوتمس الثالث	Tuthmosis III
١١٦ ـ المعبد الجنائزى ـ تحوتمس الثانى	Tuthmosis II
١١٧ ـ المعبد الجنائزى ساجوراه	Sahura
١١٨ ـ المعبد الجنائزى ـ أوزركاف	Userkaf



١١٩

- المسلة رمز الشمس المشرقة أو **أصبع الاله** -
- كيف كان يتم عمل المسلة - **القطع والنحت والنقل** ·
- أشهر المسلات فى التاريخ المصرى القديم :

مسلات حتشبسوت : ١٤٩٠ - ١٤٦٩ ق·م

مسلات تحوتمس الثالث : ١٤٣٦ ق·م

مسلات تحوتمس الرابع : ١٤١١ ق·م

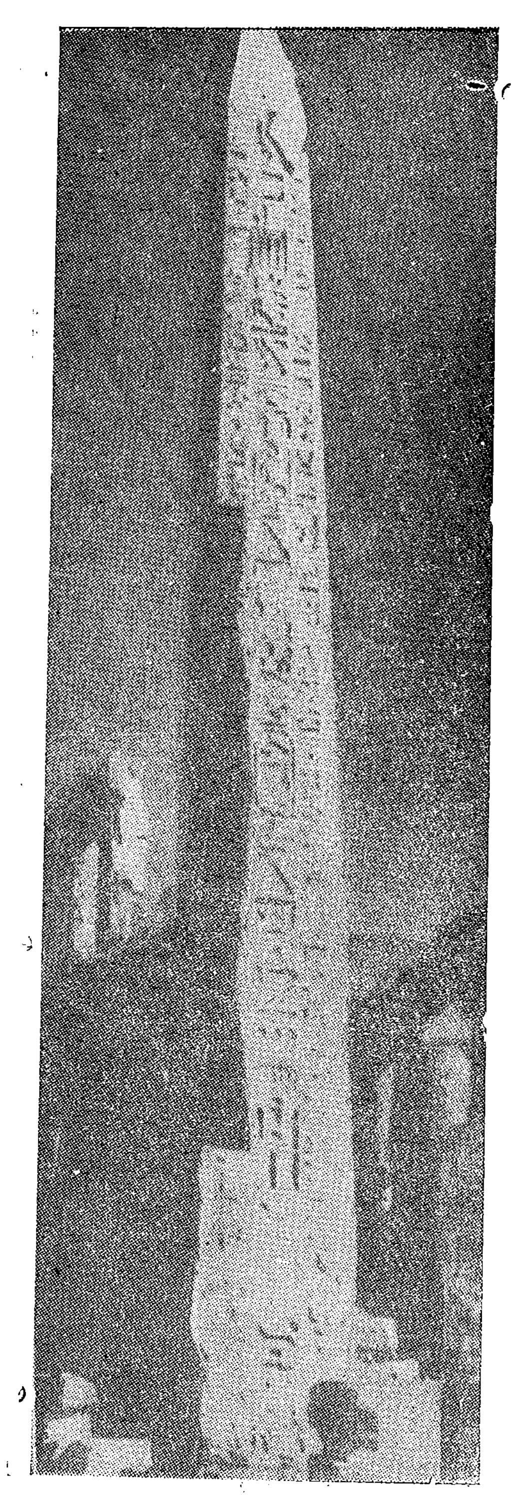
مسلات سيتى الأول : ١٣٠٣ ق·م

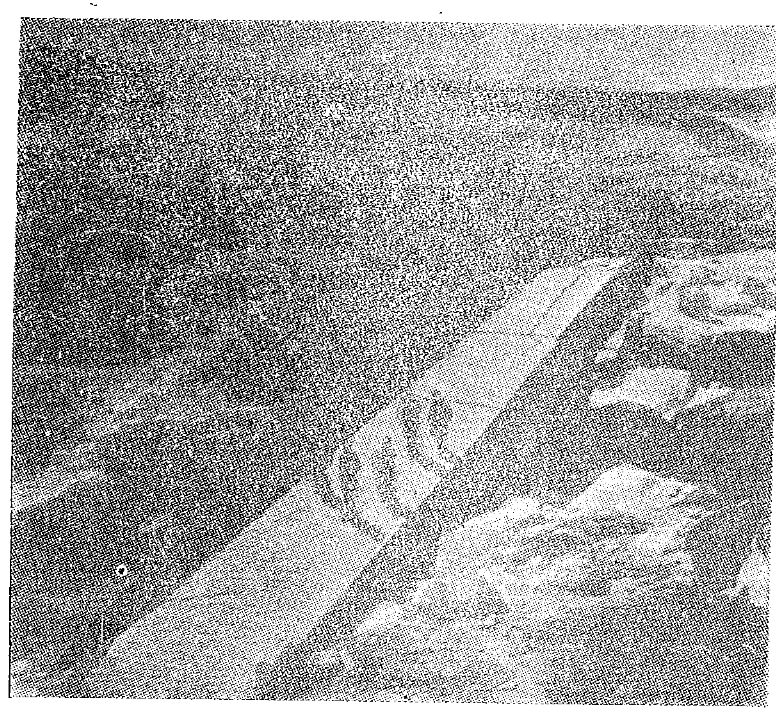
مسلات رمسيس الثانى : ١٢٣٣ ق·م

- هجرة المسلات من مصر الى الخارج :

مسلات : القسطنطينية ، روما ، باريس ، لندن نيويورك

١٢٠





١١٩ : أعلا - مسلة حتشبسوت بالكرنك

١٢٠ : أسوان - المسلة التى لم تستكمل حيث تركها القدماء لظهور شرخ بها أثناء عملية قطعها من الجبل ·

فى الماء بعد دفنها فى تلك الفجوات الذى يساعد على تمدد الخشب · هذا التمدد الذى يؤدى بدوره الى تشقق الفجوة ، ثم يتبع ذلك العمل بالأزاميل المعدنية حتى يتم حفر ممر طويل حول المسلة يصل الى ٧٥ سم ، وبعد ذلك يبدأ العمل فى تخليص المسلة من الجانبين · وأخيرا يتجهون بكل حذر وعناية الى تخليصها من الواجهة المدفونة تحت سطح الحجر · وكانوا غالبا ما يضعون الحبال تحت الجزء الذى يتم وذلك لسهولة ربط المسلة حتى يتمكنوا بعد ذلك من سحبها ·

٧٧

كانت هناك مشكلة أخرى هى مشكلة النقل فقد كان المصريون القدماء يستخدمون الزحافات التى تجرها الثيران فى نقل الأحجار الكبيرة والتماثيل · ويبدو أن المصريين كانوا يستعملون احدى طريقتين لنقل المسلة من المحجر الى شاطىء النيل حيث توجد المراكب لنقلها الى المعبد · الطريقة الأولى هى استعمال الدرافيل من جذوع النخيل كاملة الاستدارة ، توضع تحت المسلة لتسهيل نقلها · والطريقة الثانية هى وضعها على زحافة · وفى الطريقتين يستعمل اللبن للتشحيم لمنع عوارض الزحافة من الاشتعال نتيجة الاحتكاك · وعندما تصل الى شاطىء النيل تبدأ عملية نقلهـــا من المركب الى مكانها فى المعبد على الزحافة مرة أخرى ·

ثم بعد ذلك تبدأ المشكلة الثالثة وهى اقامة المسلة فى مكانها الجديد · والحقيقة كما يحدثنا المؤرخ الدكتور سيد توفيق فى بحثه عن « المسلات رمز الشمس فى مصر القديمة » أن اقامة المسلة الفرعونية فن يعتبر حتى الآن من الأعمال الباهرة التى يندهش لها الانسان فى كل زمان ومكان ·

اختلفت الآراء فى عملية انجاز هذا العمل ولعل أرجحها ما تصوره المهندس الأثرى « أنجلباخ » والذى يرى أن المسلة كانت تسحب وقاعدتها للامام على طريق مساعد أعد خصيصا لذلك حتى تصل الى نهايته لكى تنزل على قاعدتها بين بنائين ضخمين مشيدين من الحجر والطين ثم بعد ذلك تملأ الفجوة الضخمة التى فوق القاعدة والتى بين البنائين بالرمل الناعم ليكون تحت جسم المسلة · ثم يبدأ فى سحب المسلة حتى يصل ثلثها أو أكثر قليلا فوق الجزء المنحنى من البناء المشيد بالحجر والطين · وعندما تبدأ المسلة فى أن تميل على الرمل ، يبدأ عدد من العمال فى سحب الرمل ، وبالتالى اسقاط المسلة حتى تقف تماما · وبعد ذلك تزال جميع الأتربة المحاطة بها ·

المســـــلات :

المسلة عبر عنها الفراعنة بكلمة تيحن Tehén أى أصبع الشعاع المضىء — وأطلق ليها مؤرخو الاغريق اسم Obellsoos أى الوتد أو الابرة وهو الاسم الذى

اشتهرت به فى الغرب وترجمه العرب الى اسم « المسلة » أى الأبرة ٠

وصفوها عبر التاريخ القديم بأنها : أصبع الايمان التى تشير الى « رع » اله الشمس المتربع على عرش السماء ٠

و « أصبع العقيدة المرفوع كرمز لوحدانية الاله خالق الكون وشعلة الهداية التى ارتفعت على عمود الحق لتبديد ظلمات الشك وتثير القلوب بالايمان » ٠

فذلك الرمز وتلك العقيدة التى خرجت « أون » عين شمس من سبعة آلاف سنة لتنتشر رسالة السماء فى أرجاء وادى النيل ، وارتفعت مسلاتها فى سماء المدن والمعابد والهياكل جعلت من مصر مهدا للعقائد والمعتقدات ومنبعا لرسالات الأديان التى انتقلت لمختلف الحضارات ٠

لقد اختفت تلك المسلات من سماء مصر فى عصور مختلفة لترتفع قائمة فى عواصم العالم ومدنه ، كان فى مصر ما لا يقل عن مائة مسلة من المسلات التاريخية لم يبق منها قائما فى مكانه بين اطلال المعابد سوى خمس مسلات ! ٠

متى هاجرت ؟ ٠٠٠ وكيف نقلت ؟٠٠٠ وأين توجد تلك المسلات ؟

● (حات ــ بن بن) حجر هرمى الشكل ذو قمة مدببة ــ كان أول رمز للدلالة على اله الكون ٠٠ الاله الواحد رع اله الشمس الذى ظهر فى معبد أون (هليوبوليس) الذى يرجع تاريخه الى عام ٤٢٤٠ ق٠م ، وهو التاريخ الذى حدده المؤرخون لمدينة أون عندما أصبحت عاصمة توحيد القطرين الأولى رغم أن منشأ معبدها كما ذكر كل من « سولون » و « سترابون » من مؤرخى العهد القديم يرجع الى ما لا يقل عن سبعة آلاف سنة ق٠م ويعتبر مصدر المعرفة والحضارة والعقيدة فى مصر ٠
وقد حاول الكثير من الباحثين فى حضارة الاطلنتيد الربط بين نشأة ذلك المعبد وعلاقة كهنته الذين أطلق عليهم اسم أنصاف الالهة وأهل المعرفة بأسرار الكون ٠ وبين حضارة قارة الاطلنتيد التى هبطت تحت سطح البحر ــ كما ورد فى الأساطير القديمة ٠

وقد حاول بعض الباحثين نسبة حجر البن بن المقدس رمز عبادة الاله الواحد ومهبط العقائد جميعا الى أهل تلك الحضارة القديمة ، وأن كهنة معبد اون أتوا بها معهم من هناك ٠

● تحوى برديات مؤرخى العصور القديمة العديد من الأساطير التى تدور حول ذلك الحجر الهرمى المقدس ٠

ذكر بعضها أن الحجر هبط من السماء حاملا رسالة عقيـــدة الايمان بالخالق فوضع فى فناء معبد اون الذى بنى حوله ، واون معناها البرج الذى أقيم لرصد اله الشمس « رع » الذى يتربع على عرش السماء تظلله القبة السماوية بأبراجها وأفلاكها ونجومها وكواكبها السيارة ، جنوده فى السماء التى تدور حوله وتتحرك بأمره ٠

وفى أسطورة أخرى يذكر « سولون » أن كهنة عين شمس حملوا الهرم المقدس معهم من أرض أجدادهم عندما أمرهم أن يغادروا أرض الاطلنتيد ويتجهوا شرقا الى أرض « رع » المقدسة ، وهى أرض مصر ، كما دلهم على موقع الهضبة التى أقاموا فيها معبد الاله يتوسطه هرم بن بن ، وذكرت الأسطورة أن ذلك الموقع هو مركز العالم ٠

● يرمز حجر بن بن الهرمى الشكل المربع القاعدة الى أركان الدنيا الأربعة التى تتجه بقمتها نحو السماء ، ووصف بأنه صنع من جحر كريم معـــدنى المظهر ، ووصفته الأساطير أنه كان يعكس أشعة الشمس من وقت شروقها الى أن تختفى فى الافق ثم يشع ضوءها طوال الليل وينير ساحة المعبد حتى يستقبل شروقها ٠

أما الأهرام التى وضعت فوق قمة المسلات فى مختلف مراحل تطورها ، فقـــد ذكرت البرديات التاريخية أنها كانت تصنع من « السام » أو « الالكتروم » وهو خليط من الذهب والفضة والنحاس ، وهو التى كانت تطلى به مرايا الزينة العاكسة ، كما أن معظمها كان يصنع من الحجر ويكسى بألواح من الالكتروم تطلى بالذهب ٠

● ومن العقائد القديمة التى ارتبطت بهرم البن بن أن الشمس تشرق من فوق قمة هرمية ترتكز عليها لتصعد الى السماء وتدور دورتها لتعود الى الهرم وتسكن فيه حتى تستريح ، ثم تصعد الى قمته لتدور دورتها مرة أخرى ٠٠ ولذا فقد أطلق على الهرم بيت الاله ٠

كما ارتبطت أسطورة الحجر الهرمى بأسطورة أخرى أطلق عليه القدماء اسم طائر بنو المقدس ٠ وهو الذى أطلق عليه الاغريق اسم الفونكس والعرب اسم العنقاء أو السمندل - ووصفوه بأنه كان دائم التحليق بأجنحته العملاقة فى السماء متطلعا الى الأرض كقرص الشمس أثناء غيابها ٠ وكان لا يحط الا على قمة البن بن أو بيت الاله ، فأصبحا معا من الرموز المقدسة للاله « رع » التى ظهرت قبـــل الأسرات رمز الشمس المجنحة التى استعاروا فيها أجنحة طائر الفونكس لتحلق بهـــا الشمس فى السـمـــاء ٠

● ولما كان معبد عين شمس (اون) هو نشأة العقيدة فى تاريخ مصر بل فى

تاريخ الانسانية بأجمعها ، فقد خرجت بعثات الكهنة لتجوب أنحاء الوادى لتنشر العقيدة وتقيم المعابد وهى المرحلة التى مهدت للتوحيد الأول للقطرين عام ٤٣٠٠ ق٠م بدأت كل منها لعبادة اله الشمس بجانب المعبودات المحلية ، ثم تطورت العقيدة الى أحزاب اتفقت من ناحية الرسالة وهى التوحيد وأختلفت من ناحية اختيار الرموز التى تعبر عن الاله وعلاقة مختلف المعبودات ومكانتها من الاله الخالق ٠

● عندما خرجت عقيدة رع من هيليوبوليس لتأخذ صبغتها الرسمية عند بدء الأسرات خرج هرم بن بن رمز الاله ليحتل مكانه ومكانته وبدأوا بوضع قاعدة يرتكز عليها حتى يعلو على مستوى المعبد وحوائطه فظهرت معابد الشمس المعروفة ، وكانت عبارة عن فناء مكشوف تقوم فى مؤخرته مسلة عظيمة عبارة عن قاعدة مربعة تحمل الهرم المقدس ٠

أن هرم زوسر المدرج بسقارة الذى انشىء فى الأسرة الثالثة ٢٨١٥ ق٠م والذى وضع تصميمه « المهندس ايمحوتب » ، ما هو الا قاعدة ضخمة أعدت لتحمل فوقها الهرم المقدس ، ويرمز الهرم المدرج الى سلم الصعود الى السماء ، وتمثل المجموعة الهرمية بمعبدها الجنائزى وأسوارها ومنشأتها نموذجا ضخما لمعبد الشمس ٠

● وفى الأسرة الرابعة ، تطور حجر البن بن المقدس ليقام كنصب ضخم يرتفع فوق سماء المدينة ومعابدها ، فكان هرم الجيزة الأكبر الذى أقامه الملك خوفو ، الأسرة الرابعة ٢٦٥٠ ق٠م ، وهو الهرم الذى قام بدور الحجر المقدس والمرصد والمعبد الذى يحتفظ بأسرار الوجود ٠

وفى الأسرة الخامسة عندما انتقل الحكم الى يد كهنة الشمس ، انتشرت معابد الشمس ، كما ظهرت المسلات فى آخر مرحلة من تطورها ، وهى التى صنعت من قطعة واحدة من الحجر ، وبدأ فيها استعمال الجرانيت والبزالت من الاحجار الصلبة ٠ وكان ارتفاع المسلات فى تلك المرحلة لا يزيد على المترين ، وأطلق عليها اسم أهرام النذور ، وقد انتشر استعمالها بصفة خاصة خلال الأسرة السادسة ، وكانت توضع فى الاماكن المقدسة والمعابد وأمام المقابر وفى أفنية القصور والحدائق الخاصة ٠ وقد ورد فى بعض النصوص القديمة الخاصة بمسلات أهرام النذور أنها كانت تصنع فى معبد عين شمس نفسه لتكون لها قدسيتها لانتسابها الى بيت الاله « رع » ٠

وقد لعبت أهرام معابد الشمس الجنائزية دورا كبيرا فى مقابر دير المدينة التى ارتفع فى فناء كل مقبرة منها هرم يمثل حجر بن بن ــ كما تطور معبد الشمس وهرمه المقدس ليتوسط المعبد الذى أقامه الملك منتوحتب الثانى فى الدير البحرى عام ٢٠٦١ ق٠م (**الأسرة الثانية عشرة**) ٠

● وقد ظهرت المسلات الضخمة التى تصنع من قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر التى ترتفع قممها عن جدران معبد عين شمس العالية لأول مـــرة فى الأسرة الثانية عشرة ، عندما أقام سنوسرت الأول عام ١٩٧٥ ق٠م مسلتين كبيرتين تقربا للاله « رع » ، وبمناسبة احتفاله بعيد السد (أى عيد التتويج) ـ ارتفاع كل منهما ٦٦ قدما ، ولا تزال احداهما قائمة مكانها (وتعد أقدم المسلات الخمس التى لا تزال قائمة فى مكانها) ويبلغ وزنها ١٢٥ طنا ، وقد نقش على كل جانب من جوانبها ما يدل على أن مقيمها هو الملك « سنوسرت الأول (خير كا ٠ رع) الذى تحبه أرواح عين شمس المقدسة وأجداده من الملوك الذين توفوا قبله ٠ تذكارا لعيد سد الثلاثين لتوليه الحكم وهدية لوالده الاله رع » ٠

كما عدد الهدايا المقدسة التى قدمها الى الهة عين شمس لاحياء ذكرهم ، ومما لا شك فيه أن ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين اشتهروا بفتوحاتهم وانتصاراتهم فى تكوين الامبراطورية والتى نســـبوا الفضل فيها الى الهة عين شمس ـ كما ذكر استرايون ـ وأنهم حذوا حذو سنوسرت الأول وتباروا فى اقامة مسلات ضخمة تمجد أعمالهم وتحمل اسماءهم ٠

لكن معظمها قد تحطم أو أسقط عند غزو قمبيز للمدينة المقدسة عام ٥٢٥ ق٠م ، وحطم حوائطها المحصنة وهدم معابدها وشتت كهنتها حينما أمر بألا تبقى مسلة قائمة ترمز للعقيدة أو النصر » ٠

وباختفاء تلك المسلات ، طويت صــفحات من مفاخر تاريخ العقيـــدة وتراثها الحضـــــارى ٠

● لم تظهر المسلات بعد الدولة المتوسطة ـ أى بنهاية الأسرة الثانية عشرة ـ الا بقيام الدولة الحديثة وبداية الأسرة الثامنة عشرة عام ١٥٧٠ ق٠م حيث كانت اقامة المسلات الضخمة هى الطابع المميز وأهم ما يلفت النظر فى التراث المعمارى ٠ ويرجع السبب فى ذلك الى ما صارت اليه حال البلاد من فقر وما انتابها من اضـــــطرابات داخلية ٠ كما كان الحال بعد نهاية الأسرة السادسة وهو ما اطلق عليه عهد الاضمحلال فى العقيدة والسياسة والاقتصاد ـ والذى توقفت فيه اقامة المسلات حتى عادت للظهور فى الدولة الوسطى لتتوقف لنفس السبب ثم لتعود الى الظهور فى الدولة الحديثة مع عودة الاستقرار السياسى والانتعاش الاقتصادى وازدهار العقيـــدة والايمان بالاله الخـــالق ٠

لقد تبارى ملوك الدولة الحديثة ابتداء من قيام الأسرة الثامنة عشرة الى أواسط

الأسرة العشرين ١٥٧٠ ـ ١٠٨٠ ق٠م) فى اقامة المسلات الضخمة للتقرب من الاله « رع » والانتساب اليه ، ونسبوا له الفضـــل فى أنتصاراتهم وما وصــلت اليه امبراطوريتهم من ازدهار ـ أقاموها تمجيدا للاله واعترافا بفضله عليهم فنقشوا على جدرانها ما قاموا به من أعمال مجيدة وفتوحات وانتصارات نسبوها اليه ٠ بل لقـد اضاف كل منهم الى اسمه ولقبه المنقوش على المسلة اسم الاله « رع » ٠

ولقد بالغت النصوص القديمة فى وصف حجم المسلات وعددها ، فقد ذكر فى بعضها التى ترجع للاسرة الثامنة عشرة أن بعض المسلات صنعت من قطعة واحدة من الجرانيت طولها مائة ذراع ، بينما لم يزد ارتفاع أية مسلة أقيمت عن ١٠٦ أقدام ، ويبلغ وزنها ٥٢٥ طنا ٠

وهناك مسلة واحدة لم يتم قطعها تعد اضخم مسلة فى تاريخ الفراعنة ما زالت ترقد فى محاجر أسوان طولها ٤٢ مترا تقريبا ، وطول قاعدتها المربعة ٤ر٢٠ متر ، ويقدر وزنها بحوالى ١١٧٠ طنا ، وقد تركها عمال المحاجر بعد تفريغ جوانبها الثلاثة تمهيدا لفصلها : عن سطح الجبل وظهور بعض عروق التشقق فى طبقات تكوينها ٠

● كان تحتمس الأول (عا خير كا ٠ رع) أول من أقام المسلات فى الأسرة الثامنة عشرة بعد أن عاد من فتوحاته الواسعة وشعر بأن ضغط الهكسوس ونفوذهم قد زال نهائيا وان من حقه أن يفتخر بسيادته على العالم ، كما ورد فى النقوش التى سجلها بقوله المشهور « لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا فى خوف ، وطردت عنهم الشر ٠ وجعلت مصر سيدة العالمين »٠

فكان أول من أقام مسلتين عظيمتين فى معبد آمون أمام البوابة التى كان قائما ببنائها ـ وهى البوابة الرابعة الآن ، وقام بتصميمها المهندس « اذنى » ٠ ويبلغ ارتفاع كل مسلة ـ وهى منحوتة من قطعة واحدة من الجرانيت الوردى ـ ٧٥ر٢١ متر ٠ وطول ضلع قاعدتها المربعة ٨٤ر١ متر ، كما يبلغ وزنها ١٤٥ طنا تقريبا ٠

وما زالت احداهما قائمة فى الفناء الذى يتوســط الصرحين الثالث والرابع للمعبد ، وقد نقش على أحد جانبيها :

« حور القوى محبوب ماعت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (عا خير كا رع) أقامه فى عيد سد الثلاثين تذكارا لوالده (آمون رع) سيد الأرضين » ، وأقام مسلتين أمام معبده قمتهما الهرمية من السام المضىء » ٠

أما المسلة الثانية فهى التى بقيت بغير نقوش حتى أقامها حفيده تحتمس الثالث

(من خير رع) عام ١٤٦٩ ق٠م ونقش اسمه عليها ، وهو ما حير الاثريين ولم يجدوا له تفسيرا اذ كيف بقيت المسلة بدون نقوش أو تكملة خلال تلك المدة الطويلة ولم يقم ابنه تحتمس الثانى بتكملتها أو انتحالها لنفسه ٠

وقد تهشمت المسلة المذكورة فى القرن الثامن عشر الميــلادى ولا زالت بعض بقاياها موجودة بالموقع ٠ وقد سجل المهندس اننى ضمن برديات طيبة قوله :

« بعدما قمت باقامة قاعة المعبد الفاخرة بأعمدة على هيئة سيقان البردى ٠ أقمت مسلتين من الجرانيت الأحمر كل منهما من قطعة واحدة ، وقد بنيت لهما سفينة فاخرة طولها مائة وعشرون ذراعا لنقلهما من محاجر أسوان الى طيبة ، وقد أحضرتا سليمتين لم تمسا بسوء ، وانزلتا فى الكرنك ٠

● مسلات حتشبسوت ١٤٩٠ ـ ١٤٦٩ ق٠م

أقام تحتمس الثانى (ابن تحتمس الأول من زوجته غير الشرعية وزوج أختـهـ حتشبسوت) مسلتين احتفالا بعيد السد للملكة حتشبسوت وهو العيد الذى ارادت فيه أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، ولكنها تركت المسلتين بدون نقوش ، ثم نقشتهما بعد ١٣ سنة من أقامتهما ، حيث أمكنها أن تنقشهما كما ارادت عندما أصبحت الملكة الشرعية بعد موت تحتمس الثانى ٠ فحفرت على واجهاتهما الأربع اسمها الجـــديد والقابها ونسبها للاله رع ، وذكرت أنها أقامتهما تخليدا لوالدها تحتمس الأول والاله آمون رع ، ولم تذكر شيئا بخصوص تحتمس الثانى ٠

ثم كلفت مهندسها سنموت بتقطيع مسلتين من محاجر أسوان احتفالا بعيـــد السد الثانى ، وأمرت باقامتهما للاله آمون رع فى فناء بهو الأعمـــدة الذى يتوسط الصرحين الرابع والخامس من معابد الكرنك فلا تزال واحدة من هاتين المسلتين فى مكانها حتى الآن ويبلغ ارتفاعها ٢٩ر٥٠ متر على قاعدة مربعة طول كل ضـــلع من اضلاعها ٢ر٦٥ متر كما يقدر وزنها ٣٢٥ طنا ٠

وتسجل رسوم ونقوش ومتن معبدها فى الدير البحرى قصة المسلتين ، فقـــد سجلت نقوش الرواق الاسفل بالمعبد المذكور منظر نقل المسلتين واهدائهما ، فنشاهد سفن النقل ذاهبة فى اتجاه الشمال منحدرة فى النيل من أسوان حيث قطعت المسلتان ٠ ثم يظهر فى الجهة الشمالية من الجـــدار الاهـــداء فى طيبة ٠ ويشرح المتن الخاص بالمسلتين القاب الملكة ونسبها الالهى ثم الأمر بجمع المواد لبناء السفن الضخمة اللازمة لنقلهما ، وأوامر اعداد الرجال والجنود لجر المسلتين ونقلهما من جزيرة الفنتين ،

وتجنيد كل الشباب من الأرضين قاطبة والمتطوعين لخدمة الاله « صاحب المسلتين » ٠

وتبين المناظر المحفورة المسلتين وطريقة نقلهما حيث كانت المسلة تجر مغمورة فى الماء بسبعة وعشرين قاربا تسير بالمجاديف ، وكانت القوارب تسير فى ثلاثة صفوف كل منها يقوده قارب رئيسى وترافقها سفن تحمل الكهنة يرتلون الصلوات ويحرقون البخور لتصل سالمة الى معبد الاله ، وتبقى طوال الرحلة فى رعايته ، وتعتبـــر تلك المتون والنقوش من أهم المراجع التاريخية التى تشرح طريقة نقل المسلات ٠

كما سجلت حتشبسوت تاريخ نقل المسلتين على جدران معبد الدير البحرى ، فقد نقشت على قاعدة احدى هاتين المسلتين متنا هاما بدأته بذكر اسمها « ماعت كا ٠ رع » والقابها ومدح نفسها ، وكيف أنها وهى جالسة ذات يوم فى قصرها فكرت أن الاله هو الذى برأها ، وأنها أقامت هاتين المسلتين له ، فتقول فى النص الذى ترجمه العالم الكبير الاستاذ سليم حسن :

« انتم يأيها الناس يا من سترون اثارى هذه فى السنين المقبلة يجب أن تتحدثوا عما فعلت ٠ واحذروا أن تقولوا : لا نعلم لماذا قد عمل هذا ، وان جبلا صنع كله من الذهب كأنه شىء عادى قد حدث ٠ وانى أحلف بقدر ما يحسبنى اله الشمس وليس تاجى الوجهين ، وبما صيرنى قوية مثل « أوزير » أبن السماء و ٠٠٠٠ بهذا أحلف أن هاتين المسلتين اللتين عملتهما جلالتى من السام هما لوالدى « آمون » حتى يصير اسمى مخلدا باقيا فى هذا المعبد أبد الابدين ، وانى أحلف ان كل واحدة منهما قد صنعت من قطعة واحدة من الجرانيت الصلب دون شرخ أو وصلة ٠ وان جلالتى هى التى أمرت بعملهما ، وقد بدأ ذلك فى السنة الخامسة عشرة اليوم الأول من الشهر الثانى من الفصل الثانى وان العمل فى المحاجر نفسها قد استغرق سبعة أشهر ٠

« أسمعوا أيها الناس ، لقد أعددت لهاتين المسلتين أحسن معدن السام وقدكلته بالحقت (مكيال فرعونى سعته ٥ لتر) وقد حددت جلالتى المقدار بكمية لم تر الاجداد من قبل أكثر منها ، فدع أولئك الذين يجهلون الحقيقة يعرفونها مثل العالمين بها ٠٠ ان ما قالته الملكة (ماعت كا رع) حق ، وأنها صادقة فى نظر والدها آمون رع — هو الذى جعلنى أحكم على الأرض كسوداء والأرض الحمراء مكافأة لى على ذلك وليس لى عدو فى أى مكان ، فكل البلاد خاضعة لى ٠ وأنه وضع حدودى عند أقاصى السماء ، وقد أعطانى كل هذا لأنه يعلم أنى ساقدمه له ثانية ٠٠ حقا اننى ابنته وهو الذى يرفع من شأنى ٠٠ وهو الذى أوجد مملكتى والأرض السوداء والأرض الحمراء أصبحتا تحت قدمى وحدودى الجنوبية قد بلغت حتى بلاد « بونت » وحدودى الشرقية قد وصلت

اسيا ، والاسيويون فى قبضتى ، وحدودى الغربية بعيدة جدا حتى جبال « مانوه » حدودى الشمالية قد وصلت ٠٠

● مسلات تحتمس الثالث : ١٤٦٩ ــ ١٤٣٦ ق٠م

يعتبر تحتمس الثالث أعظم قواد الامبراطورية الفرعونية الأولى بفتوحاته وحملاته الستة عشرة التى نسب انتصاراته العظيمة فيها الى الاله آمون رع وأنه كان لا يعمل أو يخطط لمعاركه الا بوحى منه ٠ فأقام له معبدا ضخما فى الكرنك يناهض فى عظمته وبنائه معبد الدير البحرى الذى أقامته حتشبسوت ، كما أحتفل بثلاثة أعياد ابتهاجا بأنتصاراته ٠ وقد أصبحت هذه الأعياد سنة متبعة تقام فيما بعد كل عام ــ أطلق على العيد الأول عيد الاله آمون والثانى عيد احضار الاله ، والثالث عيد النصر أو الشكر ٠

وقد أقام فى حياته ست مسلات ، كل اثنتين منها فى اعلان كل من تلك الأعياد الثلاثة ، حيث ربط بين عيد السد الثلاثينى أو عيد التتويج المتبع عند ملوك الفراعنة ــ الذى تقام فيه المسلات ــ وأعياد الاله الثلاثة ــ والمسلتان اللتان أقامهما فى العيد الأول أمام الصرح السابع جنوب الكرنك لم يبق منهما الا جزء من احداهما ٠ وفى العيد الثانى أقام مسلتين اخريين نقلهما أباطرة الرومان الى روما والقسطنطينية أما المسلتان اللتان أقامهما فى العيد الثالث فقد نقلهما الحاكم برباروس عام ٢٣ ميلادية الى الاسكندرية وهما من المسلات التى أطلق عليها اسم مسلات كليوباترة بينما مسلات كليوباترة انتقلت الى الاسكندرية فى عهد البطالسة لتقام فى فناء معبد ايزيس ٠

● مسلات تحتمس الرابع : ١٤١١ ــ ١٣٩٧ ق٠م

أقام مسلة واحدة وتعتبر المسلة السابعة من مسلات جده تحتمس الثالث الذى عاجلته المنية قبل أن يرى المسلة ، اذ قضى وهى لم تنصب بعد ، وقد بقيت مهملة ٣٥ سنة لأن ابنه امنحتب الثانى لم يكن ميالا لاتمام الاثار التى لم تكن قد تمت اقامتها فى عهد والده ٠ وكان تحتمس الرابع أمينا عندما سجل على واجهات المسلة قوله :

« منخبر و رع (تحتمس الرابع) الذى يضىء فى التيجان ــ الذى أنجبه رع ومحبوب آمون ــ كان جلالته هو الذى حمل المسلة الفردية المتناهية فى العظم ، وهى التى كان قد أحضرها ملك الوجه القبلى والبحرى (منخبر رع) تحتمس الثالث ــ بعد أن وجد جلالته هذه المسلة ملقاة على جانبها خمسا وثلاثين سنة فى يد الضياع عند البوابة العليا للكرنك ٠ أمر والدى الاله أن انصبها له وانا ابنه المخلص له » ٠

مسلات سيتى الأول ١٣٠٣ – ١٢٩٠ ق٠م

عندما تولى الحكم اعاد بناء مدينة هيليوبوليس وبنى لنفسه قصرا فيها بجانب معبد الاله رع الذى أقامه تقربا له وأطلق على نفسه اسم (من ماعت رع) ، وذكر فى تاريخه أنه أقام مسلة ضخمة فى هيليوبوليس ، لكن رمسيس الثانى يحدثنا أن والده قد ملأ عين شمس بالمسلات ، كما أن هناك نقشا فى أسوان مؤرخا فى السنة التاسعة لعهد سيتى الأول ، دون تذكارا لحملة أرسلت للمحاجر للحصول على جرانيت لعمل المسلات ، وتظهر به صورة سيتى يقدم قربانا للالهة خنوم وسانت وذكر أنه لصنع عدد من المسلات العظيمة ٠

ومع ذلك فلا توجد الا مسلة واحدة تحمل اسمه وهى التى نقلها أباطرة الرومان الى روما وأقيمت فى ميدان « بيازا دلبوبولو » ، ومن المرجح أنها اخر المسلات التى أقامها فى عهده ٠ لأنه مات قبل أن يبدأ نقشها لأن الذى احتفظ بأحدى واجهاتها ليدون فيها ما عمله ٠

مسلات رعمسيس الثانى ١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق٠م

أقام بالبوابة الرئيسية لمعبد الأقصر ستة تماثيل ضخمة ونصب أمامها مسلتين من الجرانيت الوردى بمناسبة عيد تتوجيه (السد) الثلاثين الأول ، توجد احداهما فى مكانها بالمعبد ، أما الثانية فهى التى انتقلت عام ١٨٣١ لتقام فى ميدان الكونكورد فى باريس ، وتحتوى نقوشها على نعوت والقاب ضخمة يدعى فيها أنه هو الذى أسس المعبد الساخر فى الأقصر الجنوبية (أبت) ٠

وبعد أن كانت المسلات فى مختلف العصور التاريخية السالفة تعد رمزا شمسيا محضا ، تحولت بالتدريج الى أثر عادى الصبغة ، تقام لتخليد ذكرى الاله ، ولا أدل ذلك مما تقرؤه على نقوش مسلات رعمسيس الثانى التى أقامها فى تانيس ٠ اذ أن كل ما عليها من نقوش يمجد شجاعة فرعون وقهره للاعداء وأعماله البطولية ، وتعد اعماله العظيمة ، كما سجل فيها مختلف أعياد فرعون المتعددة بدلا من أعياد الاله ٠

وقد أقام فى تانيس وحدها حوالى ٢٢ مسلة ، ولم يذكر عيد السد الا على واحدة منها ، كما يذكر أكثر من مؤرخ أن عددا غير قليل من تلك المسلات اغتصبها من الملوك السالفين من مختلف المعابد ، ونقلها الى تانيس ونسبها الى نفسه ٠

نقل المسلات ٠٠ واقامتها :

لقد اختلفت وسائل نقل المسلات بعد قطعها من محاجر الجرانيت بأسوان حتى

وصولها الى الموقع ،تبعا لاحجامها ومسافات نقلها • فالمسلات الخفيفة التى لا يزيد وزنها عن مائة طن ، كانت تحمل على زحافات تجرها الثيران ، وكانت الطرق تغطى بطبقة من الطمى والزيت حتى تساعد على انزلاق الزحافات وتمنع احتراق أخشابها من وصولها الى الشاطىء على عوامات أو مراكب خاصة كما هو مبين فى النقوش والرسومات الموجودة على حوائط معبد الدير البحرى التى تبين أحداها نقل احدى مسلات حتشبسوت على سفينة طولها ٨٠ ذراعا •• أما المسلات الضخمة والتى زاد وزنها على الخمسمائة طن فكانت تدحرج على درافيل خشبية مستديرة القطـــر ومن أخشاب صلبة من الصاج والأرز كما استخدمت جذوع النخيل بدل الدرافيل فى كثير من الحالات • وكانت تجر بالحبال السميكة يقوم بجرها فرق من الرجال الأقوياء بلغ عددهم كما ورد فى أحد المتون عشرة آلاف رجل •• كما اتبعت طريقة أخرى لنقـــل المسلات الضخمة وهى سحبها على طريق طينى منزلق يغمر بالماء طوال رحلة نقلها الى الشاطىء •

كما ذكرت بعض الوثائق القديمة أن المسلات كانت تنقل من المحاجر المرتفعـة بالجبال حتى سفح الوادى قبل موسم الفيضان ، حتى اذا بدأ الفيضان فى غمر الأرض بالماء يبدأ العمل بسحبها خلال قناة تعد خصيصا لسحبها خلالها وتسير فرق الرجال والثيران على جسريها (كثيرا ما كان الفرعون يسخر الاسرى فى تلك الأعمـــال فى الدولة الحديثة وخاصة فى عهد تحتمس الثالث ورعمسيس الثانى) • كما استعملت مجموعات القوارب لسحب المسلات فرق أرض الحياض وقت الفيضان •

أما نقلها فى النيل فكان يتم بتثبيت طرفيها فى سفنيتين كبيرتين وتجر وهى مغمورة فى الماء حتى يخف وزنها ويسهل جرها ، كما استعملت فى بعض الحالات مجموعات متراصة من السفن الصغيرة وهى الطريقة التى اتبعت فى نقل مسلات حتشبســوت الكبيرة • ويعد وصول المسلة الى شاطىء المنطقة التى ستقام بها تنقل الى الشاطىء ، ثم تسـتعمل الزحافات والدرافيل والطرق التى اســـتعملت فى نقلها من المحجر الى الشـــاطىء •

أما عن طريقة أقامتها فى الموقع أمام بوابات وصروح المعابد فلم تصل الينا فى الواقع أية معلومات مؤكدة أو بيانات كاملة عن الطريقة التى اتبعها مهندسوا الفواعنة فى أقامتها •

لقد اختلفت الاراء فى عملية انجاز هذا العمل ، ولعل أرجحها ما تصوره الاثريون مما وجد منقوشا فى بعض الحفريات فى طريقة رفع الأعمدة الضـــخمة أو القوائم الحجرية المماثلة للمسلات ـ وتتلخص تلك الطريقة فى بناء منحدر من الرمال يغطى

سطحه بطبقة من الاحجار أو الطمى ، ثم تسحب المسلة وقاعدتها الى الأمام حتى تنقلب عند نهاية المنحدر باختلاف توازنها الى أن ترتكز على قاعدتها والأساس الذى يكون معدا فى موضعه ، وتشد المسلة من قمتها بالحبال فى الاتجاهات الأربعة لضبط توازنها ووضعها الرأسى ·

وقد شرح المهندس الأثرى انجلباخ طريقة مماثلة استخلصـــها مما قام به من بحوث ، وهى سحب المسلة على المنحدر بالطريقة السابقة حتى يصل ثلثها خارج المنحنى الرملى ، ثم تسحب الرمال من تحتها بالتدريج فتهبط المسلة بالتدريج حتى تقف تماما كما يقام حاجز أو منحدر مماثل فىالاتجاه المقابل لسندها ومنع انقلابها عند تثبيتها ··

أما الوسائل التى استعملت فى اقامة المسلات التى نقلت فى العصر الحديث فى كل من باريس ولندن ونيويورك ، فقد استخدم المهندسون الوسائل الميكانيكية المبتكرة باستعمال الابراج والروافع والدعامات مما سيأتى ذكره فيما يلى :

هجرة المسلات من مصر الى الخارج :

- بدأت هجرة المسلات من مصر الى خارج الحدود عام ٦٧٥ ق·م ، عندما قام اشور بانيبال بعد فتح مصر ، بنقل مسلتين من مسلات عين شمس (ذكر أن احداها كانت تحمل اسم رمسيس الثانى) لاقامتهما فى نينوى عاصمة ملكه الجـــديدة التى أسسها سنخريب الاشورى بعد استيلائه على بغداد واغراقها وتخريبها (*) ·

وأقام أشور بانيبال المسلتين فى الميدان الكبير المواجه لقصره العظيم الذى يتوسط عاصمة ملكه ، كان ارتفاع احدى المسلتين ٥٠ قدما ومن قطعة واحدة من الجرانيت الوردى ، وكانت تكسو قمتها الهرمية الواح من الالكتروم البراق ·

- لقد أهتم أباطرة الرومان بنقل المســـــلات المصرية الى روما عاصـــمة الامبراطورية ابتداء من عصر البطالسة · وأقدم مسلة مصرية ظهرت فى روما هى التى أقامها الامبراطور أغسطس عندما قام بتجديد روما بعد عودته من مصر عام ٥٥ ق·م ونقش عليها باللاتينية Soli donum debit تبركا بالمعبودة المصرية ايزيس التى أطلقوا عليها اسم سيدة العالم – وقد ذكر بعض مؤرخى الرومان أنها لم تغتصب من مصر ولكنها صنعت خصيصا بأمره ·

- قام الامبراطور كاليجولا (١٢ – ٣٠ م) بنقل احدى مســـلات تحتمس الثالث من عين شمس وأقامها فى ميدان القديس بطرس ·

(*) بحث للدكتور سيد كريم – نشر بمجلة الهلال ·

-- الامبراطور دوماتيان (٨٠ ـ ٩٦ م) نقل احدى مسلات رمسيس الثانى التى كانت موجودة فى معبد نانيس أثناء زيارته لمصر لوضعها فى بهو معبد النيبر فى روما ٠

— نقال الامبراطور هادريان (١١٧ ـ ١٣٧ م) عندما أصبح امبراطورا على الاسكندرية ـ مسلة من عين شمس الى روما ٠

— فى عام ٣٣٠ نقل قنسطنطين الأكبر عاهل الدولة الرومانية أكبر مسلة فرعونية وجدها فى عين شمس ـ نقلها الى الاسكندرية رغبة منه فى ارسالها الى بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة ٠

— وفى عام ٣٥٧ م بعد نقلها الى الاسكندرية بسبع وعشرين سنة قام ابنه قسطنطينيوس بنقلها الى روما وأقامها فى ميدان ماكسيموس (ذكر أنها تصدعت عند رفعها فتركها فى مكانها) ٠

وفى عام ١٥٨٧ كشف عنها ووجدت محطمة الى ثلاث قطع فقام دومنيكو فونتانا بأمر من البابا (سكوتس الخامس) بترميمها واصلاحها وأقامتها أمام كنيسة القديس يوحنا باللاتيران كما أمر برفع الصليب على قمتها كرمز على انتصار المسيحية على الوثنية ، كما أمر بعد الاحتفال برفع الستار عنها أن يتبع نفس التقليد على المسلات الفرعونية التسع الموجودة بروما والتى نقلت فى العصور الرومانية المختلفة ويبلغ ارتفاع كل منها ثلاثين قدما ووضع الصليب على قمة كل منها ٠

وتعتبر تلك المسلة اخر المسلات التى أقامها تحتمس الثالث ومات قبل أن يتمها ، وقام باتمامها وأقامتها حفيده تحتمس الرابع بعد موته بخمس وثلاثين سنة ٠

وتعد أكبر مسلة فرعونية حيث يبلغ ارتفاعها ١٠٥ أقدام ووزنها ٤٥٥ طنا ، وقد نقش على أحد جوانبها ما يدل على اشتراك كل من تحتمس الثالث وحفيده تحتمس الرابع فى أقامتها ٠

« ابن الشمس تحتمس الرابع ـ المضىء فى التيجان أقامها فى الكرنك وصنع قمتها من السام حتى أن جمالها أصبح يشع على طيبة ، وقد نحتت باسم والده الاله الطيب (منخبر رع) (تحتمس الثالث) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ٠ فعل ذلك رب الأرضين (منخبرو ـ رع) (تحتمس الرابع محبوب الالهة ـ هو الذى جمل المسلة الفردية المتناهية فى العظم ، والذى فعل ما يسر رب الالهة منذ أن عرف سمو

تصميمه » وهذا ما يثبت أن مسلة اللاتيران هى مسلة تحتمس الثالث السابعة أكبر المسلات المصرية التى كانت مقامة بمعبد الكرنك ٠

● مسلة القسطنطينية :

وهى احدى مسلات تحتمس الثالث نقلها الامبراطور تيودورس من طيبة عـــام ٥١٠ م ـ وهى فى الواقع الجزء الأعلى من مسلة مماثلة فى الطول لمسلة اللاتيران ويبلغ ارتفاع الجزء المقام منها حاليا ٨٥ قدما ، وتنص النقوش المحفورة على جوانبها :

« من خبر رع » (تحتمس الثالث) رب النصر وفاتح كل البلاد الذى جعل حدوده تصل الى قرون الأرض ومياه النهرين بقوة وظفر على رأس جيشه الظافر موقعا مذبحة عظيمة بينهم ـ أقامها تخليدا لوالده (آمون رع) رب طيبة الذى رباه وهو طفل بين ذراعى الالهة (نيت) الأم المقدسة ليكون ملكا ـ فهو الذى استولى على كل الأراضى طول الزمن بمشيئة رب الأعياد » ٠

وهو ما يفسر لنا انها احدى المسلتين اللتين أقامهما فى عيد تتويجه الثانى بعد عبوره نهر الفرات ٠

● مسلة باريس :

شيدها رمسيس الثانى أمام معبـــد الأقصر ١٢٨٠ ق٠م ، قام بنقلها المهنـــدس الفرنسى ليباس عام ١٨٣٦ م وقد تم انزال المسلة التى يبلغ وزنها ٢٣٠ طنا من المعبد الى شاطىء النيل على زحافة خشبية ضخمة بحجم المسلة تحملها دعامات خشبية على الجانبين بعد أن تم دك الطريق وتغطيته بالشحم لتسهيل سير الزحافة التى يشبه شكلها شكل الزحافات التى استعملها الفراعنة وصورت فى مقابرهم ، وكان فى انتظار المسلة سفينة ضخمة تسند جانبيها مجموعة من العوامات نقلتها من الاسكندرية الى الشاطىء الفرنسى ٠ وفى فرنسا استعملت الزحافة الفرعونية مرة ثانية لنقل المسلة الى مكانها الحالى بميدان الكونكورد فى باريس ٠

حتى يتمكن المهندس ليباس من اقامة المسلة وسط الميدان اضطر الى اقامة قنطرة صاعدة تصل الى مستوى القاعدة التى تم بناؤها وسط الميدان واستعملت رافعة صممت خصيصا لاقامتها بواسطة شدها من قمتها وتثبيت وسطها لتدور حول محور أفقى ٠

وتنص النقوش التى على واجهاتها : « لقد أقامها (أوسر ماعت رع) (رمسيس

الثانى) بمثابة هدية منه لتخليد والده (آمون رع) فنصب له مسلة عظيمة تسـمى رعمسيس مرى آمون ومحبوب آتون الخالد أبد الدهر « كما ذكر عليها أنه أسس المعبد الفاخر فى ايت »٠

ولقد انتقلت الى باريس ثلاث مسلات أخرى قبل مسلة الكونكورد ، واحدة تتوسط ساحة الفونتابلو انتقلت مع نابليون أثناء الحملة الفرنسية ، والثانية فى فنسـان ، والثالثة فى أرل ، وتقل جميعها من الناحية التاريخية وفى الحجم عن مسلة رمسيس الثـانى ٠

— توجد خارج القطر من مسلات رمسيس الثانى – غير تلك التى نقلت الى باريس – أربع مسلات أخرى واحدة منها فى روما وواحدة فى فلورنسا ٠

● **مسـلة روما :**

هى آخرى المسلات التى أقامها سيتى الأول ١٧٩٠ ق٠م ومات قبل أن ينقشها ، وقد أتمها ابنه رمسيس الثانى ، وهى منصوبة الآن فى ميدان (بيازا – دل – بوبولو) فى روما ، وقد نقلت الى روما فى أواخر عهد الحكم الرومانى وتنص النقوش التى على أحد جانبيها :

« من ٠ ماعت – رع) سيتى الأول صاحب الأثار الجميلة فى عين شمس – مكان الابدية وعمد السماء الأربعة مخلدة وباقية فى ردهة رع الامامية ، وتاسوع الالهة مرتاحون لأعماله لبيت رع ليعيش مخلدا » ٠

وعلى الجانب الاخر :

« (اوس – ماعت – رع) رعمسيس الثانى الذى أقام أعماله مثل نجوم السماء وأعماله تناطح القبة الزرقاء مبتهجا بما يشرق عليه « رع » فى بيت ملايين سنين وان جلالته هو الذى جمل هذا الاثر بالنقوش لوالده ليجعل اسمه خالدا فى بيت رع واتوم رب هيليوبوليس » ٠

وتعتبر هذه المسلة ثانى مسلة فى روما تحمل اسم ملكين بعد مسلة اللاتيران ٠

● **مسـلة لنـدن :**

احدى المسلتين اللتين أقامهما تحتمس الثالث أمام معبد عين شمس وانتقلتـا

منها الى الاسكندرية لاقامتهما أمام معبد ايزيس مما كان سببا فى اطلاق اسم كليوباترا عليها وقام بنقلهما المهندس الاغريقى بنتيوس ، وفى خلال القرن الرابع عشر الميلادى سقطت احداهما من فوق قاعدتها ، وهى التى نقلت الى لندن ، وقد أهداها محمد على باشا الى « الأمة الانجليزية » عام ١٨٣١ م بعد أن كانت قد أهديت لها عدة مرات من قبل ، وقد بقيت بعد أهدائها ملقاة على الأرض لصعوبة نقلها حتى عام ١٨٧٧ م وهو العام الذى نقلت فيه على يد السير ارزمس ولسن ، وقام بنقلها على سفينة خاصة أطلق عليها اسم كليوباترا تجرها باخرة ضخمة تدعى أولجا ، واصطدمت الباخرة فى الطريق وفقدت عددا من رجالها ، وانقذت كليوباترا حاملة المسلة من الغرق باخرة أخرى اسمها فتزموريس ، وكان ذلك الحادث حديث الصحافة العالمية التى نسبته الى « لعنة الفراعنة » • وأخيرا تمت أقامتها على شاطىء نهر التايمز بعد أن أعد لهـــا المهندسون برجين من الحديد يمكن تعليتهما وخفضهما حسب الطلب ويرتكز عليهمـــا طرفا المسلة ، ويحملها من الوسط برج حديدى على محور متحرك يمكن بواسطته رفعها وتركيزها عموديا ••• ولم تخل تلك العملية من الأخطار ، فقد اختل توازن المسلة عند رفعها ، مما أدى الى قطع الحبال التى تربطها وسقطت المسلة من فوق البرج ، ولكنها نجت بأعجوبة كذبت الاعتقاد فى «لعنة الفراعنة » وأكدت « العين الحارسة » •

وقد استغرق نقل المسلة وأقامتها مكانها اثنى عشر شهرا •

والنقوش التى على مسلة لندن تنص على أن : « من ــ خير رع » تحتمس الثالث قد أقامها تذكارا لوالده الاله حوراخنى الذى أقام له مسلتين فى عيد « سد » الثالث لأنه أحب والده كثيرا ــ ليت ابن الشمس تحتمس الذى أحب الاله الذى يضىء فى طيبة يعطى الحياة على يديه ليبقى ملكا الى الابد على الوجه القبلى والوجه البحرى » •

● مســـــلة نيويورك :

أرادت الولايات المتحدة أن تجارى كلا من انجلترا وفرنسا وايطاليا فى تزيين أحد ميادين مدنها الكبرى وعواصمها بمسلة من المسلات الفرعونية الخالدة، فنقلت المسلة الثانية التى كانت لا تزال قائمة فى الاسكندرية الى نيويورك سنة ١٨٨١ م بعد نقل مسلة لندن بثلاث سنوات •

ونقلت المسلة من الاسكندرية الى الشاطىء على زحافة كبيرة تتحرك على درافيل خشبية ، ثم وضعت فى صندل بحرى على شكل ماسورة مغلقة لا تصل اليها المياه ، وجرتها قاطرة بحرية ضخمة عبر المحيط حتى وصـــــلت الى نيويورك ، واستغرقت

رحلتها البحرية خمسة أشهر ·· وفى نيويورك تم رفعها وأقامتها على القاعدة التى أعدت لها بواسطة نفس الالة الهرمية وأبراج الرفع التى استعملت فى لندن ···

وتنص النقوش التى على جدران المسلة :

« من خير – رع (تحتمس الثالث) أقامها لوالده الاله رع الذى يضىء فىطيبة محبوب الالهة الباقى فى الملك مثل أبيه رع فى السماء – الذى أنجبه أتوم من جسده وسوى تحوت فى البيت العظيم أعضاءه ، عالمين أنه سيدير شئون الملك ليبقى الى الابد ملك الوجهين القبلى والبحرى – تحتمس الثالث – محبوب رع اله عين شمس والتاسوع المقدس الذى يمده بالحياة والثبات والسعادة » ·

« حور القوى الذى أخذ التاج الأبيض بضرب حكام الممالك التى تقترب منه · كما قرر والده (رع) له النصر على كل الأرض وقوة السيف باقية فى ساعده لأجل أن يمد حدود مصر ويحميها – ابن الشمس تحتمس » ·

● هكذا نرى أن ما أقامه فراعنة مصر من المسلات الخالدة فى تاريخ العقيدة والعمارة والفنون – اختفت من أرض مصر التى نشأت من صخورها الجرانيتية بفن وسواعد مبدعيها ··· اختفت من فوق سطح أرضها وافق سمائها لتنصب كالاعلام فى العالم الجديد « لتطل على ربوع القسطنطينية ، وروما ، ولندن ، ونيويورك ، وفلورنسا · وعشرات البلاد الأخرى · بينما بلاد الالهة التى هاجرت منها تلك الاعلام الشـــامخة لا تملك مسلة واحدة من بينها ··· فمصر موطن المسلات التاريخية الأصيلة لا تمتلك الا خمس مسلات تقل أهمية وشهرة وجمالا عن تلك المسلات التى تعيش بعيدة عن أرض الحضارة والتاريخ التى نشأت فيها · بل ان البلاد التى ارتفعت فى سماء عواصمها تلك المسلات تجاهلت أسماء الملوك العظام الذين أقاموها بل أن نقوش الكثير منها التى تخلد عظمة مصر وصانعى مسلاتها بدأت تتلاشى أو تطمس ويضيع رونقها ·

وهكذا فقدت صفحات من أمجاد خالدة فى العقيدة والتـــراث والتاريخ فقدت بتبعثر تلك المسلات التى تعبر عنها – حاول الغرب أن يزين بها عواصمه ، وفى نفس الوقت يطوى صفحات أمجادها ·

لقد عبر عالم المصريات البريطانى انجلباخ عن تلك الحقيقة بقوله « ماذا عساه أن يكون شعور تحتمس الثالث عندما حقق معجزة قطع تلك المسلات للاله رع ، لو أدرك أن واحدة منها ستنتقل الى أرض لم يكن يحلم بوجودها فى العالم ·· وان الثانيـــة ستقع فى يد قوم كانوا وقتئذ شـــعبا يهيم على وجهـــــه فى الاحراج أو يعيش فى الكهوف ··· ومع ذلك فان تلك المسلات بعد أن تغلبت عليها غير الزمن وخيف عليها من الغرق واخطار قنابل الحروب لا تزال منتصبة فى مكانها بعد أن مضى على صنعها ٣٥٠٠ عام » ···

— الذين كتبوا التاريخ المصرى القديم ٠٠٠
— مراجع التاريخ الفرعونى الزمنى ٠٠٠
— لغز الحضارة ٠٠٠ وهل هناك خطأ زمنى

فى عمر الحضارة الفرعونية ؟

هؤلاء القدماء المصريون — هم أول من كتبوا التاريخ ، وأعطوا للعالم تقويما زمنيا مازال ساريا حتى الآن ٠ كتبوا التاريخ على ألواح العاج وألواح الخشب ٠٠٠ حفروه بأزميل على حوائط معابدهم وقبورهم ٠٠٠ دونوه على لفائف البردى ، أول صور الورق ، ابتكارهم الحضارى العظيم الفذ الذى ما زالت تنعم به الانسانية حتى الآن ٠٠٠ المصريون هم الذين كتبوا التاريخ وحسبوا الزمان وأعطوا للعالم تقويما مازال فى أساسه التقويم الذى يجرى به حساب الزمن حتى عصرنا الحالى ٠ حددوا السنة ٣٦٥ يوما ، وقسموا السنة الى ١٢ شهرا ، والشهر الى ٣٠ يوما والعام الى فصول أربعة ٠ وأطلقوا على هذه الشهور أسماء اشتقت من أعيادهم ما زالت سائدة حتى الآن فى حساب العام النيلى للريف المصرى ، وهى توت وبابه وكيهك ٠٠ الى مسرى ٠

لقد كان التقويم المصرى أساسا للتقويم الذى أذاعه على العالم كله بعد ذلك يوليوس قيصر عندما استبدل السنة القمرية بالسنة الشمسية ، مستعينا فى حساب ذلك بمدرسة الاسكندرية فى الفلك ٠ وبعد التقويم القيصرى جاء تقويم أكثر دقة هو التقويم الذى جرى فى عهد جريجورى الثالث عام ١٥٨٢ ، ولكن التقويم فى جوهره بقى عملا مصريا أعطاه المصريون للعالم كله ٠

أما أهم القوائم أو المسارد التى كان الهدف منها اثبات شرعية الملك للعرش ، وتدوين نسبه متسلسلا به الى أول الملوك الشرعيين الذين حكموا مصر ، أى الى الملك مينا فهى ما يأتى :

١ — حجر « بالرمو » : عبارة عن لوحة حجرية من الديوريت الأسود ، عثر عليه فى منف ونقل الى صقلية عام ١٨٨٧ م ، وحفظ فى متحف عاصمتها بالرمو ٠ ويسجل النصوص المنقوشة على هذا الحجر قائمة باسماء الملوك الفراعنة الى الأسرة الخامسة ٠

٢ ــ **قائمة الكرنك :** أقامها تحوتمس الثالث من الأسرة ١٨ فى معبد الكرنك ، وتسجل أسماء ملوك مصر من الأسرة الرابعة حتى عصر تحوتمس الثالث، وسجل عليها انتصاراته الضخمة فى معارك آسيا الصغرى ٠

٣ ــ **قائمة أبيدوس :** وهى مدونة على أحدى جدارى معبد سيتى الأول ، ومن الأسرة ١٩ وتسجل أسماء فراعنة مصر منذ الملك مينا ، أول ملوك الأسرة الأولى حتى عصر رمسيس الثانى الذى أمر بكتابتها ٠

٤ ــ **قائمة سـقارة :** وهى مدونة على لوحة حجرية عثر عليها فى مقبرة أحد كهنة منف من عصر الملك رمسيس الثانى ، وهى تكاد تكون مطابقة لقائمة أبيدوس ٠

٥ ــ **قائمة بردية تورين :** وهى من عصر الأسرة ١٩ ومحفـوظة بمتحف تورين بايطاليا ٠

● وتعد آثار قدماء المصريين المصدر الأول الذى يجد فيه المؤرخ أو الباحث أو الطالب أصدق العناصر وأغناها التى تعينه على دراسة تاريخ مصر القديم أو تاريخ العمارة ، وعلى تصوير الحضارة المصرية القديمة فى نواحيها المختلفة ٠ ولعل أهم ما يميز تلك الآثار وذلك التراث عن غيرها من المصادر المختلفة ، انها المصدر الوحيد الذى عاصر الأحداث ٠ والذى أشركه المصريون عن قصد أو غير قصد فى الكشف عن تاريخهم ، وتخليد حضاراتهم ٠ وتشمل هذه الآثار التى تتضاءل بجانبها آثار أى بلد آخر فى العالم ــ المعابد والأهرامات والمقابر والمسلات والتماثيل واللوحات والتوابيت والأوانى والفخار وأوراق البردى ، وكافة ما استعمل فى الحياة اليومية وفى داخل معابدهم والتى عبرت أصدق تعبير عن معتقداتهم واجتماعياتهم وعباداتهم وأعمالهم فى وقت السلم أو الحرب ٠

ويرجع السبب فى وفرة هذه الآثار الى العقيدة التى قضت أن يتزود المصريون لحياتهم الآخرة على نحو ما كانوا يفعلون فى حياتهم الدنيا ، والى تقدمهم فى الفنون والصناعات والبناء مما أتاح لهم اقامة وضع هذا التراث الخالد ، ثم الى جفاف مناخ مصر الذى ساعد على حفظ تلك الآثار حتى وصلت الى أيدينا وبقيت خالدة على مر الزمن طوال آلاف السنين حتى الآن ٠

وتعتمد دراستنا لتاريخ مصر القديم ، مصر الفرعونية ، على مصادر كثيرة ٠ منها ما كتبه المؤرخون القدماء من اغريق ورومان ٠ وما كتبه أيضـا علماء القرن

التاسع عشر بعد تفهم اللغة المصرية القديمة وترجمها العلماء المصريون ، ثم وفرة الآثار بما تحمله من كتابات وصور ونقوش ، والتى تعتبر المصدر الرئيسى الأول من هـــذه المصادر ٠

ويعتبر « **هيرودوت** » أبو التاريخ الذى زار مصر أيام الحكم الفارسى ٤٤٥ ق٠م من أهم المؤرخين ، حيث تحدث عن مصر فى تسع أجـــزاء ، عن مدنها وجغرافيتها والحوادث التاريخية التى مرت بها وأعمال ملوكها وحضاراتها ، وكذلك « **تيودور** » الصقلى حيث زار مصر ٥٩ ق٠م والمؤرخ الرومانى « **بلوتارخ** » الذى زار مصر عام ١٢٠ م واهتم فى كتاباته بالعقائد الدينية المصرية وخاصة قصة « **ازيس واوزوريس** الخـــالدة » ٠

وظهر بعد ذلك مؤرخ مصرى أصيل هو « **مانثون السمنودى** » نسبة الى سمنود بمديرية الغربية ، الذى عاش فى بلاط بطليموس الثانى عام ٢٨٠ م ٠ كان على جانب العلم والثقافة ، ملما باللغة المصرية القديمة ، متمكنا من اللغة اليونانية متعمقا فى تاريخ بلاده ٠ انفرد « مانثون السمنودى » بتوزيع فراعنة مصر بين ثلاثين أسرة وهو تقسيم لا نزال نسير عليه ، حكمت مصر بالتوالى منذ توحيد « مينا » لشطرى البلاد حتى فتح الاسكندر الأكبر ٠ ويبدو أن السمنودى استقى هذا التقســـيم من المصريين القدماء أنفسهم ٠

ويعتبر أيضا **حجر رشـيد** من أهم المراجع التاريخية ٠ عثر عليه أثناء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٩ بالقرب من مصب فرع رشيد ٠ وقد نقل الى بريطانيا عام ١٨٠٢ فى المتحف البريطانى وهو عبارة عن كتلة من البازلت طولها ١١٣ سم ، وعرضها ٧٥ر٥ سم وسمكها ١٧ر٥ سم ، مكتوب على وجه الحجر نقوش باللغة المصرية القديمة (خط هيروغليفى أو الخط المقدس) ، واللغة اليونانية عبارة عن نسخة من مرسوم أقره المجمع العام للكهنة المصريين بمنف احتفالا بالذكرى الأولى لتتويج الملك بطليموس الخامس ملكا على مصر عام ١٩٦ ق٠م وقد أشاد الكهنة بفضل هذا الملك العظيم على المصريين عامة والكهنة خاصة ٠ حيث منحهم الهدايا والعطايا والهبات ووزع عليهم الأوقاف ومنحهم اقطاعيات ٠ وقد سجل الكهنة قرارهم على هذا الحجر الذى يقضى باقامة التماثيل للملك بطليموس الخامس فى المعابد والاحتفال بميــلاده وتتويجـــــه ٠

ومما هو جدير بالذكر أن الفراعنة بدأوا فى أول الأمر بتسجيل تاريخهم باختصار على بطاقات صغيرة من العاج أو الخشب ، ثم ما لبث أن تحول هذا التسجيل بالاسهاب على اللوحات الحجرية وعلى أوراق البردى وعلى جدران المعابد والمقابر ٠ وكان الهدف

هو تخليد ذكرى الفراعنة فوصفت الأعياد الملكية والأحداث التاريخية والسياسية ... منها قصة تحرر مصر من الهكسوس وغزوات تحوتمس الثالث ، ومعـــارك رمسيس الثانى ، وجهود رمسيس الثالث فى انقاذ البلاد من المعتدين · ولم تقتصر هذه القوائم التاريخية أو هذه المسارد على العصر التاريخى فقط ، بل عمـــدت الى تخليد ماضى الملكة المقدسة ، وربط أنساب الفرعون بالفراعنة الذين ورثو العرش ·

ويعتبر أيضا حجر « **بالرمو** » من أقدم تلك القوائم · وهو عبارة عن كتلة من حجر الديوريت الأسود أقامها الفرعون « نيوو أسررع » سادس ملوك الأسرة الخامسة، مدون عليه أسماء الملوك منذ فجر التاريخ ، ولعدد من حكمهم ، وبعض ما وقع من أحداث وما أقيم من منشئات فى عهودهم الى وقت كتابة هذا الحجر ·

ومن أهم هذه المسارد أيضا ما يأتى :

مسرد الكرنك الذى سجل أيام « تحوتمس الثالث » به أسماء واحد وســـتون ملكا ، وهو الآن بمتحف اللوفر · **مسرد** « **العرابة** » المدفون الآن فى أبيدوس والذى نقش فى عهد سيتى الأول وعليه أسماء ٧٦ فرعونا ·

مسرد « **سقارة** » أيام رمسيس الثانى ، وهو الآن بالمتحف المصرى مدون عليه أسماء ٧٧ ملكا ، الى غير ذلك من الأحجار أو القوائم (المسارد) التى سجلت الكثير من الادارة ، والقضاء والعمارة ، وأخبار الحروب وحدود الأقاليم ، وأخبار المعبودات المصرية وعقائد القوم فى الحياة الأخرى ، وآداب المصريين من شعر ونثر وعلوم ، كالحساب والفلك والهندسة والطب ·

الأسرة والمجتمع عند المصريين القدماء ٥/١

● أوزوريس وايزيس وحورس :

كان أوزوريس عند القدماء رمزا للنيل العائد بالفيض والخضرة والثمرات · كان ملكا خيرا صالحا ، أقام العدل وشرع القانون · ولكنه كان مريضا ، فطمع فيه أخوه وقتله ومزقه وبعثر أشلائه فى مشــــارق الأرض ومغاربها ، وخرجت ايزيس بعد أن وضعت طفلها حورس فى رعاية حتحور بحثا عن أشلاء زوجها ، حيث دفنت كل جزء من أجزائه أين ما وجدته · فلما شب الابن قاتل عمه ، وجاهد حتى استعاد حقـــه فى الملك منه ·

ولقد كان من هذا الثالوث « أوزوريس وايزيس وحورس » من الحب فى نفوس المصريين ما ملأها طوال التاريخ المصرى القديم وخــلال فترات المحن بالأمل · كان أوزوريس رمز الاله الشهيد ، وملكا لعالم الأموات ، ورئيسا لمحكمة العدل ، قيما على النعيم والسعادة فى الدار الآخرة · كان حورس الاله الملك الذى ورث ملك مصر عن أبيه ثم أورثه الملوك من البشر بعــد ذلك · وكانت ايزيس أم الاله تمنح الحيــاة وتفرج الــكروب ·

لم يتوقف تأثير الحضارة المصرية على كل حضارات الانسان فى العالم القديم عند نطاق الحياة العملية ومتطلباتها ، لم يكن تأثيرها قاصرا عند حدود الهندسة وفن تشييد البناء أو الطب أو الكيمياء ، وانما امتد حتى شمل الفكر والدين والعقيدة فى العالم القديم · حتى الى ما بعد المسيح بأكثر من ٤٠٠ عام ، ظل تأثير الديانة المصرية القديمة على الفكر الأوروبى عارما وشديدا ·

لقد عبرت الالهة المصرية « ايزيس » البحر الأبيض المتوسط ، حيث كان لهـــا معابدها فى قبرص وصقلية وأنطاكية وأثينا وروما وفرنسا وأسبانيا وانجلترا · كانت مصر خلال هذا العصر رغم وقوعها فى نطاق سيطرة الرومان لا يزال لها قوة التأثير على فكر العالم أجمع ،حتى أن أوغسطس ذلك الامبراطور الرومانى أمر بهدم معابدها فى روما ٥ مرات · كانت « ايزيس » ملكة الحب والحيــاة وتفريج الكروب ، قــد استطاعت بعقيدتها على طوائف بأكملها من شعب الرومان ، بل وعلى أخطر هـــذه الطوائف وأكثرها تأثيرا ونفوذا فى جميع أنحاء الامبراطورية ·

ويحدثنا الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر عن **ايزيس الربة المصرية تصــبح معبودة البحر الأبيض المتوسط** ··· « لا شك أن السبب الرئيسى الذى عاون الديانة المصرية على الانتشار السريع بين الناس فى المجتمع الرومانى · أنها كانت تقدم لاتباعها عزاء أخير فى كافة الصعوبات التى تلاقى الفرد فى حياته ، وتمنحهم الايمان بحياة أخرى أفضل يقضونها فى رحاب « أوزوريس » رب الدنيا الثانية · ومن أجل هذا لم تكن عبادة الآلهة المصرية عبادة سطحية ميته ، كما كانت عبادة الآلهة الرومانية ، وانما كانت حقيقية تملأ قلوب البشر وتسمو بعقولهم · وكان كاهن « ايزيس » الفقير فى قميصه البسيط من الكتان الناصع البياض يهىء للنفس ما كانت تصبو اليه ·

هذا القدر الشديد من الترابط الأسرى ونضج العلاقات الذى تحظى به الحياة الأسرية فى مصر ، نجد امتداده نقيا فى مجموعة التقاليد العظيمة التى نظمت الحياة العائلية فى مصر القديمة · ولقد حفظت لنا الآثــار المصرية من الصــور والتماثيل

ما يكشف عن تقدير المصريين القدماء العميق للاسرة عندما استطاع الفنان المصرى القديم أن ينقل لنا بالأزميل الى حجر الجرانيت الصلب عواطف الأسرة المصرية الجياشة فى لمسات الحنان بين الأب وأولاده ، بين الزوج وزوجته ، عن دفء الحياة الأسرية التى عبر عنها فى كثير من التماثيل التى تظهر الزوجة وقد تعلقت بذراع زوجهـــا أو لامست بأناملها راحة كفيه ... فقد أجاز اخناتون الملك الى فنانيه أن يرسموه وهو يحتضن زوجته نفرتيتى وسيدة سعادته ، كما كان يحلو له أن يناديها . أجاز لهم أن يرسموه فى عربة يسير بها فى الشوارع يلهو ويطرب مع بناته .

ولعل أبلغ دليل على أسلوب الحياة وايمانها بالأسرة أنهم عبدوا آلهتهم أسرا من زوج وزوجة وولده فعبدوا فى منف **بتاح** مع زوجته وابنهما . وفى طيبة عبدو **آمون** وزوجته **موت** وابنها **خنسو** ، وذلك فضلا عن الثالوث المشهور من **ايزيس وازوريس** وابنهما **حورس** . فان حب الأسرة اذن لصادر عن أعماق تغلغل فيها ايمان العقيدة وأشربت بتعاليم الدين .

● الأخ والأخت :

وفى قصص المصريين القدماء ما يكشف عاطفة الأخوة وعمقها فى النفوس ، ولعل من أنصع الأدلة على ما يربط الاخوة بعضهم ببعض من الحب ما يحمل لفظ الأخ والأخت من المعانى والدلالات . فقد كان المصرى يسمى زوجتـــه أو **حبيبته بالاخت** ، والفتاة تسمى حبيبها أو زوجها **بالأخ** . ولقد كان المجتمع وما ساده من روح التكافل **يفرض على الأخ الأكبر كفالة اخوته اليتامى . وفى حكمة لأحد الحكماء من المصريين** قوله ... « اذ عظمت انسانيتك .. وتوفر لك الثراء الواسع فارفع اخـــوتك اليك ليكونوا مثلك » . وفى أسطورة أنوريس ما يدل على ايمان المصريين بالأخوة وقوة العاطفة فيها وطغيانها على العقل والحكمة ، فان رع لما أراد استدعاء ابنته وكانت تعيش متوحشة فى الصحراء أرسل اليها « تحوت » رب الحكمة ولكنه لم يرسله وحده ، بل أرسل معه أخاها « شـــو » وذلك ليمس منها جانب العاطفة ويعيدها الى بيتها وأهلها .

● تعاليم بتـــاح :

ان تعاليم بتاح جتب Ptah Hoteb حكيم مصر فى الدولة القديمة مازالت تشكل حتى الآن أقدر وثيقة تربوية عرفها التاريخ . حيث كان لمجتمع مصر القديمة نظام تربوى يستند فى أسسه وأساليبه وتعاليمه الى خبرة الحياة والى تجارب الأسلاف ودواعى الحياة العملية . ومن المؤكد أن الكتابات التربوية التى خلفها لنا حكماء مصر القديمة تمت بصلة قريبة الى فلسفة الأخلاق . وان اختارت لأهمية الولد فى مصر صورة نصائح الآباء الى الأبناء .

كان **بتاح حتب** يوصى ملكه بأن يعلم ولده الحديث ويشجعه أن يتلمس حـــكمة الحديث من الأمى والعالم على حد سواء ، وأن يشترط عليه ستة أمور هى : **التفكير قبل الكلام ـ ارادة الخير ـ ثبات الجنان ـ صراحة القول ـ امانة الأداء ـ تحر الحقيقة ـ كبح جماح النفس عن اللغو والبهتان ٠**

ما أجمل أن نسمع بتاح حتب يصف الرجل الحصيف بقوله « من اتزن فكره مع لسانه واستقامت شفتاه اذا تكلم ، أو حينما يتحدث الى ولده ويقول له « مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ٠٠ ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة ٠٠٠ ، ومن أطاع هواه انتهى الى التمنى دون سواه ٠٠٠ » أو حينما يقول لولده « الرجل من قال اكتسبت بعملى ، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسى ٠ وقد يقول انسان لسوف أشبع هنا ، فاذا هو فى غده محروم من خيرات الكبار ٠٠٠ ويقول لسوف أغنى هناك ، ثم ينتهى بأن يترك ثراءه لمن لا يعلمه : ذلك أنه ما تحقق تدبير للخلق ، وان ما أراده الرب يتحقق ٠ فاذا عزمت أن تحيا بالقناعة ، أتتك ما قدره لك الارباب بأكمله » أو يقول له « اذا أصبحت مديرا تصرف أمور الناس ، فالتمس لنفسك كل كمال ، حتى تظل تصرفك بغير نقيصة فيه ٠ فالعدالة خير وأثرها باق ، ولم تبدل منذ عهد بارئها ، ومن تعدى قوانينها يجازى » ٠

● اخناتون ونفرتيتى :

جلس اخناتون على عرش مصر عام ١٣٧٥ ق٠م هو وزوجته الحسناء نفرتيتى وحكما ١٨ عاما فقط ، وكان من الممكن أن ينعما بدفء الحياة مدة تطول ، ولكنهما ارتدا عن دين آمون رع ، وهيئته المرسومة ـ الخروف الكبش المزدوج مع الشمس ، وآمنا بدين جديد ـ أحد لا شريك له ، هو اتون القوة المختفية وراء قرص الشمس ٠

هاجرا مع القلق من طيبة الى ـ الأقصر ، الى الشمال فى الصحراء ، ما بين أسيوط والمنيا ليقيما على رمال صحراء عاصمة جديدة يشع منها نور ـ أتون ، مبشران بدين جديد يشرق على كل الشمس ٠٠ ضياء وبهاء ٠ وبدأ اخناتون يوضع لحن نشيد الاناشيد لأتون ٠٠ يريد دينا جديدا وايمانا واحدا يظلل الامبراطورية كلها بل والعالم كله ان أمكن ٠

وانصرف عن زوجته الجميلة نفرتيتى ، محاولا دعم الدين الجديد ٠ ويذكر لنا التاريخ أنه فى الوقت الذى كان فيه اخناتون حريصا أشـــد الحرص على أن يعكس صورا لسعادته وهنائه العائلى مع الملـكة الجميلة والتى أنجبت للملك ســـت بنات ولا ولد ، فانه مع ذلك ظل يبحث عن ولى عهد من دمه ونسله يتابع حمل راية الدين

الجديد فتزوج من ابنته الكبرى ولكنها أنجبت بنتا ، وكرر زواجه بابنة أخرى فولدت بنتا ميته . فزوجها الى أخيه الأصغر توت عنخ آمون ليحكم مصر من بعده .

وهجرت نفرتيتى القصر ومن فيه ، وسكنت قصرا متطرفا فى ذات العاصمة ـ أخت اتون ، وظلت مع القلق ، وانشغل زوجها بالدين الجديد وانشغلت هى عنه بالفن .. وهنا صمم لها المثال الفنان المصرى « تحتمس » تمثالا ، والذى استوحى منها هذا التمثال المشهور الذى وضع فى مرسم الفنان تحتمس منذ عام ١٩٥٠ ق.م الى أن نقل فى ١٩١٢ م الى متحف برلين .

وعندما أراد حكيم الدولة القديمة « بتاح حتب » الذى عاش منذ نحو ٤٥٠٠ سنة أن ينصح ابنه قال : « اذا كنت رجلا حكيما فكون لنفسك أسرة » وجاء بعده حكيم اخر يدعى « انى » فى الدولة الحديثة منذ ٣٣٠٠ سنة ينصح ابنه ويوصيه بقوله :

« بأن من كان حكيما يتخذ له فى شبابه زوجة تلد له ابنا ، فان أحسن شىء فى الوجود هو بيت الانســـان الخاص به حتى يعطيك ابنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك ، وتعيش حتى تراه وأصبح رجلا ، أن السعيد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه » .

قال « بيبى نخت » :

« اننى أحسن القول . ما أقول الا ما أحبه الناس ، وما نطقت بسوء لرئيسى كى يكون عضدى أمام الالهة ـ أنا أطعم الجائع وأكسى العارى ، كنت محبوبا من أبى وأمى مقربا من اخوتى » .

ونرى أيضا أن قدماء المصريين مجدوا الأم وأشادوا بفضلها بل وأقاموا لها عيدا كل عام ويحدثنا حكيم الدولة الحديثة أيضا عن ذلك بقوله وهو ينصح ابنه :

« أطع والدتك واحترامها . فان الاله هو الذى اعطاها لك ، لقد حملتك فى بطنها حملا ثقيلا ناءت بعبئه وحدها ، وعندما ولدت قامت بخدمتك ، ثم أخذت تتعهدك بالأرضاع ثلاث سنوات طوال ، وكانت ترافقك الى المدرسة كل يوم ، ثم أخذت تغدق على معلمك خبزا وشرابا وفيرا من خيرات بيتها ، والآن قد ترعرت ، واتخذت لك زوجة وبيتا فتذكر أمك التى ولدتك وانشاتك نشاة صـــالحة ، لا تدعها تلمك وترفع يديها الى الله فيسمع شكواها » .

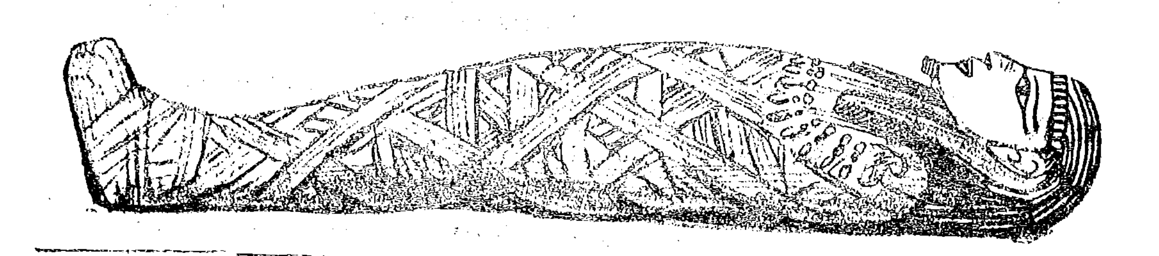
وفى حب الزوجة وترابط الأسرة يقول « بتاح حيب » :

« أحب زوجك فى البيت كما يليق بهـــا ، املأ بطنها واكسى ظهرها وأعلم بالضموخ (العطور) لأنه علاج لأعضائها ، أسعد قلبها ما دامت حية لأنها حقل طيب لمولاها ، وفى المعانى الجميلة يكون حكيم الدولة القديمة قد بلغ الذروة فى فلسفة الحيـــــاة • والقرآن الكريم به آيات بينات فى ذلك فقوله تعـــالى : « نســــاءكم حرث لــكم » •

من هذه الكلمات ومن تلك المعانى التى اوردناها على سبيل المثال لترابط الأسرة والمجتمع أيام قدماء المصريين ، نرى أن كانت لهم فلسفة دينية عميقة وأدبا واقعيا خال من عناصر الافتعال والاصطناع ، وأن مشاعرهم واحساساتهم انعكست على حبهـم بالمساواة الاجتماعية والعدالة الانسانية كما كان الجانب الدينى يعكس الديموقراطية الدينية ويبرزها فى صورة رائعة •

الروح والجسد ••••والحياة بعد الموت

عقيدة البعث عند قدماء المصريين ٦/١



- الروح والعقيدة عند قدماء المصريين
- كتاب الموتى والبحث عن سر الوجود •
- علاقة الجسد بالروح والروح بالخالق •
- الروح واستمرار الحياة بعد الموت •••
- التحنيط والمومياء والعودة الجسدية •
- الآلهة ••• والهابطون من السماء •

● الروح عند الفراعنة :

ترى أن قدماء المصريين يعرفون الكثير عن الروح فى بعثها ونشورها وثوابهـا وعقابها وحياتها وهنائها · ويصورونها على جدران قبورهم ومعابدهم تحيا هناك حياة مادية أشبه ما تكون بالحياة الأرضية النقية فى الحدائق والمروج ·

ومن المعتقد ، بل ومن المؤكد أن المصريين القدماء كانوا على صلة مســـــتمرة بالأرواح عن طريق وسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى وغيرهم ، وأنهم أخذوا أسباب حضارتهم العظمى من هؤلاء الوسطاء ، لا من العلماء فى الأرض · ويقال أن الفراعنة كانوا يفضلون اختيار كهنتهم من بين هؤلاء الوسطاء · وأن الاتصال بالأرواح كان يتم فى المعابد عن طريق الكهنة الوسطاء ، وأن مزاولة مهنة الكهانة كانت محصورة فى أسر معينة ، لأن موهبة الوساطة الروحية تكثر عادة فى أسر معينة ، وعرضة أن يتلقاها الانسان أحيانا عن طريق قوانين الوراثة الطبيعية ، شأنها فى ذلك شأن الصفات والملامح الأخرى كالموسيقى والرسم والأدب ·

● كتاب الموتى : BOOK OF THE DEAD

أن محاولة البحث عن سر الوجود والكشف عن أسراره وأسرار ما وراء الحياة أى عالم الغيب ، أو علاقة الجسد بالروح والروح بالخالق ··· « ويســــألونك عن الروح » ··· كانت ولا تزال الحلقة التى تدور حولها جميع الأديان والكتب السماوية وحددت العلاقات الانسانية وتلاقت جميعها عند فلسفة الحساب والثواب والعقاب ومفهوم الجنة للمتقين والنار للمشركين ·

ويعتقد الكثير من المؤرخين والعلماء من رجال الدين أن أول كتاب سماوى عرفته البشرية هو « كتاب الموتى » للحكيم نل » لا UNI والذى يرجع تاريخه الى ماقبل فجر الحضارة نفسها حوالى ٤١٠٠ ق·م أى ما قبـــل عصر الأسرات · وفى المتحف البريطانى بلندن بردية واحدة من كتاب الموتى طولها ٣٥ م وعرضها ٤٠ د·م مدونة باللغة الهيروغليفية وبالرسومات والنقوش المعبرة الزاهية الألوان ·

يصف كتاب الموتى Book of The Dead للحكيم انى – الذى كتبه بخطه قصة الخليقة نفسها ويشرح سر الوجود الانسانى أى فلسفة الروح والجسد برسم هرم سمى « بهرم الوجود »الذى يشرح علاقة الروح بالجسد بأن الانسان على شكل هرم مكون من ثلاث مصاطب · العليا هى الروح – با·

ويعلوها السماء – بت · وتتمثل الروح فى العقل والايمان والضمير – والمصطبة الوسطى هى النفس – كا وهى الواسطة بين الروح والجسد ، وتتمثـــل النفس فى

الحواس الظاهرة والباطنة والغرائز والانفعالات · والمصطبة السفلى هى المرتبطة بالأرض لأنها خرجت منها وهى جهاز التنفيذ وصحة الجسد وطبيعته من طبيعة النفس ·

فالروح ··· معذبة ومنعمة (فهى مسيرة) ·
والنفس ··· آمنة ، مطمئنة ـ أمارة ـ لوامة (فهى مخيرة) ·
والجسد ··· الجهاز المادى (فهو طيب وخبيث) ·
الروح تصعد · والنفس تحاسب والجسد يفنى ·

● **الروح واستمرار الحياة بعد الموت :**

نعلم تماما أن القدماء كانوا يعرفون الكثير عن الروح فى بعثها ونشـورها وثوابها وعقابها ، ويصورونها على جدران معابدهم وقبورهم تحيا حياة مادية ، وثابت أن المصريون القدماء كانوا على صلة مستمرة بالأرواح الراقية عن طريق الكهنة الوسطاء الذين يتميزون بالاستشفاف البصرى والسمعى · وليس من علماء الأرض ، حيث كان يتم هذا الاتصال فى المعابد ، وكان الفراعنة يطلقون على هذه الأرواح وصف الالهة · ومن هنا تعددت الالهة ·

ويقول الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه « الانسان روح لا جسد » أن الفراعنة كانوا يطلقون على هذه الأرواح وصف الالهة ورمزوا اليها برموز شتى · لأنها فيما يبدو تختار لنفسها اسماء رمزية مستعارة ، كما تفعل الأرواح الراقية فى عصرنا الحديث مثل : هوايت هوك White Haulk أى الصقر الأبيض ، أو هوايت ايجيـل White Eagle أى النسر الأبيض ، أو سـيلفر بيرش Silver Berch أى الشجرة الفضية ··· وكانوا يرسمون أرواحهم هذه فى صورة صقر أو نسر حقيقى على حوائط قبورهم ومعابدهم ، واكتسبت هذه الرسومات قدسية خاصة فى عقولهم ، فعبدوها دون أن يفطنوا الى أنها رموز خاصة مستعارة لأرواح راقية · فنسى الناس الجوهر وتعلقوا بالمظهر فابتعدوا عن الخالق الأعلى لأنه بعيد عن حواسهم وظـل الأمر على ما هو عليه الى أن جاء اخناتون ١٢٧٥ ق·م وتنبه الى هذا الخلط بين رموز الأرواح الراقية ،سواء من الكوكب الأرضى أو من كوكب آخر ، وبين دين الاله الواحد الأحد الذى لا شريك له · فدعاهم الى التوحيد لفترة زمنية قصيرة ، حيث ارتدوا عن هذا الدين الجديد بعد وفاته ، وبين الاله الواحد الأحد الذى خلق السموات والأرض ·

كان القدماء اذن يعتقدون فى البعث ، أو بمعنى أصح باستمرار الحياة بعد الموت وكان الشرط الأساسى لذلك ، الذى يشترطه الالهة ، هو أن يبقى الجسد سليما حتى

تستطيع الروح أن تحل فى الجسد · وكان من الضرورى لامكان هذا التقمص أن تتعرف الروح على الجسد ، ورغم الاحتياطات المذهلة التى اتخـــذت للاحتفاظ بالجســـد ـ المومياء سليما لآلاف السنين كان من المتصور أن يصيبها التلف وبالتالى الى عدم استطاعتها القيام بدورها · ومن هنا أهتم القدماء بالتحنيط ·

فضمانا لراحة الميت الأبدية ، فكر القدماء فى وضع تماثيل وصور مطابقة تماما لشكل الجسم بجانب المومياء · فاذا ما عادت الروح ولم تتمكن من المومياء والدخول فيها لسئبب أو لآخر استطاعت أن تتقمص أحد هذه التماثيل أو الصورة ·

● التحنيط والمومياء :

فالمومياء اذن أمرها غير مفهوم حتى الآن ، والى أن نجد لها شرحا أو تفسيرا دقيقا على أساس دينى أو علمى سليم ، نراها تحدق النظر الينا من ماضى بعيد ، وكأنها تحمل فى أعماق عيونها ونظراتها سرا رهيبا · يعلم الكثير من الناس علم وفن تحنيط الجثث · ويأخذ الاركيولوجيون جانب الذين يتصورون بأن انسان ما قبل التاريخ كان يعتقد فى العودة الى الحياة ثانية · أى العودة الجسدية العادية وكان من الممكن قبول هذا التصور وكانت هناك أية اشارة للعودة الجسمانية فى فلسفة الأديان من قـــديم الأزل · واذا كان أجدادنا القدماء اعتقدوا فى عودة الروح فقط لما تحملوا كل هـــذه الصعاب والمتاعب لحفظ جثث موتاهم بهذه الطرق المعقدة التى لا يعلم سرها أحد ·

كانت مقابر القدماء حصينة جدا تقاوم العوامل الطبيعية وعوامل التخريب والعبث بها ، تقاوم حتى القنابل الذرية ــ وهنا تظهر أهمية هذا السؤال وهو : من الذى أقنع هذا الوثنى بعودة الجسم الى الحياة مرة أخرى ·

ومتى ظهرت هذه الفكرة الجريئة التى تؤكد بأن خلايا الجسم يجب الابقـــاء والمحافظة عليها من التلف وحفظ الجثة فى مكان أمين محصن حتى يمكن ايقاظهـــا وعودتها الى الحياة مرة أخرى بعد آلاف السنين ·· ؟ وقبل الاجابة على هـــذه التساؤلات أرى أنه من الأهمية بمكان القاء الضوء على معنى عملية التحنيط فى العصر الحديث ــ عصر الفضاء ·

فى كتاب « امكانيـــــات الخلود » The Prospect of Immortality ١٩٦٥ يقترح المؤلف عالم الطبيعة « روبرت اتنجر » Robert Ittinger أن انسان القرن العشرين يمكن تجميده بحيث تستمر خلايا الجسم حية من الناحيـــــة الطبية والبيولوجية ، ربما تُعتبر هذه النظرية أو هذه الفكرة خيالية فى الوقت الحاضر ،

ولكن الحقيقة الواقعية الآن تشير بأن كل مستشفى عام تمتلك ما يسمى بنك العظام ، تحتفظ فيه المستشفى بعظام آدمية محفوظة فى درجة عالية من التبريد لعدة سنوات عديدة تجعلها صالحة للاستخدام ثانية ، وكذلك الحال فيما يتعلق « ببنك الدم » وحفظه لمدد غير محدودة تحت درجة ــ ١٩٦ درجة وأخيرا وليس اخرا عمليات التخـــدير التى تتم الآن بواسطة التبريد ٠٠٠ وتنبأ هذا العالم ، روبرت اتنجر ، بأن الناس مستقبلا سوف لا تلتهمهم النيران أو يفنوا بالحريق أو يأكلهم الدود ٠ فالأجسام المجمـــدة المحفوظة فى مقابر عميقة أو مستودعات ذات برودة منخفضة تنتظر اليوم الذى تتقدم فيه العلوم الطبية وتتمكن من ازالة أسباب الوفاة وتعيد هذه الأجسام الى حياة جديدة مرة أخرى ٠

فهل كان قدماء المصريين يعلمون ذلك علم اليقين ٠٠ ؟ ٠٠ كيف عرف قدماء المصريين أن خلايا الجسم تبقى وتستمر حية بعد معالجات خاصة معقدة ٠٠ ؟ ومن أين نشأت فكرة الخلود والبقاء ٠٠ ؟ وكيف امكنهم أن يتصوروا ويعتقدوا فى عودة الجسم الى الحياة أو العودة الجسدية ٠ Corporeal Return

● عودة الجسد الى الحياة :

أعتقد المصرى القديم وأمن بالبعث والحياة الثانية ، وأن الانسان سيبقى حيا بعد الموت ، كما أعتقد بأن الانسان مكون من جسد وروح ، وأن الجسد ما هو الا صندوق يحوى عناصر مختلفة هى التى ستحيى حياة أبدية ، ولكن من أهم شروط الحياة أن تبقى الجثث فى حالتها الطبيعية وهذه العناصر كما تشير الوثائق والبرديات القديمة والتى يحدثنا عنها الدكتور سيد توفيق أستاذ الآثار المصرية بجامعة القاهرة فهى عنصر قوة الحياة والتى عرفها القدماء باسم الـ : كا : وهو القرين ، بارة عن جسم أثيرى له نفس ملامح وصفات الجسم العادى يعيش فيه طول الحياة وينفصل عنه بعد الموت وهو الذى سيعيش مع الجثة فى المقبرة ، فى حين أن « البا » تصعد الى السماء ٠ أما العنصر الثالث وهو الأخ أى الشخصية المعنوية للانسان وينفصل عن الجسم ويصعد الى السماء ويبقى أبديا ٠ ولهذا حافظ القدماء على الجســـم المادى ووصلوا الى التحنيط ، ويؤكد « لوكاس » العالم الكيمائى بأن أول دليل مؤكد معروف لنا عن التحنيط يرجع الى أوائل عصر الأسرة الرابعة ٢٦٥٠ ق٠م ٠ فقد قام بتحليل ما وجد فى صندوق احشاء الملكة حيث حرس أم الملك خوفو وتأكد أن الأحشاء كانت مغمورة فى سائل مكون من ملح النطرون وكبريتات الصوديوم وكلوريد الصوديوم ٠٠ وظل المصريون القدماء يمارسون عملية التحنيط ويطورونه حتى أواخر العصر المسيحى ٠

من الذى علم اله الطب عندهم والمعروف لنا فى كتب التاريخ والبرديات الطبية

وهو ايموحتب ، ذلك الطبيب الشاب وزير الملك زوسر ، وهو الذى رفع الى مرتبة الآلهة فى العصور المتأخرة ·· ؟ من الذى علم اله التحنيط أنوبيس هذا العلم ·· من الذى علم الكهنة هذا الطب الراقى الذى لم يرقى اليه طب العصر الحديث ·· ؟ هل طرأت هذه الفكرة ـ تحنيط ـ الجثة ـ الى ملك من الملوك أو أمير من الأمراء صدفة ··؟ أى هل راقب بعض المواطنين من العلماء أو الكهنة الآلهة وهم يعالجون جثث موتاهم بطرق معقدة ثم بعد ذلك يحفظونها فى توابيت من الحجر الصلد أو الجرانيت المقاومة للقنابل ·· ؟ أو هل أشع بعض الآله (رجال من الفضاء الخارجى) علمهم وطبهم ، عن كيفية عودة الحياة الى الجثث أى العودة الجسدية Corporeal Return بعد معالجات خاصة على أمير ذكى سريع النكتة من العائلة الملكية ·· ؟

توجد أكثر من ٥٠٠٠ مقبرة بعد خمسة أميال من حلوان وبأحجام مختلفة منسوبة الى الأسرتين الأولى والثانية ، تثبت هذه المقابر أن عملية التحنيط هذه ترجع الى ٦٠٠٠ سنة واكتشف العالم الأثرى « ايمرى » سنة ١٩٥٣ مقبرة شمال سقارة يرجع تاريخها الى الأسرة الأولى · وبالاضافة الى هذه المقبرة الرئيسية فقد اكتشفت ٧٢ مقبرة مصفوفة فى ثلاثة صفوف تحتوى على جثث للخدم الذين أرادوا أن يرافقوا ملكهم فى العالم الجديد · لا وجود لأثر على أجساد هؤلاء الخدم وهم ٦٤ شاب ، ٨ فتيات يدل على العنف أو المقاومة لماذا رحب هؤلاء الشباب أن يدفنوا أنفسهم وهم أحيـاء بالقرب من مليكهم ·· ؟ لأنهم أمنوا بالحياة بعد الموت ·

اكتشف فى يونيو ١٩٥٤ مقبرة فى سقارة لم تمتد اليها ايادى لصوص مقابر الفراعنة حيث وجد داخل حجرة الدفن صندوق المجوهرات والحلى والذهب سليما ، وكان غطاء التابوت فى هذه الحالة من النوع المنزلق داخل مجرى وليس من النوع الذى يرفع ·وفى ٩ يونيو احتفل عالم الآثار المصرى الدكتور غنيم رسميا بافتتاح المقبرة وفتح غطاء التابوت ولشد ما كانت دهشتهم أن وجدوا التابوت خاليا لا يحتوى على شىء ·· لا شىء تماما فهل ارتحلت الجثة وتركت وراءها تلك المجوهرات··؟ أسرار وأسرار وراء المجهول ولكن الأمل كبير فى الوصول الى كشف عالم المجهول ·

● الآلهة ·· والهابطون من السماء :

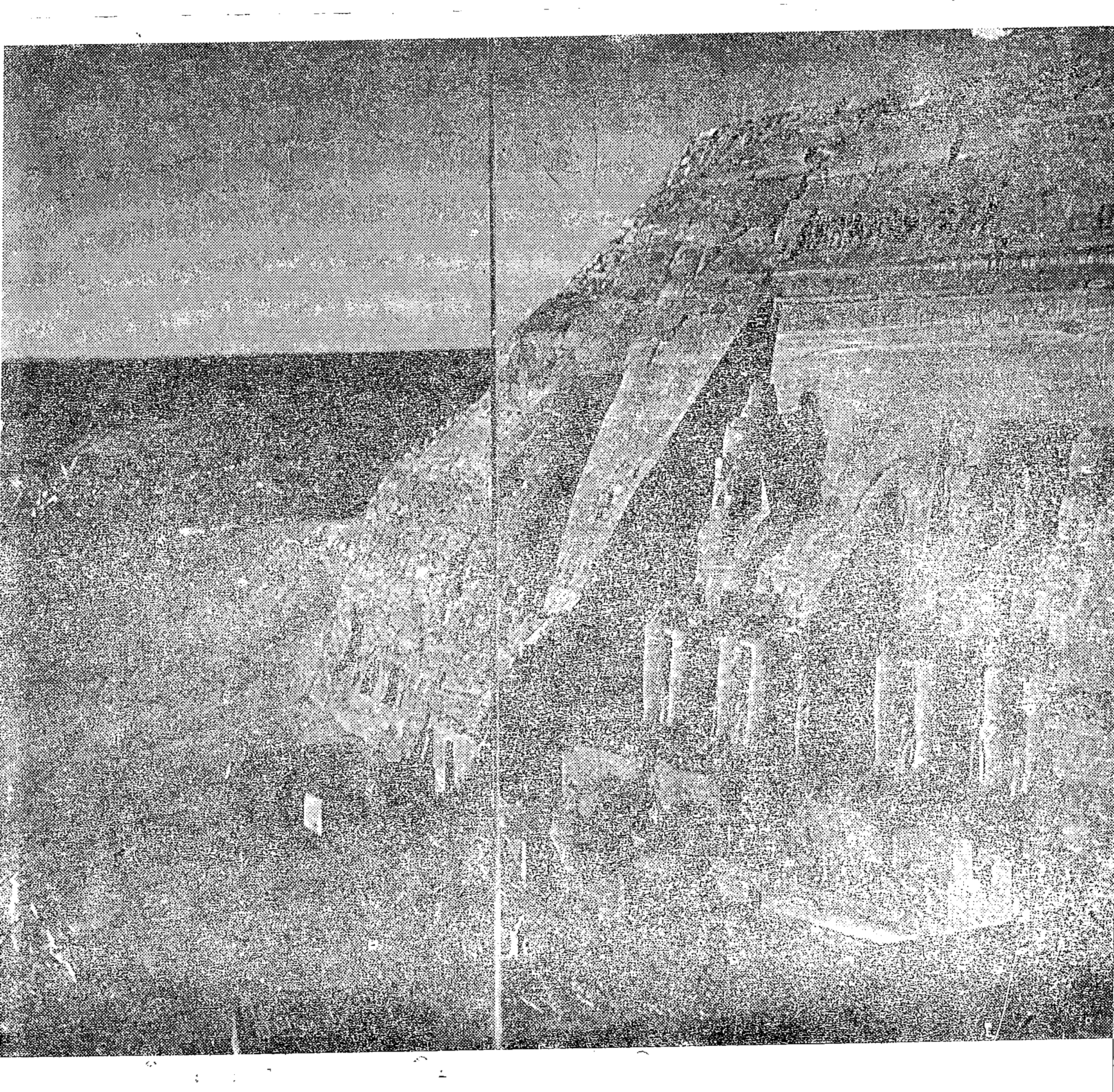
من الذى يتصور منذ خمسين عاما فقط الوصول الى هذه الاكتشافات العلمية والفنية والتكنولوجية الحديثة ، الراديو ، التليفزيون ، الطيران ، العقل الالكترونى ، القمر الصناعى ، وصول الانسان الى القمر ·· علمـاء كثيرون من الشرق والغرب يبحثون الآن أسرار الفضاء الخارجى والعالم الكونى أثبت البعض من هؤلاء العلماء أن كوكب المريخ كان على سطحه حياة حضارة ومدنية راقية جدا لم تتحد بعد كان

يسكنه مخلوقات أقوياء اذكياء على درجة كبيرة من التقدم والرقى ، ولكن السؤال الذى يبرز دائما ويردده بعض العلماء المهتمين بالبحث فى هذا المجال هو لماذا لم تستمر هذه الحياة الراقية وتلك الحضارة العالية المتقدمة ٠٠ هل اضطرت هذه المخلوقات لسبب أو لاخر أن يتركوا هذا الكوكب ويرحلوا عنه والبحث عن مناخ جديد للعيش فيه ٠٠ ؟ وهل الظاهرة التى بدأت على سطح كوكب المريخ بفقدان الاكسوجين تدريجيا اضطرتهم الى ذلك ٠٠ ؟ وهل حدثت كارثة كونية فى الفضاء كانت سببا فى القضاء على الحياة وانهيار تلك المدنية من على سطحه ٠٠ ؟ وأخيرا ، هل أمكن لبعض سكان المريخ الهرب وعاشوا على كوكب اخر مجاور لهم ٠٠ ؟

يقول البروفسر دكتور ا ٠ فليكوفسكى Die Velikovsky فى كتابه الكواكب تتصادم ٠ الذى طبع فى عام ١٩٥٠ أن مذنب ضخم اصطدم بكوكب المريخ وتحطم على سطحه ونتج عن هذا التصادم تكوين كوكب الزهرة ٠٠ ويؤكد كثير من العلماء صحة النظرية وخاصة اذا ما أخذ فى الاعتبار أن كوكب الزهرة هو الكوكب الوحيد الذى يدور فى اتجاه عكسى ، أى أنه لا يتبع قواعد المجموعة الشمسية الاخرى فى الدوران مثل الأرض والمريخ والمشترى وزحل ونبتون ٠

ومن هنا تظهر أهمية النظرية التى تؤكد بأن الأرض قد استقبلت ضيوفا من الفضاء فى الماضى البعيد نتيجة لهذه الكارثة التى حدثت لكوكب المريخ ٠ هؤلاء الزوار ٠ وكانوا عمالقة أقوياء أشداء وعلى جانب كبير جدا من الذكاء والعلم ٠ أتوا من المريخ واستوطنوا الأرض وعلى قمم الجبال وظهروا لسكان الأرض على شكل أرقى منهم تقدما وحضارة ٠٠ ولماذا كانوا عمالقة أقوياء أشداء أذكياء لأن جاذبية كوكب المريخ كانت اضعف بكثير من جاذبية الأرض فيكون التكوين النباتى لانسان المريخ أقوى وأكبر واضخم وأذكى منه على سطح الأرض ٠

فان صحت هذه النظرية فتكون الأرض قد استقبلت هذه المخلوقات الذكية العملاقة القوية التى امكنها أن تقيم مثل هذه الأعمال الضخمة ونشر العلوم والفنون التى اشعوها على الناس فى العصور الغابرة ٠



١٢١ ـ معبد أبو سنبل بعد نقله الى أعلا الجبل

٢ ـ تخطيط وانشاء المدن المصرية القديمة

الجـــــزء الثانى

- حضارة مصر ومهندسو الفراعنة ٠
- المدن المصرية القديمة ٠٠٠
- الانسان المصرى والبيئة
- الرموز والرسوم للمدن ٠٠٠
- مدن الحوائط البيضاء ٠
- منطقة سقارة ــ البدرشين ٠
- هضبة الأهرام ومدينة منف ٠
- الهرم الأكبر وثيقة مرئية للكشف عن أسرار الكون ٠
- مدينة العمال بأهرام خنت كاوس ٠
- مدينة زوسر بسقارة ٠
- مدينة منف ٠٠٠ الجيزة ٠
- مدينة العمال ٠٠٠ تل العمارنة ٠
- مدينة أخت آتون بالعمارنة ٠
- مدينة هابو ٠٠ الأقصر ٠



ـ تاج عامود معبد ايزيس/
أسوان والمعروف باسم قصر
أنس الوجود .



١٢١ ـ تمثالى ممنون أمام المعبد الكبير الذى
بناه ايمحتب فى الدير البحرى لمدينة طيبة ـ الأقصر

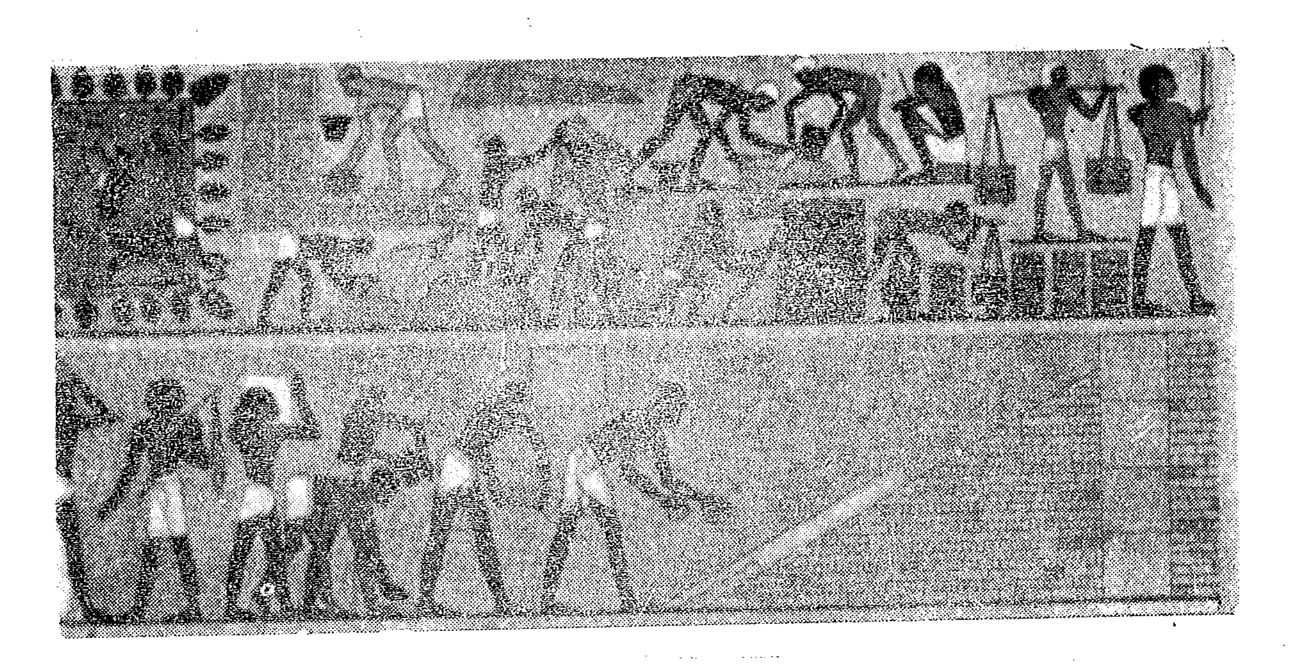
ـ كانوفر ٠٠٠ ٢٨٥٠ ق٠م
ـ ايمحتب ٠٠٠ ٢٧٩٠ ق٠م
ـ جم ايون ٠٠٠ ٢٦٥٦ ق٠م
ـ سنجم ايب ٠٠٠ ٥٥٠ ق٠م

حضـــارة مصر ٠٠

ومهندسو الفراعنة

١/٢

● العمارة مرآة الحضارة ٠٠ والمصرى القديم أول من شق طريق الحضارة وخطا فيه الخطوات الأولى ٠٠ فأول تجربة للانسان فى بناء الحضارة كانت على ضفاف النيل ، فسجل المهندس المصرى القديم تلك الحضارة على صفحات جـــدران العمارة التى ارتفعت على شواطئه وتجمعت فى معرض طوله ألف كيلو متر من شلالات أسوان الجرانيتية الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط الرملية ٠٠



١٢٢ ــ تمثل عملية بناء الاهرامات قمة الفن المصرى القديم فى مجالات الهندسة الانشائية والمعمارية والتخطيطية ٠

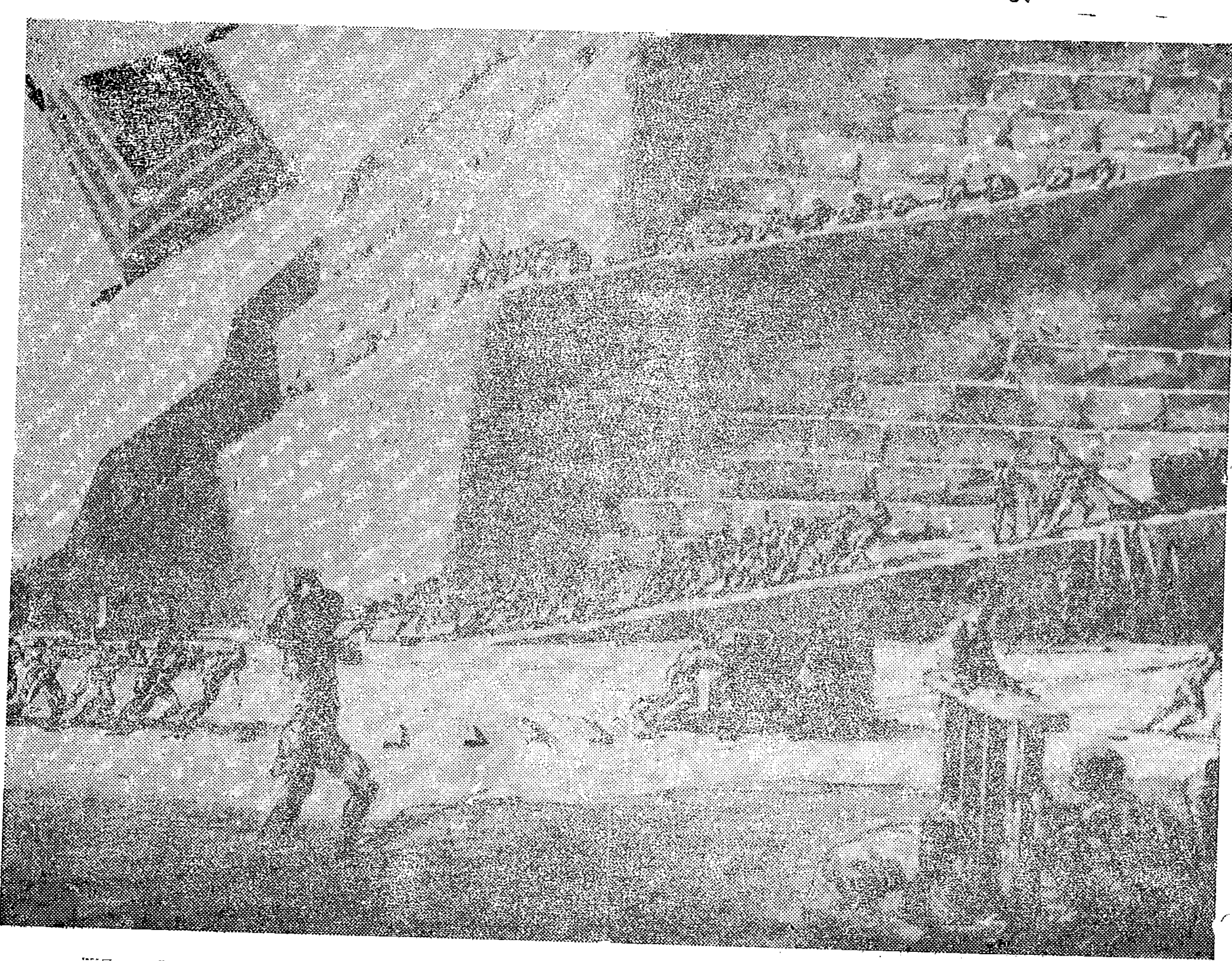
وعلى مدى سبعة آلاف عام تمتد من عهد ما قبل الأسرات أو ما قبل التاريخ الى نهاية العصور الفرعونية ، بقيت آثارهم الخالدة التى قاومت الزمن كتسجيل لتلك الحضارة الخالدة والحفاظ على أسرار مقوماتها ٠٠

اطلق العالم القديم على العمارة اسم « أم الفنون » ٠٠ وأطلق عليها الفراعنة « فن الخلود » ٠٠ فقد عرف المصريون معنى الخلود ، عرفوه فأحبوه وقدسوه وعملوا له ٠٠ عرفوا أن الكون خالد ، وعرفوا أن بلدهم خالد وآمنوا بأن الانسان له روح خالدة فسعوا نحو الخلود ليحدد لهم معالم الطريق ، فأكتشفوا علوم المعرفة النظرية منها والتطبيقية ، فعرفوا كيف يستخدمونها ليمهدوا أرضا صلبة يقيمون فوقها عمارتهم التى يقوم فنها على أساس علمى راسخ ومتطور كما هو الحال فى مقومات علوم المعرفة بأنواعها كالطب والكيمياء والفلك والرياضيات والزراعة والصناعة ومختلف علوم المجتمع وفنونه ، وما حققه كل منها من انجاز واعجاز ٠٠

وبهذا تميزت شخصية العمارة المصرية بتطورها المستمر الذى لازم نهضتها فلم نتوقف عند قالب أو طابع معين بل سارت طوال تاريخها فى سباق مع الزمن لم تتخلف عنه ، فعاشت أطول مدة عاشتها أى حضارة معمارية أخرى ٠٠

لقد وصف تاريخ العمارة دور العمارة الفرعونية فى رسم أول « خط للسماء » رسمته يد الانسان ، بأنه بدأ بالخطوط الهندسية الافقية ومسطحاتها المستوية التى بدأت بالظهور فوق سطح الأرض وعبر عنها بالمصاطب ..

وارتفعت بالمصاطب عن سطح الأرض فى طبقات متراصة فوق بعضها البعض لتصنع الأهرامات المدرجة التى عبروا عنها بسلم الصعود الى السماء ، وانتقلت منها الى الأشكال الهرمية الرياضية التكوين . ثم ارتفع الهرم بقاعدته عن سطح الأرض لتظهر معابد الشمس ، ثم تعلو فوق قوائم لتشق طريقها نحو السماء وتناطح السحاب فتظهر المسلات الرشيقة بقممها الهرمية .. ثم انتقلت من الجدران الصماء والحوائط



١٢٣ ـ تجلت فنون العمارة الفرعونية فى بناء الاهرامات
على أبدع وأروع صورها ... قمة العلوم والفنـون

العالية الى الدعائم والقوائم والأعمدة التى تحمل الاعتاب « والكمرات » والأسقف لتصنع أسس الهياكل الانشائية بتعدد نظريات تكوينها التى تغيرت أبعادها ونسبها تبعا لتغير مواد البناء ونظريات انشائها فحددت أشكال الوحدات التى شكلت طراز العمارة الفرعونية ومراحل تطور معالمها عبد تاريخها الطويل • لقد قدمت العمـــارة المصرية للعمارة العالمية أول وحدة فى تكنولوجيا البناء • وهو قالب الطوب (توبى) •

فقالب الطوب هو أول ابتكار وانجاز حضارى فى فن البناء وعلم الانشاء • ابتكره المهندس المصرى من ٨ آلاف سنة وحدد شكله وأبعاده التى يحتفظ بها العالم الى اليوم •• وليس هناك من ينكر دور قالب الطوب فى تشكيل الطرز المعمارية القديمة منها والحديثة فى ناحية من نواحيها التكوينية •

ومع ابتكار قالب الطوب قدم المهندس المصرى جميع نظرياته الانشـــائية التى تناولتها جميع الطرز المعمارية سواء فى بناء الاعتاب أو العقود أو القباء أو القباب بمختلف أشكالها الهندسية والرياضية التكوين •

ومع استعمال الطوب فى البناء قدم المصرى لمهندسى العالم طرق بياض الحوائط وطلائها وكسوتها بمختلف البلاطات الطبيعية والصناعية •

وما ينطبق على الطوب كوحدة للبناءينطبق على الحجر بأنواعه واستعمالاته ونظريات انشـــائه •

وعرف المهندسون المصريون كيف يتعاملون مع أقسى الأحجار صلابة وهو حجر الجرانيت ، صنعوا منه أضخم الأعمدة والمسلات والتماثيل التى يبلغ وزن بعضها مئات الاطنان ولم يجدوا صعوبة فى معالجتها ونحتها وصقلها ونقلها مئات الكيلو مترات بوسائلهم العلمية المجهولة لعلماء اليوم •

والمهندس المصرى أول من صنع « الأعمدة » دعامة جميع الطرز المعمارية فى العالم •• صنعها من جذوع النخيل والأخشاب وحزم البوص والطـــوب والحجر والجرانيت ـ شكلها ورسم تيجانها ـ تلك الأعمدة وتيجانها التى ارتبطت بأشكالها قواعد العمارة الأربعة وهى الدوريكى والأيونى والكورنثى والمركب التى نسبها عالم العمارة وتاريخه الى الاغريق ، بينما جميعها وبفن أكثر تطورا لا تزال قائمة وشامخة فى العديد من آثارنا •

فان كانت تكنولوجيا العمارة الفرعونية قد وضعت أساس نظرية الانشاء المجهز بابتكار « قالب الطوب » أول وحدة جاهزة ومصنعة فى علم البناء ، فلا يجب أن ننسى أن بحوثهم العلمية مهدت لهم السبق فى وضع أسس نظريات المساكن الجاهزة والانشاء سابق التجهيز فى تخطيط المدن ، فقد طبقوا تلك النظريات في بناء مدن بأكملها • لقـد

كانت فكرة تلك المبانى السابقة التنفيذ أكثر واقعية مما يقوم به مهندسو العـــــالم وخبراؤهم اليوم ٠

ومن أقدم أمثلتها التى ظهرت متطورة فنيا واقتصاديا مدينة « خنت كاوس » احدى المدن التى بنيت فى الأسرة الرابعة ٢٥٦٥ ق٠م التى بنيت لتؤوى عمال بناة الأهرام ومعابدها الجنائزية ٠ كانت فكرة اقامتها بنظرية المساكن الجاهزة للعمل على سرعة اقامتها وتجهيزها ، ثم سهولة فكها بعد الانتهاء من القيام بغرضها ، ثم اهدائها للعمال

١٢٤ ـ المهندس المعمارى الأمير رع حتب وزوجته الأميرة الفنانة نفرت من أشهر مهندسى الدولة القديمة الذين تركوا بصمات واضحة فى العمارة الفرعونية٠





١٢٥ – سنموت مهندس الدير البحرى .

والفنيين الذين قاموا ببناء الأهرامات ، لينقلوا مساكنهم الى المدن والقرى التى أتوا منها للعمل فى خدمة الاله .

+ قام المهندسون بتحقيق نظرية المساكن السابقة التجهيز بوضع تصميمات المساكن الموحدة المساقط والأبعاد والتفاصيل ، كما أعدت نماذج ثابتة وموحدة لجميع أبواب ونوافذ المسكن كذلك الوحدات الجاهزة لاعتاب الفتحات وكمرات الأسقف وبلاطات الأرضيات ومجارى المياه والأفران وقطع الأثاث وغيرها من مختلف التفاصيل يتعاون العمال على تركيبها وفكها ونقلها بالتعاون والمجهود الذاتى ..

هناك أمثلة أخرى أكثر تطورا وتقدما فى علم المساكن الجاهزة وانتاج الجملة ، ظهرت فى مدينة اخناتون بتل العمارنة ، ظهرت فى تنفيذ مشروعات تعمير حى الموظفين ومساكن العمال التى حققت تشييد المدينة فى عامين فقط كما وصفت فى التاريخ . فظهرت بجانب السابقة لجميع أجزاء المبنى ووحدات انشائه نماذج وحدات سابقة التجهيز للاعمدة ودرجات السلالم والمطابخ والوحدات الزخرفية للكرانيش والأرضيات

+ حضارة مصر ومهندسو الفراعنة بحث للدكتور سيد كريم – مجلة جمعية المهندسين المصرية

ولوحات النقوش والنافورات ، مما أعطى للمدينة طابعا متناسقا خلد اسمها فى تخطيط المـــدن ٠

يجب الا ننسى ان أول مدينه فى عالم البشرية كانت « أون » القديمة عاصمة مصر الاولى التى وصفها المؤرخ مانيتون بانها ولدت مع مولد الزمان ، وينسب بناءها الى « الالهه الذين نزلوا بها من السماء حاملين شعلة المعرفة والعلوم المقدسة الى الأرض التى اختارها الاله عام ٩٥٠٠ ق٠م » ٠

وهكذا كلما تعمق الباحثون في دراسة حضارة مصر على ضوء البحـــوث التكنولوجية تمخضت لهم حفريات آثارها عن مفاجآت علمية جديدة تؤكد قول أميل لودفيج فى وصفه لحضارة الفراعنة بأن « لا جديد تحت الشمس » !

مهندسو الفراعنة :

١ ـ كانوفر ـ ٢٨٥٠ ق٠م

أول مهندسي العالم القديم كله ، أطلق عليه اسم الأب الروحى لمهندسى مصر الفرعونية ٠ مهندس الملك خاسخموى آخر ملوك الأسرة الثانية ٠ جمع بين فنون العمارة وعلوم الانشاء وتخطيط المدن ٠ فكان أول من وضع نظريات العمارة بالحجر ، وأول من استعمل الطوب كوحدة فى علم البناء ، فوضع الكثير من نظريات تطبيق انشائه ـ وكان أول من استعمل الحجر فى كسوة الحوائط المبنية بالطوب فى «عمارة الحياة» التى طبقها فى بناء القصور الملكية والمبانى العامة وساهم بقسط كبير فى تخطيط مدينة منف القديمة وبناء أسوارها ٠ فوضع أول نظريات متقدمة لاستعمال العروق الخشبية والكتل والحصير فى صناعة الأسقف ٠ كما كان له الفضل فى تصميم « عمارة الخلود » أو مقابر الملوك على شكل المصاطب المركبة كما كان له الفضل أيضا فى تنشئة أبنه المهندس « ايمحوتب » الذى يعتبره مؤرخو العمارة أعظم مهندسى مصر القديمة ٠

٢ ـ ايمحوتب ٢٧٩٠ ق٠م

مهندس الملك زوسر ـ الأسرة الثالثة ـ أكمل رسالة والده كانوفر ونظـــرياته المعمارية والانشائية فى استعمال الحجر فى فن العمارة وعلم الانشاء ٠ فقام بثورة معمارية كبيرة عندما استعمل الحجر على نطاق واسع فى بنـــاء قبر الملك زوســر ومجموعة هرمه ومنشآته الجنائزية ، فأقام أول مقبرة ملكية على شكل هرم مدرج يرتفع

ستين مترا ، مكون من ست مصاطب — وهى التى أطلق عليها أسم درجات سلم الصعود الى عرش «الاله » ٠

ويعتبر ذلك الهرم بداية عصر الأهرامات الذى امتد الى بداية الأسرة الثالثة عشرة ، عندما بلغ عدد الأهرامات التى أقيمت فوق أرض مصر ٢٧ هرما تفنن المهندسون المصريون من تلاميذ ايمحوتب وأحفاده فى وضع تصميماتها وابتكار طرق انشائها ٠

وأحاط ايمحوتب مقبرة الملك زوسر بسور من الحجر الجيرى الأبيض به ثلاث عشرة بوابة رمزية وبوابة واحدة حقيقية ويضم السور مجموعة من المبانى الجنائزية وقاعة العرش والاحتفالات ومعبدى الوادى وقصرى الجنوب والشمال ٠

نشأ ايمحوتب فى مدينة الجبلين بالقرب من الأقصر والتحق بجامعة معبد « أون » حيث درس علوم الفلك والرياضيات والطب واللاهوت ٠ كما أنشأ معهدا خاصا لتدريس العلوم المقدسة وارتباطها بعلوم الحياة ٠

ويحمل ايمحوتب القابا ملكية تدل على أنه كان مهندسا ومسجلا للحوليات وأديبا وموسيقيا وطبيبا وأمينا لاختام الوجه القبلىوالوزير الأول لدى الملك ٠ كما أن هناك ما يشير الى أنه تولى مركز الكاهن الأكبر لمعبد « أون » فى أواخر أيامه ٠

ذكر المؤرخ مانيتون عند حديثه عن « زوسر » : « فى عهده عاش ايمحوتب ابن كانوفر الذى يعتقد اليونانيون أنه أسكليبيوس اله الطب عندهم بسبب مهارته فى الطب الذى تحول بفضله الى نوع من المعجزات » ٠

ولم ينس المصريون ايمحوتب بعد وفاته فقد ظل اسمه يتردد فى كتابات الدولة الوسطى ويذكرون بأعجاب معجزات أعماله فى مختلف الفنون والعـــلوم ويتناقلون أقواله وحكمه ، ويردد المغنون أشعاره وأغانيه ، وفى أيام الأسرة ٢٦ أى بعد موته بألفى سنة قام الناس بتأليهه وأطلقوا عليه اسم ايمحوتب بن بتاح ٠ وبنوا له المعابد فى جهات كثيرة من البلاد سواء فى منف التى خلدت أعماله ودفن بها أو فى الصعيد وبلاد النوبة أو فى الواحات البحرية ٠ ويرجع بعض مؤرخى العقيدة قيــام النـــاس بتقديس ايمحوتب لعدة قرون بعد وفاته وحتى أواخر الاسر الفرعونية — الى دوره فى نشر عقيدة توحيد الاله « رع » رب الارباب التى نقلها من أون لتصبح عقيدة الدولة فى منف ، متخذا من الهرم رمزا للاله الواحد وهى العقيدة التى اعتنقها كثير من ملوك عصر الأهرامات ابتداء من الأسرة الثـــالثة بل وعصر الرعامسة حيث كان الملوك والأمراء يضيفون الى أسمائهم وألقابهم الملكية اسم « رع » ٠

وفى العصر المتأخر أعتبر المصريون والاغريق ايمحوتب أبنا للاله بتاح رب الفن والصناعة ونائبا عن تحوت رب المعرفه المقدسة والكتابة والقلم ، ولذا فقـــد اعتبره المتعلمون والكتاب على رأس الحكمة ومن رعاة المثقفين · فكان الكاتب المصرى عندما يكتب موضوعا هاما يتمتم باسمه لاستجلاب الوحى والتبرك باسمه ·

كما ينسب بعض الباحثين الى ايمحوتب وضع موسوعة تحـــوت (هرمس) وأجزائها الاثنين والأربعين التى وصفها المؤرخون القدماء بأنها كانت تحوى أسرار المعرفة المقدسة فى مختلف العلوم والفنون والأدب من طب وفلك وهندسة ورياضيات وزراعة وصناعة بجانب مختلف علوم حياة المجتمع ومقدسات أسرار الوجود ·

وهى المعرفة التى أشار اليها كثير من مهندسى الفراعنة وعلمائهم فى فنون العمارة والطب والفلك حتى السحر ، عندما نسبوا خبرتهم ودرايتهم بأسرار المهنة بتوصلهم الى الاطلاع على كتب تحوت المقدسة ·

تلك الموسوعة التى كانت حلم البروفسور أمرى الذى قضى عشرات السنين فى البحث عن مقبرة ايمحوتب ووافاة الأجل قبل أن يصل الى مدخلها ·

وكاتم الأسرار والناطق بالحق وهو ما فسره البعض بأنه ابن الملك ســـنفرو نفســـــه ·

من أهم الاعمال التى قام بها أهرامات ومنشآت منطقة ميدوم فى مقدمتها هرم ميدوم ذو الثمانى درجات الذى بدأه فى عهد الملك حوفى آخر ملوك الأسرة الثالثة وأكمله فى عهد الملك سنفرو ·

كما قام بخدمة الملك سنفرو ما يقرب من العشرين عاما بنى خلالها هرمين أولهما الهرم المنحنى بدهشور ومعبده الجنائزى ، والهرم الثانى يبعد حوالى كيلو مترين شمال الأول ويعتبر أول هرم كامل فى تاريخ العمارة المصرية ·

وقام بتصميم وانشاء معبد الوادى والمعبد الجنائزى للملك ·

٣ ــ رع حوتب ٢٦٨٥ ق·م

من أشهر مهندسى الدولة القديمة · اشتهر باسم مهندس ميدوم حيث اكتشفت مقبرته التى وجد بها تمثاله المشهور مع زوجته الأميرة « نفرت » · وهو من الحجر

الجبرى الملون ويعتبر قمة فى فنون الأسرة الرابعة ، ومحفـــوظ بالمتحف المصرى ، ويتميز تمثال رعحوتب وزوجته المهندسة الأميرة نفرت بما يتمثل فىوجهيهما من حيوية فائقة ، ونقاء ألوانهما ، والعينان مرصعتان كأنهما طبيعيتان تضفيان على الوجه حيوية وقوة رغم ان خوفو قد اصدر قرارا ملكيا بتحريم اقامة التماثيل فى مقابر الأفراد وان تقتصر تلك الطقوس على تماثيل الملوك والآلهة وكبار الكهنة من أنصاف الآلهة ، الا أنه من المرجح أنه قد سمح باقامة تمثالى رع حتب وزوجته لأعمالهما العظيمة فى أقامة الأهرامات والمعابد لتخليد الاله ــ أسوة بما قام به أجداده باقامة تماثيل ايمحوتب الذى أقام لها الشعب محرابا ومعبدا جنائزيا وأعتبر من أنصاف الالهة المبجلين باعتراف المعبد أختلف المؤرخون وعلماء الآثار فى تحديد أصل رع حتب من النقوش والبرديات التى وجدت بميدوم حيث تركزت أعماله فذكر البعض أنه من عامة الشعب وينحدر من أصل كانوفر وايمحوب وان أعماله العظيمة قربته من الملك ســـنفرو مؤسس الأسرة الرابعة، وانه نال لقب الامارة بزواجه من الأميرة نفرت وهى ابنة سنفرو وحرس حتب أم خوفو والأميرة نفرت هى التى قامت بتصميم مقبرة حرس حتب المشهورة وقصورها بســـقارة ٠

من بين الالقاب التى منحها سنفرو لمهندسه رع حتب تقديرا لأعمـــــاله « الابن المخلص ومدير أعمال القصر والمشرف على آت الملكية » ٠

٤ ــ حم ايون ٢٦٥٦ ق٠م :

أعظم مهندسى بناء الأهرامات حيث قام ببناء الهرم الأكبر أول عجائب الدنيا السبع ٠ هو ابن عم الملك خوفو وابن الأمير نفر ماعت ٠ تلقى علومه فى جامعة أون وأصبح أحد كبار كهنتها قبل أن يعهد اليه بناء الهرم الأكبـــر ومجموعته الجنائزية ومقابر الأمراء ٠

درس علوم الفلك والرياضيات والغيبيات ، وهى العلوم التى انعكست على تصميم الهرم الأكبر وفسرت الكثير مما اكتنفه من غموض وأسرار ٠

لقد وصفت احدى البرديات التى وجدت بمقبرة حم ايون « أنه كان مقربا الى الاله وحافظا لكتاب تحوت ومطلعا علىأسرار الوجود ومؤتمنا على مقدسات المعبد وكانت له القوة الخارقة فى رفع أضخم أحجار البناء الى أعلى الارتفاعات بغيـــر مجهود أو مساعدة » ٠

ينطبق ذلك الوصف الذى تعود الكتاب الى أسناده الى أعمال السحر ـ على الكتل الجرانيتية التى تغطى سقف غرفة الملك بالهرم الأكبر التى يبلغ وزن بعضها حوالى ٧٠ طنا ، نقلت من محاجر أسوان الى الجيزة ثم سحبت من شاطىء النيل الى هضبة الأهرام ورفعت لتحتل مكانها فى جسم الهرم ٠

لقد أصبحت تلك البرديات وغيرها من برديات السحر موضع دراسة علماء التكنولوجيا الحديثة بعد ما ثبت فنيا وعلميا خطأ جميع النظريات التى ذكرها المؤرخون والباحثون فى الماضى من استعمال الزحافات أو مختلف الروافع والمنحدرات والقوى البشرية فى نقل تلك الأحجار وطريقة بناء الأهرامات ٠

لقد فتحت تلك البرديات المجال أمام معاهد البحوث لكشف أسرار الحضـــارة المصرية القديمةوتفسير ما اكتنفها من غموض والغاز بترجمةكلمة سحر الىتكنولوجيا ، وما يكون معادلاتها من قوى وعناصر ومقومات تلقى ضوءا على علوم المعرفة عند الفراعنة ٠

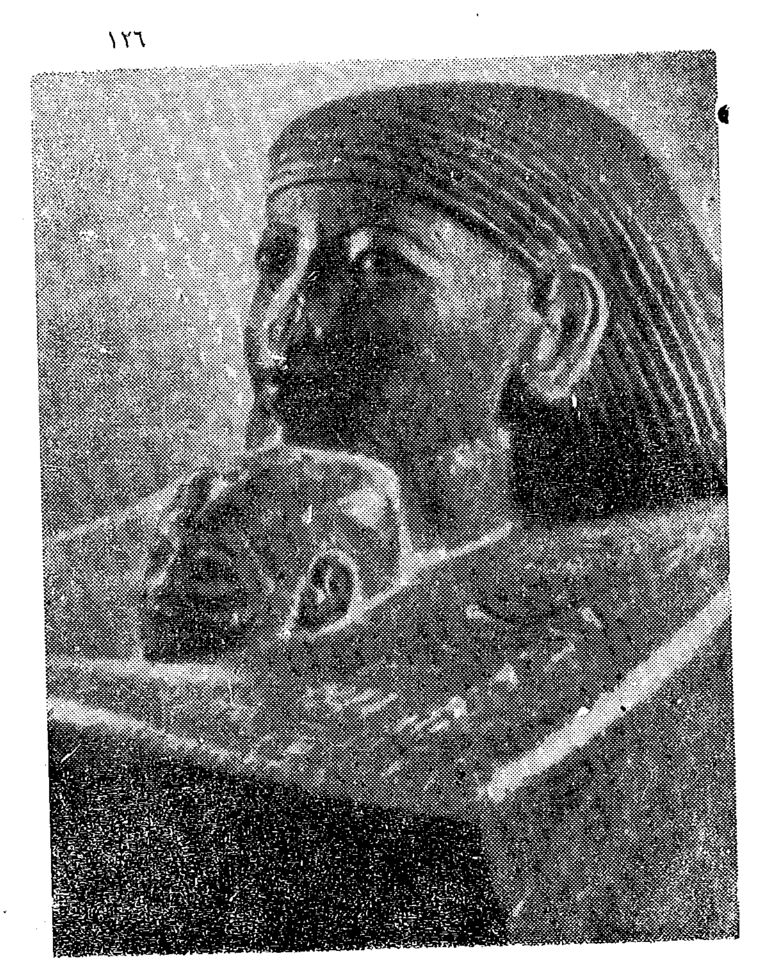
٥ ـ سنجم ايب ٢٥٥٠ ق٠م :

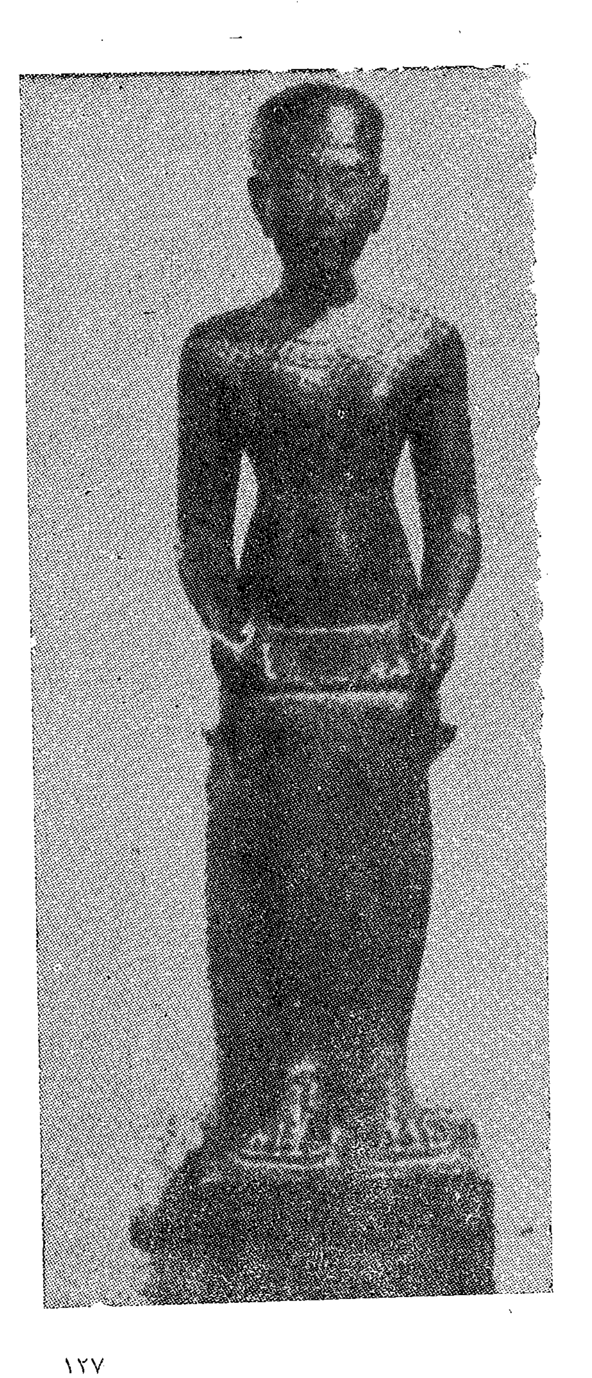
مهندس الملك أوسر كاف مؤسس الأسرة الخامسة ٠ لم يطل حكم أوسر كاف عن سبع سنوات قام سنجم ايب خلالها ببناء هرمه فى سقارة ومعبده الجنائزى الذى اتمه خلال حكم ابنه الملك ساحو رع خلال حكم ساحورع بدأ فى انشاء الجبانة الملكية فى أبو صير ، وهناك بنى هرمه المشهور بطابعه الانشائى الفريد فى نوعه وملحق به معبد الوادى والطريق الصاعد والمعبد الجنائزى ٠ وسجل على جدران المعبد الحملات العسكرية ضد الليبيين والرحلات التجارية الى سوريا وشواطىء فينيقيا وبلاد بونت ٠ وأقام نصبا تذكاريا فى محاجر الديوريت غرب أبو سمبل ٠

٦ ـ مرى ـ رع ـ مريبتاح عنخ ٢٤٠٢ ق٠م :

مهندس الملك ببى الأول ـ الأسرة السادسة ـ من أشهر أعماله الهرم الذى شيده للملك فى سقارة الجنوبية وتعتبر نقوش ذلك الهرم من أروع ما خلفه ذلك العصر ٠ وقد نقش على جدران مقبرته تدرجه فى عمله الوظيفى ابتداء من منشىء عال الى مدير المنشئين ، ثم منشىء ملكى ، ثم المهندس الأول بالقصر ، ثم كبير المهندسين ، ثم رئيسا للانشاءات الملكية حتى وصل الى درجة المشرف الملكى على المنزلين أى « مصر العليا والســـفلى » ٠

١٢٦





١٢٧

⊛ حضارة مصر ومهندسو الفراعنة

الفن أعظم عناصر حضارة مصر القديمة

١٢٦ : دقة التعبير وروعة الاخراج وجمال الفن سمة أصيلة فى أعمال النحت والرسم والفنون الفرعونية
١٢٧ : المهندس المعمارى ايمحتب الذى يرجع اليه الفضل فى بناء هرم سقارة المدرج الذى يعتبر أول بناء ضخم من الحجر المنحوت وفضلا عن ذلك فكان ايمحتب قائدا للجيش ورئيسا للوزراء وأمينا على خزانة الدولة ٠

« ونظرا لما قام به من أعمال عظيمة تسر عين الملك فقد قربه اليه ومنحه لقب الصديق الأوحد وقلده وسام الجدارة ويعتبر من أعلى المراتب وأرقى الألقاب الشريفة » ٠

٧ ـ أرتى سن ـ ٢٠٧٠ ق٠م :

أعظم مهندسى الدولة الوسطى ٠ مهندس الملك منتوحوتب الثانى مؤسس الأسرة الحادية عشرة الذى وحد البلاد تحت زعامته بعد أن هزم ملوك اهناسيا وجعل طيبة عاصمة لملكه ٠ ويعتبر حكمه بداية عصر الدولة الوسطى ٠

قام المهندس « أرتى سن » الذى بدأت علاقته بمنتوحوتب خلال حرب التحرير حيث ساهم فى اقامة المنشآت العسكرية والحصون ـ قام بثورة فنية ونهضة معمارية كتبت صفحة جديدة وخالدة فى تاريخ العمارة المصرية بعد انقضاء مرحلة طويلة من مراحل أحد عصور الاضمحلال التى بدأت فى أعقاب الأسرة السابعة ٠ فكان لارتى سن الفضل فى وضع أسس طراز عمارة الدولة الوسطى التى مهدت الطريق أمام النهضة المعمارية التى ظهرت فى الدولة الحديثة وعصر الامبراطورية ٠

بدأت أعمال « أرتى سن » بتخطيط وتعمير مدينة طيبة التى أصبحت عاصـــمة البلاد فأقام بها مجموعة من المنشآت والمبانى الدينية التى كانت نواة اقامة معبد الكرنك العظيم الذى ساهم فى بنائه جميع مهندسى مصر العظام فى مختلف العصور طوال الفى عـــام ٠

ومن أعمال « أرتى سن » الخالدة اقامة المعبد الجنائزى للملك منتوحوتب بالدير البحرى واختيار موقعه الرائع ٠ وهو أول معبد مكون من مدرجات مفتوحة تطل ساحات أعمدتها على الوادى ، بينما يتوسط ساحته الكبرى هرم تحيط به قاعة الأعمدة الكبرى أعمدتها المائة والأربعين ويظهر الجبل خلف المعبد كصرح عظيم يعتبر جزءا مكملا لتصميم المعبد ويرتبط به ارتباطا فنيا رائعا ٠

وتقع اطلال المعبد جنوب معبد الملكة حتشبسوت المعروف الذى شيده المهندس سنموت ـ فرغم شهرة معبد حتشبسوت العالمية الذى أصبح أكثر أهمية لكثرة ما بقى من مبانيه ونقوشه الهامة فان الذى يعنى بفحص المعبدين سيدرك بلا شك أن معبـــد منتوحوتب أفخم وأعظم من معبد حتشبسوت الذى بنى بعده بستمائة سنة ٠

شيد « أرتى سن » للملك منتوحوتب مقبرة بالمعبد الجنائزى بالدير البحرى كما

أقام بجوار المعبد مقبرة لشهداء الحرب الذين ماتوا فى معارك حروب توحيد البلاد وأمر الملك أن يدفنوا بجواره وأقام « أرتى سن » مقبرة لنفسه فى نفس المكان وجـــد بداخلها لوحة تمثله وزوجته وأولاده نقشت عليها ألقابه الملكية وما قام به من أعمـــال جليلة طوال عمله فى خدمة الملك طوال خمسين سنة ٠

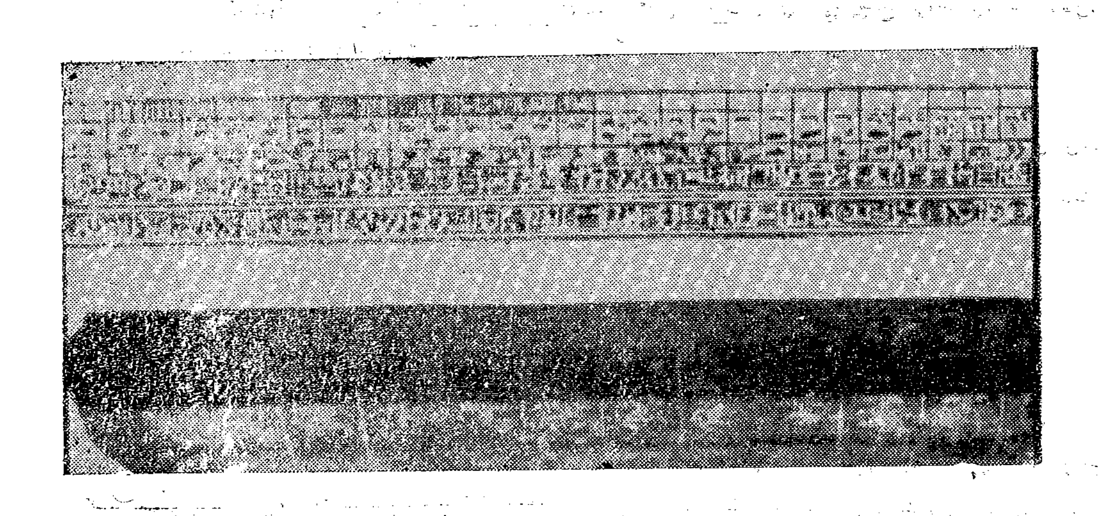
٨ ـ امنمحعت عنخ ـ ١٩٩٠ ق٠م :

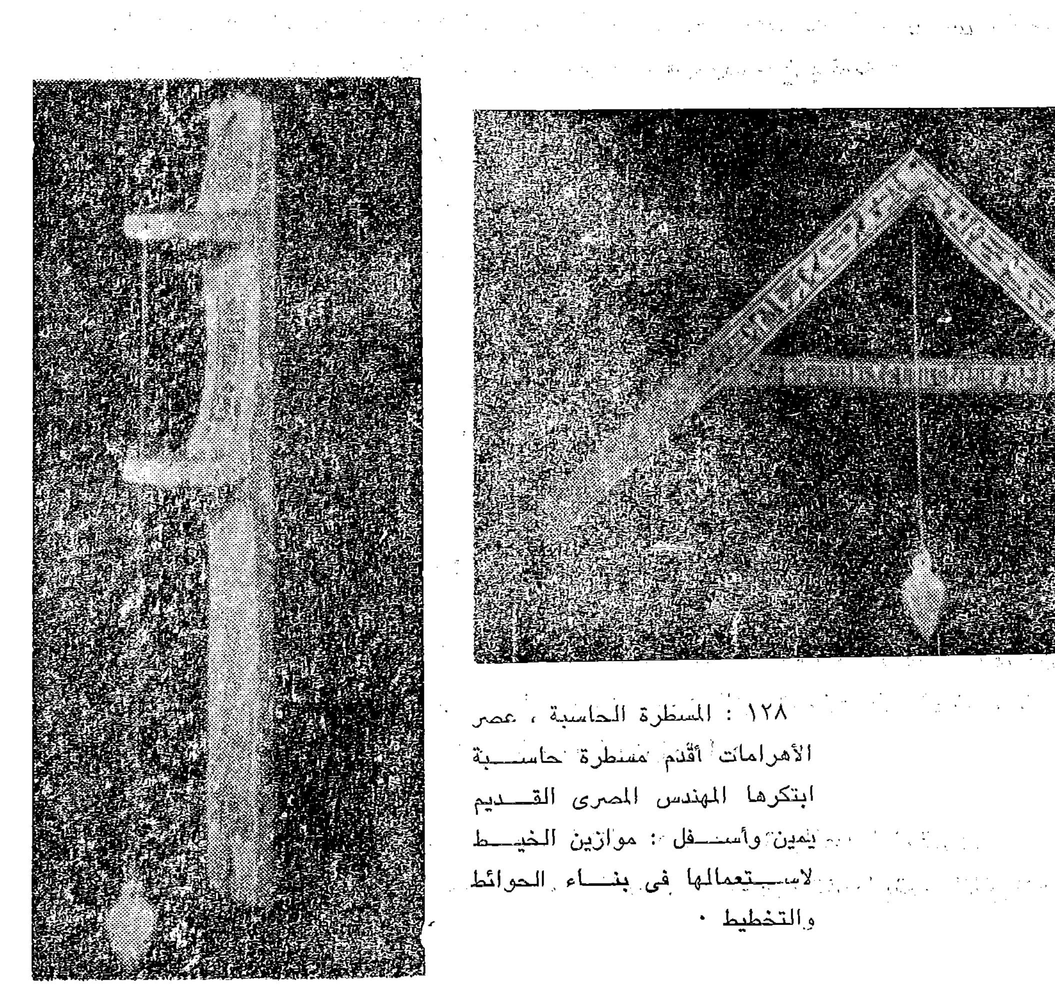
ثانى مهندسى الدولة الوسطى المشهورين ـ مهندس الملك امنمحعت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة نقل عاصمة البلاد من طيبة الى عاصمة جديدة بالقرب من منف أطلق عليها اسم (اثت تاوى) أى (القابضة على الأرضين) وقام المهندس «امنمحعت عنخ » بالاشراف على تخطيطها واقامة منشآتها الرئيسية والقصر الملكى ، كما قام بتشييد هرم الملك ومقبرته بمنطقة اللشت ٠

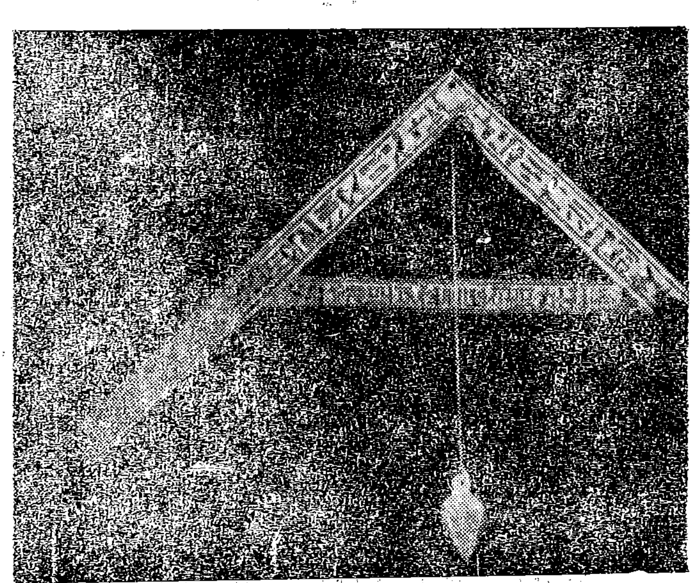
وتقديرا للاعمال الجليلة التى قام بها مهندس الملك قربه الملك اليه وأشركه فى ادارة حكم البلاد والاشراف على مشروعات التعمير فى وجهى الوادى ، ومنحـــه مجموعة من الألقاب الملكية من بينها لقب صديق الملك الأمين وموضع ثقته المقدسة ، كما سمح له أن يحمل اسم الملك نفسه لتكون له حقوق مقدساته الملكية من اقامة التماثيل لنفسه ونقش اسمه علىأعماله الخالدة ٠ وقد استن كثير من ملوك الأسرة الثانية عشرة نفس التقليد فكرموا مهندسيهم بأن أطلقوا على كل منهم اسم الملك وأطلق على بعضهم لقب الامارة ـ كما هو الحال فى اسماء عدد كبير من مهندسى الدولة الوسطى والدولة الحديثة الذين سجل التاريخ اسماءهم الملكية فقط فالتبس على بعض المؤرخين حقيقتهم، فذكروا اسماء الملوك على أنهم أصحاب تصميم وتشييد تلك المنشآت ، وتجاهلهم تخليد اسماء بناتها ومنشئيها ٠ أو بناة الحضارة المصرية ٠

٩ ـ سنوسرت عنخ ١٩٦٥ ق٠م :

مهندس الملك سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ٠ سار على منوال أبيه فكرم مهندسه الأول ومستشاره فى الحكم بأن خلع عليه اسـمه فعـرف باســم « سنوسرت عنخ » ٠ ونظرا لتقرب الملك لكهنة معبد أون والعودة الى توحيد الاله أتوم رع الذى كان يرمز له بالأهرامات التى توقف بناؤها فى عهد الاضمحلال ، حاول والده الملك امنمحعت بالعودة اليها واحيائها ببناء هرمه باللشت ، فقد كلف مهندسه سنوسرت عنخ بالمساهمة فى تعمير معبد أون ومنشآته وبناء محراب للاله باسم الملك ٠







١٢٨ : المسطرة الحاسبة ، عصر الأهرامات أقدم مسطرة حاسبة ابتكرها المهندس المصرى القديم يمين وأسفل : موازين الخيط لاستعمالها فى بناء الحوائط والتخطيط .

وتوج أعماله باقامة مسلته المشهورة أمام المحراب والتى يبلغ ارتفاعها ٢٤ مترا، احتفالا بعيد السيـــد ٠

واشتهر سنوسرت عنخ بأنه يجمع بين العمارة وفنون النحت والتصوير ولذا فقد قام بنحت مجموعة من التماثيل للملك والمعبودات ، وأقام كثيرا منها فى معبد اون ، كما قام بترميم وزخرفة كثير من قاعاته وهياكله هدية من الملك لاله المعبد وكهنته ٠

١٠ مردى ١٩٥٠ ق٠م :

ثانى مهندسى الملك سنوسرت الأول ، وامتدت أعماله لتغطى حقبة طويلة من حكم ابنه الملك امنمحعت الثانى ٠ بينما تركزت أعمال سنوسرت عنخ فى مشروعات مبانى أون الدينية والتذكارية بجانب مبانى الحياة التى تشمل القصر الملكى والمبانى العامة والسكنية فقد تركزت أعمال مردى فى انشاء مجموعة سنوسرت الهرمية فى اللشت والمدافن الملكية فيما عدا مقبرة الملك التى شيدها سنوسرت عنخ بنفسه ٠

وقد عثر للمهندس مردى على لوحة فى حفريات اللشت نقش عليها « أمرنى الملك أن ابنى له مكانا أبديا يكون اسمه أعظم من روستاو (جبانة أهرام الجيزة) وأفخم من أى مكان فى المنطقة المقدسة العظيمة » ٠

كما وجدت له لوحة أخرى فى حفريات دهشور سجل عليها أنه قام باقامة مبنى خالد يقاوم الزمن ويعيش أبد الدهر بناء على أمر سيده ابن الالهة » مما يرجح أنه مهندس هرم امنمحعت الثانى بدهشور والمماثل فى طريقة انشائه وفن بنائه لهرم والده الملك سنوسرت الأول ٠

١١ ـ انتف ١٨٤٠ ق٠م :

مهندس الملك امنمحعت الثالث ـ ساهم فى منشآت مشروعات الرى الكبرى من بناء السدود والقناطر والجسور حول بحيرة قارون التى تحولت الى أعظم منطقة زراعية بعد تجفيف ٣٠ ألف فدان وتنظيم ريها وزراعتها ٠

وفى مقدمة أعماله الانشائية العظيمة اقامة هرم هوارة والمعبد الشرقى ذىالألف حجرة الذى أطلق عليه « هيرودوت » اسم « اللابرانت المصرى » تشبها بقصر اللابرانت الكريتى الشهير ٠

وقد أجمع كتاب الرومان والاغريق الذين رأوه أنه كان منقطع النظير ، وأنه كان يفوق المعابد المصرية جميعها من حيث عظمته ومساحته ونقوشه وتماثيله وعدد غرفه التى لا تحصى ، وكانت أموال قارون الاسطورية تحتل جزءا من خزائنه السرية ٠

١٢ ــ انينى ــ ١٥٢٥ ق٠م :

أشهر مهندسى الدولة الحديثة ــ ذكر عن نفسه « أن جلالة الملك تحتمس الأول قد اختاره مهندسا للبيت الملكى وقربه الى نفسه لأنه رجل مستقيم ذو قلب راض وفم رصين ينطق بالحق وبالحكمة » وانه يجمع بين فن البناء والعلوم المقدسة وكان كاتبا وأديبا وخبيرا فى الفلك والرياضيات ٠

ومن أعظم أعماله وأولها اكتشافه لمكان « وادى الملوك » الذى وصفه بأنه أصلح الأماكن الرحبة الغامضة ، أو الأرض المقدسة التى ستضم فى جوفها الصخرى مقابر فراعنة مصر فى عصرها الامبراطورى وخطط وسائل اخفاء المقابر وحمايتها من العابثين بمختلف وسائل التمويه ونظريات الانشاء التى تختلف من مقبرة الى اخرى والتى اتبعها خلفاؤه فى توزيع مقابر الملوك والأمراء فى مختلف العصور كما حدد موقع المعابد الجنائزية المرتبطة بالمقابر وصمم أول مقبرة للملك تحتمس نفسه محفورة فى جبل القرنة ٠ وأقام له الصرح الرابع بمعبد الكرنك وقاعة أعمدته الخشبية الجميلة٠

وكان لانينى دور هام فى حملة التعمير التى قام بها تحتمس الأول فى أوائل حكمه لاصلاح ما خربه الهكسوس من المعابد والمنشآت الرئيسية بالبلاد ٠

١٣ ــ سنموت ١٤٩٠ ق٠م :

من أشهر مهندسى الدولة الحديثة ــ استمد شهرته من قيامه ببناء معبد الدير البحرى الذى يعتبر من حيث اختيار موقعه أو جمال تصميمه من روائع الفن المصرى القديم ٠ وهو مهندس الملكة حتشبسوت وكان مقربا لديها بل ويشير بعض المؤرخين الى أنه كان يحبها ٠

وقد وصف نفسه بأنه « أعظم العظماء فى كافة البلاد وأنه ما من شىء منذ بدء الزمن لا يعرفه » لذا فقد كانت الملكة تستشيره فى أمور الدولة وجعلته مربيا لابنتها ووريثتها على العرش ٠ فأدار لحتشبسوت شئون الدولة الهندسية والفنية وكان مستشارها فى الشئون السياسية والدينية ٠

أما معبد الدير البحرى الذى يعتبره الكثير أنه من أعظم الاعمال المعمارية التى قام بها سنموت للملكة حتشبسوت فقد أنكر كثير من المؤرخين عليه أى ابتكار فى اقامة هذا المعبد ٠ ويقول الدكتور هول أن معبد حتشبسوت كان تقليدا محضا لمعبد منتوحوتب

الذى شيده المهندس « أرتى سن » قبله بستمائة عام ، كما أن موقع المعبد نفسه قام باكتشافه واختياره نفس المهندس .

أما أهم الأعمال التى قام بها سنموت فتشمل الجزء الذى أضافه فى معبد آمون رع فى الكرنك ، كما اشتهر على حد قوله باقامة أعظم المسلات ومنها مسلتى معبد الكرنك التى يفخر بأنه اقتطع كلتيهما من جرانيت محاجر أسوان ونقلهما على اطراف المراكب حتى مدينة الأقصر ، ومنها الى ساحة معبد الكرنك حيث اقامهما . ويبلغ ارتفاع كل منهما ٢٢ مترا من قطعة واحدة من الجرانيت الوردى وزنها ٢٢٠ طنا . ثم اقام عدة مسلات أخرى فى الدير البحرى ودليوبوليس . واقام سنموت خارج طيبة مجموعة من المعابد الصغيرة لمختلف الالهة الاقليمية لتحل محل المعابد التى هدمها الهكسوس . فابتكر طريقة جديدة لانشائها بواسطة حفرها فى الصخر على شكل كهوف حتى يصعب هدمها أو تخريبها . ومن بين المعابد التى اقامها بتلك الطريقة كهف أرتميدس للمعبود خنوم (الشيخ عمارة) ومعابد (حت من) التى حفرت فى صخور جبل بنى حسن للمعبودة بحت التى تمثل صورة لبؤة . ومعبد القوصية الذى هدمه الهكسوس فنحت سنموت « معبدا للتاسوع المقدس يقاوم الدهر ويغالبه » كما نحت معبدا مماثلا للمعبودة حتحور فى سينا .

وحفر سنموت لنفسه قبرا تحت معبد الدير البحرى يعد من التحف الفنية النادرة المثال ، أعظم من قبر الملكة نفسها وتدل شواهد الحال أنه لم يدفن فيه بعد وفاته حيث لقى نهايته الغامضة اسوة بمصير الملكة حتشبسوت نفسها .

مما هو جدير بالذكر ـ اهتمامه الزائد برسم صوره وبعضها رسمها أو حفرها بيده على معظم المبانى التى قام بانشائها اسوة بالملوك ، كما نقش صوره خلف أبواب جميع مقصورات الدير البحرى . وصنع لنفسه مجموعة من التماثيل المختلفة الأحجام والأشكال من البازلت والجرانيت والبرونز تزيد عما صنعه للملكة حتشبسوت أو لجميع أفراد الاسرة المالكة ـ ولا يخلو متحف من متاحف العالم من أحد تماثيله .

١٤ ـ امنحتب بن حابو ـ ١٣٦٠ ق.م :

مهندس الملك امنحتب الثالث ـ كانت أعماله ولمساته فى البناء عظيمة الحجم وتعتبر من مميزات عصر الامبراطورية . عاش ابن حابو ثمانين عاما فظهرت أول أعماله فى عهد تحتمس الثالث وامتدت الى أوائل حكم اخناتون ، وكان محبوبا لدى الملك امنحتب الثالث الذى قربه اليه وكرمه بمنحه مجموعة من الألقاب ، وقلده عدة مناصب وعينه مشرفا على جميع الأعمال فى أقليمى الوادى . وكافأه الملك فسمح له باقامة معبد لنفسه على غرار المعابد الملكية بالقرب من معبد الملك الجنائزى بالقرنة .

وكانت تؤدى لهذا المهندس العظيم الطقوس الدينية كما تؤدى للملوك تماما • وهى ما لم يحظ به مهندس قبله سوى ايمحوتب فى الدولة القديمة • وكان يحمل لقب « الكاتب الأول ومصدر الحكمة » ومن أقواله « تعمقت فى الأقوال القدسية وتزودت بكل أسرارها وكشفت عن كل فصولها • وأعتاد الناس على أن يستشيرونى فى كل أمورهم الدينية والدنيوية » •

وفى أحد النقوش على تمثال من تماثيله « ان أعماله المعمارية والفنية الخالدة لم يقلد فيها أحدا ممن سبقوه ولم يقلد نفسه فى كل عمل جديد يقوم بتشييده » •

قام بعدة منشآت فى كل من منف وطيبة والنوبة وسينا والسودان • ومن أعماله العظيمة المعبد الجنائزى لامنحتب الثالث بالقرب من طيبة وأقام أمامه تمثالين ضخمين وهما المعروفان باسم « تمثالى ممنون » وأقام عدة تماثيل أخرى للملك بمعبد الكرنك نفسه • أما تمثالا ممنون الذى يبلغ ارتفاع كل منهما ٢١ مترا فقد تم نحتهما فى محاجر الجبل الأحمر بهيليوبوليس لاقامتهما فى عين شمس • وتقربا لكهنة أمون فى طيبة فقد كلف الملك امنحتب مهندسه ابن حابو باقامة معبده الجنائزى فى طيبة ونقل التمثالين الضخمين لوضعهما أمام صرح المعبد • وقد نقش ابن حابو على التمثالين بعد نقلهما الى طيبة « صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوته من عين شمس الشمالية الى عين شمس الجنوبية » • وكان أول ما وضع فيه امنحتب بن حابو همه بناء على رغبة الملك « تجميل مدينة طيبة مهد أعظم آلهة الدولةوأعلاها كعبا » مما جعل طيبة تأخذ بنصيب الأسد من الثروة التى تدفقت على مصر من سورياوالنوبة ومختلف ارجاء الامبراطورية فأقام بها مجموعة من المعابد الفاخرة والقصور الشامخة التى لعب فيها فن ابن حابو دورا حيويا ، كما أقام عدة معابد للالهة المحلية فى كل من النوبة والسودان كما وصف ضمن أعماله أنه أقام عدة مسلات للملك فى هيليوبوليس وطيبة •

١٥ ــ من ــ ١٣٨٠ ق٠م :

ورد ذكره ضمن مهندسى امنحتب الثالث وامتد عمله الى عهد اخناتون ضمن مهندسى العمارنة • لم يستدل على أعماله الا ما ورد فى بعض برديات طيبة ونقوش العمارنة • من القابه الرئيسية « المهندس الأول المشرف على أعمال الجبل الأحمر » الذى كان له الفضل فى اكتشاف محاجره وقطع الاحجار لمعابد طيبة وتماثيلها • ومن بين القابه التى نقشت على احدى لوحات المعبد « رئيس النحاتين للاثار الملكية العظيمة» وانه قام بنحت التماثيل التى نقلها من الجبل الأحمر الى طيبة وهو ما يشير صراحة

الى تمثالى ممنون اللذين أقامهما ابن حابو أمام صرح المعبد الجنائزى . كذلك فى اقامة بعض المنشآت فى معبد طيبة وفى مدينة العمارنة ، والتى استعمل فيها حجر الجبل الأحمر بدلا من الأحجار المحلية بالمنطقة ليعطيها طابعا معماريا وزخرفيا مميزا فريدا فى نوعه .

١٦ – بك – ١٣٦٠ ق.م :

مهندس الملك اخناتون – أطلق عليه اسم « مهندس العمارنة » قام بثورة وانقلاب فى العمارة والفنون لازمت ثورة التوحيد التى قام بها اخناتون .

وصف بك ثورته بأنها تنبع من المبدأ الذى املاه عليه اخناتون نفسه ، الذى ينادى « بالمعيش فى الصدق والحقيقة » (عنخ ان ماعت) ذلك المبدأ الذى نادى بتحرير فن العمارة والبناء وما ارتبط به من مختلف الفنون الجميلة كالنحت والرسم والتصوير بل وامتدت لتشمل جميع فنون الحياة من موسيقى وأدب وشعر وعادات وتقاليد لتحررها من قيود الطرز والتقاليد التى تتقيد الى حد كبير بالعبودية الكهنوتية والطقوس التى تبعدها عن الحياة والواقع .

وقد ظهر أثر تلك الثورة فى الصور والتماثيل التى عملت للعائلة المالكة نفسها والتى صورت طبيعية وبدون تكلف أو تقيد . من أشهر الأعمال التى قام بها المهندس بك لتحقيق تلك الثورة التى بدأها بتخطيط مدينة أخت أتون . وتعتبر أول محاولة فى تخطيط المدن وتاريخها لما أطلق عليه التخطيط الحر والخروج بالمدينة من اطار التخطيط الهندسى الزخرفى الجامد الى التخطيط الحر المرن للمدينة واحيائها وخدماتها ومرافقها لتفى بمطالب « مجتمع الاحياء » كما وصفها . وقام « بك » فى نفس الوقت بتصميم احياء المدينة ومساكنها وقصورها ومعبد اله التوحيد ومختلف الاسواق والمبانى الادارية . وقد تم تخطيط المدينة وتنفيذها فى سنتين . وأقام « بك » حول المدينة مجموعة من المصانع لاعداد وتحضير مواد البناء ومهمات الانشاء ومختلف أنواع التجارة والتركيبات والتأثيث والزخرفة ، وساهم فى ادارتها عمال المدينة كما ساهم السكان فى أعمال البناء نفسها سواء فى بناء المساكن ، أو التجار فى بناء الأسواق ، أو الموظفين فى بناء المكاتب تحت اشراف « بك » ومساعديه الذين يدربون المواطنين ، والعمال على أعمال البناء .

وظهر بفضل تلك التجارب أول النظام للاسكان الجاهز والوحدات الجاهزة المتماثلة . وتعد تجربة مدينة العمارنة أول مدينة فى العالم يتحقق تنفيذها بنظام اشتراكى بمجهود سكانها .

وقد ساهم فى تلك الثورة الفنية المهندس « من » مهندس الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون ، فنحت عددا كبيرا من التماثيل للملك اخناتون ونفرتيتى والملكة الأم

« تى » كما زين قصور اخناتون ومعبد الاله الواحد بالعديد التى اللوحـــات الفنية والنقوش والزخارف التى تمثل انقلابا فى الفنون التشكيلية بأنواعها حاكت فيها الطبيعة الحية بحركتها وألوانها وسحرها ٠

١٧ ـ باكن خونسو ـ ١٣٠٠ ق٠م :

مهندس الملك سيتى الأول ، كان له طابعه الخاص والمميز وخاصة فى تشييد المعابد ٠ فشيد معبد ابيدوس للمعبود أوزير والذى يعتبر درة من درر المعابد المصرية بالعرابة المدفونة ٠

والمعبد الجنائزى بالقرنة فى طيبة الغربية ٠ وأقام بها مقبرة سيتى الأول التى تعد من أروع مقابر وادى الملوك ٠ ومن أعظم أعماله فى معبد الكرنك قاعة العمـــد العظمى ٠ ومن بين أعماله التى قام بها الملك سيتى تنظيم دير المدينة ومقابرها وكان له بها مكتب فنى به مجموعة من الفنانين والمثالين يشرف على أعمالهم أحـــد مهندسيه المدعـو « نب زفا » ٠

١٨ المهندس « خا » ـ ١٣٢٠ ق٠م :

أحد مهندسى طيبة العظام ٠ باشر أعماله فى عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ٠ اكتشفت مقبرته فى طيبة وبها تمثاله الخشبى فى زيه الرسيمى وهو يحمل وسام الدولة ويزين صوره بقلادة اللوتس ـ ويعتبر ذلك التمثال المحفوظ بمتحف تورين من القطع الفنية النادرة ٠٠

وتشير اللوحة التى وجدت بمقبرته أنه كان كبير مهندسى طيبة والمشرف على تنسيق عمارة معبد أمون بالكرنك ٠ ولم تنسب أعماله لأى من ملوك الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ٠ وتشير القابه الى أنه كان يحمل درجات كهنوتية رفيعة بجانب القابه الهندسية ٠ كما يؤكد بعض المؤرخين من طريقة صنع تمثاله وما وجد فى مقبرته من مخلفات فنية أنه من بين مهندسى العمارنة ، أو بدأت دراسته وخبرته الفنية بها ٠

١٩ ـ ماعى بن باكن أمون ـ ١٢٨٠ ق٠م :

لقد فاقت انشاءات رعمسيس الثانى ـ خلال حكمه الذى استمر ما يقرب من السبعين سنة ـ ما شيده أى ملك آخر من حيث العدد والحجم سواء ما شيده على طول الوادى أو خارج حدود مصر ٠

وفى مقدمة تلك الأعمال انشاء مدينة « بررعمسو » بشمال الدلتا لتصبح عاصمة للبلاد بدلا من طيبة ٠

وقد سجل التاريخ اسم أكثر من مهندس ممن اسندت اليهم تلك الاعمال العظيمة المختلفة الموقع والطابع فى مقدمتهم المهندس « ماعى بن باكن أمون » وينسب اليه تخطيط وتعمير « مدينة بر رعمسو » العاصمة الجديدة ، فى الموقع الذى اختاره لها الملك بنفسه وأقام فى وسطها معبدا للاله رع وصف بأنه كان من أضخم المعابد المصرية وأصبحت مدينة « بررعمسو » بعد فترة وجيزة مركزا للحضارة والفنون تعادل فى ذلك أكبر مراكز مصر العليا العريقة ٠

وقام المهندس ماعى بالمنشآت العظيمة التى كلفه رعمسيس الثانى باقامتها فى هيليوبوليس (أون) تقربا لكهنتها بعد نقل عاصمته من طيبة الى القرب من أون وشيد بها معابد لكل من رع وبتاح ٠ كما أقام الحائط العظيم حول المدينة لحماية معابدها من غارات الغزو التى تأتى من الصحراء الشرقية ٠

وقد وصف ماعى نفسه فى احدى اللوحات بأنه أشهر من بنى بالجرانيت حيث كان يقوم بقطعه من أسوان وينقله الى مختلف المنشآت التى يقوم بتشييدها ٠

٢٠ ــ رعمسيس عشاحب ــ ١٢٥٠ ق٠م :

مهندس معبد أبو سمبل أعظم بناء ضخم فى زمانه ٠ نحت بأكمله فى صخر الجبل ليحوله الى صرح معمارى منقطع النظير يضع مهندسه « عشا حب » على رأس قائمة مهندسى الدولة الحديثة العظام ، ويضع مبناه بين عجائب الدنيـــا فى تاريخ العمارة القـــديم ٠

يمتاز أكبر المعبدين بواجهته التى يجلس أمامها أربعة تماثيل لرعمسيس الثانى منحوتة فى صخر الجبل ارتفاع كل منها عشرون مترا ٠ شيد رعمسيس الثانى معبده الكبير لالهى الوادى أمون رع رب طيبة ٠ وحور اختى رب أون ٠

أما المعبد الثانى فللمعبودة « حتحور » ربة الجمال ، والملكة نفرتارى زوجة رعمسيس ٠

وقد سمح رعمسيس الثانى لمهندسه أن يحفر لنفسه لوحة ونقشا على جدران المعبد تخليدا لعمله ــ ويظهر فيها المهندس « عشاحب » منحنيا أمام الملك وهو يتلقى منه التعليمات « أن يأتى بما لم يأت أحد من قبل بمثله ، وأن يصنع الأعمال الممتازة ليشيد معبدا وصرحا لالهى طيبة وهيليوبوليس ٠ بيتا يعيش ألف ألف سنة يحتفظ به جبل « حا » فى قلبه ٠ ويستقبل نور الاله فى كل شروق » ٠

وفى لوحة أخرى يذكر المهندس « أنه احضر لعمله جمعا غفيرا من العمال ممن استولى عليهم جلالته بسيفه » وهو ما يشير الى تسخير أسرى الحرب فى مشروعات التعميـــر ٠

٢١ ـ بارامسو ـ ١٢٦٠ ق٠م :

اشترك مع « ثونورى » المشرف على كل الاثار الملكية فى مشروعات مدينة طيبة التى قام بها رعمسيس الثانى وفى مقدمتها تكملة بهو الأعمدة الضخم بمعبد الكرنك والتى بدأها الملك سيتى الأول ٠ ثم تشييد معبد الرماسيوم الجنائزى غرب طيبة ٠

واشترك معهما مهندس آخر لقب « بمدير أعمال البرجين » اسمه امنمايت يرجح انه اشترك فى الأعمال العسكرية الخاصة بالقلاع والحصون التى اقامها رعمسيس الثانى أثناء معاركه داخل حدود البلاد وخارجها ٠

٢٢ ـ خنوم ايب رع ٤٩٥ ق٠م :

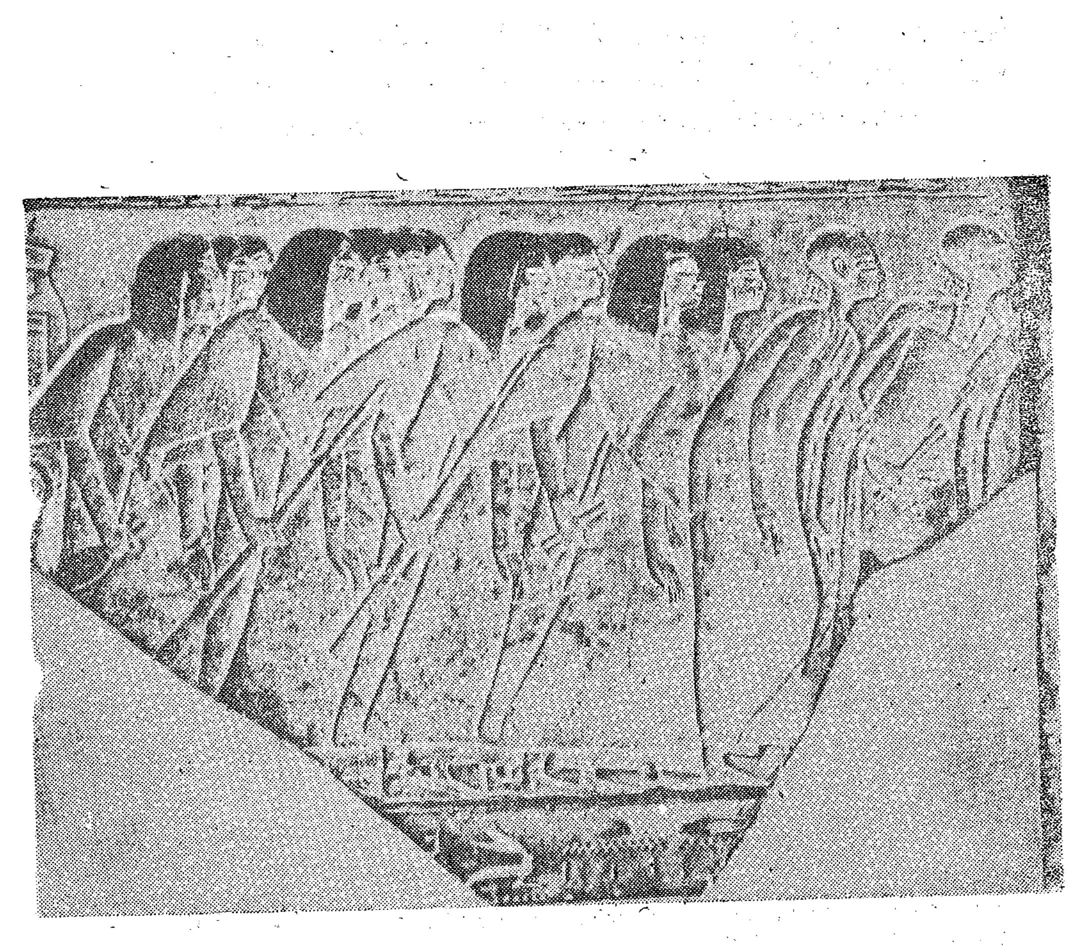
لقد ورد فى وثائق مؤرخى العصر المتأخر أسماء عدد من المهندسين لم يذكر شىء عما قاموا به من أعمال معمارية عظيمة أو محددة ٠ ومن أشهرها اسم المهندس « خنوم ايب رع » الذى لم يرد فى الوثائق شىء خاص به وبأعماله سوى القابه الملكية والكهنوتية وأنه من أسرة جميعها من المهندسين ٠ ويمتد نسبه الى كانوفر ـ أب المهندسين وابنه ايمحوتب ٠

وقد اكتشف العلامة بروجش أسرة تعاقبتها اثنتان وعشرون سلالة كلها من المهندسين بدايتها فى عهد سيتى ونهايتها فى عهد دارا الفارسى ٠

٢٣ ـ تانهرى :

ان كنا قد ذكرنا اسماء المهندسين المعماريين الذين قاموا بتخطيط المدن ـ الذى عرفته مصر من قبل الأسرات وصدرت نظريات للعالم أجمع كما هو الحال فى العمارة ونظرياتها وقواعدها ـ فلا يجب أن نتجاهل اسم المهندس تانهرى مهندس الملك سنوسرت الأول الذى أرسلته مصر عام ١٩٨٠ ق٠م لاعادة تخطيط مدينة بيبلوس بعد أن هدمها الزلزال لتكون هدية مصر أم الحضارة الى أهل فينيقيا ٠

فتخطيط المدن ٠٠ فى بناء الحضارة لا يقل أهمية عن العمارة نفسها ٠ وهو ما سيكون موضوع بحث خاص مماثل حول مهندسى الفراعنة ودورهم فى بناء الحضارة العالمية ٠



١٣١ : مجلس المهندسون فى احتفالات جامعة أون ·
عين شمس أول جامعة عرفها التاريخ

المدن المصرية منذ فجر التاريخ وتطور الحضارات

— الانسان المصرى والبيئة ٠
— الرموز للمدن القديمة ٠
— مدن الحوائط البيضاء ٠
— حضارات مصر السفلى ٠
— حضارات مصر العليا ٠
— تطور الحضارات الأولى ٠

● الانسان المصرى والبيئة :

بدراسة تاريخ تخطيط المدينة نرى كيف نشأت منذ أقدم العصور وكيف تطورت بتطور العوامل المختلفة ــ الثابتة منها والمتغيرة ــ التى نراها فى تطور الانسان وتطور عقائده ، وتفكيره السياسى والصناعى ، ووسائل الحرب ، واحتياجاته المختلفة ٠٠ وهذه الدراسة المرتبطة بتاريخ مدننا تمكننا من الوصول الى نظريات يمكن أن نبنى عليها تخطيط المدينة الحديثة بحيث تلائم طبيعة الانسان المصرى المعاصر ، ويمكن تطبيقها على أسس علمية تخدم احتياجاتنا ولا تتعارض مع مثالياتنا وطبعائنا الموروثة منذ آلاف السنين ٠

ولما كانت الحضارة دائما فى جميع مظاهرها تكون نتيجة لتفاعل الانسان مع البيئة ، كان من البديهى أن يخضع المصرى القديم فى نواحى نشاطه المختلفة لاتجاهات معينة فرضتها عليه البيئة والعوامل التى تسيطر على الوطن الذى يعيش فيه ٠ فالنيل الذى يرى فيه أهم مظاهر حياته ، يمتد من الجنوب الى الشمال فى واد طويل ضيق ينتهى الى دلتا فسيحة نسبيا قبل أن يصب فى البحر الأبيض المتوسط ٠٠٠ وهكذا نجد أن مصر تنقسم الى قسمين مختلفين : القسم الأول وهو واد ضيق فى الجنوب ويعرف بالصعيد أو مصر العليا ٠٠ والقسم الثانى وهو الدلتا الفسيحة فى الشمال تعرف باسم مصر السفلى ٠ وتحف الصحارى الشرقية والغربية الواسعة مصر بأكملها من الجانبين ، ولكنها تحف بالوادى الضيق فى الجنوب بحيث يمكن للانسان أن يقف باحدى قدميه على الأرض المنزرعة وبالأخرى على الأرض الصحراوية اذ أن الانتقال بينهما هناك فجائى ولا تدرج فيه ٠ وتلى الصحارى فى هذا القسم ــ شرقا وغربا ــ سلاسل من التلال قليلة الارتفاع وتمتد بطول الوادى تقريبا ، وان كانت فى بعض الأحيان تقترب من الوادى بل وتغير عليه بحيث تصبح مشرفة على النهر تماما ٠ أما فى الدلتا فان الوادى كان متسعا ولكن كانت المستنقعات الكثيرة تتخلله ، ولذا كانت الأراضى الزراعية فيها أقل كثيرا مما هى عليه الآن ٠

وقد جاهد المصرى فى توصيل مياه النهر وفيضانه الى كل شبر يمكن استغلاله فى الزراعة ، ومع ذلك فانه كان يخشى خطر الفيضان ويتجنب الاقامة فى البقاع التى يكتسحها ٠٠ أى أن الحاجة إلى أقل مساحة من الأرض الطميية الثمينة ، والرغبة فى تحاشى مياه الفيضان ، كانت تتحكم فى مواقع المدن ومراكز تجمع السكان حيث نشأت على حافة الصحراء كلما أمكن ذلك ٠ ومن جهة أخرى كانت بعض الاعتبارات الأخرى ، السياسية والعسكرية وغيرها ، سببا فى نشأة عدد من المدن فى الوادى نفسه بين الأراضى الزراعية ٠ وكان من جراء ارتفاع منسوب الوادى باضطراد أن دفنت عدة مراكز أخرى عامرة بالسكان بصفة دائمة ، فكانت المنازل الجديدة تبنى على أنقاض القديم منها حتى أصبحت المدن قائمة على تلال مرتفعة ، ولا بد أن كثيرا من القرى المصرية والمدن الحالية قد بنى على أنقاض محلات قديمة ٠٠٠ وهكذا نجد أن المدن القديمة كانت تواجه دائما مشكلة الفضاء المناسب كى تمتد فى مساحتها أو تنقل خارج حدودها ، وربما كان التغلب على هذه المشكلة ميسورا بعض الشئ فى مصر العليا حيث يكون التوسع فى اتجاه الصحراء أو الهضاب المجاورة ، أما فى الدلتا فان المستنقعات كانت تجعل مثل هذا الحل متعذرا ، ولذا نجد النصوص المصرية القديمة تشير الى القرى فى مصر العليا بينما هى تشير فى الوقت نفسه الى المدن المرتفعة فى مصر السفلى ٠

الرسوم الرمزية للمدن القديمة (*) :

وهناك بعض الأمثلة المرسومة للمدن القديمة فى عصر ما قبل الأسرات توضح لنا شكل السور المبنى حول المدينة ، كما نرى فى اللوحة المحفوظة بالمتحف المصرى والمعروفة باسم « لوحة المدائن » ٠ ونرى على أحد وجهى الجزء الباقى من هذه اللوحة رسما لأشكال المدن القديمة وبداخلها رموز لبعض المبانى أو المعابد للالهة المحلية ، كما نرى بوضوح شكل الأسوار المحيطة بتلك المدن وهى على شكل أسوار ذات حوائط ساندة أو دعامات ٠ كما أن ضخامة تلك الأسوار تدل على قوة السور لتحصين المدينة ٠ ونلاحظ أعلى تلك الأسوار آلهة مختلفة تحاول هدمها وذلك للاستيلاء عليها بالطريقة التى كانت تتبع فى تلك العهود بأن يلقى على الحائط كميات من الماء ليساعد على تفكك الطوب النيىء المصنوع من طمى النيل الذى بنيت به الأسوار ٠٠ وبعد ذلك يسهل نقبها باستعمال المعاول التى نراها فى أيدى الالهة ٠ وكذلك يوجد فى متحف اللوفر بباريس لوحة الثور ، وعلى أحد وجهيها رسما لسور مدينة أو حصن مماثل لطريقة التعبيـــر ٠

وتثبت لوحة « نعرمر » المحفوظة بالمتحف المصرى أن شكل المدينة المصرية ذات

(*) كتاب تخطيط المدن وتاريخه للدكتور محمد حماد ٠

الأسوار المبنية من الطوب النيىء أو اللبن استمرت من عهود ما قبل التاريخ بشكلها القديم حتى عهد « نعرمر » فى بداية الأسرة الأولى ٠٠٠ الا أن حكم هذا الملك كان له أثر فى تطوير التخطيط وبناء أسوار المدينة ٠ ولشرح هذه النقطة يجمل أن نشرح النقوش على وجهتى اللوحة ٠

فالوجه الأول نرى عليه حرب التوحيد بين الوجهين (القبلى والبحرى) ٠ وقد نحت على اللوحة بالحفر البارز رسوم يمكن تفسيرها اذا نظرنا الى اللوحة من أعلا ، حيث نرى منظرا يتوج اللوحة ، على شكل رأس الالهة « حتحور » على الجانبين ٠ ونرى فى الوسط شكلا يمثل رسم القصر الملكى وفى داخله اسم الملك « نعرمر » للتعبير عن أن الآلهة « حتحور » تحمى القصر أو الملك الحاكم الموجود بداخله ٠ وفى وسط اللوحة نرى الملك حاملا تاج الوجه القبلى الأبيض وهو واقف وفى يمناه دبوس القتال يضرب به عدوه « واش » الذى يقبض عليه بيده اليسرى ، وقد كتب اسم « واش » بجوار رأسه ٠ ونرى أمام الملك رسما رمزيا يبين الاله « حورس » وهو يقبض على زمام الوجه البحرى (أرض نبات البردى) ، ويجوز أن يدلنا ذلك على معاونة الاله « حورس » للملك على اخضاع أرض الوجه البحرى ، اذ أن شكل « حورس » هنا قد قصد به الملك نفسه لأنه كان يلقب بحورس ٠٠ وخلف الملك نرى رسم رجل يحمل نعلى الملك، وفى السطر الذى بأسفل قدمى الملك نرى اثنين من الأعداء فى حالة فزع وهروب ، خوفا من حصن الملك القوى ، أو مدينته المحصنة للدلالة على قوة الملك وتحصين بلاده ضد الأعداء لدرجة أنهم يهربون فزعا ٠

● مدن الحوائط البيضاء :

الا أن ما يهمنا فى هذا الرسم هو شكل الحصن أو المدينة المحصنة الموجود فى السطر الأخير ، اذ أننا نعلم أن الملك بنى عاصمته الجديدة «مدينة السور الأبيض»، وهى مدينة محصنة بسور كالمدن المصرية القديمة كما سبق أن شرحنا ٠٠ الا أن الشكل المربع واسم الحائط الأبيض يدعونا الى التفكير بأن المدينة بنيت من مادة جديدة غير مادة الطين أو الطوب النيىء وهى مادة الحجر الجيرى الأبيض التى كسيت بها واجهة الجدار الخارجية فكانت النتيجة أن اكتسب البناء لونه الأبيض الذى عرف به ، واكتسب شكله المستطيل ، كما أن الأعداء وجدوا فى هذه المادة الجديدة تحصينا قويا للسور فلم يعمدوا الى نقبه بالمعاول بعد القاء كمية من الماء عليه ، بل فروا منه هاربين ٠

أما الوجه الثانى من اللوحة ، فترى فيه بقية القصة تحت رأس الالهة « حتحور» ورمز القصر المكتوب عليه اسم الملك كالوجه ٠ويبدأ المنظر فى الصف العلوى برسم لنعرمر بعد أن انتصر وهو يلبس تاج الوجه البحرى الأحمر ، دلالة على تمام النصر واستيلائه على تاج الشمال ، ويقف من خلفه حامل نعليه بينما نرى أمامهما استعراضا عسكريا للاحتفال بالنصر ، نرى فيه الوزير وأمامه حملة الأعلام ممثلين لألوية الجيش

المختلفة من المقاطعات التى ساعدت الملك فى حرب التحرير واشتركت فى القتال ، ومن أمامهم جثث ضحايا المعركة ٠

وفى أسفل هذا المنظر ٠٠٠ رسم رمزى يمثل رجلين ملتحين بشكل « نعرمر » يقبضان على حيوانين خرافيين بشكل الأسد ، وقد استطالت رقبتاهما وتعانقتا فى شكل دائرة ، ونظن أن فى ذلك ما يرمز لقوة الشمال وقوة الجنوب ، بعد أن اتحدتا وقبض على زمام الوجهين « نعرمر » نفسه ، مما يدل على استتباب الأمن فى يده ٠

وفى آخر اللوحة منظر ثور (قد يكون رمزا للملك الذى كان يطلق عليه اسم الثور القوى) وهو يهدم بقرنيه أسوار احدى مدن الأعداء المحصنة أو أحد حصونهم بينما يطأ بقدميه عدوا له ، وذلك للدلالة على أن الملك قد قضى على الثوار داخل البلاد التى أرادت أن تقاوم هذا الاتجاه الوحدوى الذى حققه للبلاد ٠

ويهمنا أن نلاحظ فى رسوم هذا الوجه شكل سوار المدينة فى السطر الأخير وهى فى شكل بيضاوى ، أى من الطين ، وذلك قد سهل على الملك (المرسوم فى شكل ثور) أن يكسرها بقرنه الذى يرمز الى المعول أو الفأس ٠ وكان تستعمله الآلهة المحلية فى كسر أسوار المدن ٠

● بردية وادى الحمامات أول تخطيط لموقع :

ومن أهم الرسوم التخطيطية فى مصر القديمة ، رسم على بردية محفوظة فى متحف تورين بايطاليا ، وهو يبين أقدم تخطيط عرف حتى الآن لرسم الموقع ونلاحظ على الرسم بيانا للطريق الذى يصل مصر بوادى الحمامات الحالى ثم يتجه شرقا الى مناجم الذهب التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت ٠ وقد بقى من هذه الوثيقة الفريدة بعض قطع صغيرة توضح موقع مناجم الذهب بالنوبة على الجبال المحيطة بواديين يصل بينهما واد ثالث مستعرض ملتو وقد وضع على الخريطة كذلك موقع بركة الماء على البئر التى حفرها « سيتى الأول » وكذلك جزء من الأرض المنزرعة حول الماء وبجوارها مدينة لسكن العمال فى الودى ٠

ولو أن هذا التخطيط يمكن أن نعده أول تخطيط فى رسوم المدينة للعمال عثر عليه فى العالم ٠٠٠ الا أننا يمكن أن نرى بعض الأمثلة للمدن القديمة فى حضارات ما قبل التاريخ المكتوب ، ويهمنا أن نستعرضها هنا حتى نرى صورة من التخطيط الذى بنيت على أساسه مدنيات العالم القديم ٠

« تى » كما زين قصور اخناتون ومعبد الاله الواحد بالعديد التى اللوحـــات الفنية والنقوش والزخارف التى تمثل انقلابا فى الفنون التشكيلية بأنواعها حاكت فيها الطبيعة الحية بحركتها وألوانها وسحرها ٠

١٧ ـ باكن خونسو ـ ١٣٠٠ ق٠م :

مهندس الملك سيتى الأول ، كان له طابعه الخاص والمميز وخاصة فى تشييد المعابد ٠ فشيد معبد ابيدوس للمعبود أوزير والذى يعتبر درة من درر المعابد المصرية بالعرابة المدفونة ٠

والمعبد الجنائزى بالقرنة فى طيبة الغربية ٠ وأقام بها مقبرة سيتى الأول التى تعد من أروع مقابر وادى الملوك ٠ ومن أعظم أعماله فى معبد الكرنك قاعة العمـــد العظمى ٠ ومن بين أعماله التى قام بها الملك سيتى تنظيم دير المدينة ومقابرها وكان له بها مكتب فنى به مجموعة من الفنانين والمثالين يشرف على أعمالهم أحـــد مهندسيه المدعـو « نب زفا » ٠

١٨ المهندس « خا » ـ ١٣٢٠ ق٠م :

أحد مهندسى طيبة العظام ٠ باشر أعماله فى عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ٠ اكتشفت مقبرته فى طيبة وبها تمثاله الخشبى فى زيه الرسمى وهو يحمل وسام الدولة ويزين صوره بقلادة اللوتس ـ ويعتبر ذلك التمثال المحفوظ بمتحف تورين من القطع الفنية النادرة ٠٠

وتشير اللوحة التى وجدت بمقبرته أنه كان كبير مهندسى طيبة والمشرف على تنسيق عمارة معبد أمون بالكرنك ٠ ولم تنسب أعماله لأى من ملوك الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ٠ وتشير القابه الى أنه كان يحمل درجات كهنوتية رفيعة بجانب القابه الهندسية ٠ كما يؤكد بعض المؤرخين من طريقة صنع تمثاله وما وجد فى مقبرته من مخلفات فنية أنه من بين مهندسى العمارنة ، أو بدأت دراسته وخبرته الفنية بها ٠

١٩ ـ ماعى بن باكن أمون ـ ١٢٨٠ ق٠م :

لقد فاقت انشاءات رعمسيس الثانى ـ خلال حكمه الذى استمر ما يقرب من السبعين سنة ـ ما شيده أى ملك آخر من حيث العدد والحجم سواء ما شيده على طول الوادى أو خارج حدود مصر ٠

وفى مقدمة تلك الأعمال انشاء مدينة « بررعمسو » بشمال الدلتا لتصبح عاصمة للبلاد بدلا من طيبة ٠

وقد سجل التاريخ اسم أكثر من مهندس ممن اسندت اليهم تلك الاعمال العظيمة المختلفة الموقع والطابع فى مقدمتهم المهندس « ماعى بن باكن أمون » وينسب اليه تخطيط وتعمير « مدينة بر رعمسو » العاصمة الجديدة ، فى الموقع الذى اختاره لها الملك بنفسه وأقام فى وسطها معبدا للاله رع وصف بأنه كان من أضخم المعابد المصرية وأصبحت مدينة « بررعمسو » بعد فترة وجيزة مركزا للحضارة والفنون تعادل فى ذلك أكبر مراكز مصر العليا العريقة ٠

وقام المهندس ماعى بالمنشآت العظيمة التى كلفه رعمسيس الثانى باقامتها فى هيليوبوليس (أون) تقريبا لكهنتها بعد نقل عاصمته من طيبة الى القرب من أون وشيد بها معابد لكل من رع وبتاح ٠ كما أقام الحائط العظيم حول المدينة لحماية معابدها من غارات الغزو التى تأتى من الصحراء الشرقية ٠

وقد وصف ماعى نفسه فى احدى اللوحات بأنه أشهر من بنى بالجرانيت حيث كان يقوم بقطعه من أسوان وينقله الى مختلف المنشآت التى يقوم بتشييدها ٠

٢٠ ـ رعمسيس عشاحب ـ ١٢٥٠ ق٠م :

مهندس معبد أبو سمبل أعظم بناء ضخم فى زمانه ٠ نحت بأكمله فى صخر الجبل ليحوله الى صرح معمارى منقطع النظير يضع مهندسه « عشا حب » على رأس قائمة مهندسى الدولة الحديثة العظام ، ويضع مبناه بين عجائب الدنيـــا فى تاريخ العمارة القـــديم ٠

يمتاز أكبر المعبدين بواجهته التى يجلس أمامها أربعة تماثيل لرعمسيس الثانى منحوتة فى صخر الجبل ارتفاع كل منها عشرون مترا ٠ شيد رعمسيس الثانى معبده الكبير لالهى الوادى أمون رع رب طيبة ٠ وحور اختى رب أون ٠

أما المعبد الثانى فللمعبودة « حتحور » ربة الجمال ، والملكة نفرتارى زوجة رعمسيس ٠

وقد سمح رعمسيس الثانى لمهندسه أن يحفر لنفسه لوحة ونقشا على جدران المعبد تخليدا لعمله ـ ويظهر فيها المهندس « عشاحب » منحنيا أمام الملك وهو يتلقى منه التعليمات « أن يأتى بما لم يأت أحد من قبل بمثله ، وأن يصنع الأعمال الممتازة ليشيد معبدا وصرحا لالهى طيبة وهيليوبوليس ٠ بيتا يعيش ألف ألف سنة يحتفظ به جبل « حا » فى قلبه ٠ ويستقبل نور الاله فى كل شروق » ٠

وفى لوحة أخرى يذكر المهندس « أنه احضر لعمله جمعا غفيرا من العمال ممن استولى عليهم جلالته بسيفه » وهو ما يشير الى تسخير أسرى الحرب فى مشروعات التعميـــــر ٠

٢١ ـ بارامسو ـ ١٢٦٠ ق٠م :

اشترك مع « ثونورى » المشرف على كل الاثار الملكية فى مشروعات مدينة طيبة التى قام بها رعمسيس الثانى وفى مقدمتها تكملة بهو الأعمدة الضخم بمعبد الكرنك والتى بدأها الملك سيتى الأول ٠ ثم تشييد معبد الرماسيوم الجنائزى غرب طيبة ٠

واشترك معهما مهندس آخر لقب « بمدير أعمال البرجين » اسمه امنمايت يرجح انه اشترك فى الأعمال العسكرية الخاصة بالقلاع والحصون التى اقامها رعمسيس الثانى أثناء معاركه داخل حدود البلاد وخارجها ٠

٢٢ ـ خنوم ايب رع ٤٩٥ ق٠م :

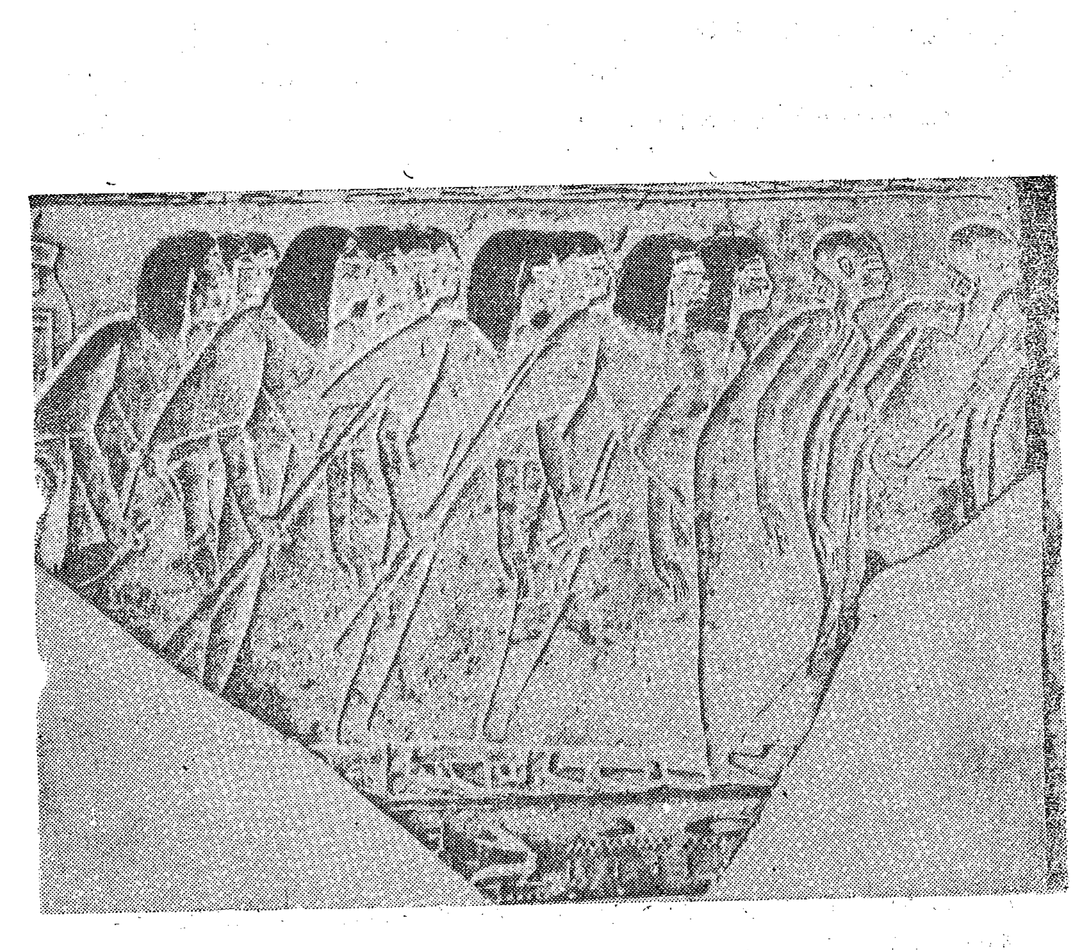
لقد ورد فى وثائق مؤرخى العصر المتأخر أسماء عدد من المهندسين لم يذكر شيء عما قاموا به من أعمال معمارية عظيمة أو محددة ٠ ومن أشهرها اسم المهندس « خنوم ايب رع » الذى لم يرد فى الوثائق شيء خاص به وبأعماله سوى القابه الملكية والكهنوتية وأنه من أسرة جميعها من المهندسين ٠ ويمتد نسـبه الى كانوفر ـ أب المهندسين وابنه ايمحوتب ٠

وقد اكتشف العلامة بروجش أسرة تعاقبتها اثنتان وعشرون سلالة كلها من المهندسين بدايتها فى عهد سيتى ونهايتها فى عهد دارا الفارسى ٠

٢٣ ـ تانهرى :

ان كنا قد ذكرنا اسماء المهندسين المعماريين الذين قاموا بتخطيط المدن ـ الذى عرفته مصر من قبل الأسرات وصدرت نظريات للعالم أجمع كما هو الحال فى العمارة ونظرياتها وقواعدها ـ فلا يجب أن نتجاهل اسم المهندس تانهرى مهندس الملك سنوسرت الأول الذى أرسلته مصر عام ١٩٨٠ ق٠م لاعادة تخطيط مدينة بيبلوس بعد أن هدمها الزلزال لتكون هدية مصر أم الحضارة الى أهل فينيقيا ٠

فتخطيط المدن ٠٠ فى بناء الحضارة لا يقل أهمية عن العمارة نفسها ٠ وهـو ما سيكون موضوع بحث خاص مماثل حول مهندسى الفراعنـة ودورهم فى بنـاء الحضارة العالمية ٠



١٣١ : مجلس المهندسون فى احتفالات جامعة أون ٠
عين شمس أول جامعة عرفها التاريخ

المدن المصرية منذ فجر التاريخ وتطور الحضارات

٢ / ٢

— الانسان المصرى والبيئة ٠
— الرموز للمدن القديمة ٠
— مدن الحوائط البيضاء ٠
— حضارات مصر السفلى ٠
— حضارات مصر العليا ٠
— تطور الحضارات الأولى ٠

● الانسان المصرى والبيئة :

بدراسة تاريخ تخطيط المدينة نرى كيف نشأت منذ أقدم العصور وكيف تطورت بتطور العوامل المختلفة ـ الثابتة منها والمتغيرة ـ التى نراها فى تطور الانسان وتطور عقائده ، وتفكيره السياسى والصناعى ، ووسائل الحرب ، واحتياجاته المختلفة ٠٠ وهذه الدراسة المرتبطة بتاريخ مدننا تمكننا من الوصول الى نظريات يمكن أن نبنى عليها تخطيط المدينة الحديثة بحيث تلائم طبيعة الانسان المصرى المعاصر ، ويمكن تطبيقها على أسس علمية تخدم احتياجاتنا ولا تتعارض مع مثالياتنا وطبعائنا الموروثة منذ آلاف السنين ٠

ولما كانت الحضارة دائما فى جميع مظاهرها تكون نتيجة لتفاعل الانسان مع البيئة ، كان من البديهى أن يخضع المصرى القديم فى نواحى نشاطه المختلفة لاتجاهات معينة فرضتها عليه البيئة والعوامل التى تسيطر على الوطن الذى يعيش فيه ٠ فالنيل الذى يرى فيه أهم مظاهر حياته ، يمتد من الجنوب الى الشمال فى واد طويل ضيق ينتهى الى دلتا فسيحة نسبيا قبل أن يصب فى البحر الأبيض المتوسط ٠٠٠ وهكذا نجد أن مصر تنقسم الى قسمين مختلفين : القسم الأول وهو واد ضيق فى الجنوب ويعرف بالصعيد أو مصر العليا ٠٠ والقسم الثانى وهو الدلتا الفسيحة فى الشمال تعرف باسم مصر السفلى ٠ وتحف الصحارى الشرقية والغربية الواسعة مصر بأكملها من الجانبين ، ولكنها تحف بالوادى الضيق فى الجنوب بحيث يمكن للانسان أن يقف باحدى قدميه على الأرض المنزرعة وبالأخرى على الأرض الصحراوية اذ أن الانتقال بينهما هناك فجائى ولا تدرج فيه ٠ وتلى الصحارى فى هذا القسم ـ شرقا وغربا ـ سلاسل من التلال قليلة الارتفاع وتمتد بطول الوادى تقريبا ، وان كانت فى بعض الأحيان تقترب من الوادى بل وتغير عليه بحيث تصبح مشرفة على النهر تماما ٠ أما فى الدلتا فان الوادى كان متسعا ولكن كانت المستنقعات الكثيرة تتخلله ، ولذا كانت الأراضى الزراعية فيها أقل كثيرا مما هى عليه الآن ٠

وقد جاهد المصرى فى توصيل مياه النهر وفيضانه الى كل شبر يمكن استغلاله فى الزراعة ، ومع ذلك فانه كان يخشى خطر الفيضان ويتجنب الاقامة فى البقاع التى يكتسحها ٠٠ أى أن الحاجة الى أقل مساحة من الأرض الطميية الثمينة ، والرغبة فى تحاشى مياه الفيضان ، كانت تتحكم فى مواقع المدن ومراكز تجمع السكان حيث نشأت على حافة الصحراء كلما أمكن ذلك ٠ ومن جهة أخرى كانت بعض الاعتبارات الأخرى ، السياسية والعسكرية وغيرها ، سببا فى نشأة عدد من المدن فى الوادى نفسه بين الأراضى الزراعية ٠ وكان من جراء ارتفاع منسوب الوادى باضطراد أن دفنت عدة مراكز أخرى عامرة بالسكان بصفة دائمة ، فكانت المنازل الجديدة تبنى على أنقاض القديم منها حتى أصبحت المدن قائمة على تلال مرتفعة ، ولا بد أن كثيرا من القرى المصرية والمدن الحالية قد بنى على أنقاض محلات قديمة ٠٠٠ وهكذا نجد أن المدن القديمة كانت تواجه دائما مشكلة الفضاء المناسب كى تمتد فى مساحتها أو تنقل خارج حدودها ، وربما كان التغلب على هذه المشكلة ميسورا بعض الشىء فى مصر العليا حيث يكون التوسع فى اتجاه الصحراء أو الهضاب المجاورة ، أما فى الدلتا فان المستنقعات كانت تجعل مثل هذا الحل متعذرا ، ولذا نجد النصوص المصرية القديمة تشير الى القرى فى مصر العليا بينما هى تشير فى الوقت نفسه الى المدن المرتفعة فى مصر السفلى ٠

الرسوم الرمزية للمدن القديمة (*) :

وهناك بعض الأمثلة المرسومة للمدن القديمة فى عصر ما قبل الأسرات توضح لنا شكل السور المبنى حول المدينة ، كما نرى فى اللوحة المحفوظة بالمتحف المصرى والمعروفة باسم « لوحة المدائن » ٠ ونرى على أحد وجهى الجزء الباقى من هذه اللوحة رسما لأشكال المدن القديمة وبداخلها رموز لبعض المبانى أو المعابد للالهة المحلية ، كما نرى بوضوح شكل الأسوار المحيطة بتلك المدن وهى على شكل أسوار ذات حوائط ساندة أو دعامات ٠ كما أن ضخامة تلك الأسوار تدل على قوة السور لتحصين المدينة ٠ ونلاحظ أعلى تلك الأسوار آلهة مختلفة تحاول هدمها وذلك للاستيلاء عليها بالطريقة التى كانت تتبع فى تلك العهود بأن يلقى على الحائط كميات من الماء ليساعد على تفكك الطوب النيىء المصنوع من طمى النيل الذى بنيت به الأسوار ٠٠ وبعد ذلك يسهل نقبها باستعمال المعاول التى نراها فى أيدى الالهة ٠ وكذلك يوجد فى متحف اللوفر بباريس لوحة الثور ، وعلى أحد وجهيها رسما لسور مدينة أو حصن مماثل لطريقة التعبيـــر ٠

وتثبت لوحة « نعرمر » المحفوظة بالمتحف المصرى أن شكل المدينة المصرية ذات

(*) كتاب تخطيط المدن وتاريخه للدكتور محمد حماد ٠

الأسوار المبنية من الطوب النيىء أو اللبن استمرت من عهود ما قبل التاريخ بشكلها القديم حتى عهد « نعرمر » فى بداية الأسرة الأولى ... الا أن حكم هذا الملك كان له أثر فى تطوير التخطيط وبناء أسوار المدينة . ولشرح هذه النقطة يجمل أن نشرح النقوش على وجهتى اللوحة .

فالوجه الأول نرى عليه حرب التوحيد بين الوجهين (القبلى والبحرى) : وقد نحت على اللوحة بالحفر البارز رسوم يمكن تفسيرها اذا نظرنا الى اللوحة من أعلا ، حيث نرى منظرا يتوج اللوحة ، على شكل رأس الالهة « حتحور » على الجانبين . ونرى فى الوسط شكلا يمثل رسم القصر الملكى وفى داخله اسم الملك « نعرمر » للتعبير عن أن الآلهة « حتحور » تحمى القصر أو الملك الحاكم الموجود بداخله . وفى وسط اللوحة نرى الملك حاملا تاج الوجه القبلى الأبيض وهو واقف وفى يمناه دبوس القتال يضرب به عدوه « واش » الذى يقبض عليه بيده اليسرى ، وقد كتب اسم « واش » بجوار رأسه . ونرى أمام الملك رسما رمزيا يبين الاله « حورس » وهو يقبض على زمام الوجه البحرى (أرض نبات البردى) ، ويجوز أن يدلنا ذلك على معاونة الاله « حورس » للملك على اخضاع أرض الوجه البحرى ، اذ أن شكل « حورس » هنا قد قصد به الملك نفسه لأنه كان يلقب بحورس .. وخلف الملك نرى رسم رجل يحمل نعلى الملك، وفى السطر الذى بأسفل قدمى الملك نرى اثنين من الأعداء فى حالة فزع وهروب ، خوفا من حصن الملك القوى ، أو مدينته المحصنة للدلالة على قوة الملك وتحصين بلاده ضد الأعداء لدرجة أنهم يهربون فزعا .

● مدن الحوائط البيضاء :

الا أن ما يهمنا فى هذا الرسم هو شكل الحصن أو المدينة المحصنة الموجود فى السطر الأخير ، اذ أننا نعلم أن الملك بنى عاصمته الجديدة «مدينة السور الأبيض»، وهى مدينة محصنة بسور كالمدن المصرية القديمة كما سبق أن شرحنا .. الا أن الشكل المربع واسم الحائط الأبيض يدعونا الى التفكير بأن المدينة بنيت من مادة جديدة غير مادة الطين أو الطوب النيىء وهى مادة الحجر الجيرى الأبيض التى كسيت بها واجهة الجدار الخارجية فكانت النتيجة أن اكتسب البناء لونه الأبيض الذى عرف به ، واكتسب شكله المستطيل ، كما أن الأعداء وجدوا فى هذه المادة الجديدة تحصينا قويا للسور فلم يعمدوا الى نقبه بالمعاول بعد القاء كمية من الماء عليه ، بل فروا منه هاربين .

أما الوجه الثانى من اللوحة ، فترى فيه بقية القصة تحت رأس الالهة ، حتحور» ورمز القصر المكتوب عليه اسم الملك كالوجه .ويبدأ المنظر فى الصف العلوى برسم لنعرمر بعد أن انتصر وهو يلبس تاج الوجه البحرى الأحمر ، دلالة على تمام النصر واستيلائه على تاج الشمال ، ويقف من خلفه حامل نعليه بينما نرى أمامهما استعراضا عسكريا للاحتفال بالنصر ، نرى فيه الوزير وأمامه حملة الأعلام ممثلين لألوية الجيش

المختلفة من المقاطعات التى ساعدت الملك فى حرب التحرير واشتركت فى القتال ، ومن أمامهم جثث ضحايا المعركة ٠

وفى أسفل هذا المنظر ٠٠٠ رسم رمزى يمثل رجلين ملتحين بشكل « نعرمر » يقبضان على حيوانين خرافيين بشكل الأسد ، وقد استطالت رقبتاهما وتعانقتا فى شكل دائرة ، ونظن أن فى ذلك ما يرمز لقوة الشمال وقوة الجنوب ، بعد أن اتحدتا وقبض على زمام الوجهين « نعرمر » نفسه ، مما يدل على استتباب الأمن فى يده ٠

وفى آخر اللوحة منظر ثور (قد يكون رمزا للملك الذى كان يطلق عليه اسم الثور القوى) وهو يهدم بقرنيه أسوار احدى مدن الأعداء المحصنة أو أحد حصونهم بينما يطأ بقدميه عدوا له ، وذلك للدلالة على أن الملك قد قضى على الثوار داخل البلاد التى أرادت أن تقاوم هذا الاتجاه الوحدوى الذى حققه للبلاد ٠

ويهمنا أن نلاحظ فى رسوم هذا الوجه شكل سوار المدينة فى السطر الأخير وهى فى شكل بيضاوى ، أى من الطين ، وذلك قد سهل على الملك (المرسوم فى شكل ثور) أن يكسرها بقرنه الذى يرمز الى المعول أو الفأس ٠ وكان تستعمله الآلهة المحلية فى كسر أسوار المدن ٠

● بردية وادى الحمامات أول تخطيط لموقع :

ومن أهم الرسوم التخطيطية فى مصر القديمة ، رسم على بردية محفوظة فى متحف تورين بايطاليا ، وهو يبين أقدم تخطيط عرف حتى الآن لرسم الموقع ونلاحظ على الرسم بيانا للطريق الذى يصل مصر بوادى الحمامات الحالى ثم يتجه شرقا الى مناجم الذهب التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت ٠ وقد بقى من هذه الوثيقة الفريدة بعض قطع صغيرة توضح موقع مناجم الذهب بالنوبة على الجبال المحيطة بواديين يصل بينهما واد ثالث مستعرض ملتو وقد وضع على الخريطة كذلك موقع بركة الماء على البئر التى حفرها « سيتى الأول » وكذلك جزء من الأرض المنزرعة حول الماء وبجوارها مدينة لسكن العمال فى الودى ٠

ولو أن هذا التخطيط يمكن أن نعده أول تخطيط فى رسوم المدينة للعمال عثر عليه فى العالم ٠٠٠ الا أننا يمكن أن نرى بعض الأمثلة للمدن القديمة فى حضارات ما قبل التاريخ المكتوب ، ويهمنا أن نستعرضها هنا حتى نرى صورة من التخطيط الذى بنيت على أساسه مدنيات العالم القديم ٠

● الحضارات المصرية القديمة :

ويمكن أن نقسم حضارات مصر القديمة المختلفة التى مر بها التاريخ المصرى القديم منذ حوالى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد الى قسمين أساسيين وهما :

١ ـ حضارة مصر العليا ، وهى حضارة الوجه القبلى أو « الصعيد » ٠

٢ ـ حضارة مصر السفلى ، وهى حضارة الوجه البحرى أو « الدلتا » ٠

ويهمنا أن نستعرض هنا فى الجدول التالى أقسام هذه الحضارات فى مصر العليا ومصر السفلى ـ كما حددها علماء ما قبل التاريخ ٠

● حضارة مصر السفلى :

لقد كشف العلماء عن كثير من القرى التى سكنها الانسان فى عصور ما قبل التاريخ ، وكذلك الجبانات التى دفن فيها موتاه ، مما سهل علينا أن نتعرف على انسان ذلك العصر ، وطريقة سكناه ، وتخطيط تلك البقاع ٠

وكان يظن البعض فى أول الأمر أن الدلتا بمستنقعاتها كانت غير صالحة لحياة الانسان فى عصور ما قبل التاريخ ٠٠٠ ولكن بعد أن عثر المنقبون على آثار قرية مرمدة التى تقع على حدود الدلتا الغربية الجنوبية ، وظهر أنها كانت تشمل مساحة تزيد بكثير على القرى التى سكنها انسان الوجه القبلى فى نفس العصر ـ وهو العصر الحجرى الحديث ـ تبدل الاعتقاد القديم ، وزاد التأكد من وجود حضارات فى الدلتا (مصر السـفلى) وأهمها : ـ

١ ـ حضارة مرمدة : من العصر الحجرى الحديث شمال غربى القاهرة بنحو ٥٠ كم فى طريق ايتاى البارود ـ أى فى جنوب غرب الدلتا ٠ وتشغل مساحة تقدر بحوالى ٥٥٠ × ٣٥٠ مترا ٠ وسكن انسانها كوخا من القصب المجدول ٠٠٠ وتدل آثار الحصير التى ما زالت مطبوعة على الأرض ، وكذلك الحفر الغائرة التى كانت تثبت فيها القوائم ، على نواح متعددة من مظاهر الحياة السكنية لأقدم حضارة ظهرت فى مصر السفلى ٠ وتمكن المنقبون أيضا من التعرف على أكثر من مخزن شيد من الطمى غير المشكل (مبانى الطوف) وهى مخازن تحفظ فيها المواد الغذائية ٠ وقد وجد كذلك فى مخازن الغلال التى وجدت فى هذه الحضارة بقايا من حبات الشعير والقمح المزدوج الحبة ٠ وهذا يثبت أن انسان هذا العصر قد تخلص من بدائيته واستقر تمام الاستقرار ٠

ونلاحظ هنا كذلك أن الناس اعتادوا دفن موتاهم داخل القرية ٠ وكانت الجثة

توضع فى المقبرة مثنية دون أن تزود بأدوات جنائزية على خلاف ما كان سائدا فى مصر العليا ، ولعل السبب فى ذلك أن الاحياء كانوا يقدمون لموتاهم القرابين فى كل مرة يتناولون فيها الطعام ، مثلهم فى ذلك مثل كل القرى التى تحوى الموتى فى جميع مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ، كما أننا يمكن أن نرى فى هذا التقليد بداية لفكر الروح حية بعد الموت ، وعالم الخلود ٠

هذا عن حياة أهل مرمدة ٠٠٠ أما عن تخطيط قراهم فيظهر أن الأكواخ فيها قد وضعت على صفين على جانبى قنال ويفصلهما شارع ضيق اتجاهه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى بعرض حوالى خمسة أمتار وطول حوالى ٨٠ مترا ، وهذا هو أقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن لمحاولة تخطيطية فى التاريخ المصرى القديم ٠ وبجوار الأكواخ التى بنيت للسكنى فى حضارة مرمدة كانت هناك حواجز للحماية بنيت من مواد خفيفة على مسقط بيضاوى (بعرض ٩٣ر٤٥ متر) ومفتوحة الى ناحية الجنوب الشرقى ٠ كما أن بقايا الأعمدة الخشبية فى الحفر توحى بأن الحواجز من البوص كانت مثبتة بدعامتين من الخشب حول الأعمدة الخشبية وهذه الحواجـــز المصنوعة من ألغاب كان يصل طولها أحيانا الى ٥ر٧ متر ، ووجدت مطمورة فى الأرض وكانت للحماية ٠٠ وقد وجد بها كذلك أوان وسلال وبقايا مواد محروقة من العصر الحجرى القديم ٠٠٠ ويرجح أنها كانت تستعمل كحظائر ٠ كما أن مخازن الغلال والحبوب والصوامع لم تكن مجمعة كما فى حضارة الفيوم خارج المساكن ولكنها كانت مع مجموعة المساكن وتتكون من سلة مصنوعة من البوص ، أو من قدر كبير مطمور فى الأرض (بارتفاع حوالى متر) ٠

٢ ـ حضارة العمرى : من العصر الحجرى الحديث وتقع على مقربة من حلوان فى مدخل المكان المعروف بوادى حوف ٠ وقد أطلق على مكان هذا الكشف « العمرى » نسبة الى العالم المصرى المرحوم الأستاذ العمرى الذى كشف هذا الموقع ٠

ومساكن العمرى مستقلة عن المقابر كما أن أكواخ السكنى كانت مستديرة المسقط وبنيت من حوائط من مواد مضفورة ، وصوامع للغلال كان جزء منها مطمورا تحت الأرض وكانت مغطاة كما كان الحال فى مرمدة ، الا أن مساكن مرمدة بيضاوية المسقط وقد عثر بالمرتفعات شمال المساكن والجبانة فى العمرى على نصب من الأحجار فى شكل أكوام أو دوائر ويعتقد « بوفييه لابيير » أنها أمكنة للعبادة مما يوضح التخطيط الذى حدد أمكنة السكنى والدفن والعبادة ٠

٣ ـ حضارة الفيوم : على ارتفاع ٢٠ قدم من مستوى بحيرة الفيوم الحالية ويعتقد « بترى » أن الحضارة سابقة لحضارة تأسا ٠٠٠ وكشفت مسز كانون تومسون Caton Tompson فى الفيوم عن آثار بأماكن كانت مسكونة وبها مخازن للغلال خارج المساكن مستديرة المسقط وقطرها من ١ الى ٢ متر وعمقها من ٣٠ سم الى ٦٠ سم ويلاحظ أنه لم يعثر على مقابر بين المساكن أو في جبانة مستقلة بعيدة عن القرية ٠

وللتشابه الكبير بين الآثار فى هذه المناطق ، فان العالم الأثرى الأستاذ شارف يظن أنها تتبع مجموعة من الناس بلغوا حدا من الحضارة الواحدة التى أطلق عليهـــا « حضارة مصر السفلى » ٠

٤ ــ حضارة المعادى : وهى تبعد حوالى عشرة كيلو مترات الى جنوب فى الأرض الصحراوية المرتفعة شرق المعادى ٠ وقام بالحفر فيها كلية الآداب بجامعة القاهرة تحت اشراف العالمين الأستاذ « مصطفى عامر » والأستاذ « منجن Menghia وقد بدأت فى شتاء عام ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ وتمتد هذه المنطقة نحو ١½ كيلو ، وتعتبرها الحضارة السابقة لعصر ما قبل الأسرات المصرية ٠

أما المساكن فى حضارة المعادى فقد بنى غالبها من أغصان الأشجار وطلى سطحها من الخارج بكساء من الطين ، وهى غاية فى البساطة ، وربما كانت لاتختلف كثيرا عن مساكن البدو وفقراء الريف فى الوقت الحالى ٠ وقد وجد بكثير منها موقد أقيم عند مدخلها ٠ ونظن أن هذه المواقد كانت تشعل فيها النار طوال الليل لابعاد الحيوانات أو الحشرات عن المكان ٠ ويتجه مدخل المسكن عادة صوب الجنوب وذلك لوقاية القوم من ريح الشمال ، وبخاصة فى فصل الشتاء البارد ومعظم تلك المساكن ذو شكل بيضى ، وبعضها مستطيل ويماثل فى رسمه رسم حرف الهاء الهيروغليفية التى عرفت فى العصر التاريخى والتى قصد بها الفراعنة أن يعبروا عن شكل منزل أو بعض المساكن المماثلة لهذا الشكل من عصر ما قبل التاريخ ٠ وهناك نوع اخر من المساكن لا نعرف له مثيلا فى كل آثار ذلك العصر فى مصر ، فقد عثر فى الموسم الخامس على كهفين متجاورين حفرهما عميقا فى التربة الرملية المتماسكة الذرات ، وقطعوا لهـا درجات تؤدى الى كل منها وكسوا جوانبها بكتل من الصخور ٠ ويمكن أن نرى فى هذين الكهفين استغلالا مناسبا لطبيعة الأرض المتماسكة ٠٠ كما أن تكسية الجوانب بالأحجار فيها محاولة بدائية للتكسيات التى استعملت فى بعض مقابر حلوان من عهد بداية الأسرات ولذلك نظن أن طريقة التكسية الحجرية استعملت فى مدينة الحائط الأبيض التى بناها نعرمر فى بداية الأسرة الأولى ، ثم أننا نرى كذلك فى حضارة المعادى بداية ظهور فكرة عمل درج السلالم ٠

وعلاوة على المواقد الصغيرة الملحقة بالمساكن ، توجد كذلك مواقد كبيرة معظمها فى القسم الشمالى للمدينة ، وقد وضعت الحجارة على رمادها الكثيف على شكل نصف دائرة ، ويظهر من شكلها وتوزيعها أنها كانت مواقد جماعية عامة يستعملها جميع السكان لطهى الطعام ، مما يشير الى الحياة الجماعية التعاونية ٠

هذا وقد اكتشف الزميل الأستاذ عبد التواب الحتة موقعا فى وادى حوف الى جنوب موقع المعادى ٠ وقد أرجع تاريخ هذا الموقع الأستاذ مصطفى عامر الى العصر الحجرى الحديث وذلك بمقارنة الآثار التى كشف عنها باثار الفيوم ومرمدة ، وقد

وجد بوادى حوف آثارا لتحديد الموقع بالقش مما يدل على محاولة عمل أسوار حول المواقع السكنية فى ذلك العهد ٠

● حضارات مصر العليا :

ان صغر مساحة القرى فى مصر العليا جعل اهتمام الباحثين ٠٠ يتجه الى المقابر لتحديد هذه الحضارات ٠ وقد عثر العالم الأثرى « السير فلندرز بترى » حوالى عام ١٨٩٠ على آثار هامة بمنطقة بالقرب من نقادة (شمال مدينة الأقصر الحالية) مما دعا العلماء الى أن يطلقوا اسم هذه المنطقة « نقادة » على حضارة مصر العليا فى عصور فجر التاريخ المصرى ٠ وقد قسم « بترى » هذه الحضارة الى قسمين أطلق عليهما حضارة نقادة الأولى (يطلق عليها كذلك حضارة العمرة نسبة الى قرية العمرة فى مصر العليا) وحضارة نقادة الثانية تبعا لاختلاف الفخار والمظاهر الحضارية الأخرى ، غير أنه قد كشف كذلك عن آثار بمنطقة البدارى بمصر العليا ووجد بعد دراسة فخارها أنها حضارة مستقلة تسبق حضارة نقادة الأولى ٠

وخلاف ما ذكر فقد كشف أيضا بجوار تاسا شمال البدارى عن آثار أسبق من آثار البدارى ونقادة ٠ كما عثر فى منطقة بلدة مستجدة على آثار مشابهة لآثار تاسا ، وبذلك أمكن تكوين فكرة قريبة من الصحة عن حضارات الوجه القبلى ومقارنتها بآثار الوجه البحرى التى اكتشفت فى نفس الوقت ٠

١ ـ حضارة تاسا : وكان التاسيون يدفنون موتاهم خارج القرية فى حفر بيضاوية الشكل، وقليل منها مستطيل ذو أركان مقوسة ٠ ومقابر تاسا أقدم مقابر عثر عليها فى مصر ، ويظهر أنهم كانوا على صلة ثقافية وجنسية بالفيوم والدلتا ـ ولو أن تاسا تالية للفيوم ـ الا أن حياة أهلها كانت حياة رجال يصيدون ويربون الأغنام فى فصل الفيضان ٠٠٠ وبانتهائه يعودون الى شواطىء النهر ليبذروا الحبوب ويجمعوا المحصول فى أونة الحصاد ٠

٢ ـ حضارة البدارى : وتقع البدارى فى مصر العليا وهى من الحضارات « الأنيوليتية » (قبل ٣٠ من التاريخ التتابعى) وقد وجد بها بعض المقابر ـ كما أن مساكنها التى بنيت لتحمى القوم من حرارة الشمس والرياح كانت عبارة عن أكواخ مبنية من البوص المغطى بالطمى ، وأسقفها كذلك من البوص والقش والطين ٠٠ وكان فى هذا البناء البسيط الكفاية بالنسبة لحياة السكان فى بلاد قليلة الامطار كمصر ٠٠٠ ولما كانت الجبانة فى حضارة البدارى تقع الى شرق القرية ، فان هذا يوحى بالاعتقاد بأن الفكرة التى كانوا يعتقدون بها هى أن الميت يمكنه أن يرقب الأحياء وتشترك روحه معهم فى الحياة الدنيا ٠

٣ ـ حضارة نقادة : ومن العهود التالية لحضارة البدارى (من ٣٠ حتى ٨٠

من التاريخ التتابعى) وجدت حضارة العمرة أو نقادة الأولى ثم الجرزة أو نقادة الثانية • وذلك بعد العثور على بقايا مساكن يظهر بها تطور البناء • وهذه البقايا وجدت في بعض الأماكن كالحماية والمحاسنة وأبيدوس •

٤ ـ حضارة العمرة : وتتميز حضارة العمرة بتقدم أكبر عن حضارة البدارى وأصبح مستوى الحياة أعلا من ذى قبل • وبالرغم من أنه لم يبق من منازل أهل العمرة شىء ، الا أن العثور على اللبن المجفف فى الشمس فى حضارة العمرة يوحى الينا بأن بعض المنازل كان يبنى من اللبن ، وأن المنازل جميعا لم تكن مجرد أكواخ من البوص والقش كالحضارة السابقة •

(أ) الحمامية : وقد بنيت مساكنها على مسقط دائرى بقطر ١ متر الى ٣ر٢ متر • ولها حوائط بسمك ٣٠ الى ٢٧ سم من مادة الطين المخلوط بكسر الأحجار ومغطى بالقش أو البوص • كما أن مستوى أرض المساكن غاطسة بمستوى حوالى ٣٢ الى ١٩٧ سم تحت مستوى الأرض ، كما فى مرمدة بنى سلامة ، الا أنه لم يوجد هناك أى أثر لباب أو لسلم للهبوط • وقد ثبت فى الأرضية بجوار الحائط عمود أو اثنان من الخشب ، ويجوز أن يكون ذلك لتثبيت السقف المصنوع من المواد الخفيفة ، وقد وجد كذلك نوع من المبانى بحوائط من الطين رفيعة نوعا ما ••• كما أن المحتويات التى وجدت بهذه المساكن تدل على أنها تنتمى الى حضارة نقادة الأولى •

(ب) حضارة المحاسنة : وجدت فيها حواجز للحماية ، وقد بدأت تختلف فى المسقط عن الحضارة السابقة ، اذ أنها ليست بيضاوية أو مستديرة ، ولكنها على زوايا قائمة كما نرى فى بقايا دعامات التثبيت والحفر التى كانت تحتويها ••• ويدعونا شكل الحوائط المتقابلة فى المسقط فى زاوية قائمة الى أن نقول ان هذه المرحلة خطـوة جديدة لتطوير المبانى السكنية ، وكذلك مبانى المقـابر التى تطورت تبعا لها من الشكل المستدير الى الشكل الرباعى اذ أنه من المعروف أن المصرى كان يسمى المقبرة « بيت الخلود ، ويجعلها غالبا تمثل بيته الدنيوى وبذلك تتطور مع تطور المسكن •

وقد وجدت كذلك فى « محاسنة » مواقد مفردة أو مجمعة مما يدعو الى الظن بوجود نوع من الحياة التعاونية بين أهل تلك الحضارة •

(جـ) حضارة أبيدوس : وقد وجدت كذلك فى أبيدوس مساكن ومواقد مجمعة فى صفين بين حائطين من الطوب ، ويظهر أن هذه المواقد قد استعملت لتجفيف القمح أو الأعمال الخاصة بالحياة اليومية •

● تطور الحضارات الأولى :

وعلى العموم فان الاختلافات الواضحة بين حضارات مصر العليا وحضارات

مصر السفلى التى سبق ذكرها تعطينا فكرة عن التطور فى طريقة الدفن والمساكن والتخطيط البدائى الذى عمل ، وحياة القوم التى عاشوها وسببت تطور أشكال التخطيط . ففى مصر العليا منذ العصور الأولى اعتاد الناس دفن موتاهم فى جبانات بعيدة عن المساكن ٠٠٠ بينما اعتاد أهل « مرمدة » بمصر السفلى دفن موتاهم داخل القرية المجاورة لأماكن الزراعة ، وفى هذا مظهر من مظاهر الاستقرار الزراعى والعقائدى . أما أهل مصر العليا فقد حرصوا على أن يودعوا المقبرة كل ما يحتاج اليه الميت من مأكل ومشرب فى حياته الثانية ، لبعد المقبرة عن المساكن التى يعيش فيها أقاربهم الأحياء ، ويقدموا لأرواحهم التقدمات المختلفة . كما أن الدفن فى جبانة قد يدل على أن أصحابها كانوا يعيشون عيشة البدو الرحل الذين تقوم حياتهم على رعى الماشية والذين كانوا يتجولون على مقربة من الأرض المزروعة فى مصر العليا .

وكانت هذه الحضارة البسيطة فى عهود ما قبل الأسرات ـ وخاصة فى آثار هيراكو نبوليس وان كانت لم تكشف جيدا ـ الخطوة الأولى التى مهدت الى ظهور الحضارة المصرية ، قوية فى عهد الأسرة الأولى ، حوالى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، بعد أن اتحدت مصر بشقيها ، فظهرت حضارة واحدة لشعب مصر الموحد ، واستجابت لهذه النهضة الفنون التخطيطية والفنون المعمارية، كما رأينا على لوحة الملك «نعرمر» المحفوظة بالمتحف المصرى والتى سبق شرحها .

ويمكن أن نذكر هنا كذلك أن أهم عامل طرأ على نظام القرى البسيطة وحولها الى مدن كبيرة دقيقة التنظيم ، هو تحول نظام البلاد الى حكم ملكى ظهر فى مملكة الشمال ومملكة الجنوب ، ثم فى المملكة الموحدة تحت حكم « نعرمر » ، واتخذت مدينة الحائط الأبيض عاصمة لها ، وهى المدينة التى أنشأها « نعرمر » فى مركز متوسط من البلاد كحصن منيع كما سبق أن شرحنا . وقد ذهب الأستاذ « فرانكفورت » الى أن احدى صفات الاله « بتاح » ـ الاله المصرى القديم ـ التى تكشفت عنها وثيقة ترجع الى الألف عام الثالثة قبل الميلاد ، هى أنه أنشأ مدنا ، وكانت هذه الصفة هى المهمة الخاصة بالملوك . ومن هذا يرى « لويس ممفورد » أن انشاء الملوك لهذه المـــدن الجديدة ٠٠٠ أو تحول القرى الى مدن ، كان يحدث تغييرا حاســما فى شــكلها ومحتوياتها ، الا أن الملك كان هو دائما وسط العقد ، فهو المركز أو قطب المغناطيسية الذى يجتذب الى قلب المدينة كل القوى الجديدة التى توافرت للمدينة ، الا أنه يضعها كلها تحت سيطرة القصر والمعبد، أو بمعنى آخر تحت السيطرة الملكية.. لأنه هو القابض على السيطرة الزمنية والدينية .

هذا ويمكن أن نرى أن تلك المدن والأسوار التى كانت تحمى المدينة .. كانت سببا فيما طرأ من تغيير فى المقاييس ، قصد به تأكيد سلطة الحاكم واتمام سيطرته على الشعب . ويؤكد « لويس ممفورد » هذا الرأى قائلا أنه قد قصد بالتحصينات

ارهاب كل من يتطلع الى السيطرة على المدينة من السكان ·· حتى ولو كان السكان يعانون سوء التغذية والهوان ، فى فرض العمل عليهم بما يفوق طاقتهم ، وبالرغم من أن الملك كان لا يضن بالصرف على اقامة المعابد والقصور التى تسيـــطر على باقى المدينة بحجمها الضخم ، وارتفاعها الشاهق ، وأسوارها المتينة التى تضــــفى على مناصب الدولة الفانية ما يؤكد ثباتها واستقرارها ·وكانت تزين كل تلك المبانى بمختلف الأشكال التى لها صفة القداسة ، وكذلك النصوص التى تثبت علاقة الملك الحاكـــم بالآلهة العظام ··· وكان المقصود من تلك الفنون الهادفة اثارة الرعب الذى يبعث على الاحترام ·

وقد يكون هذا الرأى على جانب من الصواب فى أوقات معينة الا أننا كذلك يمكن أن نرى فى تلك التحصينات حمايةللملك والشعب من المغيرين الأجانب خارج المدينة ·· ثم خارج الملجأ الأخير وهو بيت الاله الذى يحمى المدينة والعرش ·

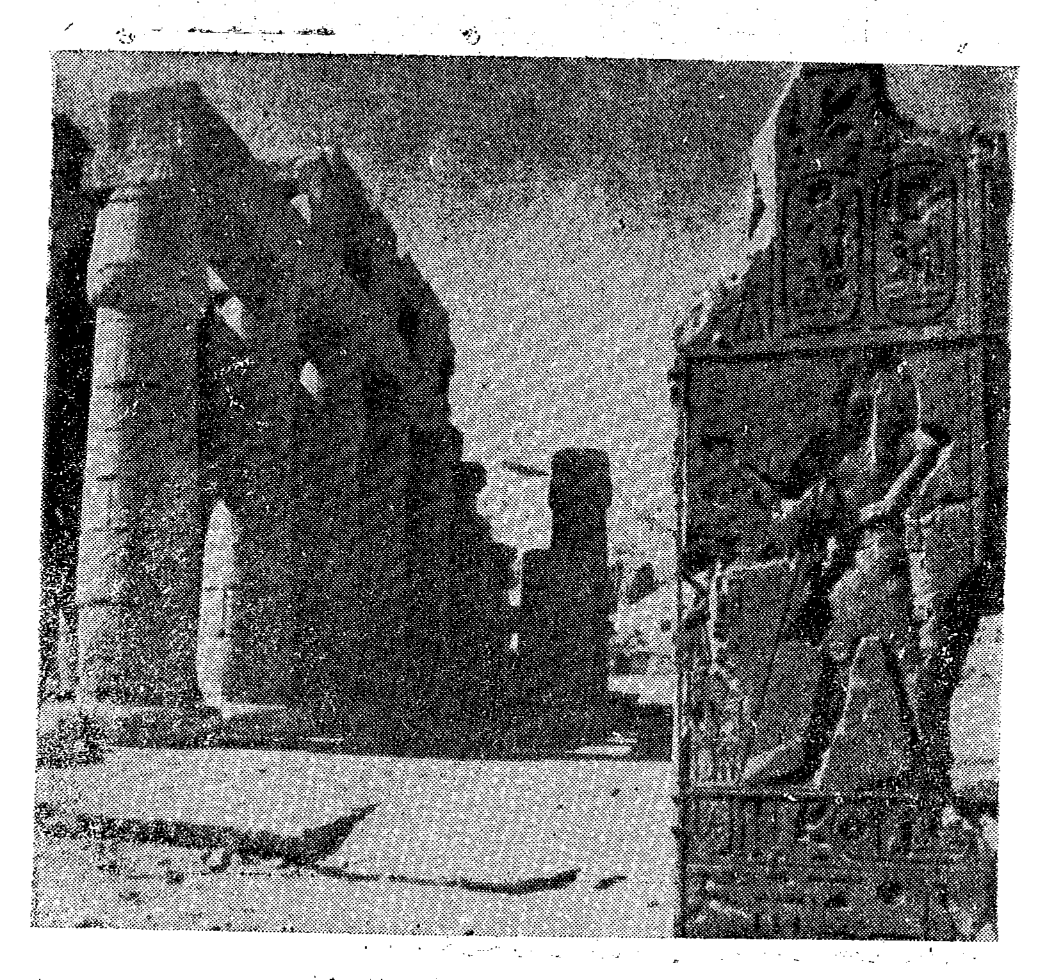
وهذا يفسر لنا أن الفكرة التى كانت وراء تحصينات أسوار المدن والمعابد المحصنة بأسوارها القوية،وهىأهممظاهر المدينةالمصريةفىبداية نشأتها ،وهو بطبيعةالحال ـ كما سبق أن ذكرنا ـ للحذر والاحتياط لحماية الحكام وأهل البلاد كما نرى فى مدينـــة « منف » التى شيدها « نعمر » ، أو مدينة « طيبة » ومعابدها المحصنة بأسوار قـوية كمعبد « الكرنك » ومعبد « الرمسيوم » الذى كان به مسكن للملك نفسه ··· كما أن بناء مقبرة الملك التى يدفن فيها بعد موته على شكل أسوار المدينة المحصنة وبناء مقابر الأفراد من حولها ـ كما سنرى فيما بعد ـ يشير الى نفس المعنى من أن الملك والإله فى حماية أسوار المعبد ··· ويقوى أو يؤكد هذه الحماية وجود الشعب من حوله داخل أسوار المدينة · ويؤكد هـــذا الرأى ما يقـــوله « أولبرايت » Albright من أنه الى عام ١٧٥٠ قبل الميلاد كان زعماء القبائل فى فلسطين يقيمون فى الحصون على حين أن معظم رعاياهم كانوا يعيشون فى قرى صغيرة تحيط بها ، ولا ينتقلون الى داخل المأوى المحصن الا فى أوقات الخطر ، ولعل فى هذا استمرار للنهج · وكذلك « فوستيل دوكولانج » Fostel de Coulanges قد اعتبر أن هذا الشكل الأصلى للمدينة ، اذ أن سور المدينة فى الواقع كان له أهمية بوصفه تدبيرا حربيا كما أنه كان وسيلة للسيطرة على سكان المدينة ··· أما من الناحية الجمالية فان السور قد أقام فاصلا بين المدينة والريف المجاور لها ، على حين أنه من الناحية الاجتماعية قد أبرز الفارق فى القيم فى الداخل ، والقيم فى الخارج ··· بين الحقل المكشوف المعرض لإغارة اللصوص وقبائل الرحل والجيوش الفاتحة الغازية ، وبين المدينة التى يحيط بها السور احاطة تامة ، ليعيش الناس فيها فى أوقات الحروب وهجوم الغزاة ، وكان هذا الإطمئنان يكتمل اذا ما توفرت فى الداخل كميات كافية من الماء ، وكميات كافية

من الحبوب المختزنة فى الصوامع والمخازن التى كانت تبنى لذلك الغرض ، وتجعل من ساكني هذه المدينة المحصنة الذين يستحوذون على المحاصيل الزراعية ٠٠٠ ويتحكمون فى الموارد التموينية ٠٠ حكاما مسيطرين على التحكم فى الناس بعد التحكم فى أرزاقهم ٠

هذا واننا نجد أن آثار المدن والمبانى فى فترة نهاية عصر ما قبل الأسرات والدولة القديمة قليلة ويصعب بحثها ، مما يدعوا المؤرخين دائما الى الابتداء فى الكلام عن التخطيط المصرى القديم ، من عصر الدولة المتوسطة ، اذ لم يبق شىء تقريبا من مدن العصر القديم ، وذلك بالطبع يرجع الى الأجيال التى كانت تتعاقب دائما مستقرة فى مكان واحد ، وتمضى القرون وآلاف السنوات على ذلك لتحل المبانى الجديدة محل القديمة أو على الأقل تغطيها ، وهذا أمر لا يزال مشاهدا حتى اليوم فى مدن مصر الحالية وقراها التى يقوم أكثرها على أطلال مساكن قديمة ، مما يتعذر معه اجراء أبحاث فيها ٠

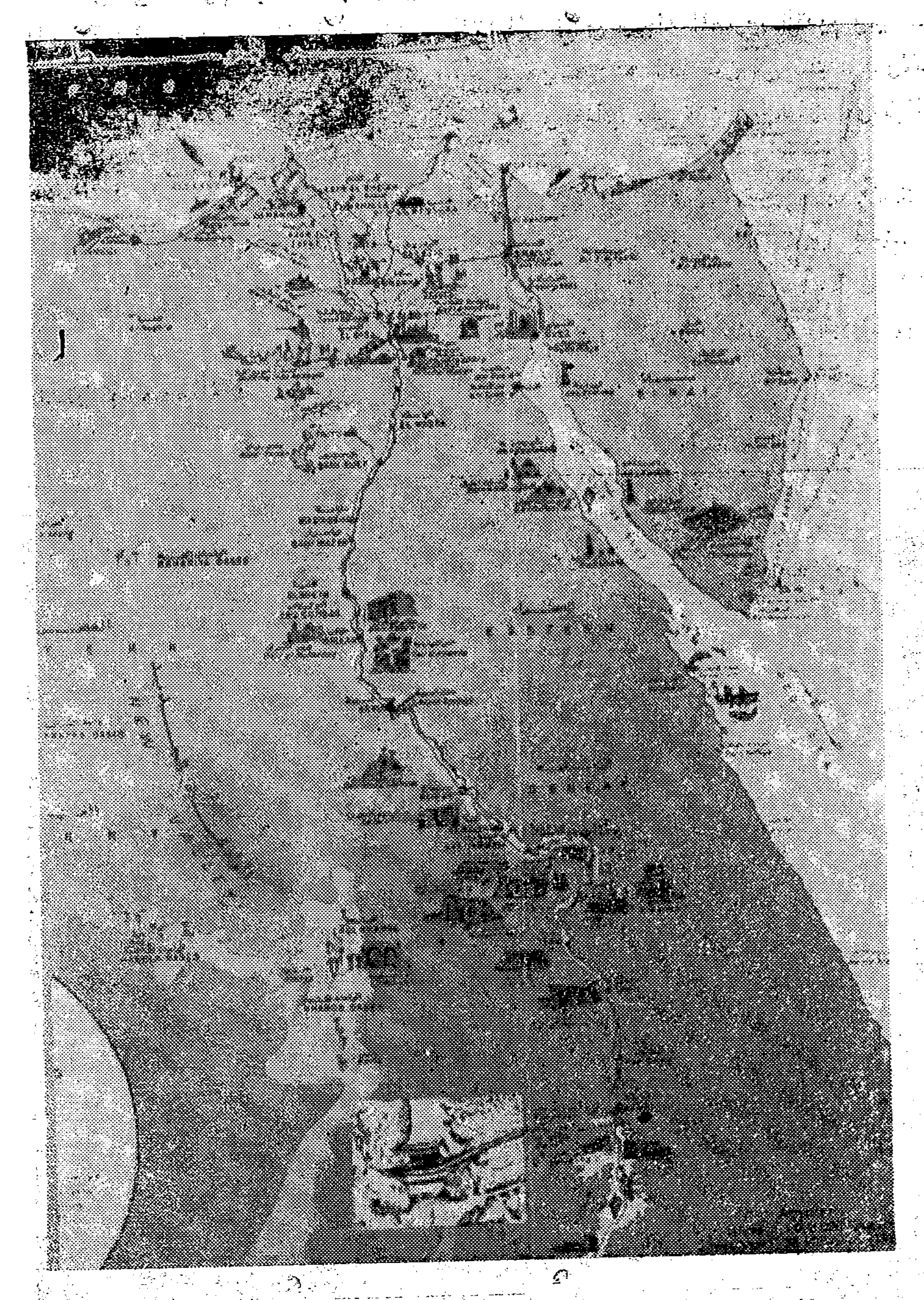
ونرى على سبيل المثال تلك المنطقة الأثرية القديمة المعروفة بعين شمس أو مدينة « أون » المصرية القديمة والتى سماها الاغريق « هيليوبوليس » تغطى اليوم أراضيها الزراعية المدن القديمة ـ التى وجد بعض بقاياها بجوار عين شمس وأرض النعام ومصر الجديدة وتبعدها عن مجال الحفر والدراسات العلمية ، ولكننا يمكن أن نرى أطلال مدينة « هيراكنبوليس » من نهاية عصر ما قبل الأسرات ، وهى بجوار الكوم الأحمر الحالية وكانت عاصمة الوجه القبلى القديمة ٠ وكانت حسب تقاليد العصر القديم محاطة بسور قوى من اللبن ، كما رأينا فى الرسوم المحفورة على بعض اللوحات الأثرية التي سبق شرحها ٠ وكذلك يمكن أن نتصور شكل المساكن المصنوعة من ألياف النخيل أو البوص المضفورة ٠٠٠ الا أن هذه الأكواخ قد تحولت واستبدلت بمساكن من الطمى أو الطوب النيء فى عهد ما قبل الأسرات ، كما نرى من نموذج من الطين استخرج من احدى مقابر هيراكونبوليس وهو مبنى بجدران من الطمى وجدرانه مائلة الى الداخل كطريقة البناء المستعملة عندنا فى الأرياف حتى الآن ٠ ونلاحظ استعمال الخشب فى قائمى الباب الجانبيين والعتب العلوى وهذا يدلنا على أن مادة طمى النيل والخشب هما المادة الأساسية لاقامة مساكن مبنية فى القرى المصرية لأقدم العصور عهدا ، وقد استمرت فى العهود التاريخية حتى الآن ، اذ أن جدران الأبنية الطينية هى مادة عازلة وفيها خير وقاية من الشمس فى جو مصر الحار ، مما جعل الطين هو المادة الأولى لبناء المساكن فى مصر ولذلك فقد كان البناء بالأحجار للمساكن نادرا جدا ، واقتصر استعماله في بعض الأحوال علي أكتاف الأبواب أو الداخل ٠

وعلى العموم فان أشكال المبانى والتخطيط المدنى الذى رأيناه فى هذه الحضارات المصرية القديمة يصور لنا ذلك النشاط الانشائى الذى سجله المصرى القديم وفيـــه انعكاس لحياة المجتمع الذى عاش فيه واقتصادياته ٠٠٠ كما كان فى تلك المحاولات التخطيطية الأولى ، محاولات لحل مشكلة المأوى والتغلب على أزمات السكن ، والابقاء على مسكن العائلة أمام التيارات الاقتصادية وأزماتها ٠ فهذه التنظيمات للاسكان داخل أسوار واقية ، والمخازن المشتركة ، وصوامع حفظ الغلال ، والمواقد والمقابر ، فيها فكر انسانى لحل مشاكل المجتمع الاقتصادية واحتياجاته المعيشية أو العـــلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع على أساس تعاونى اشتراكى واضح ظهر فى انشاء مدن اشتراكية محصنة ٠

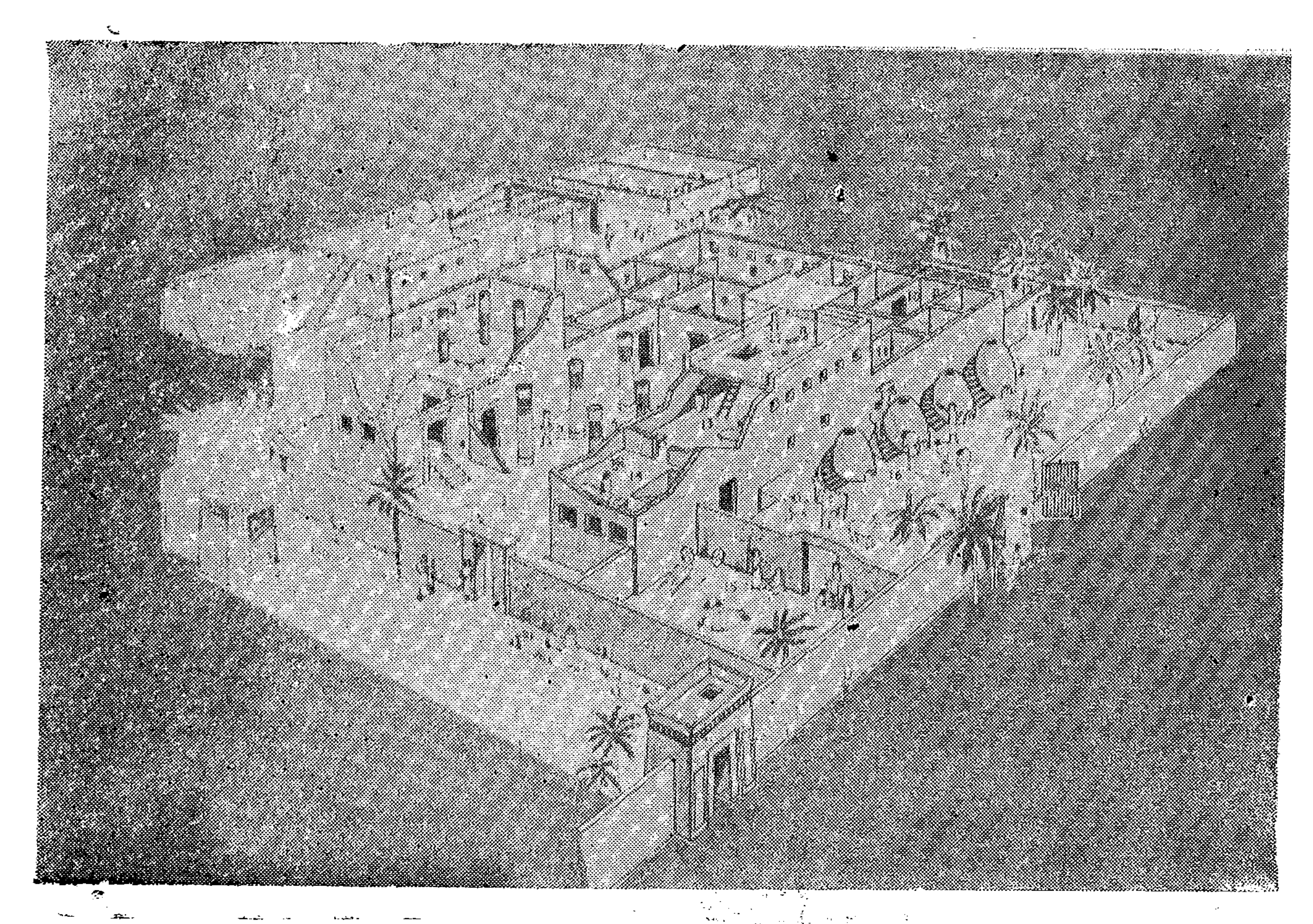


١٣٣ : أعمدة مصرية وتيجان زهرة اللوتس ٠ بدن العمـود على اسطوانات مسلوبة الى أعلا ٠

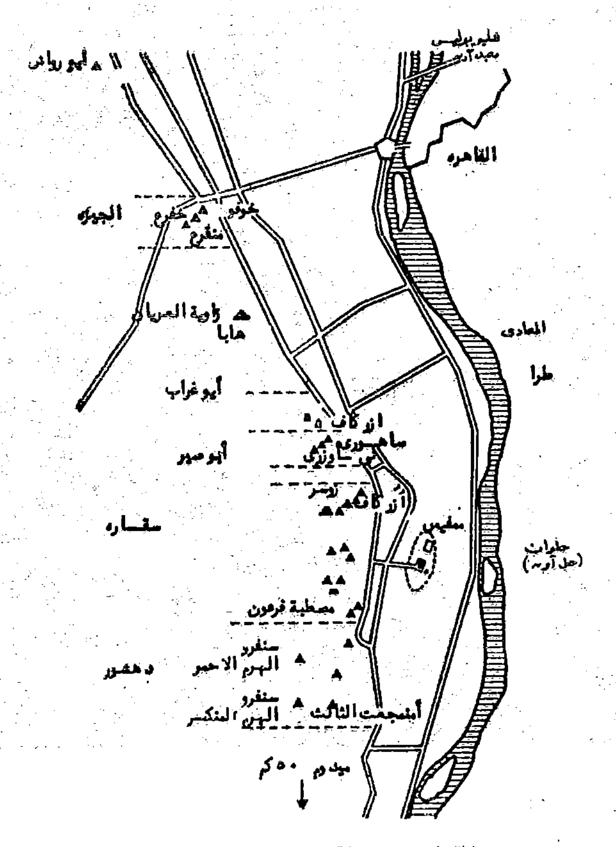
● المدن المصرية فى العصر الفرعونى :



١٣٤ : خريطة وداى النيل موقع عليها المدن المصرية والعواصم التي كتبت تاريخ مصر الفرعونى وأهم المعابد والمبانى التذكارية التى اشتهرت بها هذه المدن ولا تزال باقية منذ آلاف السنين حتى الآن .



١٣٥ : تفاصيل عناصر ووحدات المسكن الفرعونى •
١٣٦ : نموذج للمسكن المصرى الفرعونى •



١٣٧ ـ خريطة مجرى نهر النيل الخالد توضح مدن الأحياء بالضفة الشرقية للنيل، ومدن الحياة الأبدية بالضفة الغربية ، وتوزيع أهرامات عصر الدولة القديمة ·

٣/٢ تخطيط وانشاء المدن فى العصور الفرعونية

● من خلال دراستنا لتاريخ العمارة والفنون وتاريخ المدن عبر العصور ، وتاريخ مدن الشرق القديم ، ومن خلال تدريسنا لهذا التاريخ نجد أنه لم تظهر على سطح الكرة الأرضية حضارة انسانية الا فى هذه المنطقة حيث وجد الناس · والناس يعيشون فى التاريخ ، والتاريخ يعيش فى الناس · ثم ان التاريخ هو حركة الصراع ، والصراع حركة التاريخ ـ حيث يكون الناس يكون الصراع ويكون التاريخ · والقانون الوحيد فى التاريخ هو الصراع والحركة والتغيير · وليست هناك حالة ثبات ودوام فى التاريخ حيث لا يجب الخلط بين تيارات التاريخ ومتاحف التاريخ · فتيارات التاريخ هى الصراع والحركة والتغيير ، أما متاحف التاريخ فهى تماثيل من حجر ، وأوان من ذهب ، ومومياة فى اكفان · وربما قبل ان نفرغ من كتابة ما توصلنا اليه من نتائج

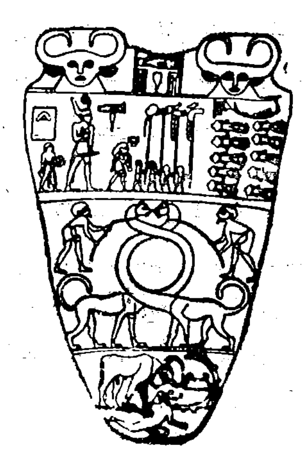


١٣٨ ـ أقدم مقبرة لاقدم انسان مصرى من سكان القاهرة فى العصر البيلوسى وجدت ضـــمن حفريات منطقة عين شمس ويرجع تاريخها الى ٣٠ ألف سنة

ندرك أن النتائج التى توصلنا اليها واستخلصناها من الدراسة تصبح عرضة للتغيير التغيير لأنه ليس هناك حالة ثبات ودوام فى المدن لأنها كتيارات التاريخ صراع وحركة وتغييـــر .

● لقد أجمعت المراجع التاريخية عن الحضارة المصرية أن أول عاصمة لمصر كانت مدينة « أون » أول عاصمة لوحدة القطرين أو عاصمة البلاد الموحدة وكان ذلك فى عهد ما قبل الأسرات أو ما أطلق عليه عصر النقادة الثانية عام ٤٢٤٠ ق.م وهى الوحدة السياسية التى كان أبطالها من أهـــل الدلتا وأطلق عليهم فى برديات تورين وحجر بالرمو بأنصاف الالهة عبدة حورس .

وكانت « أون » أو هيليوبوليس وهو الاسم الذى أطلقه عليها الاغريق ومعنى





١٣٩ ـ لوحة الحصـــار للملك نارمر يؤدب خصمه، ويرى على رأسه تاج الشمال وتاج الجنـوب ومعنى ذلك اشارة الى توحيد القطرين .

كلمة أون مرصد أو برج رصد الشمس وقبة السماء وقد حرفت أون الى عين وأضيف اليها شمس اله المعبد فأصبحت عين شمس ٠

ولا يعتبر ذلك التاريخ هو تاريخ نشأة مدينة أون فقد كانت فى ذلك الوقت مدينة متكاملة تمتد من أرض النعام بالمطرية التى كانت بها الغابات المقدسة التى تحـــوى أشجار البلسم وأخشاب البخور ويربى بها النعام المقدس ومازالت تحتفظ باسمها الى الآن ثم منطقة هيليوبوليس أو مرصد أون التى كانت تحوى أكبر جامعة وتمتد الى منطقة المعادى التى كانت تحوى احدى المناطق السكنية والادارية وتمتد الى حل أون أو جنوب أون والتى حرف اسمها الى حلوان الحالية ٠

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد العصر الذى انشئت فيه مدينـــة أون القديمة فنسبها البعض الى العصر الحجرى القديم بالنسبة الى حفريات حلوان والمعادى أى فى عصر النقادة الأولى والعصر العمرى الذى يرجع الى ٦٠٠٠ سنة ق٠م ٠

من تلك العاصمة ٠٠ خرج أول مذهب دينى لتفسير الوجود ومنها خرج أول تقويم شمسى عرفته البشرية الذى حدد السنة بـ ٣٦٥ يوما وربع اليوم ومن جامعاتها تخرج أمنحتب واخناتون وعلى يد علمائها تتلمذ أســاطين الاغريق وعلمـــاؤهم وفلاسفتهم ٠٠ ومنها نقلت المسلات التى تتوسط عواصـــم العالم الحـــديث كلندن ونيويورك وروما ٠٠

كما اعترف لها تاريخ المدن بأنها تميزت بالاستمرار وامتدت الى عدة مناطق أخرى شمالا وجنوبا أو عبر شاطىء النيل الى الضفة الغربية ، ولكن مركز نشأتها أو نواة تكوينها بقيت مكانها ٠

ومن البديهى أن مدينة أون المتكاملة التى كانت تمتد بطول ٤٠ كيلو مترا لم تكن هى بداية نشأة المدينة أو تاريخ ميلادها بل كانت مرحلة من مراحل تاريخها الطويل الذى تمتد جذوره الى أبعد أعماق التاريخ والحضارة الانسانية ٠

● رغم أن وثائق بحوث تاريخ المدن قد حددت عمر كل عاصمة من عواصم العالم التاريخية القديمة ـ وتقع القاهرة على رأس القائمة وتسبقهما بمراحل ـ الا أن المنافسة والسباق بينهما مازال قائما فى مجال المؤتمرات الدولية حيث تحاول كـــل مدينة أن تثبت اصالتها وعراقتها بالرجوع الى شجرة العائلة وما ارتبط بهـــا من أساطير وقصص ٠ وجذور الشجرة وما كشفه علماء الآثار من حفريات ، حتى تخطو

خطوة أكثر بعدا فى سباق الأقدمية بما يضعه لها الباحثون من أسس ونظريات جديدة لتقدير عمرها ٠

من بين النظريات التى وضعها احد مؤتمرات تاريخ المدن الذى انعقد فى مدينة فيينا قبل الحرب الأخيرة ، نظرية المعالم الحضارية الانسانية أو حفريات آثار التجمع الانسانى فى المدينة نفسها واعتبارها نقطة البداية فى تحديد تاريخ نشأتها ٠

اذا طبقنا تلك النظرية على أصل مدينة القاهرة بالرجوع الى الحفريات والبحوث التى سجلها كل من يوفبيه كايبير وفلاندريترى عن أصل الحضارة المصرية التى وجدت قدم حفرياتها وأثر الحضارة بها فى ثلاث مناطق وهى حلوان والعباسية وعين شمس وترجع جميعها الى العصر البليوسينى ٠

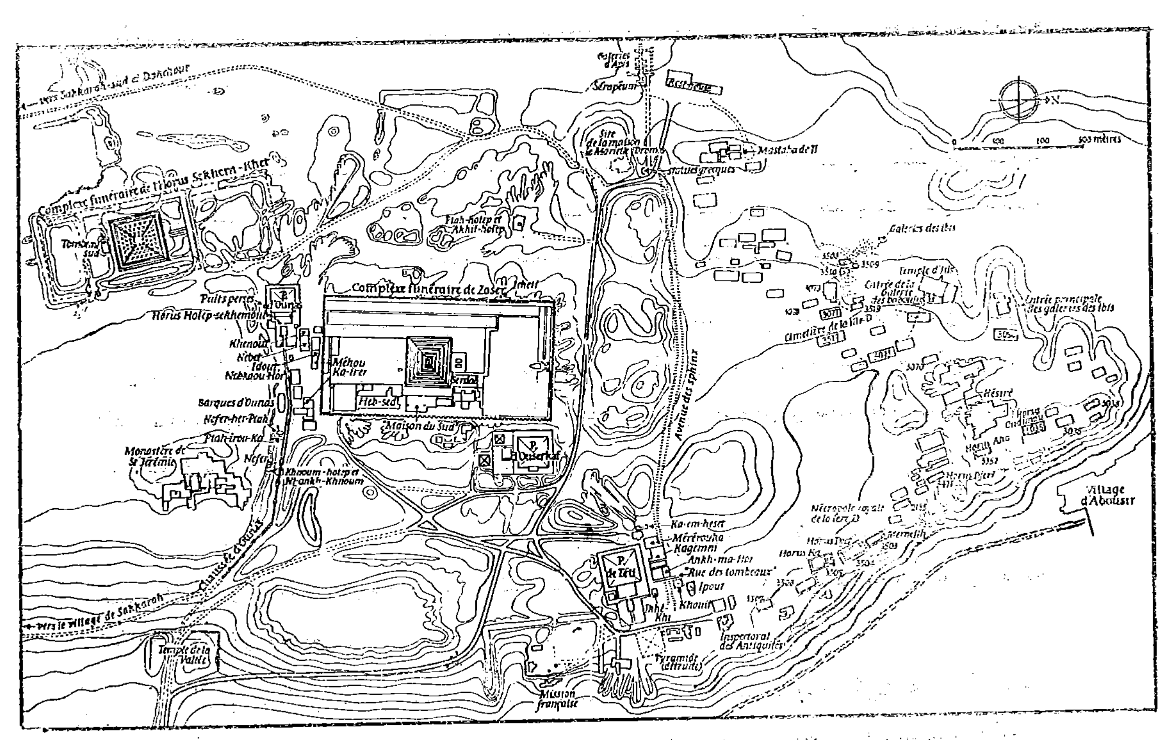
أى ما يقرب من ٥٠ ألف سنة وتدخل تلك الحفريات الثلاث ضمن حدود مدينة أون الفرعونية القديمة وتعتبر وفقا لتلك النظرية أحجار الأساس التى تحدد عمر مدينة القاهرة ، وهو خمسون ألف سنة ٠

اذا رجعنا الى جذور نشأة المدينة تاريخيا نجد أن أقدم مدينة ذكرت فى الأساطير الفرعونية القديمة كانت مدينة الاله الخالق عندما خلق أرض مصر المقدسة وأطلق عليها اسم (حب بتاح) أى (أرض الاله) وهو الاسم الذى أطلق على مصر فيما بعد ، فذكر هيرودوت أن اسمها اجيبتوس والتى تحولت الى gypt فيما بعد ٠

وأقدم تاريخ مسجل للمدينة التى نشأت مكان مصر القديمة عندما أطلق عليها الفراعنة اسم خرى عما (أى ميدان القتال) وترجع الى سنة ٤٢٢٥ ق٠م وهى التى يبدأ من عندها تاريخ القاهرة ومراحل تطورها عبر التاريخ ٠

⊛ خرى عما (ميدان الحرب) ٤٢٢٥ ق٠م :

كانت مدينة عسكرية تحيط بها أسوار من الطوب النيىء وقد وضع قدماء المؤرخين بالنسبة لاختيار اسمها تفسيرا ميثولوجيا ارتبط بالأساطير الدينية القديمة وأسطورة الخلق ، فأطلقوا عليها اسم ميدان الحرب الذى قامت فيه المعركة بين حورس بن أوزوريس وست اله الشر الذى قتل أوزوريس ليمنع حورس من ارتقاء العرش ، وهذا التصور الميثولوجى يفسر أسطورة أنها كانت مدينة الآلهة كما يعبر فى الواقع عن معارك القطرين التى بدأت عام ٣٥٠٠ ق٠م ومعارك أهل وادى النيل مع البدو المغيرين من الصحراء الشرقية للوصول الى النيل والسيطرة على خيراته أو سلب سكانه ٠



ـ مدينة منف ، مجموعة أهرامات سقارة .... مدينة زوسر أول مدينة جنائزية عرفها التاريخ حتى الآن . أقامها الملك مينا . أول ملوك الأسرة الأولى ثم نسبت بعد ذلك الى زوسر .

وقد ذكر مؤرخو الاغريق أن اختيار ذلك الموقع لأول مدينة أو عاصمة فى مصر كان لاعتبارات استراتيجية جغرافية وحربية ، فهى تقع عند نيل الجنـــوب مع تفرع أنهار الدلتا أو نيل الشمال ، يحميها من ناحية الشرق جبل المقطم ، كما أن موقعها المرتفع يحميها من خطر الفيضانات .

... وهكذا كان أول اسم للعاصمة مصر أو اجيبتوس الذى أصبح اسم الدولة بأكملها ، وما زالت كلمة مصر تطلق على القاهرة الى الآن .

● أما مدينة حرى عحا (حرى رع . حا) ومعناها ميدان القتال وكانت تقع مكان مصر القديمة الحالية والتى حلت قلعة بابليون وأسوارها محل أسوارها وهى المدينة التى انتصر فيها نارمر فى معركة وحدة القطرين الثانية والذى أطلق عليه اسم مينا أول ملوك الأسرة الأولى ، فكانت فى الواقع تعتبر المدينة العسكرية للدفاع عن أون العاصمة المقدسة . وأستولى نارمر عليها عام ٣٢٠٠ ق.م ومنها نقل عاصمة ملكه الى الضفة الغربية جنوب منف وأطلق عليها اسم الأسوار البيضاء (أنب حز) وأقام

فى وسطها معبدا للاله بتاح وهو اله منف وقد بلغت هذه المدينة أوج عظمتها وازدهرت فى عهد ملوك الامبراطورية القديمة وامتدت الى أبو صير والجيزة وأبو رواش ٠

- وفى عهد الأسرة السادسة ٢٤٠٠ ق٠م أنشىء حى جديد جنوب « الأسوار البيضاء » حيث أنشأه الملك بيبى الأول وجعله مقر ملكه وشيد بالقرب منه هرمه الذى أطلق عليه اسم (من نفر) أى الجمال الخالد وانتقل ذلك الاسم ليطلق على المدينة بأكملها أى العاصمة وتطور ذلك الاسم الى كلمة منف بالقبطية والعربية ومنفيس باليونانية ٠

وقد تقهقرت مكانة منف قليلا فى عهد ملوك الدولة المتوسطة والامبراطورية الحديثة عندما أسسوا عروشهم فى طيبة وجعلوا منها عاصمة للبلاد وجعلوا آمون الها رسميا لها ٠

- فى عهد الأسرة العشرين كان معبد بتاح اله منف أكبر المعابد فى مصر ٠
- لقد تعرضت منف لكثير من أحداث التاريخ وما ارتبط بها من عوامل التخريب فوقعت فى أيدى بعانخى الأثيوبى ثم الأشوريين وذلك فى الحروب التى قامت بعد الأسرة الثانية والعشرين ٠

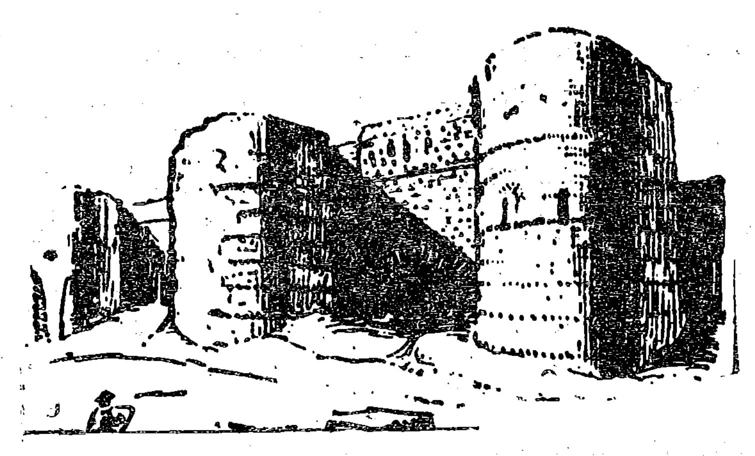
وأستولى عليها قمبيز ملك الفرس بعد انتصاره على مدينة الفرما وتغلبه على بسماتيك الثالث عام ٥٢٥ ق٠م ٠

وحافظت منف على أهميتها ومكانتها بعد تأسيس مدية الاسكندرية عام ٣٣١ ق ٠ م ٠

وفى عهد نيودوسيس أصدر أمرا بتخريب معبد بتاح وهدم جميع التماثيل التى كانت تزين المدينة عام ٨٣٠ م ٠

وكانت مدينة منف مقرا للمقوقس زعيم القبط عندما كان يتفاوض مع عمرو ابن العاص ٠

ثم نقل الفاتحون العرب مقر حكمهم مرة أخرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من النيل حيث أنشأوا مدينة الفسطاط مكان (حرى رع حا) وبابليون واستعملوا الحجارة التى كانت في مباني عاصمة الدولة القديمة في تشييد مساجدهم وقصورهم وقلاعهم ٠



– حصن بابيلون ١٣٠٠ ق٠م

وقد كانت منف تثير الاعجاب حتى أن أحد كتاب العرب وصفها بأنها كانت تحوي الكثير من العجائب التى يحار لها العقل ٠

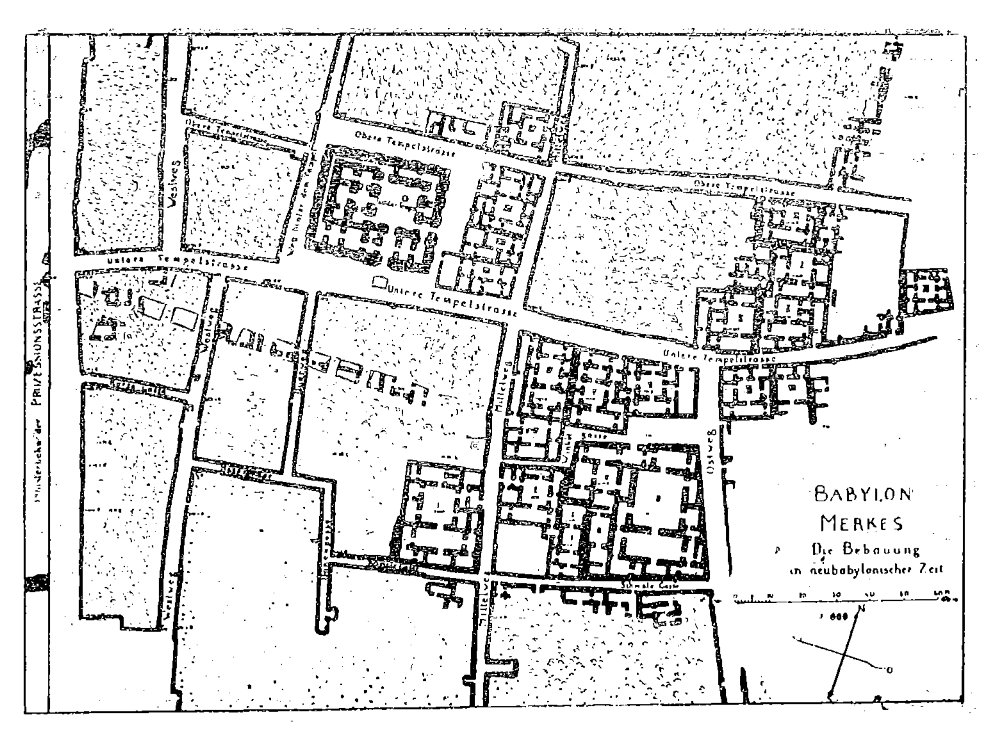
بابليون ١٣٠٠ ق٠م :

قام بانشائها رمسيس الثانى واتخذت اسمها من أسرى البابليين الذين ثاروا عليه فبنى القلعة التى اعتقلهم فيها وسميت باسمهم ٠ ثم أطلق الاسم على المدينة بأكملها وقد وجدت بين انقاض وحفريات الحصن بعض الأوانى والأدوات الحربية التى ترجع الى ما قبل الأسرات ، والتى يرجح أنها تعود الى حرى عحا القديمة ٠

وقد ذكر مانيتون أنه وجد بين أنقاضها حجرا يحمل ختم مينا كما اشتهرت بابليون فى العصر الرومانى فى عهد الامبراطور أغسطس ٠ كذلك قام الامبراطور تراجان باعادة بنائها عام ١٣٠ ق٠م وحول الحصن الى مدينة عسكرية ٠ كما لعبت بابليون دورا هاما فى العصر القبطى ، ويحتفظ حصن بابليون بذكريات المسيحية الأولى فيضم بين أرجائه مجموعة من الكنائس أهمها كنيسة القديس سرجيوس التى لجأت اليها العائلة المقدسة عندما لجأت الى مصر ، وتعتبر أقدم كنيسة فى العالم المسيحى ، وكنيسة القديسة بربارة ، والكنيسة المعلقة التى أقيمت بين برجين رومانيين وكنيسة مار جرجس ٠

فى بابليون بدأ نظام الرهبنة فى المسيحية التى نقلها الأقباط عن الفراعنة وانتقلت من مصر الى مختلف أنحاء العالم المسيحى ٠

كما بدأ فى القاهرة أيضا نظام التصوف الذى خرج بدوره من مصر الى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ٠



ـ مجموعة مبانى وتخطيط مدينة بابيلون ۱۳۰۰ ق٠م

هضبة الأهرام ومدينة منف

۱۲۰ ألف من سكان باريس تظاهروا فى العام الماضى لضرورة عدم أقامة مبانى حديثة فى العاصمة وقد استجاب رئيس الجمهورية الى رغبتهم ، وكذلك الحال فى انجلترا وأسبانيا والهند والبرازيل وغيرهما بصدور قوانين تحرم اقامة المبانى الحديثة حول المبانى الأثرية التاريخية ٠

ومع ان كل ما هو كائن على سطح الأرض جميعا يخاف من الدهر الا أن الدهر نفسه يخاف من هضبة الأهرام ٠٠ ومن الهرم الأكبر بالذات ولذا ابتعدنا عن الهضبة كلها أو عن المدينة كلها خشية لعنة الفراعنة لعنة الأجيال السابقة ٠

كم كان يحز الألم فى قلبى وروحى حينما قرأت فى أحد المجلات الأجنبية عناوين ضخمة تقول : احموا آثار مصر من مصر ٠٠ أو الاثار الفرعونية ليست ملكا لمصر بل هى ملك للتاريخ والعالم كله ٠

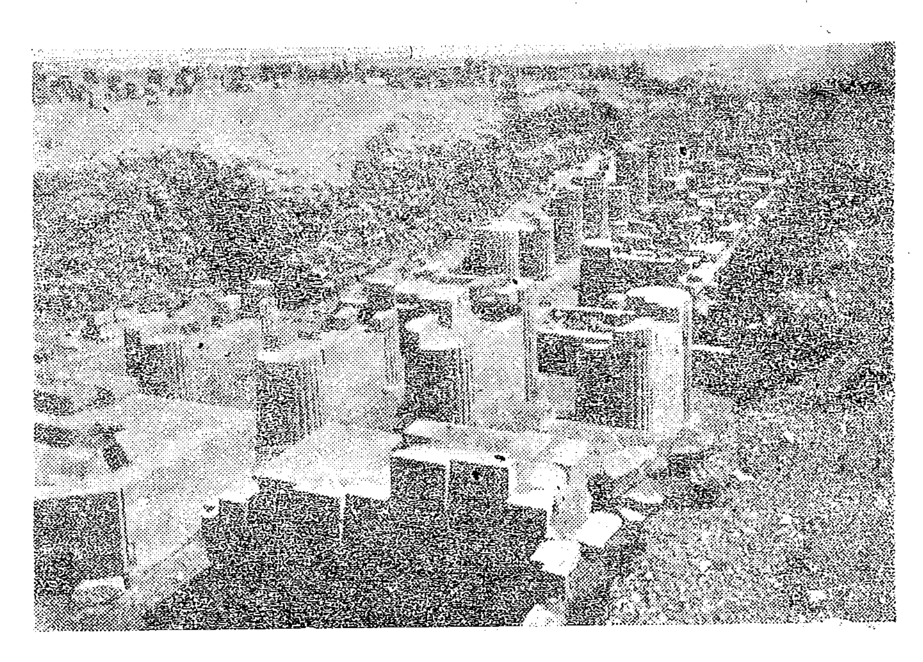
ان أكثر من أربعين قرنا كانت تنظر بقلق الى ما قد كان يحدث وفى القرن العشرين حول منطقة الأهرام تلك المنطقة المقدسة التى سجلت علاقة السماء بالأرض أو علاقة

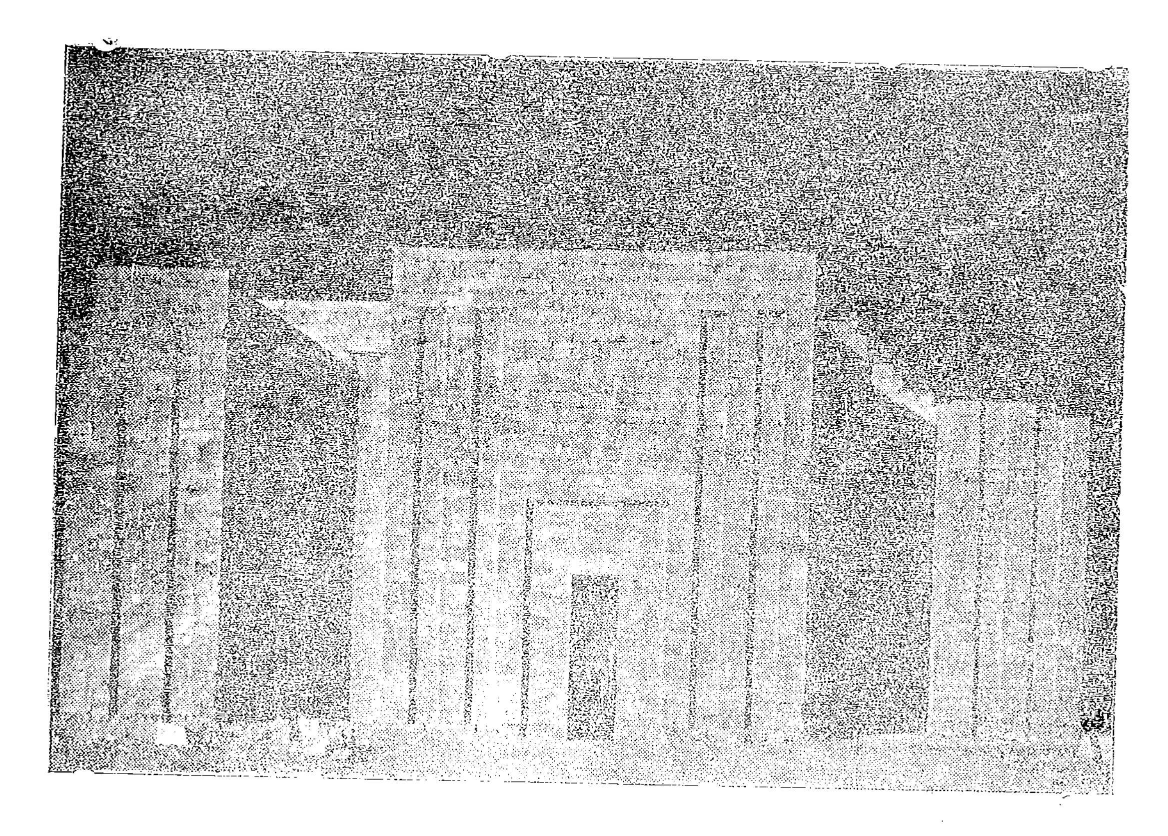
البشرية برسالات السماء المتتالية التى تدعو الناس الى عبادة الاله الواحد الأحـد ، وما أوضحته تنبؤات الهرم الأكبر من تحديد تاريخ موجات الايمان وموجات الاتحاد ونزول الكتب السماوية ورسالاتها المتتالية التى تتفق جميعها فى المصدر والعقيـــدة والرسالة والدعوة ـ

● منطقة هضبة الأهرام هى مدينة منف أو ممفيس Memphis تقع مدينة « أون » on بمعبدها الدينى والروحى ـ معبـد الشمس فى هيليوبوليس ـ عين شمس ـ على الضفة الشرقية للنيل ، حيث كانت تمتد جنوبا الى منطقة المعادى و « حل أون » حلوان حاليا · وعلى الشاطىء الغربى للنيل ، وفى الجهة المقابلة تماما لمدينة حلوان تقع مدينة منف أو ممفيس القديمة ، مكان قرية « ميت رهينة » حاليا ، وكانت أحد المراكز الدينية الهامة لعبادة الاله وعاصمة مصر أثناء المملكة القديمة ٢٧٨٠ ـ ٢٢٥٨ ق·م وثانى أكبر المدن المصرية ومقرا لحكم الامبراطورية عند ملتقى الوجهين البحرى والقبلى ·

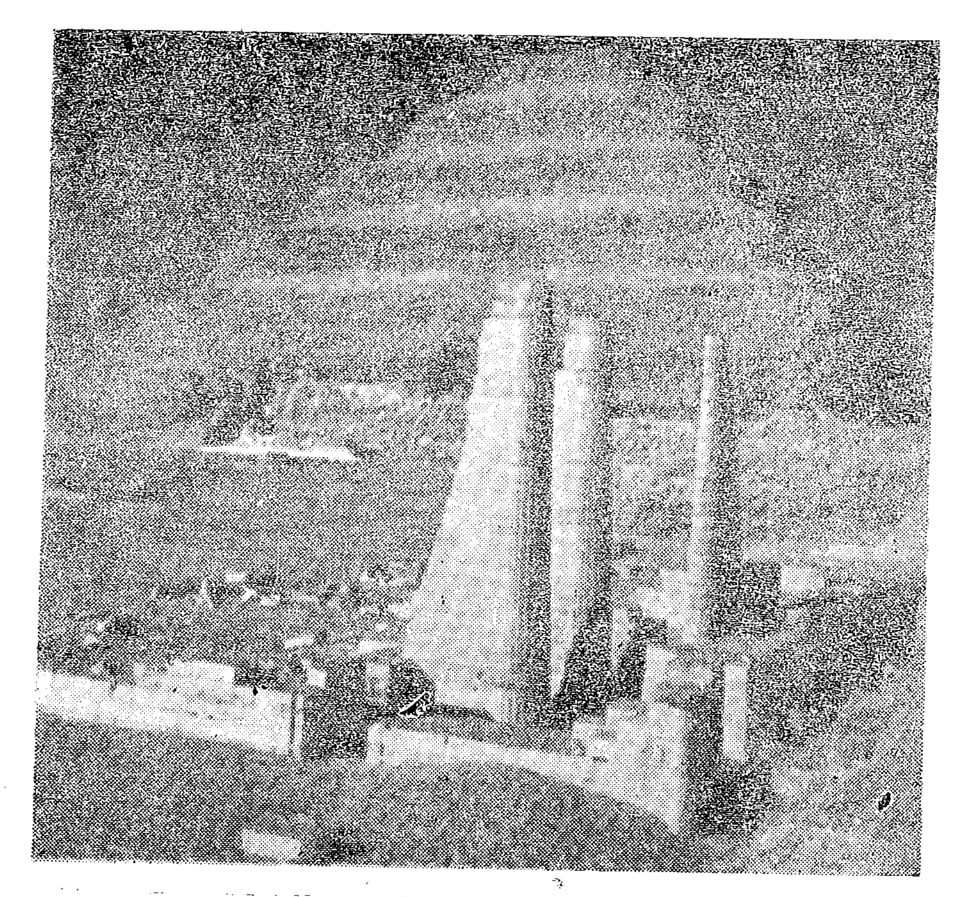
كانت مدينة منف القديمة تطل على شريط أخضر للاراضى الزراعية تبعـــد عن النيل وتتصل به بالترع والقنوات المائية التى تم حفرها ، واعتبرت ميناء بحرى هام ومركز زراعى وتجارى وادارى ودينى تضم عدة أحياء ســـكنية ـ كوزموبوليتان ـ

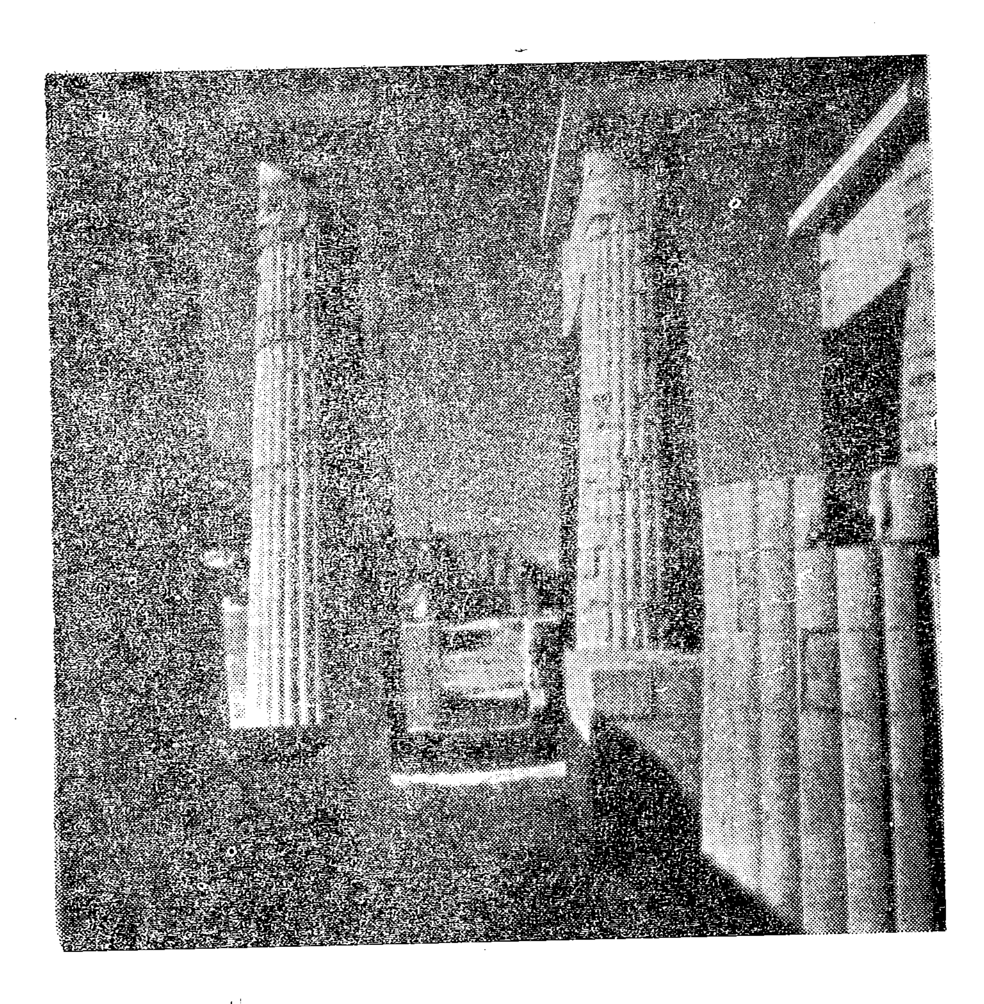
ـ صالة الاحتفالات الكبرى الملحقة بمجموعة مبـانى مدينة زوسر سقارة ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق·م

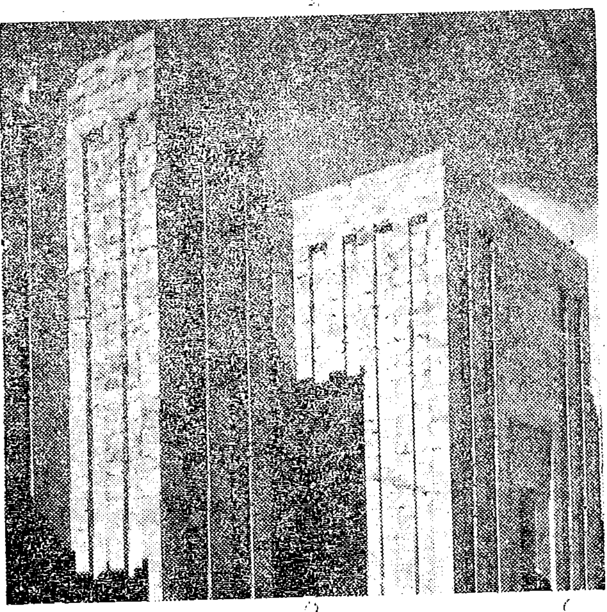




- أسوار مدينة منف الشاهقة تحيط بالمعابد المقدسة للمدينة ٠
- مجموعة مبانى معبد سقارة بمدينة منف يتوسطها هرم سـقارة المدرج ـ الملك مينا والذى يعتبر فى التاريخ المصرى القديم أول ملوك الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق٠م







– مدينة زوسر سقارة : أول عمـــل معمارى وانشائى فنى حضارى فى العالم لم يسبق لـــه مثيل من قبل ٠ ويعتبر بداية للحضارة الانسانية ٣٢٠٠ – ٢٨٠٠ ق٠م

– أسوار مدينة هرم سقارة المدرج

بالاضافة الى عدد كبير من المعابد والقصور والمناطق الصناعية والتجارية فضلا عن المساحات الخضراء والحدائق والبحيرات التى تتخللها ٠

امتدت مدينة منف عبر تاريخها القديم شمالا الى أبو صوير ودهشور وسقارة ، ثم الى هضبة الأهرام بالجيزة وأبى الهول حتى نزلة السمان ، ثم غربا الى أبى رواش والجيزة وزاوية العريان ٠

تشير الوثائق التاريخية القديمة والبرديات أن الملك « مينا » ٣١٠٠ ق٠م، أول ملك وحد القطرين الشمالى والجنوبى ، هو مؤسس مدينة منف فى هذه المنطقة التى تتميز بموقعها المتوسط بين القطرين أو الفاصل بينهما ــ قبل التوحيد ــ وهى ميزة سياسية كبرى ، انشاء « مينا » قلعة ضخمة فى هذه المنطقة ــ عند قرية ميت رهينة حاليا ــ عرفت باسم الجدار الأبيض حيث كانت النواة الأولى لتلك المدينة الكبيرة التى اتخذت عاصمة للبلاد طوال حكم الدولة القديمة والتى عرفت باسم « من نفر » وسماها اليونان بعد ذلك باسم «ممفيس» وحرفها العرب الى « منف » ٠

وفى منطقة « سقارة حاليا » وهى احدى المناطق الشمالية لمدينة منف والتى يرجع تاريخها الى ٣٥٠٥ ق٠م حيث وجدت بعض المقابر بها تشير الى هذا التاريخ ، تتربع تلك المجموعة المتكاملة الضخمة العملاقة للمبانى يتوسطها الهرم المدرج للملك زوسر ، ثانى ملوك الأسرة الثالثة ٢٦٨٦ ــ ٢٤٩٤ ق٠م تصميم المهندس المعمارى الفنــــان « ايمحتب » مستشار الملك ، عالم الطب والفلك والرياضة ، ورئيس الوزراء ٠ كما ينسب الى ملوك الأسرة الثالثة الكثير من الأهرامات الغير متكاملة أو التى أصابها التدمير فى امتداد منطقة سقارة جنوبا فى المنطقة المسماة حاليا « دهشور » حيث بنى الملك « سنفرو » أول ملوك الأسرة الرابعة مقبرتان هرميتان ، احداهما لزوجتـــه « حتب حرس » أم الملك خوفو بلغت قمة الابداع والجمال بما احتوت عليها من نقوش وزخارف وما وجد بها من حلى ومتاع تشهد للصانع والفنان المصرى بأرقى درجات الصناعة وحسن الاخراج ٠

وأهم ملوك الأسرة الرابعة هم « خوفو » ٢٦٥٦ ــ ٢٦٣٢ ق٠م ، وخفرع ٢٥٣٠ ق٠م ومنقرع ٢٥٥٦ ق٠م المنسوب اليهم بناء أهرامات الجيزة الثلاثة وأبى الهول ، تلك المجموعة الملكيـــــة الخالدة لأعمال ضـــــخمة لازالت حتى الآن أسرارا لم تفك رموزها بعد ٠

لا بد من وقفة هنا ونحن نسجل التاريخ الصحيح الذى لا يكذب ، تاريخ هذه المنطقة ، حيث أن بعض المؤرخين القدامى اعتمدوا فى تسجيل التاريخ المصرى القديم

على الاجتهاد والنقل من بعضهم البعض أو اهتم البعض الآخر بالأمور السطحية الشكلية ، أو ربما على خيال وجرأة البعض منهم فى الصورة التى يرسمونها بناء على قدراتهم الشخصية ، الى أن ظهرت الآلات والأدوات الحديثة مثل البوصلة ، وأشعة × والأشعة الحمراء وما فوقها ، والكربون المشع رقم ١٤ والطيران وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ٠٠ تسلح العلماء والباحثون والمكتشفون ورجال الآثار بالعلم وبالامكانيات الحديثة فى الكشف عن التاريخ الصحيح ، وصمتت الأساطير والاجتهادات والروايات ٠

ثبت علميا أن الهرم الأكبر لم يكن مقبرة لملك مسرف ، ولا وضعا من الأوضاع الدينية ، لم يكن بناؤه لاقامة احتفالات القداس بطقوس عبادة السلف أو طقوس أوزوريس التى كانت تقام فى المعابد ٠٠٠ ولكن ثبت أن الهرم الأكبر عمل ضخم اقتضته رسالة ضخمة ٠ ثبت أنه وثيقة مرئية تكشف عن أسرار الكون ، وأنه معبد مقدس أو « قدس الأقداس » الذى يحتفظ بداخله أسرار الوجود الكونى ومرصد لعلوم الفلك وسجل لتاريخ البشرية فى الماضى والحاضر والمستقبل ٠

ورد فى احدى برديات منف أن « الهرم الأكبر تجسيد لكتاب الموتى Book of the Dead برديات الكتاب المقدس للحكيم آنى — بما فيه من معرفة كونية وتعاليم سماوية وأسرار علاقة دورة الفلك فى السماءبدوره الحياة فى الأرض ٠ وسيحتفظ الهرم بأسراره لا يكشف عليها الا لمن ينال الاذن الالهى ٠٠٠ ورد فى كتاب الموتى بأن الهرم الأكبر بيت الحكمة الذى يحوى أسرار الحكمة والعلوم ٠ فزواياه الأربع تمثل أركان الدنيا الأربعة أو العمد التى تحمل قبة السماء وتعبر عن الحقيقة والمعرفة والسكون والغموض — وواجهاته الأربع التى تواجه الجهات الأصلية ، الواجهة والجنوبية تعبر عن الحرارة ، والشمالية عن البرودة ، والشرقية عن النور ، والغربية عن الظلام ٠ كما أن أسطحه المثلثة تعبر عن القوة الالهية الثلاثية ، ويعبر كل مثلث منها عن ثالوث مقدس من ثلاثيات الخلق والعقيدة والتكوين ٠

ومن برديات علاقة الهرم بكتاب الموتى وأسرار المعرفة بردية « تحوت الى خوفو عندما سلمه أسرار الهرم بقوله « لا تدع أحدا يطلع على هذه الأسرار أو يراها الا فرعون وشرحب — الكاهن الأكبر — لن يراها أحد أو يقترب من بهو المقدسات أحد ٠ أنه يحوى أسرار الوجود المقدسة ٠ لا تدع عينا تراه أو أذنا تسمع عنه : لا تنطق بما فيه لأحد ولن يسمع عنه الا أنت نفسك ومن يفسر لك تعاليمه وأقرب الناس الى قلبك ومن امتلأت قلوبهم بنور الاله ٠ لا تطلع أحدا على مكان وجود تلك الأسرار المقدسة أو ما يدل على وجودها ٠ ان ما به من أسرار تعطى لمن يكشفها القوة التي ترفعه الى مصاف الالهة

فى الحياة ، وتكشف له الغيب ، وتنير له الطريق المؤدى الى عالم الخلود · ستنير له طريق اليوم وتكشف ما يخبئه الغد وتحدد له المصير ·

سجل الهرم الأكبر على حوائطه وأرضياته وأسقفه وممراته ومنحدراته تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة حتى نهاية العالم · أجمع العلماء والباحثين على تسجيل هذه الحقائق وخاصة بعد أن اكتشف العالم الانجليزى « جريفز » البوصه الهرمية أو وحدة القياس التى تعبر عن سنة زمنية واستخدمها فى قياس جميع الأبعاد المختلفة الخارجية والداخلية للهرم للكشف عن ما يحتفظ من أسرار فى باطنه · أعتبر جريفز أن هذه الممرات وتلك المنحدرات ما هى الا عبارة عن خط بيانى مسجل عليه تاريخ البشرية من خلال تقاطع الممرات أو تغيير اتجاهاتها وأبعادها وارتفاعاتها ، واكتشف أنها تمثل جميع الانقلابات والاحداث والكوارث والثورات والحروب منذ بدء الحياة على الأرض حتى يوم البعث · حدد تاريخ بناء الهرم وغلق أبوابه بعام ٢٤٤٤ ق·م ، وحدد تاريخ الطوفان الثانى الذى حدث بعد أحكام غلق أبواب الهرم بمائة وخمسين سنة ، واستمر فى تسجيل التاريخ وأحداثه والانقلابات الروحانية والاجتماعية والسياسية والكوارث الطبيعية حتى نهاية الممر ومدخل محرب الاله الذى أطلق عليه باب البعث أو نهاية العالم الذى تحدد بعام ٢١٥٠ م ·

يسجل الخط البيانى لهذه الممرات مجموعة من التواريخ بامتداد الممر المنحدر ارتبطت جميعها بالعقيدة وتطوراتها وعلاقاتها بالاحداث السياسية والاجتماعية التى مرت بها · ويستمر انحدار الممر لكى يتقابل مع الممر الصاعد ، وتشير الى عام ١٢٦٠ ق·م وهى نقطة التحول بنزول رسالة التوحيد على اخناتون · وتشير بداية الممر بعد منطقة الحواجز التى اعترضت رسالة التوحيد الى عام ١٢٨٠ ق·م الى تاريخ خروج اليهود من مصر ونزول الرسالة على سيدنا موسى · كما يدل انخفاض ارتفاع الممر وهو حوالى ـر١ م الى العقبات التى واجهت رسالة موسى والأحداث الهامة منها اقامة عرش سليمان ٩٥٠ ق·م وزلزال القدس الذى حطم الهيكل ثم ينتهى الممر الى مدخـل البهو الأعظم أو قاعة النور التى يرتفع سقفها الى ٧٠ر٨ ويرمز ذلك الى ذلك الانقلاب الروحانى العالمى وهو ميلاد المسيح سيدنا عيسى ·

ثم يستمر هذا البهو الأعظم فى تسجيل التنبؤات بالأحداث التى حدثت منها ·

ـ الانقلاب الروحانى ودخول الاسلام فى مصر ٦٤٥ م ، الحروب الصليبية فى القدس ١١٠٠ م ، الثورة الفرنسية ١٧٩٢ م ، الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ١٩١٤ م ، ١٩٣٩ م ، واضرابات عالمية ١٩٧٠ م ونكبات متسلسلة حتى عام

٢١٥٠ م وهو بداية صعود سقف غرفة الملك أو غرفة البعث ، حيث يظهر تطور روحانى جديد وتعود الشعوب الى التمسك بأديان التوحيد والعقيدة • وتستمر هذه المرحلة حتى عام ٢٨١٥ م الذى ينتهى عند باب غرفة محكمة الآخرة وهو نهاية الشيطان ونهاية العالم ويوم البعث •

● وبعد أن أستمرت البلاد قوية متحدة متماسكة طوال حكم ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة — وجانب كبير من الأسرة الخامسة فى ذلك العصر المسمى بعصر بناة الأهرام ، عصر الدولة القديمة عصر الاستقرار نرى ان ملوك الأسرة الخامسة ٢٤٩٤ — ٢٣٤٥ ق•م اهتموا بالعاصمة منف بانشاء المعابد الجنائزية ومعابد الشمس والمعابد الهر..ة جنوب الجيزة بالقرب من أبو صوير حاليا — وبالأهرامات الصغيرة الحجم •

وفى عهد الأسرة السادسة ٢٣٤٥ — ٢١٨١ ق•م استمر ملوكها فى انشاء المعابد الجنائزية فى منطقة سقارة • ومن الغريب أن يظهر فى هذه الفترة اسم منف الذى أطلق على المدينة بأكملها حيث أنشأ بيبى الأول Pepi حى جديد جنوبى الأسوار البيضاء وجعله مقر حكمه وبنى بالقرب منه هرمه المعروف باسمه ، وأطلق على المدينة والهرم اسم « من نفر » ومعناه — يبقى الجمال — وتطور هذا الاسم بعد ذلك الى « ممفيس » باليونانية ومنف بالقبطية والعربية •

بدأ نفوذ هذه الأسرة يضعف نسبيا حيث توقفت أعمال البناء فى مدينة منف وظهرت بعض المبانى التذكارية الهامة فى مناطق أخرى من الامبراطورية الحديثة بعيدة عن منف ، وخاصة حينما اتخذت « طيبة » الأقصر مقرا للعرش وعاصمة للبلاد واعلان آمون الها رسميا للبلاد ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالأسرتين السابعة والثامنة •

● وفى عصر الدولة الوسطى الأول ٢٣٠٠ — ٢٠٦٠ ق•م انتشرت الفوضى فى البلاد ، واختل الأمن ، وتلاشت السلطة المركزية ، واختفى سلطان العرش وما كان يتولى ملك أو حاكم الا ليقتل وأغار بدو الصحراء على الدلتا • وفى خلال هذه الفوضى ظهرت « بمدينة اهناسيا » عند مدخل منخفض الفيوم أسرة قوية بزعامة أمير يدعى « خيتى » اغتصب العرش من أسرة « منف » الثامنة الضعيفة بمساعدة أمراء أسيوط الذين تحالفوا مع الاهناسيين وحاولوا نشر سلطانهم على أقاليم الوادى كله من (اهناسية) التى ظلت مقرا للعرش طوال حكم الاسرتين التاسعة والعاشرة •

كانت علاقة اهناسية بطيبة سليمة فى بادىء الأمر ولكن نشبت حروب بين الاهناسيين والطيبيين انتهت بانتصار طيبة حيث تمكن « منتوحتب الثانى » أحد ملوك

الأسرة الحادية عشر الطيبية من أسقاط عرش اهناســـية وجلس على عرش مصر المتحـــدة ٠

في عصر الدولة الوسطى الثاني ٢٠٤٠ ـ ١٧٨٥ ق٠م٠ أعاد منتوحتب الثاني الى البلاد وحدتها واستتب الأمن وتوطد النظام وقضى على الحروب الاهلية ثم جاء من بعده امنحات الأول ، الذى أخضع أمراء الاقاليم لسلطانه ، وطهر أطراف البلاد من البدو الليبيين والعصاة النوبيين ، وأهم ما يذكر فى هذا الشأن أنه نقل العاصمة من طيبة الى « ايشت تاوى » مكان اللشت الحالية عند مدخل الفيوم ٠

أنشأ ملوك الدولة الوسطى ، الأسرة ١٢ أهرامات فى دهشور جنوب منف ومعظم اثار هذه الاسرة موجودة حول « اللشت » المعبـــد الهرمى للملك سيزوستريس الاول Sesostris مع اضافات كثيرة لمختلف ملوكها وحكامها الى معبد الاله « بتاح » بالاضافه الى مشروع السد فى منطقة الفيوم لانقاذ ذلك المنخفض الواسع من الغرق وحولوا هذه المنطقه الى جنه خضراء ، واهتموا بالتجارة وحفر « سنوسرت الثالث » قناة فى شرق الدلتا وصل بها النيل بخليج السويس عن طريق وادى طميلات والبحيرات المرة التى تعتبر هذه القناة اقدم طريق مائى وصل بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر خلف « امنمحات الثالث » الذى طال حكمه أكثر من ٥٠ عاما مما أضعف سلطة العرش ، ملوك ضعاف تلاشى على أيديهم نفوذ فرعون تماما وسقطت الدولة الوسطى الثانية ودخلت مصر مرة أخرى فى عصر من عصور الفوضى والظلام ٠

العصر الوسيط الثانى ١٧٨٦ ـ ١٥٦٧ ق٠م نتيجة لضعف البلاد والفوضى التى استشرت بها أغار الهكسوس على البلاد مستخدمين أسلحة ـ لم يتعود المصريون على استعمالها بزعامة ملك يدعى « سالتيس » Solitis وجعل مدينة منف مقرا للحكم حيث لم يبق من مصر المستقلة سوى رقعة ضيقة فى صعيدها يحكمها أمراء طيبة ، وظل حكم الهكسوس قائما طوال الاسرتين الخامسة والسادسة عشرة وجزء من السابعة عشرة ، وتشير بعض المراجع والنقوش على أن الهكسوس جعلوا « أواريس أو أفاريس » بالقرب من تانيس فى الدلتا عاصمة لهم ٠

بلغ حكام طيبة من القوة والبأس حتى اضطر أمير طيبة « سقنزع » محـــاربة الهكسوس وخلفه من بعده ابنه « كاموسا » الذى كانت أمه العظيمة « اباح حبت » تشجعه وتنفخ فيه من روحها الوثابة المملوءة حماسة ووطنية ، واتجه جنوبا وتمكن من تخليص جانب كبير من أرض مصر الوسطى بعد أن هزم الهكسوس فى «الأشمونين» ولما عاجلته المنية شهيدا على أرض الموقعة اندفع أخوه « أحمس » شمالا بقوة وعزم

وصلابة يطارد الهكسوس حتى وصل عاصمتهم « أواريس » التى سقطت فى يده ، فر الهكسوس الى فلسطين فتبعهم أحمس وطاردهم وشتت شملهم فى موقعة « شاروهين » وقضى عليهم نهائيا ورجع أحمس الى طيبة عاصمة الثورة التى بدأت منها مسجلا بذلك فصل الختام من ذلك العهد البغيض المشئوم عهد الاحتلال والسيطرة والنفوذ الاجنبى بطرد الهكسوس من البلاد حوالى ١٥٨٠ ق٠م على يد قائدها البطل « أحمس » الذى اعتبر أنه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وواضع حجر الأساس فى بناء مجد مصر العسكرى دخلت مصر فى عهد جديد زاهر سمى بعصر الدولة الحديثة عصر التوسع الخارجى ١٥٨٠ ــ ١٠٩٠ ق٠م٠ اصطلح بعض المؤرخين على تسميتها بالامبراطورية المصرية التى شكلت فى حقيقة الأمر وحدة افريقية اسيوية بزعامة مصر تضم شمال السـودان وفلسطين وسوريا ، كانت طيبة مقرا للحكم ومنف مركزا للاشعاع الحضارى والفنى والسياسى وبلغت ذروة المجد والازدهار ، ويشير بعض المؤرخين أن مدينة منف لم تفقد نفوذها السياسى حيث أن مدينة طيبة كانت دائما مركزا للاشعاع الدينى والروحى ، بل وتظهر أهمية منف التى ارتكزت على قوتها الدينية فى اقامة حفلات تتويج الملوك والاحتفالات بالأعياد الدينية والموسمية ٠

● كانت منف أثناء عصر الدولة الحديثة ١٥٨٠ ــ ١٠٩٠ ق٠م هى العاصمة الثانية لمصر أو العاصمة الأولى الشمالية لها والمقر الرسمى لولى العهد ، وتشير العديد من نقوش ووثائق وبرديات الاسرة الثامنة عشرة ١٥٦٧ ــ ١٣٢٠ ق٠م الى مجموعات الصيد الملكى التى كانت تجرى فى الصحراء بالقرب من أبى الهول ، وأن الملك أمنحتب الثانى ١٤٥٠ ــ ١٤٢٥ ق٠م الذى حكم مصر مولود فى منف ، بالاضافة الى أنه تولى منصب الكاهن الأعظم للبلاد، وقد ترك هو وابنه تحوتمس الرابع بصماتهما بما سجلوه من نقوش على آثار أهرامات الجيزة ٠

وعلى الرغم من ازدياد قوة الاله آمون فى طيبة ظلت قوة الاله بتاح فى مدينة منف كأحد الآلهة الرئيسية كما هى ، وأضافت ملوك وحكام هذا العصر اضافات كثيرة لمعبد المدينة العظيم والكثير من الاصلاحات ، وأنشأ تحوتمس الأول والرابع وامنحوتب الثالث الكاهن الأكبر لمعبد بتاح ، هذا الأمير الذى سمى بعد ذلك اخناتون ٠ بنى معبدا لدينه الجديد فى منف دين الواحد الأحد الاله آتون ٠

انعكست قوة الدولة الحديثة على مدينة منف وشاركت فى الازدهار كمركز عالمى للتجارة والسياحة وعلى الرغم من أن المدينة لم تقع على النيل مباشرة الا أنها ارتبطت به بواسطة الترع والقنوات التى شقت بين أرجائها المتسـعة وأطلق على كثير من أحيائها أسماء تعبر عن المستعمرات الأجنبية التى انضمت الى هذه الدولة مثل أحياء العبيد ، أسرى الحروب ، التجار ٠٠ الذين سكنوا المدينة ٠

● اتجه اخناتون نحو رسالة التوحيد فى العبادة وآمن بالله الواحد الأحد الذى لا شريك له · تمثله فى قرص الشمس ، آتون ، الذى يرسل أشعته الذهبية على كل ما فى الكون ، حاملة الحياة والنور ، قضى اخناتون معظم فترة حكمه فى محاربة « آمون » اله الدولة القديم ، وفى القضاء على نفوذ وسلطان كهنته ، وفى التشهير والدعوة للدين الجديد فى وقت كان يتطلب فيه بذل أقصى الجهود وتعبئة جميع القوى لمواجهة خطر « الحيثيين » الجاثم على الأبواب ·

لقد كان هذا الدين الجديد مظهر لاتساع أفق الفكر عند المصريين ، كما كان أول دعوة للتوحيد عرفها التاريخ ، ولكنه لم يكتب لهذا الدين البقاء لعوامل كثيرة أهمها : تذمر الشعب وسخط رجال الجيش ومقاومة رجال الدين القديم ·

انشىء مبنى جديد أثناء حكم الاسرة التاسعة عشرة ١٣٢٠ ـ ١٢٠٠ ق·م مقرا للحكم وسكنا للملك فى « بررميسو » فى الدلتا واستمرت منف فى نفوذها وقوتهـــا وأهميتها ببناء المعابد · أنشأ رمسيس الثانى ١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق·م الكثير من الاعمال الضخمة واضافات متعددة لبعض المعابد كما أنشأ معبد سرابيوم لعبادة العجل أبيس فى منف وتم تنصيب ابنه خامويس كاهنا لمعبد الاله بتاح ·

● وفى نهاية الأسرة العشرين بدأت وحدة المملكة الحديثة فى التفكك · وعلى الرغم من أن العاصمة فى هذه الفترة كانت فى تانيس شمالا والأخرى فى طيبة جنوبا الا أن مدينة منف كانت لها مكانتها بوجود قصر الملك فيها ، أخذت الأسرة الواحد والعشرين فى الضعف المضطرد حيث كثرت الجنود المرتزقة من الليبيين كما أخـــذ الليبيون يهاجرون الى الأراضى الزراعية ويستوطنونها ، واستقرت احدى الأسر الليبية فى « اهناسية المدينة » وتمكن أحد زعمائها من الجلوس على عرش البلاد ٩٤٥ ق·م حيث اتخذ « بوبسطة » بالقرب من الزقازيق عاصمة للبلاد ، وانقسمت البلاد فى هــذه الفترة الى عدة امارات حربية وانفصلت النوبة عن مصر واستمرت البلاد على هذا الحال من الانقسام والضعف والتفكك الى نهاية الاسرة الرابعة والعشرين ·

حوالى سنة ٧٢٠ ق·م تمكن ملوك النوبة من الاستيلاء على مصر وأسس ملكهم بيـــــانخى Piankhi الاسرة الخامسة والعشرين ، كانت سلطة هذه الأسرة ضعيفة فى الدلتا نظرا لوجود عدد من الامراء المحليين الاقوياء المتنازعين على السلطة أيضا تشير بعض النقوش المحفورة على حوائط مدينة منف أن الملك النوبى (بيانخى) حاصر المدينة التى قاومت كثيرا بحماية أسوارها الحصينة المحاطة بالمياه ـ المأخوذة من الترع والقنوات التى تتخللها ـ ولكنه استولى عليها وتركها لأخيـــــه وخليفته « شـــــاباكا » Shabaka حيث اتخذ مدينة منف عاصمة للملك والحكم ، ولم

يستمر حكم هذه الاسرة النوبية Kushite بضع عشرات السنين حتى غزا الاشوريون مصر وطردوهم من البلاد ، حيث استطاع « أشور بانيبال » غزو مصر بعد أن استولى على فلسطين ، وتشير النقوش التى تركها الملك الأشورى (أسارهادن) Esarhaddon ٦٨٠ ــ ٦٦٩ ق٠م الى حصار وتخريب مدينة منف ، ويسجل القصر الملكى فى المدينة اسم « طاهاركا » Taharka فرعون مصر ٦٨٩ ق٠م الذى استولى على مدينة منف وطرد منها عام ٦٦٧ ق٠م ٠

● وبسقوط الحكم الاشورى للبلاد ٦١٢ ق٠م والذى أدى الى الاسرة السادسة والعشرون ، كان ركب الحضارة بدأ يتحول من الشرق الى الغرب ، وظهرت الحضارة الاغريقية ، ففتح لهم ملوك الاسرة ٢٦ أبوابهم وشجعوهم على الاستيطان فى مصر ولكن هذه الفترة لم تدم طويلا حتى ظهر غزاة جدد لمصر ٠

غزا «قمبيز» الفارسى مصر عام ٥٢٥ ق٠م٠ وحاصر مدينة منف واستولى عليها ، عامل المصريين بقسوة واحتقر معبوداتهم ودينهم ، ثم حاول « دارا » خليفته أن يسلك الطريق الاخف ليصلح ما أفسده سلفه ، ولكن قيام ثورة المصريين التى انتهت بتحرير البلاد من الفرس بقيادة زعيم الثورة « أمون حر » مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين عام ٤٠٤ ق٠م ، ثم تلتها الاسرة التاسعة والعشرين الوطنية التى اتصفت بعدائها للفرس ومودة الاغريق أنهت الغزو الفارسى ٠

رحب المصريون بقدوم الاسكندر الاكبر ٣٣٢ ق٠م الذى استخدم منف مقـــرا للقيادة ومكانا للتحضير وعمل المشروعات للمدينة الجديدة الاسكندرية ٠ وبعد وفاته فى بابليون نقلت جثته الى مصر وتم دفنها مؤقتا تمهيدا لنقلها بعــد ذلك الى الاسكندرية ٠

تحت حكم الاسرة الهيلينية البطليموسية Hellinistic & Pitolomic ٣٠٥ ــ ٣٠ ق٠م استعادت منف قوتها الحضارية ومقوماتها كمدينة ضمت أعـــدادا كبيرة من العائلات الاغريقية كما تشهد بعض المعالم واللمسات الاغريقية الرومانية فى أنحائها مثل استخدام القراميد الفخار الرومانى فى الأسقف ٠

● وفى بداية القرن الأول الميلادى نجد أن مدينة منف لازالت تحتفظ بمكانتها كعاصمة كبرى لمحافظة كبيرة ، الا أن عوامل التحلل والانهيار لتلك المدينة التاريخية لم تظهر عليها الا بعد انتشار المسيحية والمتعصبين للدين الجديد الذين حاولوا هدم بعض المعابد الدينية، وفى القرن الخامس الميلادى أقيم دير للاب جرمين Apa Germais فى مقابر منطقة سقارة ٠

استمرت مدينة منف العاصمة فى الانهيار والتحلل عند الغزو الاسلامى على مصر عام ٦٤٠ أقيم حصن وقلعة بابليون فى الطرف الشرقى للكوبرى الذى يعبر النيل من مدينة منف ، ولكن بعد حصار طويل دخلها عمرو بن العاص واستولى عليها ، وبعد ذلك تحولت الى مكان مهجور ونقل الكثير من أحجار المعابد والمبانى التذكارية الى القرى المجاورة أو لاستخدامها فى بناء بعض مساجد القاهرة ٠

وبعد ٠٠ هذه هضبة الأهرام ٠٠ الحقيقة والتاريخ ، التراث والمجد ، مدينة الأحياء والأموات ، منف المقدسة ، ان هذه المنطقة ملك للامة المصرية بأجيالها الماضية والحاضرة والمستقبلة ملك للارض وللهرم وللتاريخ وللحضارة الانسانية جمعاء ٠

هرم الجيزة الأكبر ٠٠٠ ؟

وثيقة مرئية للكشف عن أسرار الكون :

- **من الذى أنشأ هذا الصرح ٠٠ ؟ هل هو الملك خوفو لكى يكون مقبرة له سنة ٢٦٥٦ ق٠م ٠٠ ؟**
- **هل انشىء منذ أكثر من ١١٥٠٠ سنة أى ما قبل الطوفان ٠٠ ؟**
- **هل هو من صنع بشر من هذا العالم ومن هذا الكوكب ٠ ؟ أم أنه من صنع أناس من كوكب آخر ٠ ؟**
- **أسئلة تحتاج الى اجابة للكشف عن أسرار هذا العمل الذى يحوى بين طياته رسالة ضخمة ٠**

يجيب عن هذه التساؤلات بأمانة العالم والمؤرخ المدقق المهندس المعمارى توفيق أحمد عبد الجواد أستاذ تاريخ العمارة والفنون عضو الاتحاد الدولى للمعماريين ٠ يشرح تاريخ هذا الصرح الشامخ الذى لا يزال يتحدى الزمن ويحتفظ بتاريخ صفاته مطوية فى باطنه تحيط بها الألغاز ويكتنفها الغموض ٠ يصحح الاخطاء والافتراضات والاجتهادات والتخيلات التى رسمها وصورها الكثير من المؤرخين والباحثين الاجانب عن قصد أو غير قصد ويرد الى هذا الصرح تاريخه الصحيح الأصيل تاريخ الانسانية « الحقيقية » ٠

تظهر مصر الفرعونية على العالم أجمع منذ ٧ آلاف سنة ، وبدون مرورها بفترة انتقال أو تحول ، بحضارة رائعة ومدنية خيالية جاهزة مذهلة ، مدن متكاملة العناصر بشوارع مدروسة ورونق جميل على جانبيها تماثيل معبرة ، وبوسائل صرف على أسس فنية سليمة ، معابد متعددة تضم بين أحضانها أسرار رهيبة ، تماثيل ضخمة كبيرة الحجم التى تعبر عن الشعور الكامل لأصحابها ، مقابر غنية منحوتة فى الصخر ، أهرامات ذات أحجام مذهلة ٠٠ جميع هذه الروائع وتلك المعجزات الهندسية والفنية برزت وسجلت حضارة مصر الفرعونية على شريط طويل رفيع أخضر على جانبى نهر النيل من جنوبه الى شماله وعلى الدلتا ٠

يحدثنا التاريخ أن « مينا » أول ملك وحد البلاد ومؤسس الأسرة الأولى سنة ٣٢٠٠ ق٠م وكانت عاصمة ملكه ممفيس أو منف ٠ وسمى عصر الاسرتين الأولى والثانية بعصر التأسيس والبناء ثم بعد ذلك عصر الدولة القديمة أو عصر الاستقرار ٢٩٩٠ ــ ٢٣٠٠ ق٠م أو ما يسمى بعصر بناة الأهرام والمعروف حتى الآن أن أهرامات الجيزة الثلاثة ، خوفو وخفرع ومنقرع ، انشئت فى عهد الأسرة الرابعة ٢٧٢٣ ــ ٢٥٦٦ ق٠م ، حيث تولى الملك « خوفو » الحكم بعد أبيه « سنفرو » ٢٦٥٦ ــ ٢٦٣٢ ق٠م وينسب اليه حتى الآن بناء الهرم الأكبر ٠

● الهرم الأكبر عمل ضخم اقتضته رسالة ضخمة ٠

يقع الهرم فى منطقة على حافة الصحراء وعلى مسافة نحو خمسة أميال غرب الجيزة يبلغ ارتفاعه ١٤٦ م / ٤٨٢ قدم، وطول قاعدته المربعة ٢٣١ر٦٢ م/٧٦٠ قدم، وتتجه واجهاته الى الجهات الأربعة الأصلية أى أن زوايا قاعدته تواجه الشمال والشرق والجنوب والغرب ، وأسطحه ليست مستوية تماما بل هى منبعجة قليلا متجهة نحو الخط المركزى لمنحرف كل وجه ٠

ولهذا الانبعاج أثر هام فى الانعكاسات والأشعة الصادرة عن كل وجه ٠ وكانت انعكاسات الشمس على أوجه الهرم تشير الى الأيام بكل دقة التى يحدث فيها الانقلاب الشتوى ، والاعتدال الربيعى ، والانقلاب الصيفى ، والاعتدال الخريفى ، ومن هذه الفصول تحددت السنة الشمسية الفلكية ، ويقع المدخل فى الواجهة الشمالية على ارتفاع ٢١ر٧٠ م فى مواجهة النجم القطبى تماما ، ويتصل المدخل بممر منحدر طوله ٣٦ م ومنه الى ممر أفقى طوله ٣ م فى نهايته حجرة معروفة خطأ باسم حجرة الملكة منحوتة فى الصخر ٠

وفى الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه الحجرة فتحتين توصلان الى حجرتين

اصطلح على تسميتها بالقنوات الهوائية أو لهدف ديني آخر وهو اتصال الروح بالجسد ٠
وعند تقاطع الممرين الصاعد والأفقي توجد فوهة لبئر عميق تنزل عمودية ثم بعد ذلك منحدرة مسافة ٦٠ م الى أن تصل الى الجزء السفلي من الممر الهابط ٠ وعلى امتداد الممر العلوي المائل الذي يصل ارتفاعه الى حوالي ٢٠ر١ م يتسع ارتفاع امتداد الممر الى أعلا ويؤدي الى حجرة ثالثة وهي أعلا الحجرتين السالفتين ٠

كان يتبع الهرم من الجهة الشرقية معهد جنائزي تقام فيه الصلوات وتقـــديم القرابين ويتصل بمعبد آخر يسمى بمعبد الوادي مقام على حافة الوادي ومتصـــل بالنيل بواسطة قنوات حيث ينزل الناس من مراكبهم يجتمعون فيه ويتطهرون ، ويتصل أيضا هذا المعبد بالمعبد الجنائزي بواسطة طريق مرصوف ومسقوف على شكل نفق مغلق بحوائط على الجانبين وفتحات صغيرة بالسقف لدخول الشمس والتهوية ٠

استعمل الحجر الجيري الناصع البياض في بناء الهرم ، والجرانيت في الجزء السفلي لأسطح الهرم وفي بناء الحجرات الداخلية ، والألبستر في كسوة الأرضيات ٠

● تساؤلات تبحث عن الاجابة نحو تكنولوجيا الهرم :

ويقدر العلماء والباحثين في عصرنا هذا طبقا لدراسات علمية مستفيضة أن عدد سكان مصر أيام بناة الأهرام بنحو ٥٠ مليون نسمة ، ذلك الرقم الذي يتعارض مع رقم الـ ٢٠ مليون لعدد سكان العالم منذ ٣٠٠٠ ق٠م ٠ حيث يستند هذا الرأي الى أن هذه الأعمال الجبارة الضخمة التي أقيمت في عصر الاسرتين الثالثة والرابعة لا يمكن أبدا أن يقوم بها شعب ألا ويكون عدد سكانه يقرب من هذا العدد ٠ فاذا افترضنا أن هذا العدد السكاني الضخم كان صحيحا فهل من الممكن كسائهم واطعامهم ؟ لم يكن عدد السكان هذا يتكون من عمال البناء وقاطعي الأحجار ومهندسين وفنيين وبحارة فقط ٠٠ ، ولم يكن يتكون من مئات الآلاف من العبيد وأسرى الحروب فقط ٠٠ ، بل كان أيضا يتكون من جيش كبير كامل بمعداته ، وعدد كبير من الفلاحين والتجار والموظفين ورجال الدين والكهنة ، وأخيرا وليس آخرا الأسرات الفرعونية الحاكمة ٠ فهل كان من الممكن لهذا العدد الضخم من السكان وتلك الفئات المختلفة التي تحتاج الى الغذاء والكساء أن تعيش على هذه الرقعة الخضراء الصغيرة من الأرض وعلى هذا المحصول القليل من وادي ودلتا النيل ٠٠ ؟

ـــ يحدثنا التاريخ أن قدماء المصريين كانوا يستخدمون قطعا خشبية أسطوانية الشكل مقطوعة من جذوع النخيل لنقل تلك الكتل الحجرية الضخمة ، والتي تزن الكتلة الواحدة منها نحو ١٢ طن ، لتعويمها في النيل أو نقلها بالمراكب واستعمال جسور

من الخشب تنزلق عليها تلك الكتل على الطرق والمنحدرات الى أعلى بواسطة زلاقات من الخشب أيضا تجرها الدواب أو الرجال حتى مواقع العمل ، هذا بخلاف المسـلات التى كانت تقطع من الجبل قطعة واحدة من الجرانيت أو البازلت بطول ٣٥ متر ، المعابد والأهرامات والمسلات ، فهل من المعقول أن القدماء كانوا يقطعون أشجار النخيل، التى لم تكن بالكثرة كما هى الآن على جانبى الوادى ، وهى المحملة بغذاء أساسى ضخم وهو البلح ، فضلا عن الحاجة الشديدة اليها لتظليـل الطرق من الشمـس المحرقة ٠٠ ؟ ولكن يجب الحصول على هذه الكميات الضخمة من القطع الخشبية ، وألا لما بنيت الأهرامات والمعابد ولم يتضح حتى الآن تفسير علمى لوسيلة النقل ، فهل كانوا يستوردون الخشب ؟ اذا كان الأمر كذلك ٠٠ لا بد من وجود أسطول بحرى للنقل الى الاسكندرية ، ومنها تنقله العربات التى تجرها الخيل الى الدلتا ثم الى مواقع العمل ٠ ولكن العربات لم تكن موجودة حينئذ حتى الاسرة الـ ١٧ ـ ١٦٠٠ ق٠م ، ومع ذلك فالمؤرخون يصرون على ضرورة وجود هذه الكتل الخشبية لنقل الحجر ٠

العديد من التساؤلات المتعلقة بتكنولوجيا بناء الأهرامات ، والاجابات عنها ليست مقنعة ، وكيف نحت قدماء المصريين تلك الانفاق والمقابر فى الصخر والوصول بها الى تلك الاعماق المذهلة ٠٠ ؟ وما هى الامكانيات الفنية والآلات التى أستخدموها للوصول الى هذه الاعماق فى الجبل وفى بناء الحجرات والردهات المحيـرة ٠٠ ؟ الحوائط ملساء ناعمة محفورة ومنقوشة بأعمال الحفر والنقش البارز والغاطس ملونة بألوان ثابتة زاهية ٠٠٠ وفى أى ضوء تم كل هـذا ٠٠ وتلك الدرجات المنحـوتة والمنحدرات التى تؤدى الى حجرات الدفن ٠٠ وقفت ملايين من البشر عبر مئات السنين من السائحين الاجانب ومن العلماء والمؤرخين أمام هذه الأعمال المذهلة وتبادرت الى اذهانهم كل هذه التساؤلات ٠٠ ولكن لم يسمعوا اجابة واحدة مقنعة ٠٠٠٠ كيف أمكن لقدماء المصريين اقامة هذه المعجزات ٠ ؟

ومع أن المصريون القدماء كانوا هم فعلا الرواد الأوائل فى فنون حفر الانفاق ، الا أننا نجدهم بأنهم لم يطوروا من طرق الحفر ، فنرى أن المقابر الأولى تتشابه بالمقابر التى تمت فى العصور التى تلتها ٠ حيث لا نجد خلافا مثلا بين مقبرة سيتى فى الاسرة السادسة وبين مقبرة رمسيس الأول فى المملكة الحديثة ، وبين المقبرتين فتـرة زمنية قدرها ١٠٠٠ سنة ٠

من المعلوم أن الدين عند القدماء ارتكز أساسا على عبادة الشمس ، وان الاله رع ـــ RA اله الشمس وهو رب الالهة المتربع على عرش السماء ، كان يجوب السماء ليل ونهارا فى مركب يرافقه بعض الالهة ـ مركب فضائية شمسية اذن

ـ وأن الملك ـ وهو أبر الاله عندما ينتقل الى الدار الآخرة ـ أو الحياة الاخرى الباقية ـ ينضم هو الاخر الى مركب الاله رع فى تجواله ٠ ولذلك نقشت رسومات هذه المراكب المقدمة ـ المراكب الشمسية الفضائية ـ بجوار الهرم رمز لذلك ٠ وتشرح لنا متون الأهرام فى المملكة القديمة وصفا دقيقا لرحلات الملك السماوية العليا المقدسة التى كانت تتم بمساعدة بعض الالهة ومراكبهم فى الفضاء عبر السماوات وعلى ذلك يتضح أن الآلهة والملوك ارتبطوا بالطيران فى الفضاء ٠٠٠ أو ما يسمى بغزو الفضاء فى العصر الحديث ٠

يطوى الهرم الأكبر بين طياته أسرار خطيرة بعضها ظاهرة والبعض الآخـــر باطنة ٠ كانت هذه الأسرار وتلك الألغاز موضوع بحث العلماء والباحثين والمؤرخين حتى الآن وقد عجزوا عن فك رموزها وكشف أسرارها ، مثال ذلك ٠

ليس هناك من دليل واحد ولو بسيط يشير بالاجابة عن : لماذا وكيف اختار الملك خوفو أو مهندسوه هذا المكان الصخرى فى قلب الصحراء ليكون موقعا لهذا الصرح الضخم ٠٠٠ ؟ وهل كان هذا الاختيار صدفة ٠٠ ؟ ومـــا نوع الآلات والأدوات التى استعملت فى تسوية هذا الموقع الصخرى الذى أنشىء عليه الهرم الأكبر بكل عنـــاية ودقة ٠٠ ؟ وهل كان للالات والأجهزة الدقيقة ـ فلكية وغير فلكية ـ دخل فى هذا الشأن، حتى ولو عن طريق الكهنة الذين كانوا من أصحاب المعرفة ٠٠؟ واذا ما قبلنا هــذا التفسير يظل اثبات نظرية حياة الجنس البشرى فى الماضىالبعيد والمدنية المثالية قائما ٠

وهل عن طريق الصدفة أيضا أن ارتفاع هرم الجيزة الأكبر هو ١٤٦ متر / ٤٨٢ قدم ، لأنه اذا ما وضع على يمين هذا العدد تسعة أصفار ، بمعنى أن هذا الرقم مضروبا فى ألف مليون يعطى رقما قدره ٩٣ مليون ميل ، وهو طول المسافة بين الأرض والشمس بالضبط ٠٠ ؟ وهل عن طريق الصدفة بأن يجد العلماء بأن ناتج قسمة ضعف طــول قاعـــدة الهرم المربعـــة على طـــول ارتفـــاعه هى تلك النســـبة التقـــريبية المشـــهورة والرموز لهـــا بالحـــرف ط / T وتســـاوى ١٤١٥٩٠ر٣ ، والتى اكتشفها لودلف ٠ Ludolf وتستخدم فى حساب طول محيط الدائرة وحجم الكرة والمعادلات الرياضية ٠٠٠ ؟ من اذن الذى حدد هذه الأبعاد الفلكية للهرم الأكبر ٠٠؟ وهل عن طريق الصدفة أيضا أن يكتشف العلماء والفلكيون بأنه اذا أسقط مستوى رأسى مارا بقمة الهرم عمودى على القاعدة يقسم هذا المستوى اليابس والماء فى الكرة الأرضية الى نصفين متساويين تماما ٠٠٠ ؟ ليس هذا فقط ، بل وفضلا عن ذلك فان الهرم الأكبر يقع فى مركز القارات ، فاذا كانت هذه الحقائق العلمية والفلكية والهندسية وغيرها التى تختص بالهرم الاكبر وحده ليست بالمصادفات ، حيث يصعب جدا الاعتقاد بأنها كذلك ، فاذن الذين اختاروا موقع الهرم الاكبر وحددوا شكله وحجمه ونسبة

وأبعاده ٠٠٠ الخ عرفوا كل شيء عن الكرة الأرضية وشكلها وحجمها وتوزيع القارات والمحيطات بها ٠ عرفوا كل شيء عن أسرار هذا الكوكب وجميع الكواكب الأخـــرى وعلاقتها بالشمس ٠

● الهرم الأكبر لم يكن مقبرة لخوفو :

في كتب التاريخ مجموعة ضخمة من الشرح والتفسير والاجتهاد نشرح لطلبة الجامعات والدراسين اجابات مختلفة لهذه المعجزات ، وعليهم أن يختاروا ما يشاءون منها : عمل طرق خاصة ومنحدرات بالرمال لنقل الكتل الحجرية وضع قطع خشب قطر ٥ر٧ سم داخل ثقوب على أبعاد معينة في الصخر وغمر هذه القطع الخشبية بالماء ، فيتمدد الخشب وتتعلق الكتلة من الجبل ٠٠ استعمال الدرافيل من جذوع النخيل كاملة الاستدارة لنقل الكتل الحجرية الضخمة ووضعها على زحافة خشبية واستعمال كميات كبيرة من اللبن للتشحيم لمنع عوارض الزحافة من الاشتعال نتيجة للاحتكاك ٠٠ ؟ دخول شعاع شمس الى أعماق الانفاق والممرات بواسطة استخدام أسطح لامعـــة وانعكاس الشعاع الشمس الى الداخل ٠٠ ؟ استخدام مئات الألوف من العبيد وأسرى الحروب والفلاحين والبنائين والعمال المهرة والحـــرفيين ٠٠٠ الى غيـــر ذلك من الاجتهادات والتفسيرات ٠

لا يمكن أبدا لأي مؤرخ أو شارح أو مفسر أو مجتهد أن يقف أمام هذا الاختبار الخطير الضخم ٠٠ الا ويعجز عن تفسيره وكيفية بنائه ودوره ٠ هذا الصرح الشامخ، هذا الهرم المقدس والمرصد والمعبد الذي يحتفظ في داخله بأسرار الوجود ٠٠ فالهرم الأكبر وثيقة مرئية لبراعة فنية غير مفهومة حتى الآن ٠ لا يمكن أبدا لأي عملاق معماري في هذا القرن العشرين أن يبني نسخة من هرم الجيزة الأكبر ولو وضـــــعت جميع امكانيات العالم كله الفنية والتكنولوجية الحديثة تحت تصرفه ٠ هذا الهرم الذي يتكون من ٠٠٠ر٦٠٠ر٢ كتلة حجرية ضخمة مقاس ٢٠ × ٦ × ٦ قدم ، وكل قطعة تزن ١٢ طن قطعت ونحتت ونقلت وبنيت في هذا الصرح الذي قال عنه المؤرخون أنه كان نزوة للفرعون خوفو ــ مئات الألوف من العمال دفعوا وشدوا هذه الكتل الحجرية والتي تزن القطعة الواحدة منها ١٢ طن بحبال (غير موجودة) على زحافات وأسطوانات خشبية (غير موجودة) ٠

ــــ كان هذا العدد الضخم من العمال والبنائين يعيشون على القمح (الغير موجود) وينامون في مساكن وأكواخ (غير موجودة) بناها لهم خوفو خارج قصره الصيفي لمشاهدة كيفية بناء الهرم ٠

ـــ كان العمال يحثون على العمل بكلمات تشجيعية وألفاظ حماسية مسموحة، هيلا هوب ، بمكبرات صوت ، مكروفونات (غير موجودة) . وعلى ذلك اندفعت هذه الكتل التى تزن كل منها ١٢ طن الى السماء .

يحدثنا المؤرخ « هيرودونس » أنه استخدم فى بناء هرم الجيزة الأكبر ١٠٠ ألف عامل لمدة عشرين عاما ولمدة ثلاثة أشهر فقط فى السنة ، وهى الشهور التى كانت تغطى فيها مياه الفيضان الأرض ولا يمكن زراعتها وحتى هذا نجده غير صحيح لنفرض أنه أمكن لهؤلاء العمال الاقوياء الشجعان أن يضعوا ــ يكوموا عدد ١٠ قطع حجرية يوميا تبلغ زنتها ١٢٠ طن بعضها فوق بعض ودون عمل فنى آخــــر لأمكنهم تجميع المليونين ونصف مليون كتلة على شكل هرمى فى حوالى ٢٥٠٠٠٠ يوم أى ٦٤٤ عام ـ نعم ، ويجب أن لاننسى أن بناء الهرم الاكبر كان نزوة ملك شاذ لم يعش حتى يرى هذا الصرح الذى هو من وحيه .. هكذا يروى لنا التاريخ . من الذى يتصور اذن أن هذا العمل كان مقبرة لملك .. ؟ ومن الذى يتصور بعد ذلك أن هذه الحسابات والمقاييس والدلالات الرياضية والفلكية جاء بالمصادفات ... ؟

● تاريخ الهرم يرجع الى ما قبل الطوفان :

ينسب المؤرخون وعلماء الاثار الهرم الأكبر الى الملك خوفو ... لماذا ؟ لأن جميع النقوش واللوحات تشير الى هذا الفرعون ، من الواضح أن هذا الهرم لم يبن أثناء فترة زمنية لحياة شخص ما ، ولكن ماذا لو أن خوفو نفسه زور التاريخ وفرض هذه النقوش وتلك اللوحات لتسجيل اسمه وشهرته ... ؟ والتاريخ القديم والحديث ملىء بمثل هذه المغالطات وذلك التزوير ، مثل ما فعله رمسيس الثانى وغيره وحينما يريد الحاكم الدكتاتورى الشهرة لنفسه وحده يدفع بهذه الأوامر الى معاونيه لتحقيق ذلك . فاذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بخوفو ، فان الهرم الاكبر كان موجودا قبل أن يضع خوفو كارت زيارته على هذا العمل الضخم الذى ليس من صنعه .

فى متحف اشموليان باكسفورد بانجلترا مخطوط أثرى هام يؤكد فيه المؤرخ المصرى مسعودى Msacudioe أن الذى بنى الهرم الاكبر هــــو الملك المصرى « ســـــوريد » Suridoe والغريب فى الأمر أن هذا الملك حكم مصر قبل الطوفان، وهذا الملك العاقل قد أمر رجال الدين ــ الكهنة ــ أن يسجلوا جميع حكمهم وأسرارهم وأسرار الكون ويكتبوها ــ ويخبئوها داخل الهرم الاكبر .. وعلى ذلك وطبقا لهذه الوثيقة فان الهرم الاكبر بنى قبل الطوفان ، كما سيأتى شرح هذه الحقيقة فيما بعد ..

ويؤكد هذا الرأى « هيرودونس » فى الجزء الثانى منكتاب التاريخ بأن كهنة طيبة

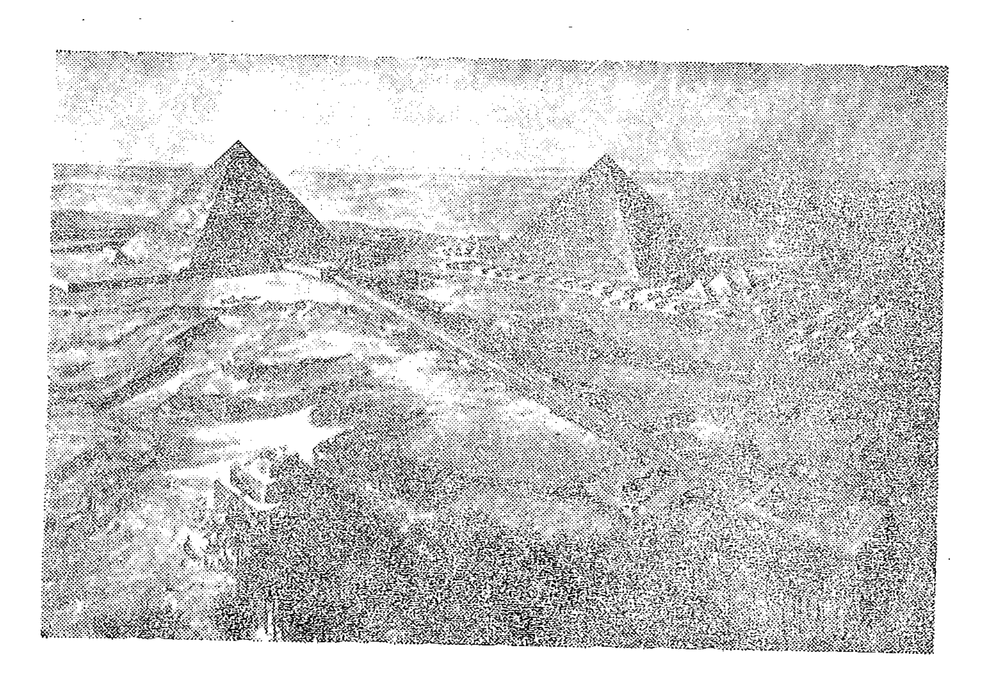
وكان يطلق عليهم اسم انصاف الالهة وأهل المعرفة بأسرار الكون سمحوا له برؤية ٣٤١ تمثالا ضخما يعبر كل تمثال عن شخصية كهنوتية عالية لجيل من الزمن يصل مجموعها الى ١١٣٤٠ سنة ٠ اذن كان لكل كاهن راقى تمثاله صنع أثناء حياته ٠٠ كما يحدثنا « هيرودوتس » أنه أثناء اقامته فى طيبة حاول كل راهب بعد الآخر أن يريه تمثاله ليبرهنوا له أن الابن يتبع الأب دائما كما أمدوا له دقة كتاباتهم وتسجيلاتهم حيث أنهم كتبوا كل شيء يتعلق بهذه الاجيال وشرحوا له أن كل تمثال من هذه التماثيل وعددها ٣٤١ يمثل جيل من الأجيال وان قبل هذه الاجيال الـ ٣٤١ كانت الالهة تعيش بين الناس ومنذ ذلك الحين لم يظهر الا فى شكل آدمى لزياراتهم ٠

سؤال واحد محير حتى الآن وهو اسم من بنى الهـــــرم ، حيث اختلف جميع المؤرخين وكل واحد ذكر اسم مخالف لآخر حيث لا توجد أى نقوش فى متون الاهرام أو فى غرف الدفن أو على التابوت أو قدس الاقداس أو فى أى مكان داخل الهرم ٠٠ وفى القرن التاسع عشر أطلق العلماء والباحثين اسم « خوفو » على باقى الهرم الاكبر وهو أقرب الأسماء الى اسم « كيوبس » الذى ورد فى وثائق المؤرخ « هيرودوتس » وذلك عندما وجد اسم « خوفو » منقوشا بطريقة بدائية أمام اسم « خوفو » وهو اسم اله الشمس فى الجنوب وكانت المفاجأة الكبرى حينما كشف علماء العصر الحديث أن كلمة خوفو ليست اسما الملك أو لعلم بل هى لقب وترجمتها «جل جلاله» أى أن الاسم المنقوش على حجر التى تعلو سقف حجرة الملك بعد الاله خونوم جل جلاله ٠

وذكر المؤرخ المصرى السمنودى « مانثون » فى وثيقة بقوله جاء قوم من الشرق بطريقة غريبة ـ قوم من عنصر مميز وغريب غزوا بغير معركة وتؤكد تلك الوثيقـــــة النظرية التى تثبت أن الذين بنوا الهرم كمرصد فلكى ومعبد للاله الواحد الأحد لهم « كهنة أون ـ مدينة الشمس ـ هيليوبوليس والذى أتوا من الشرق ـ أى من شرق النيل حيث تشرق شمس الاله ـ الى مدينة منف ـ وهى غرب النيل العاصمة الأولى ووصفهم بأنهم عنصر غريب ومميز لأن القدماء المصريين كانوا يطلقون عليهم لقب انصاف الالهة وأهل المعرفة ٠

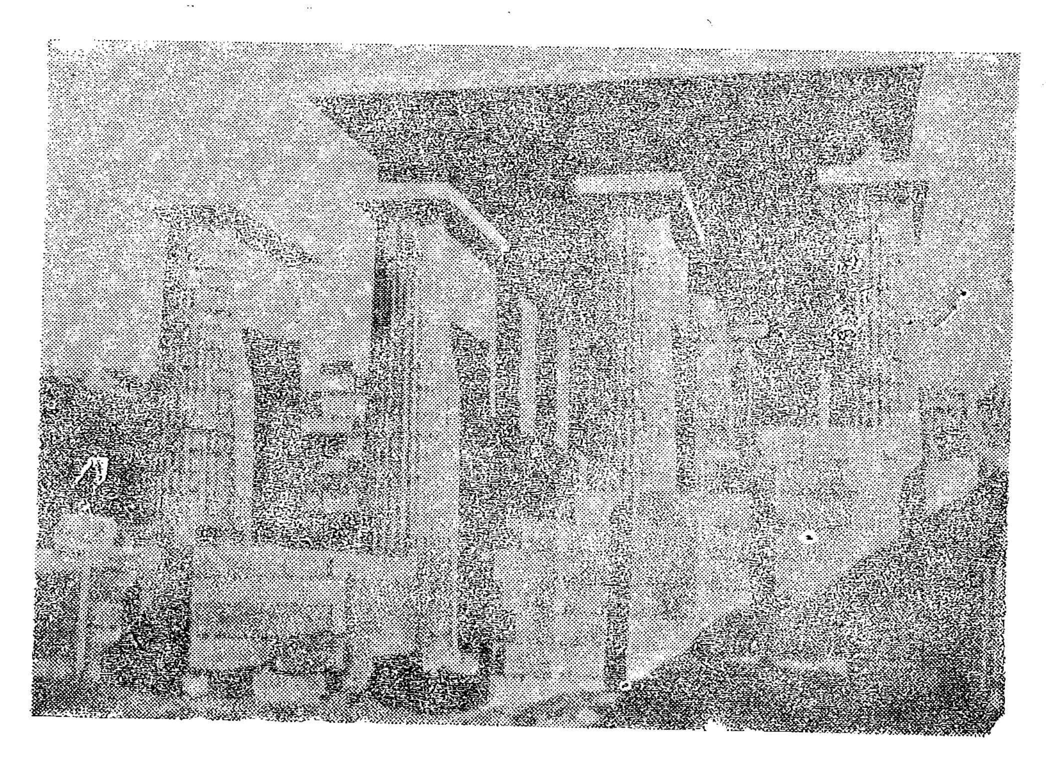
اذن كيف كان ذلك والفترة التاريخية لمصر الفرعونية عمرها ٦٥٠٠ سنة ٠٠ لماذا اذن كذب كهنة طيبة على « هيرودوتس » فيما يتعلق بـ ١١٣٤ سنة ؟ ولماذا أكدوا له ان الالهة لم تعش معهم لمدة الـ ٣٤١ جيل ؟

لا نعرف حتى الآن كيف ، ولماذا ، ومتى بنى هرم الجيزة الأكبر ، ذلك العمل الضخم الذى يرتفع ٤٩٠ قدما ويزن ٣١٫٢٠٠٫٠٠٠ طن لمجرد أن يكون مقبرة لملك مسرف ؟٠٠ لا نعرف الا أنه معبدا احتفظ بأسرار الوجود ٠

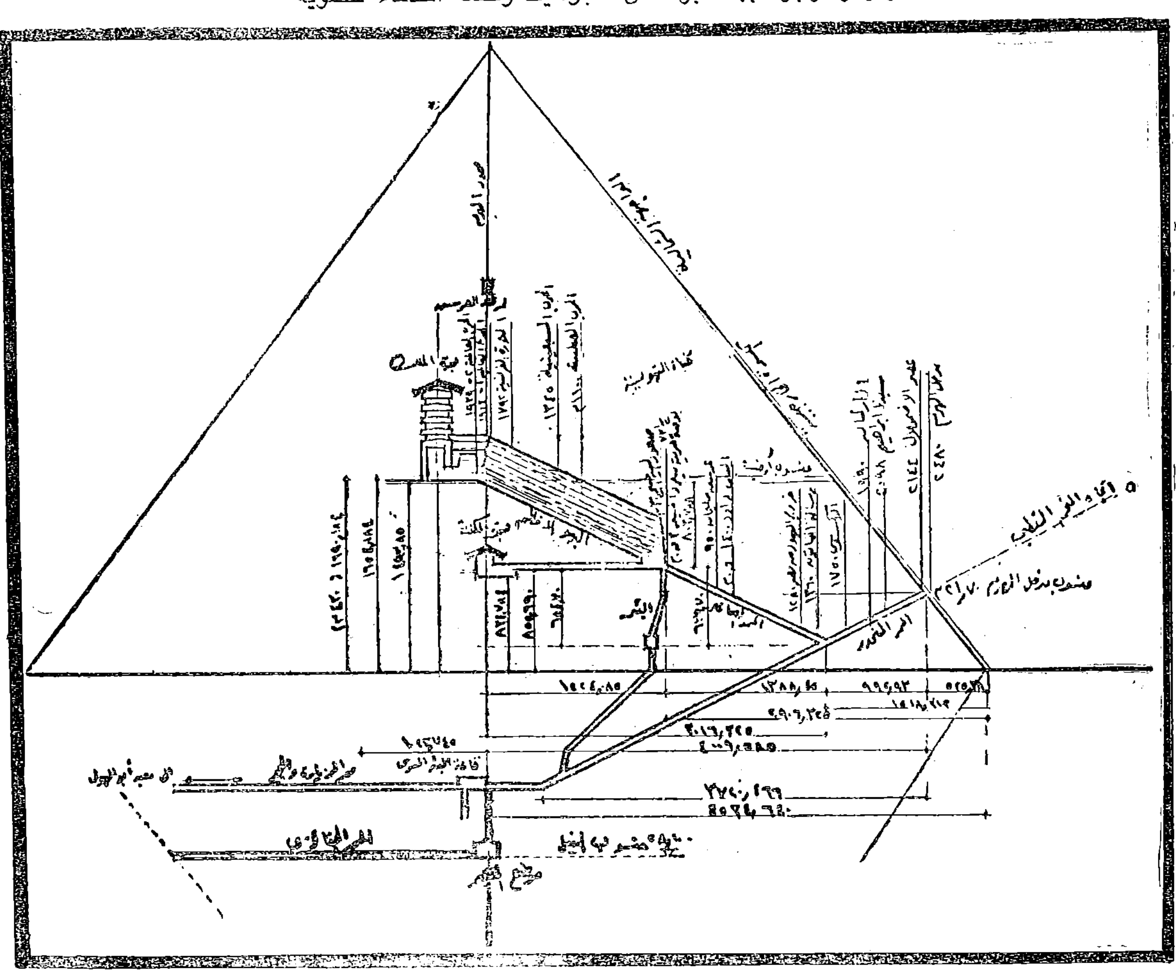


١٤٨ ـ الهرم الاكبر .... أهم وأشهر عجائب الدنيا السبع.أقدم أثر معمارى انشائى عرفه التاريخ القديم والحديث ، سيتحدى الزمن . يحتفظ بداخله بأسرار رهيبة لم تفك رموزها حتى العصر الحديث ، أبو الهول حارس وكاتم أسرار هذه المجموعة .

١٤٩ ـ أقدم مثل للاعمدة المصرية الفرعونية المفرزة طوليا،بورتوريك سقارة ـ الاسرة الثالثة ٢٨٠٠ ق.م. عمل ضخم يتميز بالاتزان والوقار والشخصية ، خالد خلود الدهر المعمارى المصرى أول من وضع أسس وقواعد الطرز المعمارية .



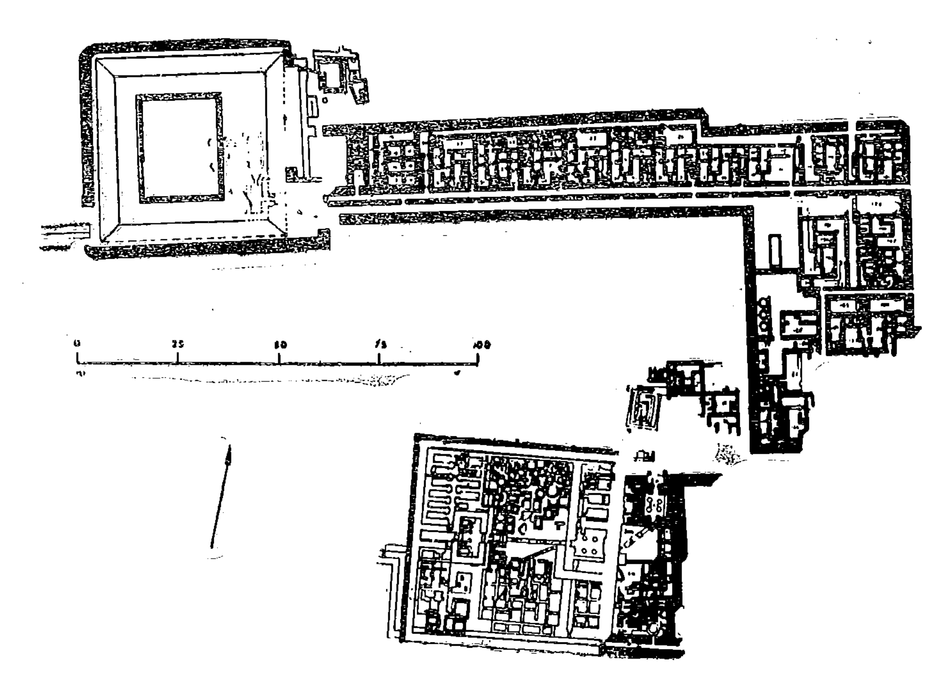
١٥٠ ـ قطاع رأسى داخل الهرم الاكبر بالجيزة يوضح الممرات والمنحدرات المؤدية الى قاعة العرش المعروفة خطأ باسم حجرة مقبرة خوفو والموجود بها تابوت من الجرانيت وضعه القدماء للتمويه ٠



هرم الجيزة الأكبر ٠٠٠

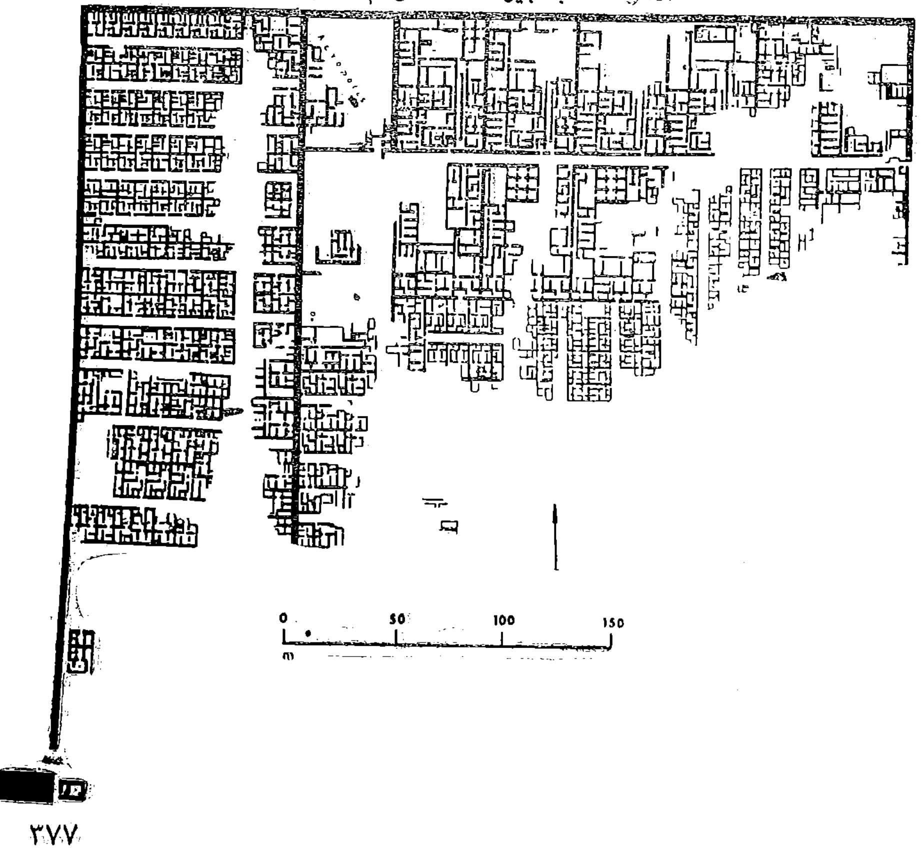
عمل ضخم اقتضته رسالة ضخمة لم يكن الهرم الأكبر مقبرة للملك خوفو بل هو وثيقة مرئية للكشف عن أسرار الكون ٠ يطوى الهرم بداخله أسرار رهيبة الكثير منها لم يكتشف بعد ، وبواسطة الأجهزة والأدوات العلمية الحديثة والأشعة الحمـــراء والكربون المشع رقم ١٤ أمكن حل لغز الممرات الداخلية فى جسم الهرم ابتداء بالمدخل ونزولا وصعودا الى قاعة العرش فوجد ان هذا المنحدر ما هو الا رسم بيانى على أعلى مستوى من الدقة ، ثم قياس الانحدار والانحراف والصعود والهبوط ، وتحويل هذه المقاسات والاحداثيات الى زمن كشف عن سر رهيب وخطير وهو أنه رسم بيانى يسجل جميع الأحداث والتغيرات والرسالات السماوية والحروب وغوائل الطبيعة بمواعيدها الزمنية قبل وبعد انشاء وبناء الهرم ٠٠ أهمها ما يأتى :

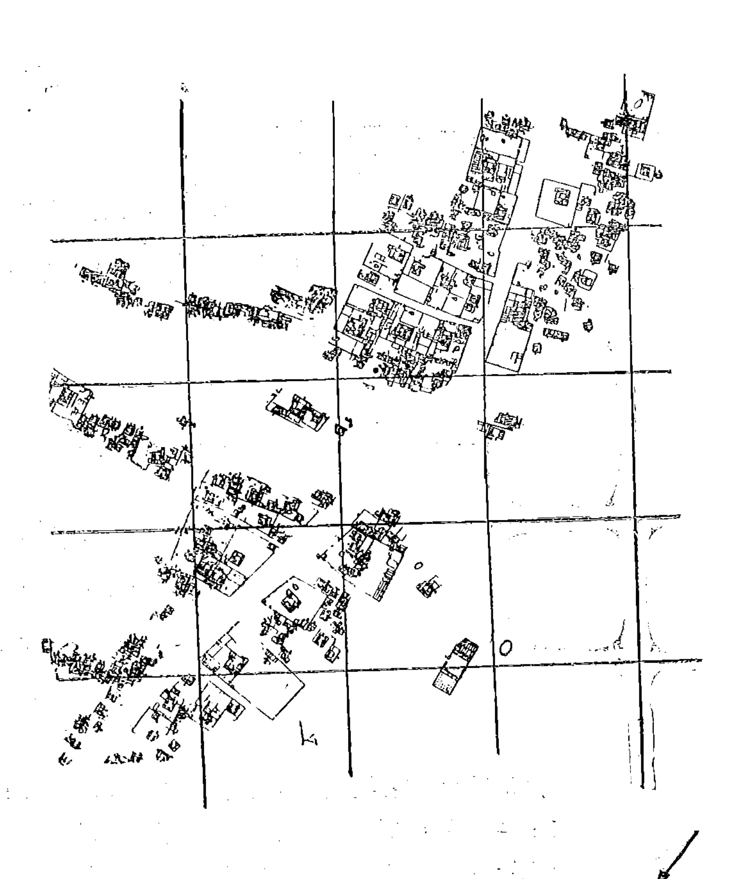
الطوفان العظيم الأول والطوفان الثانى وغرق مدينة الاتلانتيس ، نزول الأديان والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والاسلامية ، الحروب الصليبية والعالمية الأولى والثانية ، والثورة الشيوعية والفرنسية والعمـــالية والصناعية والأحداث المستقبلية ٠٠ وصولا الى قاعة العرش التى يجلس بها ٤١ قاضيا التى ترمز الى يوم الحساب والثواب والعقاب ٠

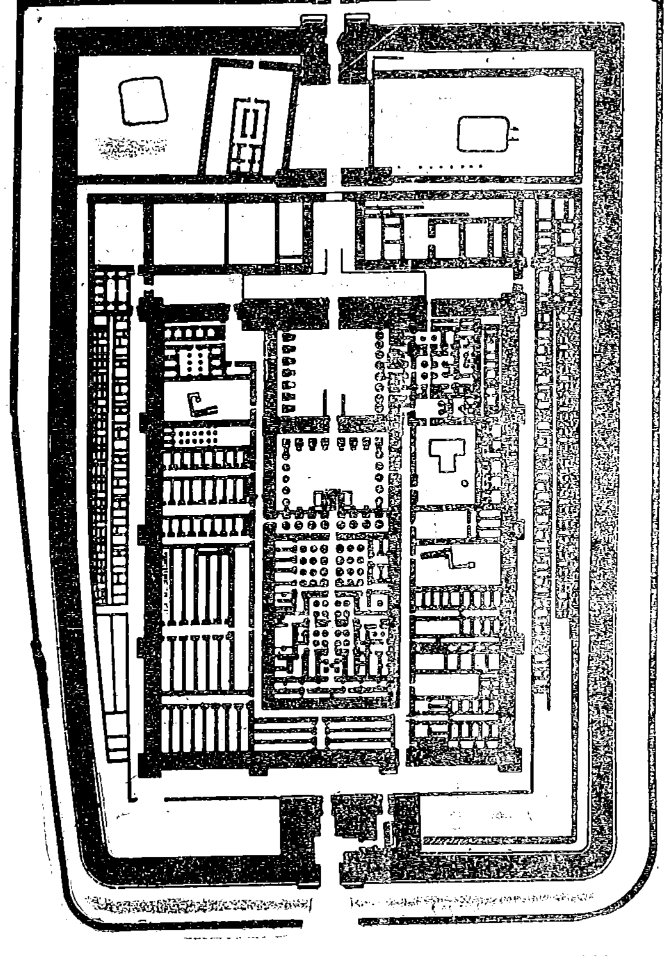


١٥١ ـ أعلا : مدينة الملكة خنت كاوس الهرمية بالجيزة ٢٩٠٠ ق٠م٠ التى وضعت النظريات الاولى فى اشتراكية المسكن ، فجمعت بين التماثل والتجمع المتراص والتعمق فى دراسة المسكن وأجزائه وتوزيع مجموعاته ٠

١٥٢ ـ أسفل : مدينة العمال الفنيين والصناع والحرفيين لبنـــاء الاهرامات بالجيزة ٢٧٠٠ ق٠م٠ مدينة حتب سيزوستريس ـ كاهون

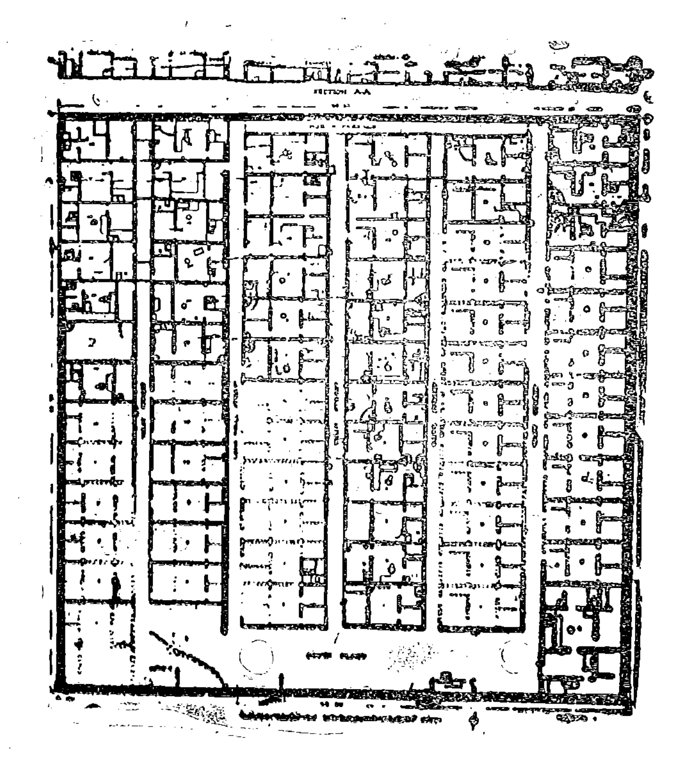






١٥٣ ـ أعلا : مدينة العمارنة ٠٠

١٥٤ ـ يمين : المسقط الافقى والتخطيط العام لمدينة هابو ذات الاسوار الحصينة / الاقصر ٠ والتى وضعت النظريات الاولى للمدن الدفاعية الحصينة ٠



١٥٥ ـ أعلا : نموذج لحمامات السباحة الفرعونية ويلاحظ أن المقاييس الهندسية والفنية والرياضية روعيت فى تصميمه على أعلى مستوى علمى لم تصل اليه أحواض سباحة القرن العشرين ٠

١٥٦ ـ يمين ـ أحد نماذج مدن العمال فى مصر الفرعونية صممت على أساس ـ الموديول ـ أى الوحدة فى جميع عناصر واجزاء ومكونات ووحدات تكوينها طبقا لأسس التصميم والوحدات الجاهزة الصنع ٠ ومعنى ذلك أن قدماء المصريين عرفوا الوحدات الجاهزة السابقة التصنيع واستخدموها قبل علماء العصر الحديث بآلاف السنين ٠

فتدل جميع الحقائق التاريخية على أن الهرم الاكبر كما أوضحنا من قبل لم يكن وضعا من الأوضاع الدينية ، ولم يكن بناؤه لغرض الاحتفالات بطقوس عبادة السلف ، أو طقوس أوزيريس التى كانت تقام فى اليوم الأول من السنة الزراعية ، وهو أول شهر نوفمبر من كل عام أو مقبرة للملك خوفو ٠٠ ؟

ثبت أن الهرم الأكبر عمل ضخم اقتضته رسالة ضخمة ، ثبت أنه وثيقة مرئية تكشف من يحتفظ بداخله بأسرار الوجود الكونى ومرصد أسرار الكون والوجود ٠٠ وانه معبد مقدس لعلوم الفلك ، وسجل لتاريخ البشرية فى الماضى والحاضر والمستقبل ٠

لابد هنا من وقفة ونحن نسجل هذه الحقائق التى تستند على العلوم والتاريخ والبرديات والكتب السماوية ٠٠ ان الكثير من المؤرخين القدامى اعتمدوا على تسجيل التاريخ المصرى القديم على الاجتهاد والنقل من بعضهم البعض وأهتم البعض الآخر بالأمور الشكلية السطحية أو ربما على خيال وحداة البعض منهم فى الصور التى يرسمونها تبعا لقدراتهم الشخصية ، الى أن ظهرت الآلات والأدوات الفنية العلمية الحديثة مثل البوصلة وأشعة × (أكس) ، والاشعة الحمراء وما فوقها ، والأشعة البنفسجية والكربون المشع رقم ١٤ ، والطيران ، وسفن الفضاء ، والأقمار الصناعية، وتسلح علماء العصر الحديث والباحثون والمكتشفون ورجال الاثار وغيرهم بالعلم ، وبالامكانيات الحديثة فى الكشف عن التاريخ الصـــــحيح ، وصمتت الأســـــاطير والاجتهادات والروايات ٠

● الهرم والطـــوفان :

لعل قصة سيدنا نوح والطوفان العظيم ترشدنا الى الطريق المستقيم نحو الهرم وما يحيط به من أسرار والكشف عنها ، هذه القصة لم يرد ذكرها تفصيلا الا فى الكتب السماوية ٠٠ وهى من قصص العقيدة ونشأة الاديان ٠٠ انشغل علماء الآثار بهـــا وتاريخ العمارة وانشاء المدن ، والتى كان من الضرورى الاتجاه الى محاولة البحث عن أصولها ومراجعها عند مختلف الحضارات القديمة ، وردت قصة الطـــوفان فى التوراة ، والانجيل ، والقرآن الكريم ٠٠ وكلها تجمع بأن الله سبحانه وتعالى قرر أن يفنى بشرا بسواتهم بأن يغرقهم ٠٠ هؤلاء البشر المعاصرين لقدماء المصريين كانوا شعوبا تقطن مناطق شاسعة فى أراضى وبقاع سهلة متسعة ، وأخرى هضاب وجبال مرتفعة أطلق عليها اسم « جنة عدن » فى أقليم يسمى « ميزولثميا » يحدها شمالا آسيا الصغرى الواقعة على البحر الأسود ، وجنوبا خليج العجم أو الخليج العربى الآن ، وشرقا بحر قزوين ــ أرمينيا أو ميزولتما ــ وغربا البحر الأبيض المتوسط ، وفى الوسط صحارى العراق الآن يتخللها نهرى دجلة والفرات ٠

ظهر بين جموع هذا القوم من البشر الحكماء والفلاسفة والروحانيون ، وهم قلة يبشرون بالعقيدة والحكمة وعبادة الرحمن لقوم كانوا يخافون الرعد والبرق والزلازل والصواعق والنار وهطول الأمطار ·· وعاشوا يتخبطون بين كتل تعبد الشمس والقمر والنجوم والظواهر الطبيعية وبين كتل أخرى يستخدمون السحر ويسخرون الجان ويعتقدون ان الروح من عمل الشيطان ويسجل التاريخ أن الخالق الأوحد أرسل لهم رسلا وملائكة لنصحهم وهديهم ، ولكنهم كانوا يسخرون منهم لأنهم أتبعوا الشيطان ، وارتكبوا جميع الاثام وكل ما حرمه الرب ·

فى أسفار من التوراة ، أمر الرب سيد القوم نوحا ، عليه السلام ، بأن يبنى سفينة ، حدد له مواصفاتها ، يلجأ اليها هو وعائلته وزوج من كل نوع من الطيور والحيوانات والمؤونة التى تكفيهم ، ونادى الرب نوحا من السماء أدخل الفلك عائلتك ومن أمرتك به ، وبعد سبعة أيام سيحل الطوفان وتفنى كل كائن على أرضك ·· وتصف التوراة الطوفان الذى استمر ١٥٠ يوما ، حيث هطلت الأمطار ، وتفجرت الأرض وانشقت ، فحدث البحر الأحمر الذى لم يكن موجودا — وعصفت الرياح ·· وبعد ذلك أرسل نوحا طائر البحر ولم يعد ·· وبعد أسبوع أرسل غرابا ولم يعد ·· وبعد أسبوع ثالث أرسل حمامة فعادت تحمل فى فمها غصن الزيتون ·· وفى اليوم السابع عشر من الشهر السابع لبدء الطوفان ظهر « قوس قزح » ، حيث كان نوح فى طريقه الى الأرض التى عادت منها الحمامة ورست السفينة بالقرب من جبل الارارات أو أور ، وغادر نوح السفينة بعد سبعة أيام ليقيم الشكر والحمد لله ·

وردت هذه القصة المباركة أيضا فى الانجيل والقرآن الكريم فى سورة الأنبياء والمؤمنون والعنكبوت ·· ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم · ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ·· ولقد أرسلنا نوحا الى قومه يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون · فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين أن هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين · قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن أصنع الفلك ·· ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة ألا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجلعناها آية للعالمين ··

صدق الله العظيم

ورد ذكر الطوفان فى أكثر من بردية من برديات كتاب الموتى Book of the dead كانذار لغضب الالهة ولعنة السماء بفناء البشرية بطوفان عظيم تشترك فيه عدة ثورات والسماء والبحار والأنهار والأرض والمطر والبحار والفيضان وتشقق الأرض — وتقول

البردية أن الهرم الأكبر بنى ليكون خزانة لأسرار الوجود الانسانى وكنوز المعـــرفة المقدسة للحفاظ عليها من الطوفان العظيم الذى سيغرق الأرض فى يوم حدوثه بالتنبؤات الفلكية التى أطلق عليها كهنة القدماء اسم « رسالات السماء » ٠

ورد فى احدى برديات « منف » أن الهرم الأكبر تجسيد لكتاب الموتى ـ برديات الكتاب المقدس للحكيم « أنى » بما فيه من معرفة كونية وتعاليم سماوية وأسرار علاقة دورة الفلك فى السماء بدورة الحياة على الأرض وسيحتفظ الهرم بأسراره لا يكشف عنها الا لمن ينال الاذن الالهى ٠ ورد فى كتاب الموتى بأن الهرم الاكبر بيت الحكمة الذى يحوى أسرار الحكمة والعلوم ، فزواياه الأربعة أركان الدنيا الأربعة أو العمد التى تحمل قبة السماء وتعبر عن الحقيقة والمعرفة والسكون والغموض ٠ وواجهاته الأربع التي تواجه الجهات الأصلية الواجهة الجنوبية تعبر عن الحرارة ـ والشمالية تعبر عن البرودة ـ والشرقية عن النور ـ والغربية عن الظلام ٠ كما أن أسطحه المثلثة تعبر عن القوة الالهية الثلاثية حيث يعبر كل مثلث منها عن ثالوث مقدس من ثلاثيات الخلق والعقيدة والتكوين ٠

ومن برديات علاقة الهرم الأكبر بكتاب الموتى وأسرار المعرفة بردية « تحوت » وهو اله المعرفة كاتم الأسرار الالهية وحارس كلمات الحق والعدالة ناقل الحرف والكلمة وقياس الوقت والزمن منسوبا اليه بناء الهرم ليكون معبدا وهيكلا للخالق الأعظم ينقل منه رسالته الى البشر تقول وهى رسالة تحوت الى الملك خوفو عندما سلمه أسرار الهرم ٠٠ « لا تدع أحدا يطلع على هذه الأسرار أو يراها ألا فرعون مصر وشرحب ٠٠ الكاهن الأكبر ٠ لن يراها أحد أو يقترب من هذه المقدسات أحد ٠ لا تدع عينا تراها واذنا تسمع عنه ، أنه يحوى أسرار الوجود المقدسة ٠ لا تنطق بما فيه لأحد ، ولن يسمع عنه الا أنت نفسك ومن يفسر لك تعاليم وأقرب الناس الى قلبك ومن امتلأت قلوبهم العامرة بنور الله ٠ لا ٠ لا تطلع أحدا على مكان وجود تلك الأسرار المقدسة أو ما يدل علي وجودها ٠ ان ما به من أسرار تعطى لمن يكشفها القوة التى ترفعه الى مصاف الالهة فى الحياة ، وتكشف له الغيب ، وتنير له الطريق المؤدى الى عالم الخلود ٠ وتنير له طريق اليوم وتكشف ما يخبئه الغد وتحدد له المصير » ٠

اذن لم يكن خوفو هو الذى بنى الهرم فى عهده بل هو حامل رسالة أسرار الهرم ٠ اذن من الذى بنى الهرم ٠٠ « هذا هو السؤال الضخم الذى كان موضع أهتمام الكثير من المؤرخين العرب والاجانب ٠ كان أول من أهتم بالاجابة عنه وكشف تاريخه هو الخليفة المؤمون فى القرن الثامن ، حيث توصل الى كشف مدخله وممراته وخزائنه وقد كشف المؤرخ العربى « جلال الدين السيوطى » حيث ذكر فى كتابه « حســـــن المحاضرة » أن الذى بني الهرم الأكبر هو الملك « سوريد » فرعون مصر والسبب في

ذلك أنه رأى فى منامه أن الأرض تميد بمن عليها والناس سيهربون ويهيمون على وجوههم وكان الكواكب تساقطت وتصطدم بعضها بالأرض بأصوات مفزعة . فاغمه ذلك الحلم وكتم سره. ثم رأى فى منامه مرة أخرى كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الأرض فى سورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الجبلين انطبقا عليهم والكواكب المنيرة انطفأت .

فجمع رؤساء الكهنة ورجال العلم والمعرفة وأخبرهم بما رآه . فأخبروه بأمر الطوفان العظيم فأمر ببناء الأهرامات الثلاثة وملؤها بجميع وثائق ومستندات أسرارهم وحكمهم وعلومهم المعروفة والغامضة واسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلوم الكون وأسراره والطب والهندسة والرياضة والفلك واحتفظوا فى داخل الهرم بأسرار الوجود ـ ما كان وما سيكون من أول الزمان الى آخره .

وذكر المؤرخ « عبد الرشيد الباقورى » فى القرن الرابع عشر مؤيدا بذلك ما كتبه المؤرخ المصرى السمنودى « مانتون » عن أن الهرم الاكبر قد مر على بنائه ٣٩٤١ عاما طبقا لدراساته الفلكية وتم بناؤه قبل الطوفان بـ ٥٣٠ عاما ، وأن علماء الفلك من أهل مدينة منف حددوا موعد الطوفان وربطوا احداث العالم بقبة السـماء ودورة الافلاك وهم الذين قاموا بتصميم الهرم كمحراب للاله ومرصد لعلوم السماء يحفظوا فيه علوم ووثائق المعرفة الكونية بأسرار الوجود حتى لا يمحوها الطوفان لتبقى خالدة أبد الدهر .

ومما لا شك فيه أن وثائق علاقة الطوفان ببناء الهرم الاكبر وجدت له انعكاسات مماثلة ارتبطت بعلاقتها ببناء الاهرامات فى المكسيك بالطوفان وكذلك المجال فيما يتعلق بابراج بابل والزاجورات أيام عصور الاشوريين والسوماريين .

● مدينة عمال أهرام خنت كاوس :

وأهم الأمثلة للتخطيط المدنى لخدمة المقابر فى عصر الدولة القديمة يمكن أن نراه فى مدينة عمال الهرم الرابع « لخنت كاوس » وهى حلقة الاتصال بين الأسرة الرابعة والخامسة (٢٤٨٠ ق.م) وهى على أغلب الظن احدى بنات « منكاورع » آخر ملوك الأسرة الرابعة ، وقد تزوجت من أوسركاف وأعطته بزواجها حق ارتقاء العرش ، فأسس الأسرة الخامسة . وقد اكتشفها العالم المصرى المرحـوم الدكتور « سليم حسن » عام ١٩٣٥ ونشر عنها عام ١٩٤٣ فى المجلد الرابع من كتابه عن حفائر الجيزة .

ومدينة عمال أهرام الملكة « خنت كاوس » ـ صاحبة الهرم الرابع ـ تقابل الوجهة الشرقية للهرم ، وتخطيط هذه المدينة يدل على أنه قد عمل لها مشروع تخطيطى قبل تنفيذها · وأن الشوارع المستقيمة المنتظمة والطرقات المتقاطعة المتعامدة ، وتقسيم المساكن الى مجموعات ، كل مجموعة منها لها صوامع حبوبها ومستودعاتها ··· وكل هذا من شأنه أن يقيم الدليل على أن هذا النحو فى تخطيط المدينة لم يكن ارتجاليا ، بل كان بناء على دراسة منظمة على أساس مشروع تخطيطى مدروس ·

وهذه المدينة العمالية يجوز أنها أستعملت لسكن العمال الذين بنوا الأهرام كما استعملها كذلك الكهنة الذين كانوا يعكفون على تنفيذ شروط الأوقاف المرصودة للقيام بالشعائر الدينية ، والفرائض التى كان يحتم أداؤها فى مناسبات معلومة · منها أعياد أول الشهر القمرى ومنتصفه وآخره وأول السنة الجديدة الى جوار الشعائر الدينية اليومية والأعياد الأخرى · وكانت تضمها أسوار الهرم الرابع وفى ذلك دليل واف على أنها كانت تعاصر ذلك الأثر وتنتمى اليه ، أى أنها ترجع الى عهد الملكة « خنت كاوس » من الاسرة الرابعة ·

ومن حسن الحظ أنها وجدت فى حالة جيدة من الحفظ مما يمكننا من أن نكون فكرة دقيقة عن الأجزاء التى تتألف منها · كما أن ترتيب الغرف فى كل منزل يدل على أنهم بلغوا درجة عالية من المدنية والرقى · بينما نجد المسقط الأفقى والتخطيط العـام للمدينة ، يبينان أن المهندسين المصـــممين والمســـاحين كانوا متمكنين من علمهم وعملهم ··· ويظهر أن المدينة كانت من دور واحد حتى تتمشى مع تخطيط التكوين العام لمبانى الأهرام ، وكانت مبنية من الطوب النيىء بكاملها ، وهى تحوى أروع الأمثلة للتماثل المتراص للمساكن لمختلف الطبقات من موظفى الادارة ورجال المعبد والكهنة والصناع ·

ومن المعروف ـ كما ذكر هيرودوت ـ أن خوفو كان يستخدم مائة ألف رجل فى هرمه فى وقت واحد ··· وكانت كل جماعة تعمل مدى ثلاثة أشـــهر ، وأن بقايا المستعمرة القائمة حول هرم خفرع تشير الى أنه كان يتعهدهم كذلك بالسكنى ، أى أنه بنى مدينة للعمال الذين قاموا ببناء هرمه ·

وهنا يمكن أن نتصور وجود تخطيط مدن أخرى لخدمة كل منطقة من مناطق الأهرام لسكن العمال وخاصة المبانى الضخمة التابعة للهرم المدرج الذى بناه زوسر فى بداية الأسرة الثالثة حوالى عام ٢٦٥٠ ق·م وما يتبعه من مبان لا نشك أنها عملت بناء على تخطيط سابق لما فيها من دراسة وتنظيم · ويظن العالم الأثرى « أدواردز » أن أسوار هذه المدينة كانت نسخة مطابقة لمدينة منف ·

وعلى العموم فمن المهم أن ننظر للتصميم العام لمباني الهرم ونرى نظرة المهندس المخطط ايمحوتب فى المكان الذي اختاره لبناء الهرم وهو جزء من منطقة مرتفعة عند سقارة ، تطل على مدينة منف أو مدينة السور الأبيض التى ذكرناها • وتشغل مساحة حوالى ٥٤٠ مترا من الشمال الى الجنوب وعرضها ٣٧٥ مترا ، وعلى مسافة قريبة من شمالها تقع جبانة الأسرتين الأولى والثانية بمصاطبها العظيمة ••• وكانت مجموعة مبانى الهرم المدرج من أروع المبانى التى بنيت في الدولة القديمة وأضخمها ، وكان الهرم نفسه هو أعظم بناء في المجموعة المبنية حوله ومركزها الرئيسى ، ومن حوله الأبنية الأخرى والأبهاء الواسعة المخصصة لاقامة الطقوس الدينية المتعلقة بالحياة الأخرى لهذا الملك ••• واذا نظرنا الى السور الضخم الذى يحيط بالمباني ومقابر الأميرات بداخله لعرفنا أن هذا الهرم ينطبق عليه التسمية المصرية للمقبرة اذ كان يطلق عليها بيت الخلود أى أن زوسر أراد أن يكون هذا الهرم ممثلا للحى الملكى فى الحياة الدنيا •

● **مدينة كاهـــون :**

وهناك أيضا فى مباني أهرام الدولة المتوسطة مثل من أجمل الأمثلة لمدينة عمالية لسكنى جماعات العمال وأسرهم ، وهي مدينة كاهون ترجع الى الأسرة الثانية عشرة اذ بناها «سنوسرت» الثانى (١٨٩٧ ــ ١٨٧٩ ق•م) • وكلمة «كاهون» تعنى بالمصرية القديمة (فم القناة) وهذا المعنى يوضح لنا أنه كان لموقع المدينة القديم أهمية كبرى اذ أنه اختير بقرب النقطة التى تنحنى فيها القناة ، تاركة وادى النيل ومنحنية غربا نحو الفيوم • ويرجح العالم الأثري « الكسندرشارف » أن هذه المدينة كانت من المدن المصرية الهامة • اذ أن هذه النقطة لا بد وأن تكون قد لعبت دورا هاما فى التحكم فى مياه النيـــل •

وقد قسمت مدينة « كاهون » الى قسمين يفصلهما حائط ، أما الناحية الشرقية فتحوى بيوت المجموعة الرئيسية من سكان المدينة وبيوت الطبقات الممتازة من العمال ، كما وجد بناء ضخم فى الركن الشمالى الغربى يحتمل أنه كان قصر الملك • أما الناحية الغربية فكانت بها بيوت الفقراء • ويبلغ حجم المدينة حوالى ٢٠ فدان تقريبا ، أى أنها مدينة كبيرة وكان المفروض أن تستوعب الرجال الذين يعملون فى بناء هرم « سنوسرت» الثانى ، وكانوا يعيشون هناك مع عائلاتهم حتى موت الملك ودفنه ، وعندئذ ينتقلون بعد أن لا يصبح لديهم عمل الى مكان آخر وتختفى المنازل وتنهار بعد ذلك •

وكانت المدينة مسورة بأسوار قوية للحماية ، أما شوارعها فكانت خطـــوطا مستقيمة متقاطعة في زوايا قائمة • وفي وسط كل شارع قناة حجرية قليلة الغور

سعتها حوالى ٥٥ سم وتستعمل لنفس الأغراض التى كانت تستعمل فيها فى مدن القرون الوسطى • وفى شمال المدينة كانت توجد بيوت كبيرة بنيت على طراز وتصميم واحد ، أربعة منها متصلة ببعضها البعض والخامس منفصل عنها ، ومساحة كل بيت حوالى ٤١ × ٦٥ مترا وبه ٧٠ غرفة وممرا بما فيها من غرف للخدم وغرف للمخازن وكان مدخلها من ناحية الشارع A ويقابل البـــاب الأمامى غرفة البـــواب B . والممر فى داخل الباب الى اليسار يؤدى الى الغرف العامة والى مكتب الرئيس وغرف العمل التى لم تكن لها علاقة بباقى المنزل ، وهناك ممران آخران متوازيان يوصلان ما بين الباب الأمامى وداخل المنزل • والغربى منهما يؤدى الى فناء مكشوف به بوائك من الناحية الجنوبية وربما كان هذا يستعمل فى نفس الغرض الذى يستعمل فيـــه الحوش الذى يشبه المندرة فى البيوت الحديثة ، وكان يستعمل لاســـــتقبال الزوار والجلوس فى الظل والاستمتاع بنسيم الشمال العليل فى فصل الصيف •

أما الغرف الخاصة التى تقع خلف غرف العمل فتفتح على المندرة التى لا يمكن الوصول اليها الا عن طريقها • أما الممر الشرقى فيؤدى الى المندرة وبه غرف تنفتح عليها على طول جانبها الشرقى ، وربما كانت هذه هى غرف الحريم اذ يمكن الدخول اليها بسهولة من الباب الأمامى أو المندرة • وكان وضع باب فى كل طرف من طرفى الممر كفيلا بتأمين العزلة الكاملة ان أريد ذلك •

وكانت سقوف بعض الغرف مقبية ومصنوعة من الطوب على شكل عقود مرتكزة على بعضها البعض كالطريقة المصرية ، وقد تكون كذلك مغطاة بالقش الذى يرتكز فوق عوارض خشبية ، وكان فى وسط الغرف الكبيرة عمود بمثابة دعامة للســـقف • والبوابات كانت ذات عقود ، كما كانت الأعتاب للفتحات من الخشب • والواقع أن بناء البيوت الكبيرة كان يتطلب كمية كبيرة من الأخشاب ، وتشير أحجامها الى أنها من الأشجار الصنوبرية ، وهى بلا شك من الأخشاب المستوردة التى لا تتلفها الحشرة القـــارضة •

وكانت الأبواب تدور حول محاور ، وكان ثقب المحور يعمـــل فى كتلة حجرية توضع فى جانب عتبة الباب ، ولكن الاستعمال الدائم للباب كان يبلى ثقب المحور بدرجة يمتنع معها تحريك الباب ، فكانت تتبع وسائل كثيرة لرفع الباب الى مستواه الأول مرة أخرى • وكانت الطريقة المعتادة هى وضع قطعة من الجلد اليابس ـ هى عادة نعل قديم ـ فى ثقب المحور لرفعه • أما زخرفة الغرف من الداخل فتدل على تمسك القوم بتقاليد قديمة فى مبانيهم ، اذ كان هناك شريط يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠ سم ذو لون قاتم كسفل يدور حول الغرف من أسفل الحوائط عند اتصالها بالأرض ، وهذا مأخوذ من شكل بياض الدهاكة الذى كان يعمل فوق الحوائط المصـــنوعة من

البوص أو المواد النباتية التى مثلها المصرى هنا بخطوط رأسية على ارتفاع حوالى ١٢٠ سم مرسومة باللون الأحمر والأبيض والأسود ويعلوها جزء ملون برتقالى فاتح ٠ ونلاحظ كذلك أن بعض الغرف كانت مزخرفة برسوم مائية على طريقة الفرسكو ٠

أما مساكن العمال ففيها أربع غرف ، وبها درج يؤدى الى السقف ٠ ولما كانت المدينة قد هجرت طواعية واختيارا فان أهلها أخذوا معهم كل مقتنياتهم القيمة ولم يتبق سوى آثار من الأثاث والفخار تشير الى طريقة معيشتهم ٠

وعلى العموم فان تخطيط هذه المدينة يثبت لنا أن المصرى قد ظل متمسكا بشكل تخطيط المدينة المصرية القديمة ذات الشوارع المتقاطعة المتعامدة أو ذات التخطيط الهندسى الشطرنجى ، كما أنه جعل توجيه الشوارع مقابلة للجهات الأصلية (من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب) ، كما قسم المدينة الى أقسام حسب طبقات السكان بها ، وخصص الناحية الشرقية لكبار القوم لأنها ناحية الشروق ، كما جعل الناحية الغربية لصغار العمال لأنها ناحية الغروب ٠ونظن أنه قد تمسك فى التصميم بعمل ميدان فى المدخل بجوار سكن المشرف على المدينة ليكون كمكان للاجتماع بعيد عن المساكن ٠

● مدينة العمال بتل العمارنة :

وقد عثر على مدينة أخرى للعمال فى تل العمارنة ، وكانت هذه المدينة العمالية أو المستعمرة السكنية الصغيرة فى منحنى بين التلال بعيدة عن منظر المدينة الرئيسية (آخيت آتون) أى افق آتون التى بناها أمنوفيس الرابع (أخناتون) (١٣٧٧ ـ ١٣٤٥ ق٠م) كعاصمة جديدة نتيجة لتغير العقائد الدينية واتجاهه الى مذهب التوحيد والطبيعة والعالمية كفلسفة لثورته الدينية والفنية ٠

وكانت مدينة العمال بالعمارنة تشابه مدينة « كاهون » فى كثير من الوجوه ٠ رغم مرور قرون طويلة بين كاهون وتل العمارنة فالفارق بين المدينتين ضئيل ٠ اذ أنها كانت قريبة من مكان بناء المقابر المخصصة للطبقة الفقيرة كما كانت كاهون بجوار الأهرام ٠ وكلتا المدينتين كانت محاطة بسور ، ولكل منهما حائط أوسط يقسمها الى قسمين وتشق كل منهما شوارع متقاطعة فى زاوية قائمة ٠ ولكن بيوت مدينة العمال بتل العمارنة كانت كلها متشابهة ، ومن حجم واحد (طول الواجهة حوالى خمسة أمتار وعرض البيت حوالى عشرة أمتار) فيما عدا بيت واحد كان أكبر من كل هذه البيوت، وهو فى الركن الجنوبى الشرقى بجوار المدخل ، وأمامه ميدان ٠ وربما كان بيت المشرف على العمل ، ويظهر من تخطيط المدينة أن هذه البيوت قد بنيت كمشروع متكامل

وزوعى فيها رخص التكاليف . كما أن الميدان بجوار المدخل قد قصد به أن يكون مكانا للاجتماع بعيدا عن المساكن حتى لا يجرحها ، بعكس التصميم الاغريقي الذى وضع الميدان فى وسط المدينة كما سنرى فيما بعد . ويظهر أن المبانى السكنية بنيت من دورين ، وقد قسم الدور الأرضى الى أربعة غرف وبه ردهة تطل على الشارع وخلفها المندرة أو غرفة الجلوس ، وخلف البيت غرفتان صغيرتان احداهما للنوم والأخرى كانت تستعمل كمطبخ ، وبالمنزل سلم يوصل الى سطح .

وقد صنع باب المدخل من الخشب ويدور حول محور كالطريقة المصرية . وللباب مزلاج منزلق يمكن تحريكه من الخارج بواسطة خيط ، وعندما يغلق الباب يمكن احكام غلقه من الداخل بواسطة عمود ثقيل ينزلق فى فجوتين فى قائمة الباب . وكل الآثار التى وجدت فى هذه المدينة الصغيرة تشير الى أنها كانت مستعمرة عمالية ، حتى أن الفخار الذى وجد بها كان خاليا من الزخارف .

أما حوائط البيوت فكانت أسماكها بسيطة وكانت جدران الفواصل بسمك قالب واحد من الطوب ، وهذا يشير الى ظروفها التى اضطرت الى سرعة البناء والوفر فى المواد . وهذا بالطبع أمر يختلف كثيرا عن بيوت السادة أو القصور .

● المدينة السكنية بالعمارنة أخت آتون :

كان لبناء هذه المدينة قصة طويلة مرتبطة بحياة الملك « أمنوفيس الثالث » وابنه « أمنوفيس الرابع » آخناتون اذ أنه عندما أستولى أمنوفيس الثالث على العرش بمساعدة كهنة الاله آمون فى طيبة ، تبين له قوتهم وخطورتهم على بناء العرش فى ورثته من بعده ، مما دعاه الى أن يتجه فى تربية أبنه « أمنوفيس الرابع » الى كهنة الشمس فى مدينة أون (عين شمس) واكتسب بذلك أمنوفيس الرابع كهنة الاله رع الى جواره منذ أن كان وريثا للعرش .

وعندما تولى الملك طور فلسفتهم الدينية الى ثورة ضد كهنة آمون ، يحميها الاله الواحد الذى خلق السموات والأرض ، وخلق العالم كله وجعل الناس كاخوة متحابين، ويجب أن يعيشوا فى سلام وحب وأخاء . ومن هنا وجد أنه لا يمكن أن ينشر هذه المبادىء الجديدة فى طيبة وهى العاصمة القديمة ومعقل كهنة الاله آمون ، فهجر عاصمتهم وبنى له مدينة الجديدة (آخت آتون) الا أن هذه المدينة كان عمرها مقيدا بعمر بانيها أمنوفيس الرابع (آخناتون) اذ هجرها القوم عام ١٣٤٥ بعد موته وأرتدوا الى دينهم القديم وعاصمتهم القديمة « طيبة » التى عادوا اليها مرة أخرى فى بداية حكم خليفته « توت عنخ آمون » .

أمتداد المدينة حوالى ستة أميال على ضفة النيل ، وكان للمدينة تخطيط المدن الحدائقية · وتخترقها ثلاث شوارع رئيسية متسعة نسبيا تمتد من الشـمال الى الجنوب بموازاة النيل وتوسطها الطريق الملكي · وكلها تمتد أمتدادا مستقيما تقريبا، كما تتقاطع وتتعامد معها شوارع أخرى أقل أهمية ·

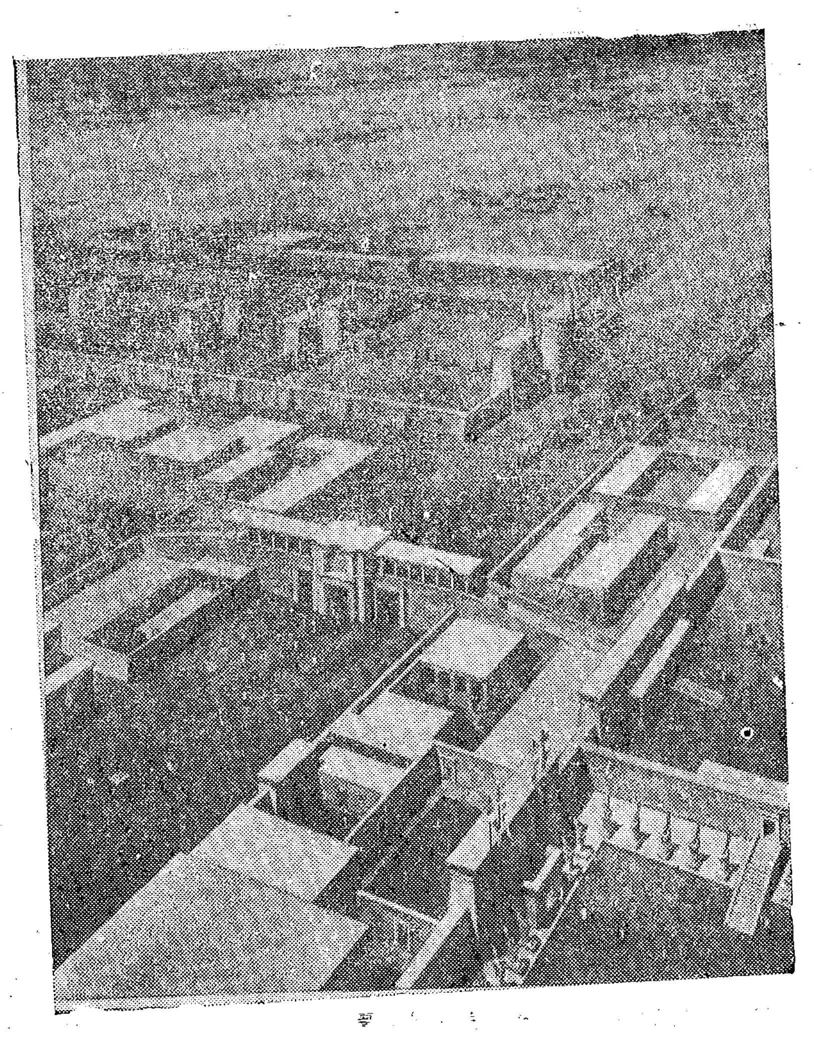
ونلاحظ أن أحياء المدينة المختلفة قد تجمعت حول القصور الملكية والمعابد ومبانى الدولة الرسمية ، الا أنه لم يبذل أى جهد لعزل المنازل السكنية عن المبانى الصناعية · ويبدو أن البيوت كانت تقام دون أى وحى بأن محاولة بذلك لايجاد تجمعات مناسبة وفواصل فى الترتيب · وكان الكاهن الأعلى يسير كتفا الى كتف مع صانع الجلود متبعا للنظام الانسانى الذى نادى به اخناتون فى دعوته ·

وكانت بيوت العظماء منازل فسيحة ، فيها ردهات عظيمة ومزخرفة ، ولها أماكن كافية لغرف النوم ،وبها دورات مياه وحمامات كما ترى فى تصميم أحد المساكن · ويبلغ مقاس بيت الوزير « نخت » وهو مثال لفن العمارة فى « آخت آتون » حوالى ٣٢ × ٢٧ متر · أما بيوت العمال فهى ليست صغيرة وحتى أفقر بيت كان له ردهة أمامية لا غنى عنها وغرفة نوم ومطبخ · والبيوت من منزل الوزير الى أصغر عامل كانت تبنى بالطين ·

ان قصر آتون العظيم والمعبد كانا يقعان جنبا الى جنب فى جنوبى قرية « تل العمارنة » · والى شمالى القرية كان يوجد قصر ثان ، قام بالحفر فيه بعثة جمعية الحفائر المصرية عام ١٩٢٣ حتى ١٩٢٥ · أما خرائب المدينة نفسها ففيها هــداية وارشاد وتساعد على ادراك التخطيط العام لمدينة أخت آتون فى وضوح ·

وكان يقطع المدينة من الشمال الى الجنوب ثلاثة شوارع رئيسية متقاطعة فى زاوية مع شوارع أخرى تسير من الشرق الى الغرب · ومع هذا فلم يبذل أى جهد لضمان انتظام تخطيط مجموعات البيوت مختلفة الحجم ·

وقد بنيت منازل كبار القوم من الأمراء والأعيان على الشوارع الرئيسية ، وكان يحيط بها الحدائق الفسيحة التى تحتوى على أنواع مختلفة من الأشجار · كما كان بها أحواض المياه والممرات المغطاة بتكاعيب العنب وتتميز مساكن الأغنياء بتصميمات متنوعة تبعا لمكانة صاحبها واحتياجاته · أما القصر الملكى فقد بنى على جانبى الطريق الملكى ، الا أنه قد وصل بين جزئى القصر بكبرى ضخم من الطوب · أما المعابد فقد بنيت على هذا الطريق الرئيسى أيضا ·

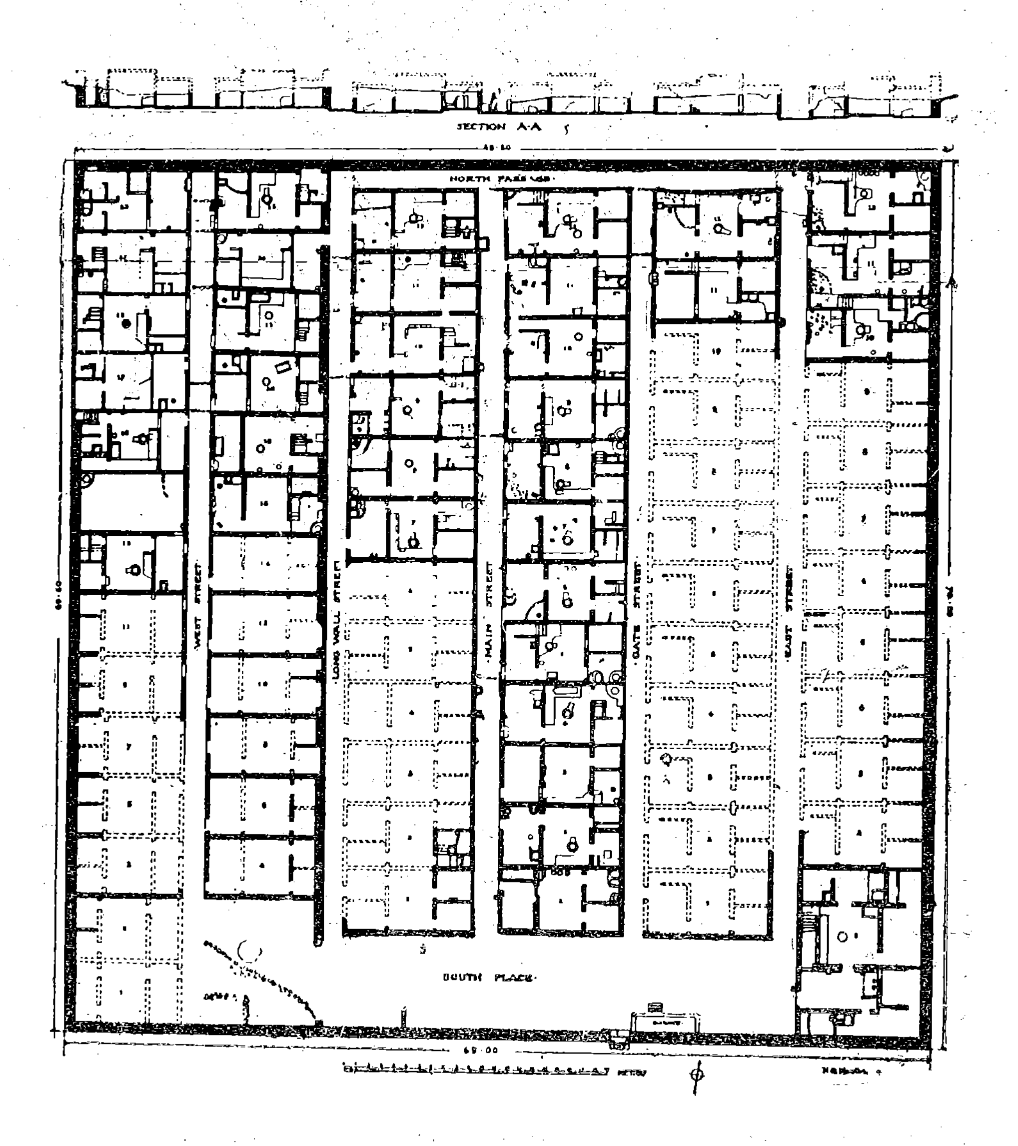


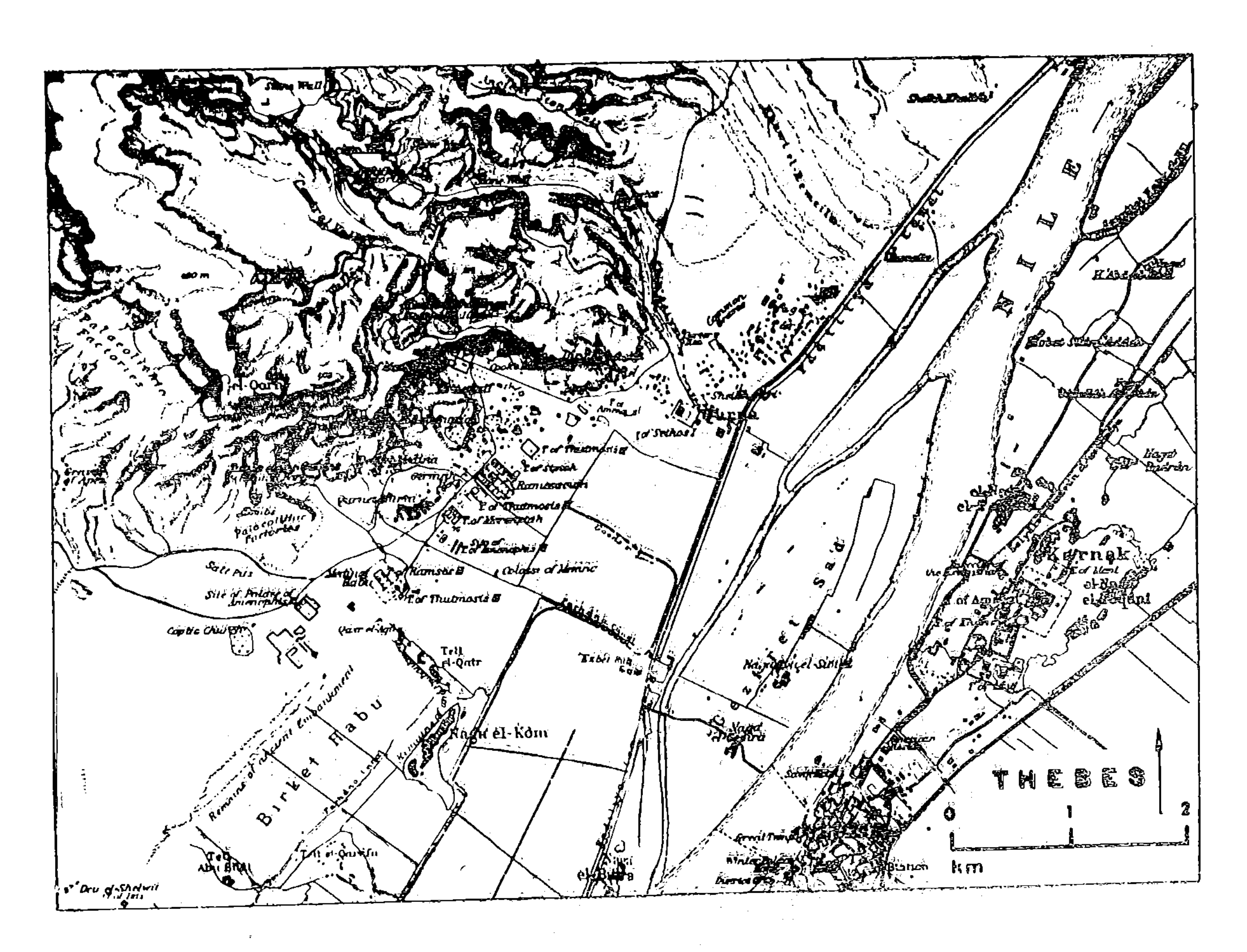
١٥٧ ـ الحى الملكى لمدينة تل العمارنة
والطريق المؤدى الى قصر الحكم والسكن

وقد وجد بالاثار منزل لأحد أعيان المدينة وهو محاط بسور مرتفع له بوابات كبيرة وبداخله حديقة كبيرة بها بحيرة ومنزل وما يتبعه من حوش خلفى به بئر ومخازن مختلفة للغلال والمحاصيل الزراعية ، كما يوجد به قسم لحظيرة البهائم · أما المنزل فقد قسم الى عدة أقسام لصاحب المنزل وعائلته مع ما يتبعها من حمامات ومرافق صحية أخرى ، ثم قسم للاستقبال والمطبخ والمخازن ·

ولقد اعتنى بصفة خاصة فى منازل العمارنة بالحدائق الخاصة بالمساكن الكبيرة ولقد كشفت الحفائر عن عدد كبير لحدائق من هذه الحقبة داخل سور مستطيل الشكل حيث يزرع فيها أشجار فى خطوط منتظمة وتجرى تحتها قنوات الرى · وبخلاف هذا كما فى حديقة « رخمارع » ، فان الحوش يدخل اليه المرء ببوابة عظيمة مقسمة الى ثلاثة مستطيلات ذات مركز واحد حول قناة عظيمة ، وهى من الاتساع بحيث تسع قاربا · والمحيط الخارجى يشغله ممشى أو طريق محفوف بأشجار الجميز · وتوجد كذلك منطقة من زهور الماء وأشجار النخيل الصغيرة وبين هذه الأرض والحوش يوجد مدش مكشوف يستخدم كطريق للسير ·

١٥٨ ـ وضعت مدينة اللاهون ـ **أخت آتون** ـ ٢٧٠٠ ق٠م٠ النظرية **الاولى** فى تصميم المساكن وتخطيط المدن للجمع بين التجميع المتراص وتوزيع المجموعات المختلفة الاحجام **من** حيث السنة المناسبة للاسرة، مع الفصل بين الاحياء وتحديد ارتباطها والمنافع العامة والخدمات اللازمة والاسواق ٠٠ الى غير ذلك ٠





١٥٩ ـ مدينة طيبة ـ الأقصر ـ أقدم وأشهر مدينة وعاصمة عرفها التاريخ • مدينة المعابد والرامسيوم ووادى الملوك والملكات ، المدينة الدينية والدنيوية والروحية والحياة بعد الموت •

وبحفائر العمارنة قصر الشتاء المعروف باسم « مرو تون » وهو يصور لنا فكرة عما كان عليه القصر والحديقة المصرية فى ذلك العهد • وهناك أيضا يوجد حوشان فى شكل مستطيل وكل واحد منهما بجوار الآخر • ومسطح الواحد يقرب من ضعف مساحة الاخر • والكبير منهما يشغل وسطه بحيرة متسعة ١٣٠ × ٦٠ مترا • ويبرز فيها لسان يكون مرسى للمراكب • والى الغرب توجد غرف للخدم • وفى الشمال والجنوب والشرق توجد ثلاثة مبان صغيرة أو أكشاك ، ويمكن أن يكون لبعضها غرض دينى •

ويوجد توزيع مماثل فى الحوض الجنوبى حيث نجد للحوض المائى أبعـادا أقل من الأولى • وخلف هذه الأسوار العالية نجد حديقة نوعية مصرية تماثل الحديقة التى نجدها فى العصر الرومانى ومناظر عديدة عليها الطابع المصرى •

١٦٠ ـ معبد الكرنك بمدينة الاقصر ـ ألفا سنة من العمارة والفنون الفرعونية فى مختلف عصورها عبر الزمن ٠ أشترك فى أنشائه عشر أسرات وأربعون مهندسا وآلاف الفنانين ٠

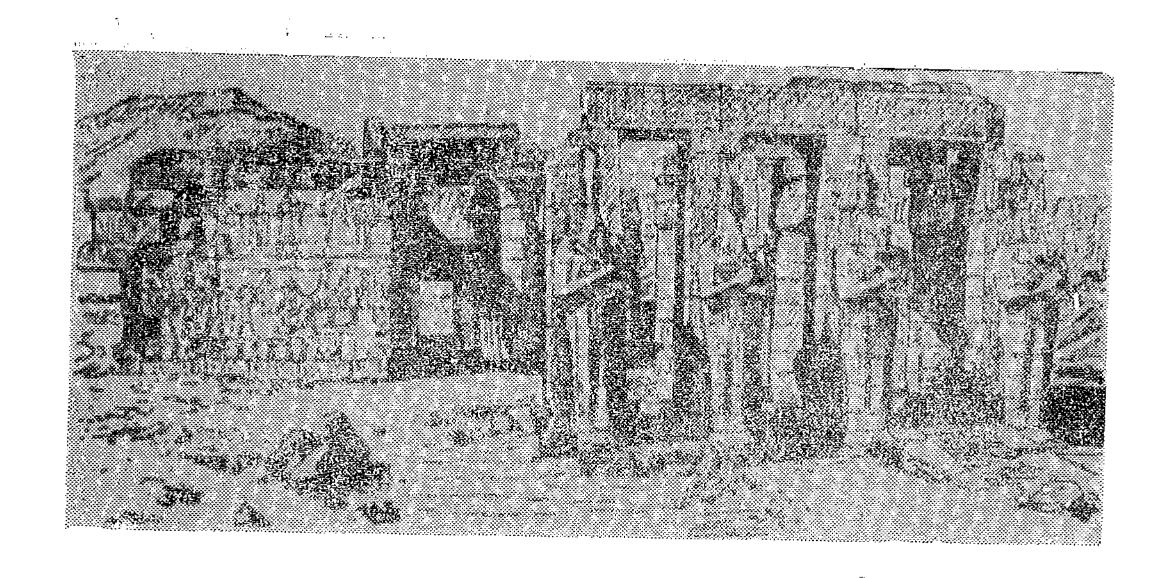


وهكذا تظهر الحديقة المصرية كأنها حديقة من النماذج المباشرة للحدائق الغربية القديمة فى كثير من المظاهر ، وفى المكان الأول توجد القنوات ويوجد الماء • ونلاحظ أن الحديقة مستوية كطبيعة الأرض وتحوطها الحوائط لتكون ملجأ للحياة الخاصة بمبانيها المتناسرة التى تقرب الزائر للطبيعة •وكثير من الأشكال التى ظهرت فى ايطاليا الرومانية وكان لها أثر طوال القرون العديدة كانت لها علاقة بهذه الأشكال المصرية القديمة • ويمكن أن نرى شكل المنزل المصرى وحديقته فى ذلك الرسم التصورى الذى عمله « شيبييز » Chipiez ليوضح أحد منازل طيبة كما أنه وجد رسم يمثل منزل مصرى وحديقة برسوم مقبرة « مرى – رع » كاهن آمون بتل العمارنة وقد تخيل ماسبيرو شكل المنزل وأمامه بركة الماء وسجله فى رسم تخطيطى •

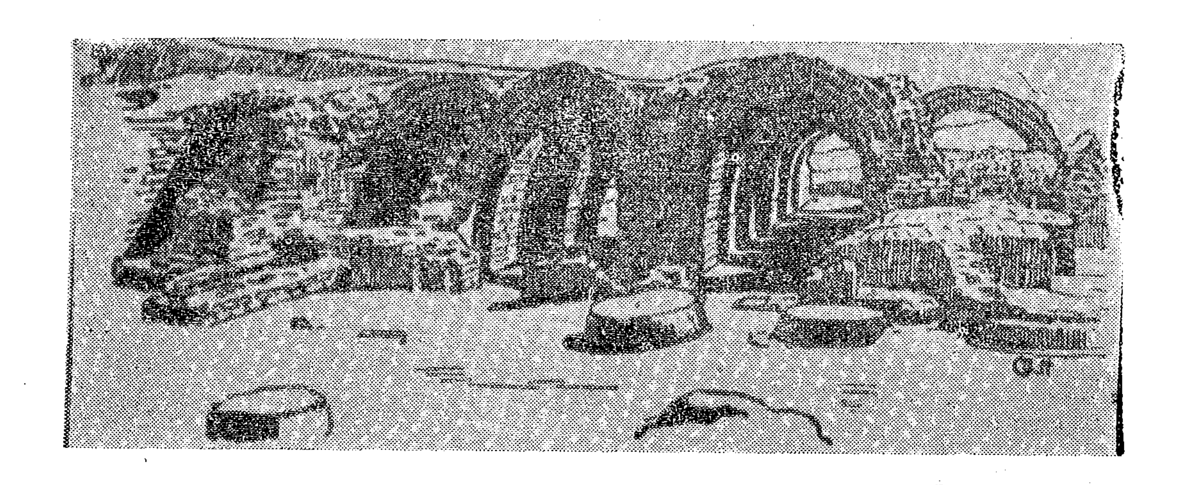
وهناك مثل جميل يعطينا فكرة عن تخطيط المنزل المصرى فى عهد اخناتون عثر عليه المؤلف سنة ١٩٥٤ فى حفائر الكرنك تحت تمثال بانجم الذى كان يقوم بترميمه – وهو رسم على حجر رملى يبين أحد المساكن فى ذلك العهد • ونرى الرسم الأصلى حسب الطريقة المصرية فى الرسم التوضيحى ، ورسما آخر يبين تصميم هذا المسقط كما نفهمه بالطريقة الحديثة •

واذا تتبعنا الرسوم من اليمين نرى ثلاثة أكوام نرجح أن تكون شكل أجران للقمح والمحاصيل • ويليها قفص به سبعان ••• ويظهر أنه كان فى الجهة الأخرى قفصان للسباع أيضا بينهما سلم من ربع درجات يحتمل أن يكون هو المدخل الرئيسى • ومن تحت أقفاص السباع نرى أشجار تمثل حديقة من أشجار الجميز الذى كان له احترام خاص عند المصريين ، وكذلك نرى شجرة نخيل وتحتها مسقط لمسكن صغير بجوار المدخل قد يكون المضيفة أو المندرة التى نستعملها الى الآن فى المساكن الريفية ، وتكون عادة منفصلة عن المسكن الأصلى • ويظهر بداخل هذه المضيفة رسم رجل وامرأة فى البهو الكبير كما ظهر بجوارها بعض الأدوات والأثاث كمشنة العيش وزير الماء والمخدع الذى ظهر فى الغرفة الداخلية ، والى أسفل هذا المسقط جزء من مسقط آخر يجوز أن يكون بناء مماثلا كمندرة أو مكان للحرس والخدم خارج المنزل • ويلى هذا الشكل سور بداخله حديقة كبيرة تحوى القصر نفسه وتحف به أشجار الجميز والنخيـــل وأشجار الدوم كما ظهرت كذلك بالحديقة تكاعيب العنب وبركة الماء •

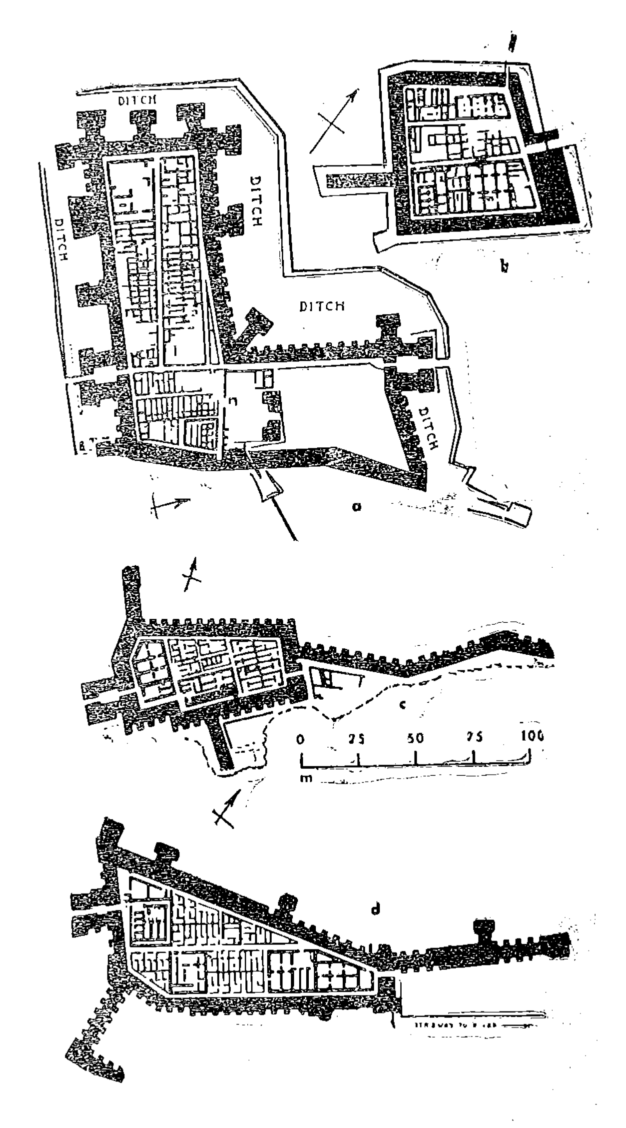
ويلى حديقة المنزل حوش كبير استعمل كزريبة لتربية الوعل • وقد وضح عليها الرسام بدقة مربط الوعول ومزاودها الحجرية التى خصصت لأكلها • كما أن هذا الحوش لم يخل من الأشجار التى يمكن أن تستظل بها الوعول • ويلى ذلك شكل حظيرة للبهائم ، بها الكلاف وسط الأبقار ، وأمامه بقرة ترضع صغيرها • « آتون » بتل العمارنة ، ونرجو أن تكتشف الآثار الباقية التى تكمل هذا التصميم فى الآثار الموجودة بمعبد الكرنك •



١٦١ ـ أعمدة الكرياتيد الفرعونية معبد الرامسيوم ١٢٩٠ ق٠م

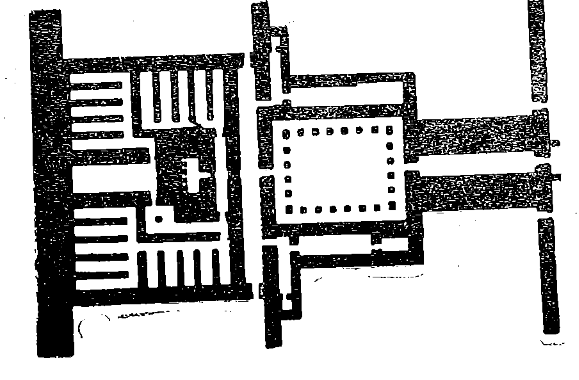


١٦٢ ـ مخازن معبد الرامسيوم ، عقود من الطوب النىء ٠ وتظهر عقود الطوب بالوضع الطولى ١٢٩٠ ق٠م



١٦٣ ـ يمين : مساقط أفقية لامثلة من المدن الدفاعية المحصنة ـ ١٨٧٨ ـ ١٨٤١ ق٠م

١٦٤ ـ معبد سيزوستريس الهرمى بمدينة اللشت ٠



● لقد حاول المهنــدس المصرى فى عصور الفراعنة الاســتفادة من المواقع الطبيعية المرتفعة واستغلالها فى انشــاء المدن الدفاعية وخاصة المدن التى بنيت بالقرب من الشلال الثا؛ فى حــدود الجنوب ٠

هذا وبالرغم من أن تل العمارنة قد أكتشفت أجزاء كثيرة منها الا أنها تحتاج الى كثير من الدراسة والفحص التفصيلى • وتل العمارنة هى المدينة المصرية الوحيدة من ذلك العهد التى يمكن دراستها • ونظـــرا لوقوعها بعيدا عن الارض المنزرعة والهجرة التى تمت بعد موت عاهلها ، لم تقم فوقها أية أبنية جديدة • وهى فى مظهرها لم تكن مكانا لمجتمع قروى الطابع ، بل كانت مدينة فيها مجال للتوسع على موقع جديد حيثما ينعدم احتمال ضغط الحقول المنزرعة • وكان لها قيمة كبيرة بالنسبة لاقتصاد البلاد التى تتكون من واد ونهر ضيق • ولا يظهر أى تجمع لبلدان اقدم ، كما أنه ليس هناك أثر لذلك الميل الى الأبنية فى الطرقات الضيقة التى كانت من طابع بعض المدن مثل « ممفيس » « وطيبه » •

ويمكننا استخلاص بعض المعلومات عن منازل المدن الكبرى التى ترتفع عـــدة طبقات والمزودة بالشون وحجرات التخزين فى السطح ، وذلك عن طريق دراسة رسوم بعض المقابر ونماذج البيوت والمساكن القبطية المتأخرة • ومن ناحية أخرى لم يقدر للاسكان فى العمارنة أن يزيد كثيرا من امتداده الجانبى فى الوادى الصحراوى ، واقتصر على القطاع الطويل من الأرض المنخفضة بالقرب من ضفة النهر حيث كان فى الاستطاعة حفر الابار للحصول على المياه ، أو حيثما كانت المسافة غير بعيدة عن مياه النهر • وبنمو البلدة الجديدة بدأت تتخذ شكل البلدة المزدحمة ، فتندس المنازل الصغيرة بين العقار الكبير للاثرياء من الموطنين ممن اختاروا أحسن المواقع لاقامتها على طراز البيت الريفى المصرى بحدائقه وأبنيته الخارجية المنفصلة • ويضمها جميعا الأسوار الخارجية التى تحيط بكل موقع لمسكن • ويهمنا أن نذكر كذلك أن المصرى قد أهتم فى هذه البلدة بتصريف المياه اذ أن الماء المتخلف عن الحمام يجرى فى بساطة الى وعاء مثبت فى الأرض من خلال قناة قصيرة تحت الجدار حيث تمتصها الأرض • وكانت أكوام القمامة تحرق على فترات أو تسوى لعمل الأساسات لبناء جديد •

● قرية دير المدينة :

وعلى الضفة الغربية للاقصر قرية أو مدينة عمالية تعرف باسم قرية دير المدينة وتقع فى واد منعزل جدب محصور بين قرية مرعى والتلال المتطرفة جنوب هضبة طيبة • وقد شيدت هذه القرية لاسكان العمال الذين يعملون فى بناء المقابر الملكيـــة وظلت مسكونة قرابة ٤٠٠ عام • ونظرا لبعد هذه القرية عن مكان العمل فانه كان من عادة أهلها ألا يعودوا يوميا الى منازلهم مما دعاهم الى بناء أكواخ من الحجر الغشيم فى الطريق المشرف على وادى الملوك يقضون فيها معظم أوقاتهم • ونلاحظ أن هذه القرية قد أحيطت بسور من اللبن ، ويخترقها شارع ضيق على أمتداد الممـــر المؤدى الى

الوادي ، ويتفرع منه شارع آخر ضيق وكانت المنـــازل الطويلة الضيقة تنفتح على الشـــارع .

وقد بنيت هذه القرية في الأسرة الثامنة عشرة ، الا أنها أتسعت في عهد الاسرة التاسعة عشرة والعشرين ، فامتد سورها بعض الشيء بل وشيدت بعض المنازل خارج السور كذلك ، اذ لم يصبح السور للدفاع أو للرقابة ، بل يبدو أنه أصبح لفصـــل الطبقات التي تألف منها سكان هذه القرية ، اذ كان الأرستقراطيون يسكنون داخلها . أما الطبقة البسيطة فكانت خارج السور وكانوا يحتفظون بحيواناتهم معهم . ويظهـر أنه لسخونة الجو في هذه المنطقة فقد عملت المنازل متصلة ببعضها البعض وكانت طويلة ضيقة لا يضيئها سوى باب الشارع ومنافذ التهوية في السقف . وكان المنزل يتألف عادة من صالة رحبة وحجرية داخلية بها أعمدة فيها ايوان ، ثم حجرة نـوم ومطبخ غير مسقوف به سلالم تؤدى الى السطح ، ولم يكن هناك أى مورد للماء بل كان هناك خزان خارج البوابة الخارجية يأتى القوم اليه بالماء الذى يحملونه على ظهور الحمير المائه ويحرسة حرس خاص . ومع أن القرية ظلت عامرة نحو ٤٠٠ عام الا أن مستوى أرضها لم يرتفع مما يدل على أن المنازل كان يعاد بناؤها على نفس أساسها القديم ــ اذا تهدمت ــ ولذا نستنتج وجود نوع من التنظيم والرقابة على البناء والتخطيط .

● مدينة هابو :

نرى في مدينة هابو مدينة كاملة تماثل الى حد كبير « الرمسيوم » وهى من آثار عهد الرعامسة . وبالاضافة الى القصر والمخزن وأفنية الذبح المشتمل عليها الحوش الداخلى فى مدينة هابو التى تتجاوب مع مجموعات الأبنية فى الرمسيوم فقد أقام رمسيس الثالث حوشا خارجيا تضمن معبد الأسرة الثامنة عشرة فى الشرق وصفوفا من المنازل للكهنة والقائمين بالخدمة الدينية وذلك على طول الجوانب الشـــمالية والجنوبية من الحوش الداخلى . ويؤدى الى داخل الحائط السميك من الشرق والغرب بوابات حجرية بديعة محصنة وبالطوابق العليا منها مساكن للحراس . ويحيط بكل هذا جدار مكمل أقل ارتفاع ومهبط أعد فى نهاية قناة يسمح بالدخول الى المعبد من الشرق . ويشاهد بيت البوابة الشرقى من الجانب الداخلى . أما المساكن فى الطابقين العلويين فقد زخرفت بالمجسمات التى تمثل الملك وسيدات البلاط يرحبن بقدومه .

● المدن الدفاعية المحصنة :

ويمكن أن نكون فكرة كبيرة عن القلاع المصرية التى عرفت فى مصر منذ أقدام

العصور · اذ أن اكتشافات « يونكر » فى « كوبانية » لا تدع مجـالا للشك فى أن الفانتين أو فيلة كانت مركزا تجاريا حصينا أماميا منذ عهد باكورة الأسرات · وقد قام بتحصينهاكذلك « حونى » وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة ولم يكن أقدم الحصون المصرية منتظم الشكل بالضرورة · اذ أن هذه الحصون كانت تشيد فى مواقع ذات أهمية عسكرية ولذا كان لا بد أن تتخذ شكلا يتمشى مع هيئة الأرض التى بنيت عليها (أو التحديد الكنثورى للارض) كما سنرى بعد ذلك · واشهر هذه الحصون والقلاع تلك التى بناها ملوك الدولة الوسطى فى بلاد النوبة وبعض القلاع التى بناها ملوك الدولة الحديثة ، وان كانت هذه قد فقدت أهميتها بعد أن أصبح الأمن مستتبا فى ربوع تلك البـــلاد ·

وفى الواقع ان تلك القلاع كانت أشبه بمدينة حصينة · اذ كانت تحتوى على معابد ومبان تقوم فيها مصالح ودواوين مختلفة وبها عدد من المنازل ويخترقها بعض الشوارع ··· وقد قامت قلاع النوبة بدور مزدوج اذ أنها كانت تستخدم فى أغراض الدفاع من جهة وكمراكز تجارية من جهة أخرى ·

● **حصن سمنه :**

وقد حاول المصرى الاستفادة من المواقع الطبيعية فى بناء المدن الدفاعية التى بنيت على أماكن مرتفعة كما نرى فى مدينة حصن « سمنه » التى بناها سنوسرت الثالث (١٨٧٨ ــ ١٨٤١ ق·م) بالقرب من الشلال الثانى وأعتبرها أقصى حدود الجنوب، فكانت كحصن على تل مرتفع تسكنه حامية مصرية لحماية الجنوب ؛ وهو بموقعـه يشبه مدينة الأكروبول Acropolis فى التخطيط الاغريقى وهى المدينة العليا أو حصن التل · ويحيط به حائط دفاعى ضخم وبداخله المعبد والمبانى الهامة · وقد عمـل كذلك لمدينة سمنه أسوار قوية تحيط بالموقع الذى يحميه النيل من جانب وتحميه الصحراء من الجانب الاخر · وتحصينات سمنه تتكون من جزيرة « أورونارتى » وسط النيل وحصنى سمنه الشرقى والغربى على الجانبين ·

وطراز البناء فى سمنه الغربية هو نفس الطراز الموجـود فى « أورونارتى » وسمنا الشرقية · والمسقط يجعل قوة البناء ظاهرة ويتخذ شكل حرف « "L" » والجانب الطويل يواجه النيل والجنوب · وواجهة النيل ليست فى حاجة الى خندق اذ أن سقوط الواجهة الصخرية أمام النهر تمنع الهجوم من تلك الناحية ، وفى الجوانب الثلاثة الأخرى يحيط خندق جاف متسع وعميق ويحيط بالحيطان من الخارج واجهة الأسوار مكسوة ببناء من الحجر الغشيم بانحدار من الواجهة الخارجيـة مغطى بالحجارة أيضا بزاوية تبلغ ٦٠ درجة · وهذه الأسوار العريضة تعد ميدانا مستكملا يمكن حملة الأقواس من اطلاق السهام من فوق قمة الحائط ·

وفيما بين هذا الميل والخندق بنيت الحيطان باللبن على أســـاس من الحجر وثقوبها ــ على مسافات منها كتل موضوعة أفقيا موازية لواجهة الحائط وتعمل معها زاوية قائمة ... وكانت هذه الحيطان ترتفع الى علو لا يمكن تحديده لأن الأجزاء العليا تهدمت الا أنه يرجح أن الارتفاع كان حوالى ١٠ أمتار أو أكثر فى مواضع يكون فيها الارتفاع ضروريا للاشراف .

وقد عمل « شبييه » و « بيررو » مشروعا للشكل الأصلى للحصن اقترحا فيه وجود برج مرتفع وفيه مداميك عليا عند القمة ، الا أن هذا المشروع فيه كثير من الخيال الذى لا يعتمد على نتائج الحفائر . وعلى كل حال ، فاننا نرى فى شكل هذه المدينة المحصنة أن أسوارها تتبع الخطوط الكنتورية للهضبة المبنى عليها الحصن . وبالرغم من أن مبانيها الداخلية قد تهدم معظمها ، فان مسقط المعبد بداخل الحصن لازالت آثاره باقية ، أما المبانى السكنية للجنود التى تحدد لنا شكل التخطيط العام للمدينة فقد زالت آثارها .

ولا يمكن أن ننسى هنا كذلك الدور الذى لعبه المعبد المصرى الذى كان يعرف كبيت للاله . ويبنى على شكل مدينة أو خلية متكاملة داخل أسوار حصينة لحماية أبن الاله (وهو الملك نفسه) ورجال الدين وأتباعهم فى حالة الثورات الداخلية أو الغزوات الخارجية ــ كما سبق أن شرحنا ــ لذلك كان الملك يصور على واجهات مداخله وأسواره رسوما وأساطير تصور قوته ، وانتصار الالهة له ، ومعاضدتهم فى شـــد أزره حتى يتغلب على أعدائه ، ليكون فى ذلك عبرة لمن تحدثه نفسه على مهاجمته أو الخروج عليه .. ولهذا نرى أن المعبد كان يعتبر مدينة دفاعية محصنة حدد تخطيطها الحالة الاجتماعية والعقائدية .

وبالرغم من أنه عندما ابتكرت فنون الابادة والتدمير على نطاق جماعى منظم ، أصبح جليا أن السور يجب أن ينظر اليه كضرورة عملية ، وليس مجرد رمز . الا أننا بالرغم من ذلك يمكن أن نرى أن عدم تحصين بعض البلاد فى عهد الأسرات ، كان لتأكد الحاكم من قوة حمايته لملكته . أما مدينة « أخناتون » فكانت نتيجة لتطور الفكر الانسان واتجاهه الى السلام والاخاء العالمى ... وهو المبدأ الانسانى الذى نادت به مصر ، ولكنه لم يستطع أن يصـــمد كثيرا أمام أطماع الانســـان وحبه للامتلاك والســـيطرة .

هذه لمحة بسيطة عن آثار بعض المدن التى عثرنا عليها فى الحضارة المصرية القديمة ... ونلاحظ فيها وجود المدن المنشأة بناء على تخطيط سابق ، والمدن المسورة

كمدينة أهرام « خنت كاوس » ومدينة « اللاهون » والمدن المفتوحة كمدينة « أخت آتون» والمدن الدفاعية كمدينة « سمنا » المحصنة وحصن « أوروناتى » ··· ويمكن أن نعتبر أن هذا التخطيط للمدن المصرية القديمة كان بلا شك من أهم العوامل التى أثرت فى التخطيطات المدنية فى الحضارات الأخرى ، وخاصة ذلك التخطيط الشطرنجى المنظم الذى استعمل فى أرض مصر المنبســـطة وكان يتفق مع الاتجاه المصرى فى الرتابة وسرعة **التنفيذ** ·

فهرس الأبواب

حضارة مصر الفرعونية

بيـان الأبواب　　　　　　　　　　　　　　　　　　صفحة

صفحة

بيـان الأبواب

فهرس الصور والرسومات

● الفن أعظم عناصر العمارة الفرعونية

	شكل رقم	صفحة رقم
ـ معبد حورس	١٠٣ ، ١٠٤	٢٦٧
ـ معبد كوم أمبـــو	١٠٥ ، ١٠٦	٢٦٧
ـ معبد أمون حتب بالدير البحرى بالأقصر	١٠٧ ، ١٠٨	٢٦٨
ـ معبد الملكة حتشبسوت / الدير البحرى	١٠٩	٢٦٩
ـ معبد أبو سنبل ـ أسوان ، قبل وبعد رفعهما . . .	١١٠ ـ ١١٤	٢٧٠ ، ٢٧١
ـ المعابد الجنائزية	١١٥ ـ ١١٨	٢٧٢
ـ مسلة الملكة حتشبسوت بمعبد الكرنك	١١٩	٢٧٣
ـ مسلة لم تنقل لظهور شرخ بها	١٢١	٣٠٦
ـ معبد أبو سنبل بعد نقله الى أعلا الجبل		٣٠٧

● تخطيط وانشاء المدن ... الجزء الثانى

ـ حضارة مصر ومهندسو الفراعنة		٣٠٩
ـ تمثالى ممنون ـ طيبة	١٢١	٣٠٩
ـ عملية بناء الأهرامات	١٢٢ ، ١٢٣	٣١٠ ، ٣١١
ـ المهندس المعمارى الأمير رع حتب وزوجته نفرت .	١٢٤	٣١٣
ـ المهندس المعمارى سنحوت	١٢٥	٣١٤
ـ المهندس المعمارى حانوفر	١٢٦	٣٢٠
ـ المهندس المعمارى ايمحتب	١٢٧	٣٢٠
ـ الأدوات الهندسية : المسطرة الحاسبة ، القـدة ، ميزان الخيط	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠	٣٢٣
ـ مجلس المهندسين فى احتفالات جامعة أون	١٣١	٣٣٢

● المدن المصرية منــذ فجر التـاريخ وتطـــور الحضارات ٢/٢

ـ أعمدة وتيجان	١٣٢	٣٤٥
ـ المدن المصرية وخريطة وادى النيـــل	١٣٤	٣٤٦
ـ المسكن المصرى القديم وتفاصيل معمارية . . .	١٣٥	٣٤٧
ـ أنموذج المسكن المصرى الفرعونى	١٣٦	٣٤٧
ـ خريطة مجرى النيل ومدن الأحياء	١٣٧	٣٤٨
ـ أقدم مقبرة فى العصر البيولوسى	١٣٨	٣٤٩
ـ وجهى لوحة الملك نارمر	١٣٩	٣٤٩
ـ مدينة منف ومجموعة مبانى سقارة	١٤٠	٣٥٢
ـ حصن بابيلون ١٣٠٠ ق٠م	١٤١	٣٥٤

رقم الايداع ٥٠٤٦ / ٨٤
الرقم الدولى ٩ _ ٠٢٤٩ _ ٠٥ _ ٩٧٧

● المؤلف

- دكتور مهندس معمارى استشارى
- بكالوريوس العمارة درجة شرف / جامعة ليفربول ١٩٣٨ B. Arch. Hon.
- ماجستير العمارة درجة شرف / جامعة ليفربول ١٩٣٩ M.A., A.R., B.A.
- دكتوراه فلسفة درجة شرف /جامعة لندن ١٩٤٦ Ph.D.
- عضو جمعية المهندسين المعماريين المصرية ورئيس الجمعية سابقا ٠
- عضو نقابة المهندسين ورئيس مجلس الشعبة المعمارية سابقا ٠
- عضو جمعية المهندسين المصرية ٠٠
- عضو الاتحاد الدولى للمهندسين المعماريين ٠٠٠
- عضو مجموعة العمل للمبانى التعليمية بالاتحاد الدولى للمعماريين
- مدير عام ادارة تخطيط القرى بوزارة الاسكان والمرافق سابقا ٠
- مدير عام المشروعات بمؤسسة ابنية التعليم سابقا ٠
- مدير عام المشروعات بمؤسسة الأبنية العامة سابقا ٠
- مدير عام المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية سابقا ٠
- أستاذ جامعى غير متفرغ بكلية الهندسة جامعات عين شمس ، الأزهر ، أسيوط ، حلوان ـ سابقا ٠
- من أهم مؤلفاته التى أثرى بها المكتبة العربية والتى تعد مرجعا لطلبة الجامعات والمهندسين والمكاتب الهندسية عدد ١٢ كتابا فى تاريخ العمارة والفنون ، انشاء المبانى ، التصميم المعمارى ، قوانين ولوائح ممارسة مهنة الهندسة ٠٠٠ الخ ٠
- حائز على وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة عام ١٩٥٦ ٠
- حائز على وسام الاستحقاق فى العلوم والفنون عام ١٩٨٠ ٠
- من أهم الأعمال التى تحمل بصماته وتوقيعه كمصمم أول لها :

قرى نموذجية ، مدارس المرحلة الأولى للتعليم ، ديوان عام المحافظات ، جامعة الأزهر بمدينة نصر ، مبنى المكتب العربى للتصميمات ، الجهاز المركزى للمحاسبات ، والجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء بمدينة نصر ،وزارة العدل بميدان لاظ أوغلى بالقاهرة ٠

التخطيط العام لمعبد أمون ـ الكرنك

